شؤون فلسطينية

ايار (مايو) ١٩٧١

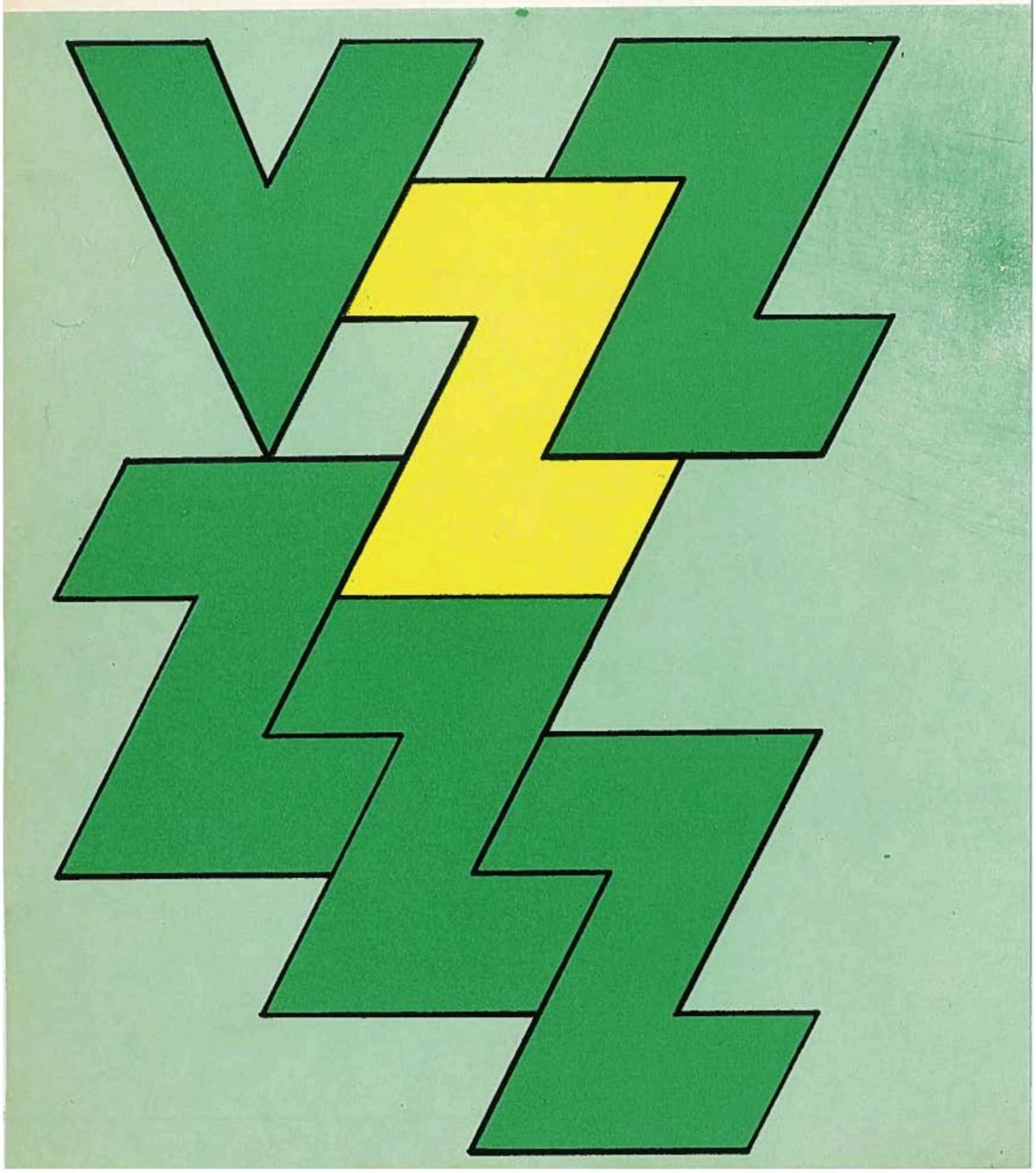

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: الدكتور انيس صايغ

رقم ٢ — ايار (مايو) ١٩٧١

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة . تصدر ست مرات في السنة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

هيئة التحرير : بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزه ، يوسف شبل ، ابراهيم العابد ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب .

المستشارون : د. ابراهيم ابراهيم ، د. صلاح دباغ ، د. نبيل شعث ، د. هشام شرابي ، د. يوسف صايغ .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية مكارم وابو عزالدين شارع كولمباني (متفرع من السادات)، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون ٢٩٣٧٧٨ مؤقتا ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد ٤ ل.ل. في لبنان وما يعادله في الوطن العربي، ٢/٢١ دولار في الخارج.

الاشتراك السنوي ٢٥ ل.ل. في لبنان وما يعادله في الوطن العربي ١٥ دولارا في الخارج (بريد جوي) .

PALESTINE AFFAIRS

A bimonthly journal published in Arabic by the palestine Research Center

Editor : Dr. Anis Sayegh

Address : P. O. B. 1691, Beirut, Lebanon, Tel. 293778, cables, MARABHATH

Subscriptions : 25 Lebanese Pounds in the Arab World and $ 15 abroad (by air mail)

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، د. انيس صايغ [مدير عـــام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية] .

٥ **فلسطين الغد** ، د. نبيل شعث [استاذ ادارة الاعمال في الجامعة الاميركية في بيروت والجامعة اللبنانية والمشرف على شؤون الاعلام الاسرائيلي في م. أ.] .

٢٤ **تطورات الاقتصاد الاسرائيلي** ، د. سعيد حمود [الباحث الاقتصادي في مركزي التخطيط والابحاث]

٣١ **حركة التحرير الفلسطيني : مداها وابعادها** ، د. طارق اسماعيل [استاذ العلوم السياسية في جامعة كالجري بكندا] .

٣٨ **موقف اسرائيل من مشروع روجرز** ، عبدالحفيظ محارب [الباحث في القسم العبري في م. أ.] .

٥٧ **المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن** : ندوة ــ بلال الحســـن [عضو اللجنة المركزية في م. ت. ف. سابقا والباحث في م. أ.] وشفيق الحوت [مدير مكتب م. ت. ف. في بيروت] واحمد خليفة [رئيس القسم العبري في م. أ.] ود. نبيـــل شعث ومنح الصلح [المفكر السيـــاسي العربي] ود. صادق العظم [الاستاذ في الجامعة الاميركية في بيروت والجامعة الاردنية سابقا ومستشار م. أ.] وغسان كنفاني [رئيس تحرير مجلة الهدف] .

٧٥ **الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة**، فؤاد حمدي بسيسو [الباحث الاقتصادي في البنك المركزي في عمان] .

٩١ **مقابلة مع مسؤول في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتزبن)** ، ليلى سليم القاضي [الباحثة في م. أ.] .

١٠٤ **مشروع انشاء المستعمرة اليهودية في يوغانده** ، خالد القشطيني [الباحث والكاتب العراقي في لندن] .

١١٣ **المؤرخون الفلسطينيون العرب خلال فترة الانتداب البريطاني** ، د. عدنان ابو غزالة [استاذ العلوم السياسية في جامعة نيويورك] .

١٢٣ **هل حوّل الصهيونيون الصحراء الى جنة ؟** د. رتشرد بيفز [استاذ الادب الانجليزي في الجامعة الاميركية في بيروت سابقا] وزينب اليافي [دارسة في علم الاجتماع] .

١٣٠ **ضفوط النار والجوهر الصلب : توفيق صايغ كما عرفته** ، جبرا ابراهيم جبرا [الناقد والاديب والفنان الفلسطيني] .

١٤٢ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية : بلال الحسن (٢) القضية الفلسطينية عربيا : ب. ح. (٣) القضية الفلسطينية دوليـــا : د. صادق جلال العظم (٤) السياسة الاسرائيلية : احمـــد خليفة (٥) المناطق المحتلـــة : ع. م.

١٧٩ **مراجعات** : النوافذ التي تفتحها القنابل ، وسام على صدر المليشيا، الخروج من البحر الميت ، خماسية الموت والحياة: فوزي كريم [الشاعر العراقي] . عرس فلسطيني ، السفينة ، ذكرى الايام الماضية : محمود الريماوي [محرر الصفحة الادبية في مجلة الهدف] . اسرائيل والعالم العربي : خيرية قاسمية [المؤرخة ومستشارة الوثائق في م. أ.] . تفسير شاتام هاوس : جورج جبور [احد مستشاري رئاسة الجمهورية العربية السورية] . واجبات الاطراف الثالثة في الحروب المعاصرة : د. محمد المجذوب [استاذ القانون الدولي في الجامعة اللبنانية] . التلمود والصهيونية : ص.ج.ع. لماذا قتل روبرت كنيدي : ثريا انطونيوس [خبيرة اعلامية في جمعية الخامس من حزيران] . تاريخ فلسطين الحديث : ن.ع.

٢٠٠ **فلسطينيات** : (١) اجتماع اللجنة التنفيذية والمؤتمر العاشر لاتحاد الطلاب العالمي في تشكوسلوفاكيا : شريف الحسيني [باحث اعلامي في مركز التخطيط] . (٢) ندوة فلسطين العالمية الثانية في الكويت : وجهتا نظر : منح الصلح ، وفواز ناجيا [رئيس الندوة ، واحد اعلاميي الثورة الفلسطينية] : (٣) المعرض الاول للجنة السيدات الفلسطينيات لحرف التطريز الوطني : جويس القاضي [الباحثة في م. أ.] . (٤) الحلقة الدراسية لاتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة حول عنصرية اسرائيل : حبيب قهوجي [مستشار القسم العبري في م. أ. ، ومؤسس حركة الارض في فلسطين المحتلة] . (٥) انطباعات حول جولة اعلامية في أوربا : د. يوجين مخلوف [الاعلامي الفلسطيني وعضو سكرتيرية الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين] . (٦) دار فلسطين في واشنطن : جورج حشمة [رئيس تحرير مجلة مد ايست الاميركية في واشنطن] .

٢١٧ **خمسة تقارير من الخارج ورسالة من غزة** : (١) هولندا : انصار العرب ومواقفهم من مقترحات روجرز : عقيل هاشم [رئيس القسم العربي في الاذاعة الهولندية] . (٢) فرنسا : لجان المناصرة أمام مشاريع الحل السلمي : وائل زياد [اعلامي فلسطيني في باريس] . (٣) كندا : العقلية الصهيونية الجديدة : د. جورج حجار [أستاذ العلوم السياسية في كندا] . (٤) الولايات المتحدة : التنظيمات الاميركية وفلسطين : مراسلنا في الولايات المتحدة . (٥) بلجيكا : مؤتمر بروكسل ويهود الاتحاد السوفياتي : داود تلحمي [باحث واعلامي فلسطيني في باريس] . (٦) رسالة من غزة : ا.ع.

٢٤٢ **مرافعة سينمائي عربي من أجل خلق حركة سينمائية جديدة في العالم العربي** : ف. المنصور [أديب وسينمائي عربي] .

٢٥٠ **بيان أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الادنى التابعة للجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الاميركي (الكونغرس ٩١)** : د. وليم ت. مالسون (الابن) [استاذ القانون في جامعة جورج واشنطون في واشنطون]

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

لم يكن احد منا ، من اسرة شؤون فلسطينية ، يتوقع هذا النجاح الذي لقيه العدد الاول — حتى ولا اكثرنا تفاؤلا وثقة بالنفس . ولا اقصد بالنجاح نفاد جميع النسخ التي وزعت على الاسواق العربية وفي حوالي خمسة أسابيع ، ولا عبارات الاعجاب والثناء التي سمعناها والتي قرأناها من مئات الاخوان ، كتّابا وقراء ، فحسب ، بل اقصد ما هو اكثر دلالة على النجاح واكثر مدعاة للرضى — أعني به الشعور الذاتي ، الداخلي ، في نفوس سائر العاملين في شؤون فلسطينية ولها (محررين وكتابا ومراسلين) بأن ما صدر عنا انما هو بعض ما نريد ان نفعل وانما هو تحقيق ، ولو ليس كاملا ، لبعض ما كنا نخطط له ونرجوه : وهو انشاء منبر حر ورفيع ونقي للفكر العربي في الشؤون الفلسطينية المختلفة . فقد شعر كل واحد منا اننا قلنا شيئا من الكلام الذي أردنا ان نقوله واننا عبرنا عن امنية طالما جاشت بصدورنا . لكن ما أسعدنا اكثر من ذلك هو اننا شعرنا ان هذا الكلام كان الكثيرون غيرنا يريدون ان يقولوه وان هذه الامنية جاشت في صدور الكثيرين غيرنا . وما أن صدر العدد الاول، وطالعه قراؤنا واعلمونا بآرائهم ، حتى شعرنا أنه تحقيق لرغبات الكثيرين وليس لرغبات عدد محدود من الكتاب والباحثين العرب العاملين في شؤون فلسطينية . من هنا نشعر ان المحاولة كانت ناجحة ، ولو جزئيا ، وانها خطوة نحو المزيد من اداء الرسالة . ولكن هذا يعني اننا أصبحنا نحس بواجب اضخم في متابعة الرسالة ، اي بضرورة استمرار الدورية ، وبضرورة تصاعدها وتوثبها حتى تصبح تحقيقا كاملا لاماني المثقفين العرب وحتى تؤدي الرسالة اداء كاملا . وبالطبع ، يعني هذا توقع المزيد من الجهد . وهذا تأكيد للوعد الذي قطعناه في العدد الاول ، بأن تمضي الدورية في حمل الرسالة المطلوب منها حملها ، دون حساب للجهد ودون تراجع أمام الصعاب ودون هلع من المشاكل ، وما أكثرها . لكن مشكلة واحدة تغلبت علينا وفرضت نفسها بالقوة . وهي اننا اكتشفنا ، متأخرين (أي بعد صدور العدد الاول وبدء العمل في توزيعه) ان اجور البريد الجوي في الوطن العربي ارتفعت بشكل ملحوظ مؤخرا بحيث أصبح نقل العدد الواحد يكلف ، من لبنان الى معظم الدول العربية ، ما يزيد على ليرة لبنانية واحدة (واحيانا يصل الى ليرة ونصف) اي أن تكلفة نقل العدد الواحد تصل الى نصف ثمن العدد ، وذلك بسبب حجم المجلة الكبير (٢٤٠ صفحة للعدد الاول ، واكثر من ذلك لهذا العدد). مما جعلنا نقف أمام واحد من أمرين : أما ان نخفض صفحات العدد الواحد تخفيضا بارزا (ثمانين صفحة على الاقل) وما يستتبعه التخفيض في الحجم من حذف حوالي أربع او خمس مقالات في كل عدد ، او أن نحافظ على الحجم (ونزيده قليلا ، اذا دعت الضرورة) ولكن نطلب في الوقت نفسه من القارىء ان يدفع ثمن ذلك ليرة لبنانية واحدة ، او ما يساويها ، في العدد الواحد . نجاح العدد الاول ، وتقبل المواطنين له ، وعبارات الشكر التي سمعناها او قرأناها ، شجعنا كله على اللجوء الى الحل الثاني ، مقتنعين ان القارىء يفضل ان يرفع السعر من ثلاث ليرات الى اربع ، للعدد الواحد ، على أن يوفر هذه الليرة ويخسر ثمانين صفحة . ونحن اذ نعي المصاعب الادارية التي ستنتج عن رفع السعر والاشتراك السنوي ، واذ نعتذر للجميع ، نعد القارىء بأنه لن يندم ، بعد أن يكون قد أنهى مطالعة العدد ، على انه أعطى البائع ليرة لبنانية واحدة زيادة عن السابق .

فلسطين الغد

الدكتور نبيل شعث

منذ سنتين تكلم مندوب فتح الى مؤتمر القاهرة لنصرة الشعوب العربية فأعلن باسم الثورة الفلسطينية « نحن نقاتل اليوم في سبيل اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم ... مسلمين ومسيحيين ويهودا في مجتمع ديمقراطي تقدمي ، ويمارسون عباداتهم واعمالهم مثلما يتمتعون بحقوق متساوية » واردف البيان قائلا « ان ثورتنا الفلسطينية لتفتح قلبها وفكرها لكل بني الانسان الذين يريدون أن يعيشوا في المجتمع الفلسطيني الحر الديمقراطي وان يناضلوا في سبيله بصرف النظر عن اللون او الدين او العرق»(١). وتبع هذا البيان بيان ادلت به الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين وآخر ادلت به الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعدد آخر من البيانات ادلت به فتح . وكان بيان القاهرة هذا اول اعلان صريح كامل عن مفهوم حركة المقاومة الجديد لفلسطين الغد . لكن هذا المفهوم لم يكن بالتأكيد رؤيا جديدة تماما ، فقد كان الفلسطينيون منذ الثلاثينات من هذا القرن يأملون في اقامة دولة فلسطينية موحدة ديمقراطية متعددة الاجناس تضمهم والمستوطنين اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين . وقد ورد ذلك في الشهادة المقدمة الى لجنة بيل عام ١٩٣٧ وكررته وفود رسمية الى المؤتمرات . وذكر للمرة الاخيرة في العام ١٩٤٨ خلال وساطة برنادوت(٢). غير أن طرد الفلسطينيين العرب من وطنهم الى ارض الشتات المأسوية قضى على هذه الرؤيا وعلى التسامح الذي تشتمل عليه . واصبح حلم الفلسطيني منذ العام ١٩٤٨ حتى العام ١٩٦٨ « العودة » الى الفردوس المفقود وانقاذ هويته القومية من الدمار والذوبان الكاملين . اما بالنسبة للفلسطيني الذي بقي في ارضه ، فقد اصبحت رؤياه الخلاص من الاضطهاد ومن كونه مواطنا من الدرجة الثانية ومن العبودية الاقتصادية والسياسية . كان المعذّب والمضطهد ، بالنسبة للفلسطينيين المشردين في الشتات او الخاضعين للحكم الاسرائيلي ، يهوديا ، فالعضوية في الهستدروت او الكيبوتز او الموشاف تقتصر على اليهود ، واصحاب الارض يطردون منها لتتسع لليهود ، وقانون العودة يعطي حق المواطنة فورا لليهود الذين يأتون من اي جزء من أجزاء العالم ولليهود فقط . ولم يكن دايان يفعل شيئا غير تكرار الادعاءات القديمة عندما قال في العام ١٩٦٧ : « اننا نريد دولة يهودية مثلما يريد الفرنسيون دولة فرنسية »(٣). وقد كانت الدولة اليهودية تدعم بالاموال اليهودية والمهاجرين اليهود والنفوذ السياسي اليهودي وبالتعصب اليهودي. واثناء ذلك ، كانت خطط الدولة اليهودية تتجاهل الفلسطيني العربي . فقد كان هناك ، بالنسبة لاسرائيل زانغويل ولحاييم وايزمان من بعده « بلد يدعى فلسطين ، بلد بلا شعب ... »(٤). ويلاحظ أوري افنيري أن هرتزل لم يذكر عرب فلسطين مرة واحدة في كتابه « الدولة اليهودية » ، فقد كان العربي ، بالنسبة لهرتزل ، « الرجل غير المنظور »(٥). وقد أجاب حاييم وايزمان على سؤال وجهه له البرت اينشتاين بغضب

« اي عرب ؟ انهم لا يكاد يكون لهم اثر »(٦). وباللهجة ذاتها اجابت جولدا مئير مراسل التايمز اللندنية في العام ١٩٦٩ بقولها « أي فلسطينيين ؟ انهم لم يوجدوا البتة »(٧).
ويلاحظ ستون في العام ١٩٦٧ أن الارهاب اليهودي « شجع العرب على مغادرة مناطق كان اليهود يرغبون في الاستيلاء عليها لاسباب استراتيجية أو ديموغرافية . وقد حاولوا أن يجعلوا من اسرائيل بلدا محررا من العرب وخاليا منهم بقدر الامكان »(٨). وفي العام ١٨٩٥ كان هرتزل يبحث في مهام يعطيها للاهلين ، أي عرب فلسطين ، مثل القضاء على الحيوانات المتوحشة وتجفيف المستنقعات قبل ان يدفعهم خارج فلسطين بسرية واحتراس(٩). وفي العام ١٩٧٠ كانت المناقشة تجري في تل أبيب حول السرعة التي يجب أن تهود بها القدس وتجعل خلوا من العرب .
لا عجب ، والحالة هذه ، أن يكون توكيد الميثاق الوطني الفلسطيني ، الذي أصدر في العام ١٩٦٤ وعدل في العام ١٩٦٨ ، منصبا على كلمة عربي . فهذا الميثاق صرخة معذبة من أجل البقاء القومي في وجه المذبحة والاضطهاد العرقي ، واعادة تأكيد على الحقوق الاولية الاساسية ، حقوق شعب مضطهد في مقاومة مضطهديه . لكن الميثاق الوطني لم يقدم صورة واضحة لفلسطين المستقبل لا سيما في معالجته لحقوق المواطنة بالنسبة للمستوطنين اليهود في المادة السادسة منه(١٠). لم تكن الرؤيا الفلسطينية الثورية لتنبثق الا من المقاومة المسلحة . اذ لا يمكن أن يشكل الانتقام وحده دافعا لحرب الشعب ولا يمكنه وحده أن يمدها بأسباب الحياة ، فالعنف العقلي واللفظي يمكن أن يبنى حول نفي الوضع الراهن والحنين لنقيضه . لكن الكفاح الشعبي المسلح الذي يحتاج الى تعبئة الجهود القومية لمدة طويلة يجب أن يبنى على رؤيا للغد لا على كابوس الامس الثقيل . ان توهج الامل مرة أخرى وانبعاث المقاومة الفلسطينية والثقة بالنفس بعد الكرامة هي التي ولدت الرؤيا الجديدة : فكرة الدولة الديمقراطية اللاطائفية .

الدولة الديمقراطية التقدمية واساسها المنطقي

لقد شهد العامان المنصرمان نقاشات كثيرة حول الرؤيا الفلسطينية لفلسطين الغد — وهي لا تزال رؤيا اكثر منها برنامجا مفصلا — وسنعرض لبعض المناظرات بعد قليل. ولكن يتعين علينا أن نؤكد منذ البداية أن المكون الاساسي للفكرة كلها هو تغير جذري في نظرة الفلسطينيين لليهود واعادة تحديد لعدو او اعداء الفلسطينيين وحركتهم الثورية . أصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في العام ١٩٧٠ نشرة بعنوان « حول فلسطين الديمقراطية »(١١)، وفي هذه النشرة تمييز دقيق بين مفاهيم الحل الديمقراطي « للمعضلة الاسرائيلية » و«للمشكلة الفلسطينية» و«للمسألة اليهودية» . فالنشرة تستثني — وعن حق — المفهومين الاولين،اي أنه ليس مطلوبا من حركة تحرر وطني ان تجد حلا ديمقراطيا لعدوان عرقي ولا هي تستطيع المساومة على تحرير الوطن المغتصب . فالحل الديمقراطي يستهدف مشكلة الناس الذين **استخدموا** لصنع العدوان ، يستهدف أدوات المعتدي ، أولئك الذين استخدمتهم الشوفينية أو العرقية أو المصلحة الطبقية ليضطهدوا شعبا آخر ، ولكنهم في الوقت ذاته ضحايا الاضطهاد والاستغلال أو هم كانوا كذلك . واليهود مثال واضح على ذلك ، فقد كانوا في التاريخ الحديث الضحية التقليدية لاكثر الهجمات القائمة على الشوفينية والعرقية والمصالح الطبقية اجراما .
قدمت للمسألة اليهودية العالمية ثلاثة حلول : ١) الحل الغربي الليبرالي : الذي يشير على اليهود بالانصهار والذوبان في المجتمعات الغربية ، لحل مشكلتهم . ٢) الحل الاشتراكي : الذي يؤكد على ان انهاء الاستغلال الطبقي عبر الثورة البروليتارية يجعل المشكلة باطلة ولاغية . يقول ابراهام ليون مثلا : « وسوف تؤدي الاشتراكية بصورة حتمية الى اقامة ديمقراطية واسعة في الاطار القومي وسوف تعطي اليهود امكانية حياة قومية في البلاد التي يقطنونها .. ولا يمكن حل المسألة اليهودية بأقل قدر من الآلام الا

بتحقيق ديمقراطية بروليتارية واسعة»(١٢). ٣) الحل الصهيوني : الذي ينبثق من اتهام للطبيعة الانسانية فحواه أن الاغلبيات ستظل تضطهد الاقليات الى الابد وان المخرج الوحيد المفتوح امام الاقليات المضطهدة هو أن تحاول هذه الاقليات جعل نفسها اغلبية في قطر صغير ما . ولكن خلق بلد كهذا بالغزو وباقتلاع سكانه ينجح فحسب ، كما أثبتت التجربة في فلسطين ، في خلق مجبر (غيتو) كبير بدلا من عدد وافر من المجابر الصغيرة ، مجبر اقل سلامة وأمنا على المدى الطويل من المجابر الصغيرة القديمة .

من الواضح أن فكرة الدولة الديمقراطية متفوقة على هذه الحلول الثلاثة ، فهي تمنح اليهودي في فلسطين المساواة وانتفاء الاضطهاد والتمييز والقلق ، وفي الوقت ذاته تحفظ له حق البقاء يهوديا واداء شعائره الدينية وتكلم لغته والمشاركة على قدم المساواة مع الآخرين في بناء بلد جديد مثالي ، بلد لا يظل فيه مضطهدا ولا مضطهدا . بلد لا يكون فيه ضحية ولا معتد ، بلد لا يكون له فيه حقوق متميزة ولا يكون فيه مواطنا من الدرجة الثانية ، بلد يملك فيه رؤيا شاملة متعددة الجوانب ولا يقاسي فيه من رهاب الاحتجاز القائم على التمركز العرقي الضيق . غير أن فكرة الدولة الديمقراطية لا تحل المسألة اليهودية العالمية ، الا كنموذج لتحتذيه الدول الاخرى ، فتتغير العلاقات الاقتصادية وتخلق مجتمعات ديمقراطية تقدمية حقا في أميركا وأوروبا ، يستطيع اليهود ، وكذلك الاقليات الاخرى ، أن يعيشوا فيها كمواطنين من الدرجة الاولى ويتقاسمون مع الآخرين مهام المجتمع على قدم المساواة، في الوقت الذي يحتفظون فيه بحقهم في العبادة والسلوك والزواج والنمو الشخصي كيهود يمارسون شعائرهم الدينية .

ما هي الدولة الديمقراطية :

١) تتركز فكرة الدولة الديمقراطية على فلسطين ككل ، اي على الاجزاء التي احتلت عام ١٩٤٨ وكذلك التي احتلت عام ١٩٦٧ . ولذا فان فلسطين الديمقراطية لا تحمل اطلاقا اي شبه جغرافي — فكيف بالشبه الايديولوجي — لما يدعى بالدولة الفلسطينية العميلة المعزلة في الضفة الغربية وقطاع غزة .

٢) غير ان فلسطين الجديدة ليست مجرد اسرائيل اخرى مقنّعة . اذ ينبغي ان تكون دولة تقدمية لا عرقية ولا طائفية تشكل جزءا لا يتجزأ من الحركة الثورية العربية ومن الارض العربية المتحدة في المستقبل .

٣) لذا ، كي تتحقق فلسطين الجديدة هذه ، يجب أن يستمر التحرير حتى تدمر الدولة الصهيونية أي أن فلسطين الجديدة هي نتيجة للتحرير وليست بديلا عنه أو نتيجة تسوية مع اسرائيل العرقية ولا حتى على شبر واحد من التراب الفلسطيني .

٤) سيشمل سكان فلسطين الجديدة **كل** المستوطنين اليهود وكل الفلسطينيين المنفيين أو الواقعين تحت الاحتلال الذين يختارون العيش في فلسطين ويقبلون منزلة متساوية كفلسطينيين دون أية حقوق خاصة أو امتيازات .

٥) لن تكون الدولة الجديدة لبنانا آخر أو قبرص أخرى ، أي أنها لن تكون دولة ثنائية القومية أو متعددة الاديان بل ستكون دولة موحدة علمانية لا طائفية . ولذا فان الفواصل الطائفية لن يسمح لها أن تتصلب ، ولن تقسم المناصب أو المقاعد بين السكان طبقا لاديانهم ، لكن الدولة الجديدة لن تسمح بالتمييز طبقا للدين او العرق او اللون .

٦) ان المرحلة الراهنة من النضال ، مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ، مرحلة أولية جدا في الواقع ، ولن تنتهي الا عندما تفكك المؤسسات والبنى الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي تكرس السيطرة العرقية على الفلسطينيين العرب . ولذا فان من الصعوبة بمكان في هذه المرحلة أن تحدد صورة البلد الديمقراطي الجديد ، بل أن ذلك سابق لأوانه ، خاصة وأن أي جزء من مجتمع المستوطنين اليهود لم يشترك في النضال ضد الصهيونية بعد . من هنا قد تؤدي محاولات الوصول الى صورة نهائية مفصلة

للبلد الجديد الى أوهام طوباوية . ولذا فان تحديد ما سوف لن يكونه البلد الجديد وما لن يسمح به امر أسهل بكثير : أ ــ لن يكون البلد الجديد دولة عرقيـــة منغلقة جديدة للعرب ولن يسمح بانبعاث دولة يهودية جديدة . ب ــ لذا فان هـــذا البلد لن يسمح لتمييز عنصري بحكم الواقع أن يحل محل دولة يتم فيها التمييز العنصري بحكم القانون . جـ ــ لن يكون البلد الجديد ثيوقراطيا او اقطاعيا أو ارستقراطيا أو أمبرياليا أو قاعدة لأي قوة امبريالية . ولن يسمح بالتمييز على أساس اي شكل من اشكال القهر السياسي أو الاستغلال الاقتصادي .

غير ان المرء يستطيع استنتاج بعض الاوجه الايجابية من الاوجه السلبية ، فمثلا ستنقل نصفية المؤسسات الصهيونية العرقية الـــى الدولة الجديدة جزءا كبيرا مـــن الزراعة والصناعة الفلسطينية تملكه الآن المؤسسات الصهيونية بصورة جماعيـــة . وانتقال الموارد الاقتصادية هذا الى يد الدولة الجديدة سيخلق علاقات ووقائع اقتصادية جديدة وهذه تشير الى بعض الوجهات والاتجاهات في المستقبل . كذلك فان تدمير الارتباطات والاستثمارات الامبريالية سيخلق وقائع جديدة وسيدمج الاقتصـــاد الفلسطيني ضمن الاقتصاد العربي بعد التحرير .

ردود الفعل تجاه الدولة الديمقراطية

ادى طرح فكرة الدولة الديمقراطية اللاطائفية الى ردود فعل هامة وفتح نقاشا داخل صفوف المقاومة الفلسطينية وبين الحركات الثورية العربية وبين اليهود في اسرائيـــل وخارجها . وسوف نحاول فيما يلي أن نعرض وجهات النظر المختلفة في الجانب العربي أولا ثم في الجانب اليهودي لعل عرضها ومناقشتها يؤدي الى مزيد من الوضوح والنضوج لمفهوم الدولة الديمقراطية .

ردود الفعل تجاه فلسطين الغد الديمقراطية في الجانب العربي : يتعين علي أن ابدأ هنا ، ذلك أن مدى جدارة الفكرة الجديدة بالثقة يعتمد الى حد بعيد على قبول مقترحيها ــ اي العرب ــ لها وفي النهاية على ايمانهم بها . فبيّنة الرفض الاسرائيلي لهذه الفكرة تعتمد ، كما سنرى ، على صرف النظر عنها بوصفها تكتيكا دعاويا يستخدمـــه الفلسطينيون والعرب بشكل عام لاستدرار تعاطف العالم مع مخططاتهم الشوفينية ، كما تعتمد على أن الفلسطينيين والعرب يكذبون ولا يعنون حقا ما يقولون ، أو انهم اجبروا على ذلك نتيجة هزائمهم . لقد رفض الناطقون باسم المقاومة هذا المفهوم في عدة مناسبات ، وأعادوا التأكيد على أن هذه الرؤيا الجديدة أساس لاستراتيجية جديدة وليست تكتيكا . وبالاضافة الى ذلك لم يتخل الفلسطينيون عن هذه الفكرة الا في سنوات النفي والهزيمة واليأس (١٩٤٨ ــ ١٩٦٨) ، وكانت عودة هذه الفكرة للظهور نتيجة انبعاث الامل بعد العام ١٩٦٨ .

غير أن على المرء ان يعرض الصعوبات التي تلاقيها هذه الفكرة بين الفلسطينيين بشكل خاص والعرب على وجه العموم بكل أمانة وصراحة حتى يمكن مناقشتها بموضوعية :

١ ــ هناك من لم يقبلوا هذه الفكرة اطلاقا ولا يزالوا يرفضونها على اعتبار أنها تنازل كامل للعدو او تكتيك دعاوي مفيد . تتهم مقالة ظهرت في جريدة « الحياة » البيروتية اليومية اليساريين العرب الذين يدافعون عن هذه الفكرة بأنهم عملاء للعدو(١٣) . وتدعي المقالة انها تكشف عن الجذور التلمودية لأفكارهم وتردد الحيلة اللاسامية القديمة ، حيلة ربط الصهيونية بمؤامرة شيوعية عالمية ، وهذه فرية يمينية غربية الاسلوب لاسامية نموذجية تعتمد كثيرا على الدعاية النازية . ان العرب الذين قبلوا دون تفكير متزن المنحى الصهيوني للمسالة اليهودية فأصبحوا يعتقدون ان المسالة الفلسطينية ظاهرة دينية لا ظاهرة كولونيالية ــ استيطانية ، ان هؤلاء أناس يصعب تغييرهم .

قد يبدو للمراقبين الخارجيين امرا متناقضا أن يكون المقاتلون وعلى الاخص الاشبال

الصغار هم الذين تبنوا الفكرة بسرعة ، بينما تقاومهـا بورجوازية المدن التي لا تزال تحتفظ بالعنف العقلي الشوفيني بديلا وحيدا للعنف الثوري . لقد ساعد التثقيف الثوري وتعليم العبرية في مخيمات اللاجئين وازدياد الاتصالات مع اليهود التقدميين كثيرين من العرب على التغلب على مخاوفهم العميقة من اليهود وكراهيتهم لهم ـــ تلك المخاوف التي خلقها أساسا الاحتلال الصهيوني لفلسطين ـــ وولدت هذه الاتصالات في اذهان هؤلاء صورة اكثر انسانية لليهودي .

٢ ـــ هناك من لم يفهموا الفكرة ومضامينها ابدا ، وخلطوا بينهـا وبين فكرة الدولة الفلسطينية العميلة ظانين انها بديل للتحرير لا نتيجته النهائية المطلوبة . وبعض هؤلاء يشوهون الحقائق عمدا لأغراض تحزبية خاصة . لكن معظم هؤلاء ينتهون الى القبول بالفكرة عندما يفهمونها فعلا .

٣ ـــ هناك الفئة الثالثة وهي فئة الثوريين العرب الذين يقبلون بهذا المنحى في معالجة المسألة اليهودية ولكنهم يرفضون فكرة دولة فلسطينية على أساس مدى قابليتها للتحقق ومدى قابليتها للحياة . وهؤلاء يفضلون الحديث عن حل ديمقراطي أو وضع ديمقراطي وليس عن دولة . وهم يلاحظون بحق أن فلسطين المحررة لا يمكن ولا يجب أن تكون دولة غربية ،اسرائيل جديدة مقنّعة ، بل يجب أن تصبح جزءا من دولة عربية تقدمية ديمقراطية موحدة في المستقبل. وتشترك في هذه الفكرة أساسا الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وجبهة التحرير العربيـة ، كذلك بدأت ماتزبن (المنظمة الاشتراكيـة الاسرائيلية) في اعتناق هذا المفهوم كذلك(١٤). وفتح لا تخالف هذا المفهوم على الاطلاق فهي تعتبر الدولة الديمقراطية الفلسطينية مجرد مرحلة نحو فيدرالية عربية موحدة في المستقبل . فيدرالية يتمتع فيها اليهودي الفلسطيني بحقوق سياسيـة وثقافية ودينية كاملة بعيدا عن التمييز والاضطهاد والاستغلال . صحيح أن جبهة التحرير العربية شنت حملة مريرة على الفكرة رافضة لها على اساس أنها أقليمية . وقد كانت هذه الحملة أمرا يؤسف له ، لانها أعطت انطباعا بأن هـذه الرؤيا الجديدة لفلسطين الغد موضع مناظرات وسجالات بين العرب أنفسهم ، مما يدمر جدارتها بالثقة(١٥). على أن هذه الحملة أمر يؤسف له بقدر أكبر بالنظر الى تأكيدات جبهة التحرير العربية المتكررة بأنها لا تدعو الى حل شوفيني للمسألة اليهودية . ولذا فان هجومها على الاقليمية يبدو ظالما وتحزبيا ولا معنى له في ضوء التجربة الاقليمية العربية الراهنة ذاتها ، وعلى الاخص اقليمية تلك الدول العربية الاكثر تقدما التي يحكمها ما يسمى بالاحزاب التقدمية القومية. فالهوية الفلسطينية للثورة لا يمكن ان تكون الا هوية نضالية لا اقليمية وتحرير فلسطين لا يمكن ان يتم دون التحام الثورة الفلسطينية بالثورة العربية وفلسطين الديمقراطية لا يمكن أن تكون كيانا منعزلا منغلقا او منفصلا عن الجسد القومي العربي كما تنفصل الدول العربية التقدمية الآن . غير أن هذا الهجوم كان قاسيا لدرجة دفعت المنظمات الاخرى الى موقف دفاعي . مما جعل الشلل الناجم عـن ذلك يعيق المجلس الوطني الفلسطيني عن تعديل المادة السادسة من الميثاق الوطني ، فأتاح ذلك للصهيونيين فرصة نادرة للهجوم على الدولة الديمقراطية على أساس أن الفلسطينيين يناقضون أنفسهم ويقومون بمناورة تاكتيكية فـ« يقولون بالانجليزية شيئا وبالعربية شيئا آخر » ، كما يطيب للجنرال حاركابي، ضابط الاستخبارات الاسرائيلي الذي تحول الى داعية، ان يردد(١٦). تركز جماعة النقاد هذه على مشكلة الارقام ، مدعية أن عرب فلسطين سيكونون أقلية في فلسطين الجديدة(١٧)، وهذه حجة يستخدمها الصهيونيون بالمقلوب مدعين بدورهم أن اليهود سيكونون أقلية في فلسطين الجديدة(١٨). لكن الارقام تبين في الواقع أن عـدد الفلسطينيين العرب تحت الاحتلال وفي المنفى يساوي بالتقريب عدد المستوطنين اليهود الآن (٢،٧٥٠،٠٠٠ نسمة لكل من الطرفين) . غير أن المشكلة الحقيقية ليست مشكلة

أرقام . فقد كانت الاقليات العرقية في جنوب افريقيا والجزائر وكل افريقيا تسيطر الى عهد قريب على اغلبيات كبيرة وتخضعها لتمييز عنصري رسمي أو واقعي . وما لم تحرر فلسطين وتفكك اسرائيل الصهيونية ويتحقق الاندماج الثوري مع العالم العربي ، وفي النهاية ما لم تخنق الامبريالية وتهزم في المنطقة فان الخطر سيكون في الواقع احتمال انبعاث العرقية الصهيونية . ولكن ، في الوقت ذاته ، ستصون طبيعة النضال التحرري ذاتها والوضع الدولي وسنّ الضمانات الديمقراطية حق اليهود مهما قلّ عددهم في فلسطين الجديدة . أكثر من ذلك ، يتوقع أن ينضم العديد من اليهود الى النضال التحرري ، كلما تصاعدت الثورة ، وهذا بحد ذاته يضيف ضمانة أخرى لدولة ما بعد التحرير .

٤ ــ هناك جماعة أخرى من النقاد ترفض الوجهة الدينية للفكرة ، على الأخص كما عرضت أصلا كدولة للمسلمين والمسيحيين واليهود . وهؤلاء النقاد العرب يصرون على تفسير علماني ويقولون أنه ما لم تكن الدولة الجديدة جمهورية عمال وفلاحين شعبية اشتراكية فانها لن تكون مقبولة منهم(١٩) . لقد ابتعدت المنظمات الفلسطينية بشكل عام عن التوجه الديني المحض . ففتح تصر على أن فلسطين الجديدة لن تكون لبنانا آخر متعدد الاديان بل دولة لا طائفية لا تتبع نظام اقتسام المناصب الذي يعزز الفواصل الدينية . ولن تكون الدولة مبنية على الاديان الثلاثة ، لكنها ستسمح للناس بممارسة معتقداتهم الشخصية ممارسة حرة(٢٠) . أما بالنسبة للنظام الاقتصادي الذي سيطبق في المستقبل ، وما اذا كان اشتراكيا أو غير ذلك ، فان من السابق لأوانه الخوض في نقاش كهذا . أولا ، لان المرحلة الراهنة من النضال مرحلة تحرر وطني ديمقراطي التناقض الرئيسي فيها هو التناقض مع القوى الامبريالية العرقية ، ونقاش له هذه الطبيعة يجعل تحقيق الوحدة الوطنية أمرا صعبا . وكمثال على ذلك ، لم يرد حتى ذكر كلمة اشتراكية في برنامج جبهة التحرير الوطني الفيتنامية أو ميثاق الحكومة الفيتنامية المؤقتة . ثانيا لان تطبيقا حقيقيا لفكرة الدولة الديمقراطية يتطلب مشاركة المستوطنين اليهود مشاركة ديمقراطية كاملة في تقرير شكل الحكومة في فلسطين الجديدة ، وهذا أمر لا يمكن حدوثه واقعيا الا بعد التحرير .

غير أن هناك اتفاقا على أن الدولة الجديدة لن تسمح بعودة الاستغلال أو القهر أو التمييز العرقي الاقتصادي الى الظهور ، وعلى أن المؤسسات الاقتصادية الصهيونية ستسلم الى الدولة التقدمية الجديدة .

تلخيصا نقول أن منظمات المقاومة الفلسطينية المسلحة متفقة جميعا على الاتجاه الرئيسي لفلسطين الغد الجديدة ، أي على العلاقات مع المستوطنين اليهود ، على الرغم من أنها تختلف فيما بينها على الايديولوجيا والتطبيق . ورؤيا هذه المنظمات تقدمية وديمقراطية وعلمانية بوجه عام . ولكن تبقى مهمة رئيسية هي مهمة التثقيف واحداث تغيير بنيوي لجعل هذه الفكرة راسخة الجذور بين الجماهير العربية ومقبولة منها بصورة شاملة . وهذا أمر بالغ الصعوبة عندما تكون الثورة في تراجع كما كانت خلال الاشهر القليلة الماضية . فالنجاح يؤدي الى المزيد من التسامح والتفاهم ، وكذلك يغير تصاعد الثورة من الاتجاهات اليهودية ليجعلها تعزز الافكار الفلسطينية التقدمية . وهذه هي النقطة التي سنعرض لها في ما يلي .

ردود الفعل في الجانب اليهودي

في اسرائيل : هناك ، بشكل عام ، عدد قليل من اليهود الاسرائيليين (المستوطنين اليهود في فلسطين) سمع بالفكرة مباشرة ، أي ليس عبر التفسير الذي تعطيها اياه آلة الدعاية الاسرائيلية والخصي الذي توقعه بها . ويعود ذلك الى عدم قدرة الدعاية المباشرة لحركة المقاومة الفلسطينية على التغلغل الى اسرائيل . فقد كانت اذاعتا فتح ومنظمة التحرير

الفلسطينية تبثان برامج اذاعية قصيرة بالعبرية (١٠ دقائق و٣٠ دقيقة يوميا) . كذلك كان صوت فلسطين التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية يوجه الى اسرائيل برنامجا انجليزيا قصيرا مدته ١٥ دقيقة ، يدور أساسا حول فكرة الدولة الديمقراطية . لكن هذه البرامج توقفت جميعا في تموز (يوليو) ١٩٧٠ عندما اغلقت سلطات الجمهورية العربية المتحدة محطات الاذاعة الفلسطينية عقب قبولها لمبادرة روجرز ورفض المقاومة له . كذلك لم يصل توزيع المواد المطبوعة او الاتصالات المباشرة وجها لوجه الى كثير من المستوطنين بعد . ومن الضروري بمكان أن تجري محاولة جدية للوصول الى أكثر ما يمكن من المستوطنين اليهود لاطلاعهم على البديل الذي يقدمه الفلسطينيون لهم عوضا عن اسرائيل . أما في الحالة الراهنة للامور ، فقد دفع الاسرائيليون خلال آلة الدعاية الصهيونية الى الاعتقاد أنه اذا ما احتل العرب فلسطين فانهم سيقذفون باليهود جميعا الى البحر ، وقد كان هذا حجر الزاوية في الدعاية الصهيونية الموجهة الى المستوطنين اليهود والى العالم أجمع . اذ أن من الأهمية بمكان للاوليغاركية الصهيونية أن تحث المستوطنين اليهود على القتال من أجل اسرائيل كما لو كانوا يقاتلون من أجل بقائهم ذاته . فيعاد خلق صور « مسعدة »(٢١) والمذابح التي تعرض لها اليهود عبر تاريخهم وتكرر لمنع حدوث أي تغير شعبي في الموقف من الفلسطينيين .

يجب على المرء أن لا ينغمس في أحلام يقظة حول امكان تحويل اليهود الى مثل الدولة الديمقراطية . فقد وعدت اسرائيل اليهود بدولة تقتصر عليهم ويتمتعون فيها بامتيازات خاصة وقد نجحت اسرائيل في تحقيقها لهم، حتى ان الطبقات العاملة الاسرائيلية تستفيد من استغلال العمال والفلاحين الفلسطينيين العرب . فالمستوطن اليهودي يعيش في بيت اغتصب من فلسطيني عربي وهو يحرث أرضه ويتمتع بممتلكاته ، والعامل العربي في اسرائيل والآن من الاراضي المحتلة حديثا يتلقى أجرا اقل بكثير مما يتلقاه العامل الاسرائيلي ويقوم بأكثر الاعمال ضعة .

ان العامل الاسرائيلي مطالب في الجوهر بأن يتخلى عن كل الكعكة التي اغتصبها ويقنع بنصفها فقط . انه مطالب بأن يتخلى عن امتيازاته الطبقية ــ العرقية الخاصة . وما لم يشعر العامل الاسرائيلي ان الاختيار الثاني هو فقدان الكعكة كلها ، فانه لن يختار طواعية نصف الكعكة الذي تعده به فكرة الدولة الديمقراطية .

اذا ، ما لم يتصاعد النضال التحرري الفلسطيني الى حد كبير ويصبح تهديدا رئيسيا لاستمرار الملجأ العرقي المغلق للمستوطنين اليهود في فلسطين ، فانه لا يتوقع أن يحدث تحول رئيسي . ولا عجب والحالة هذه أن تركز آلة الدعاية الاسرائيلية نيرانها على عدم امكانية تحقيق الدولة الديمقراطية وعلى توازن القوى وبالتالي على جدارة التهديد الثوري الفلسطيني للدولة العرقية الاستيطانية . ولكن عندما تتصاعد الثورة وتصبح قوة جديرة، تصير مسؤولية الثورة تجاه نقل رؤيا فلسطين الغد ، البديل التقدمي والديمقراطي عن اسرائيل ، مسؤولية بالغة .

هذا لا يعني أن أثرا ما لم يحدث على المستوطنين اليهود . ذلك ان اعادة اكتشاف الفلسطينيين أحدثت أثرا بالغا ، كما ان ماتزبن والنشرات السرية التي يصدرها الطلبة الاسرائيليون الثانويون نقطتان مضيئتان ، لكنهما تظلان غير هامتين حتى الآن ومعزولتين عن التيار الاسرائيلي الرئيسي .

الدعاية الاسرائيلية المضادة : كان اثر فكرة الدولة الديمقراطية بالغا على الشباب اليهودي خارج فلسطين وكذلك على حركة اليسار الجديد في العالم الى درجة جعلت الحكومة الاسرائيلية تشعر بالقلق العميق وترد بقوة وسرعة على الهجوم السياسي الفلسطيني . وبما أن الاثر الرئيسي الذي أحدثته فكرة الدولة الديمقراطية كان على الطلبة بشكل عام وعلى الشبيبة التقدمية اليسارية ــ الجديدة بشكل خاص ، فقد

استهدفت الحملة الدعاوية الاساسية هذه المجموعات على وجـــه التحديد . فكان أن أصبحت الثنائية في الدعاية الاسرائيلية وفصام الشخصية الاخلاقي فيها أقوى مما كانت في أي وقت من الأوقات . فمن جهة كانت اسرائيل تلعب لعبة الحرب الباردة باضطراد في الأوساط الغربيـــة فتقف في صف الصقور الاميركيـــين اليمينيين المعادين للاتحـــاد السوفياتي وتطبل وتزمر للمواجهة الاميركية السوفياتية على طريقة كيسينغر . ومن جهة أخرى كانت اسرائيل تتحدث بلهجة يسارية الى جماهير الشبيبة الغربية عبر مجلة نيو اوتلوك ولجان فلسطين ـــ اسرائيل في أوروبا ومجلة نيو ميدل ايست التي يصدرها كيمشه ونشرات « اسرائيليون يردون » ونشرات العلاقات العامة المبتذلة التي يصدرها ما يسمى « رابطة السلام في الارض المقدســـة » والتي من الواضح أنه يكتبهـــا طلبة محترفون وأعضاء سابقـــون في المابام . وقد لعب المابـــام دورا رئيسيـــا في الحملة الاسرائيلية ، كما ان مـــن يسمون بالمثقفين الاسرائيليين دفعوا الـــى صقل الصورة الاسرائيلية .

تتمحور الافكار الاساسية للحملة الاسرائيلية حول نظرية فلسطينين او ثنائية اسرائيل ـــ فلسطين . اذ يجري اقتراح اقامة دولة اسرائيلية ودولة فلسطينية بدلا مـــن الدولة الديمقراطية الموحـــدة(٢٢). فيعد من يسمون بالتقدميـــين الاسرائيليين بالاعتـــراف بالفلسطينيين كشعب او حتى كأمـــة اذا كان الفلسطينيون بدورهم علـــى استعداد للاعتراف بالاسرائيليين كأمة . ما الذي يعنيه ذلك ضمنا ؟ ان الاعتراف الاسرائيلـــي بالفلسطينيين يخولهم حق اقامة دولة ذات سيادة وحكومة وعلم وخطوط طيران . . . الخ . أين ؟ تختلف الاقتراحات . قبل أيلول كانوا يرددون في الاردن ، أي في شرق الاردن . واقتراح آخر كان يقول في الضفة الغربية وربما غزة . وكان هناك اختيار أكثر كرمـــا يشمل الضفتين الغربية والشرقية بالاضافة الى قطاع غزة . بيد ان دولة كهذه يجب أن تكون منزوعة السلاح ، مرتبطة باسرائيل وخاضعة لاحتياجاتها الامنية .

وما الذي يعنيه اعتراف الفلسطينيين بالاسرائيليين ؟ أن يحتفظ الاسرائيليون باسرائيل كلها بالاضافة الى مـــا يقدرون أنه ضروري لاحتياجاتهم الامنية مـــن الاراضي المحتلة حديثا(٢٣). وهنا تحصل اسرائيل على شرعية وجودها من الشعب الوحيد في العالم الذي يستطيع أن يمنحها هذه الشرعية ، من الفلسطينيين ، على الاقل لجيل واحد .

قطعا أن فكرة الدولة الفلسطينية اكثر من مجرد لعبة بهلوانية مـــن الاعيب الدعـــاية الاسرائيلية . انها وجهة استراتيجية لحل مشكلة ابتلاع الاراضي المحتلة بالاغلبية العربية فيها . وسنتحدث عن هذا الامر في موضع لاحق .

تهاجم الدعاية الاسرائيلية فكرة الدولة الديمقراطية على أنها حركة دعاوية عربية ، وأن الفلسطينيين لذلك لا يعنون حقا ما يقولون ، وان من المستحيل تحقيق هذه الفكرة بالنظر الى ميزان القوى الراهن ، وان هذه الدولة لا يمكن أن تكون أكثر ديمقراطية او تقدمية أو علمانية من اسرائيل الحالية(٢٤) . . . فاذا ما وضعنا الكذب المفضوح جانبا ، نجد أن الاسرائيليين ليسوا أفضل في هذا المجال من الافريقيين الجنوبيين او الروديسيين أو البرتغاليين أو حتى الاغريق الافلاطونيين . أي ان المساواة والديمقراطيـــة والحرية والاخاء الخ أفكار يمكن تطبيقها في داخل مجتمع مغلق على ذاته يتكون من ناس متساوين ولكن لا يمكن تطبيقها على الاهلين المنحطين أو على البرابرة (كما أسماهم الاغريق) . لذا يستطيع الدعاة الاسرائيليون أن يشيروا بحق الى وجود برلمـــان منتخب وأحزاب سياسية وخدمات اجتماعية وصحافة حرة بدرجة معقولة وغيرها من الامتيازات التي يتمتع بها الاسرائيليون البيض ، أي المستوطنون اليهود . كما أنهم لذلك يستطيعون أن يتجاهلوا قانون العودة والاعتقال الاداري والعقاب الجماعي والارهاب الشامل والطرد والنفي لشعب كامل من « السود » فهذه مسألة ثانوية لا تلطخ بأي شكل من الاشكال

الصورة الديمقراطية لاسرائيل الصغيرة الشجاعة الغربية .

رد فعل المعارضة اليهودية في اسرائيل

الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) : لعب راكاح منـذ أمد طويل دور المعـارض الرئيسي للأجهزة الصهيونية والايديولوجيا الصهيونية . وقد أصبح راكاح منذ انشقاق الحزب الشيوعي الملجأ السياسي الذي يأوي اليه العرب الخاضعون للحكم الاسرائيلي. فانضم اليه محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما واستخدموا الشرعية السياسية التي يتمتع بها بالقدر الممكن . ولكن على الرغم من ذلك يظل راكاح حزبا ضعيفا ، ويظل تمثيل اليهود في صفوفه ضئيلا . غير ان الحزب يبقى في العلن مخلصا لدولة اسرائيل ومدافعا عن استمرار وجودها المنفصل . ويؤدي اتباع راكاح للخط السياسي للاتحاد السوفياتي وقبوله بقرار مجلس الامن كأساس لحل المسألة الفلسطينية به الى اتخاذ موقف سلبي من فكرة الدولة الديمقراطية . يؤكد مئير فيلنر ، الامين العام للحزب ، في مقالة حديثة له في الصحيفة الاسبوعية للحزب الشيوعي البريطاني ان الاعتراف بحق اسرائيل في الابقاء على وجودها المستقل كدولة ذات سيادة ، جنبا الى جنب مع الاعتراف في العودة أو التعويض هو الموقف الواقعي المبدئي الصحيح الذي يجب أن يتخذ . وهو يكرر المرة اثر الاخرى فكرة الشعبين والامتين والدولتين ، ولذا فانه يرفض فكرة دولة موحدة ، ويختتم مقاله قائلا : ليست المسألة المطروحة على جدول الاعمال اليوم مسألة اقامة دولة اسرائيل او عدم اقامتها . فوجود اسرائيل حقيقة واقعة تعترف بها الامم المتحدة واقطار العالم ، ويعترف بها الشرق مثلما يعترف بها الغرب(٢٥). لذا فان راكاح يقبل المعتقدات الاساسية للصهيونية ويرفض حلا ثوريا ، وذلك على أساس الامر الواقع والاعتراف السياسي وفي النهاية على أساس ميزان القوى على المستوى العالمي وفي داخل اسرائيل معا . من هنا يجوز اعتبار راكاح حزبا شيوعيـا تقليديا يعمل داخل المؤسسـة الاسرائيلية .

لقد كان دور راكاح في الغالب دور « نقابة » للعرب في اسرائيل . فقد عمل من خلال القنوات الشرعية للدولة على الدفاع عن الحقوق المدنية لاعضائه وللعرب بشكل عام ، محتجا على عمليـات التفتيش والاعتقال غير المشروعة ، متقدمـا بكفالات لاعضائه المسجونين ، شاكيا في المحاكم من أجل شروط اقتصادية افضـل للعمال العرب الخ. ويجب أن نقر هنا انصافا لراكاح أن هذا الدور مفيد ويجب أن لا يغفل ، كما يجب أن لا يغفل الدور الذي يحتمل أن يلعبه راكاح في المستقبل . لكن الحزب في الوقت الحاضر ليس في المعسكر الثوري ولا هو في زاوية المعارضة السياسية الراديكالية . فهو يريد ان يحتفظ بوضعه الشرعي العلني وحصانته السياسية « البيضاء » وهذا يلعب دورا حاسما في تحديد موقفه الراهن .

هاعولام هازيه : تقول نشرة انتقادية لاذعة أصدرتها ماتزبن (واسمها انتي ــ البان) : في العادة يصدر الحزب السياسي مجلة . ولكن في حالة هاعولام هازيه أصدرت المجلة حزبا ، حزبا يدعم السلام في زمن السلام ويدعم الحرب في زمن الحرب . ان هذا صحيح الى حد بعيد . فقد صوت اوري افنيري الى جانب قرار الكنيست بضم القدس الى اسرائيل ، وتقدم بطلب للعضوية في المؤتمر الصهيوني العالمي ، ومع ذلك فهو يسمي نفسه معارضا ويكتب كتابا يحمل بالانجليزية فقط عنوانا هو « اسرائيل بلا صهيونية » ، اما الطبعة العبرية فتحمل عنوانا أقل ضررا هو « حرب اليوم السابع » . لربما كان افنيري معارضا مفيدا في بحر من الالتزام والامتثال الصهيونيين ، ولكنه يجب أن لا يحمل ابدا على محمل الجد ، كما لا يجب ان تحمل خططه لاقامة اتحاد سامي، ان كثيرا من مواقف افنيري ليس جديدا على الاطلاق ، فهذه المواقف ليست غير نسخ مجددة لمواقفه عندما كان مع شتيرن في الايام الخوالي . وهو وحزبه يتخذان موقفا سلبيا من الدولة

الديمقراطية الموحدة .

ماتزبن (المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية) : ربما كانت ماتزبن القوة اليهودية المعادية للصهيونية الوحيدة في اسرائيل . وهي قوة صغيرة بالطبع (وقد لا يزيد عدد أعضائها في داخل اسرائيل عن المائة) ولكنها قوة صاخبة . وهي بالتأكيد أول اشارة تقدمية يعقد عليها أمل تأتي من المستوطنين اليهود في فلسطين ، منذ اقامة دولة اسرائيل العرقية . وقد تحولت ماتزبن تحولا كبيرا منذ انشائها ، لكن معظم مؤسسيها اللامعين غادروا فلسطين ، فغادرها ايلي لوبل الى باريس وموشيه ماخوفر وعكيفا اور الى لندن ودرور الى بوسطن ، ولم يتبق الا القليل من أعضائها البارزين في اسرائيل ربما كان حاييم هانيجبي أفضلهم .

انتقلت ماتزبن من موقف الرفض الغائم للصهيونية الى اقتراح اقامة دولة ثنائية القومية في فلسطين . ولكن « ايزراك » و« ايزراكا » وهما صحيفتا الحزب في انجلترا والولايات المتحدة انتقلتا الى موقف يقول بانشاء « اتحاد اشتراكي في الشرق الاوسط » يكون فيه اليهود كالاكراد أقلية قومية معترفا بها(٢٦). ويؤكد هذا التحول على الحاجة الى حل عربي شامل لا حل فلسطيني اقليمي . لكن المتحدثين باسم ماتزبن يصرون على ان هذا الموقف لا يتعارض بأي حال مع حق الفلسطينيين في الاستمرار في نضالهم التحرري دون انتظار حدوث التحويل الاشتراكي الكامل في المنطقة .

وربما كانت ماتزبن ذات أثر في تشجيع اضرابات الطلاب الثانويين وحملات كتابة الرسائل (الى جولدا مئير) وظهور جرائد سرية معادية للصهيونية يكتبها هؤلاء الطلبة . غير ان تحول ماتزبن لم يتخذ طريقا واحدا ، فقد اشترك اعضاء ماتزبن في لجنة اسرائيل — فلسطين في باريس والتي نظمها موني القايم والصحفية الصهيونية الفرنسية كلارا هالتر ، وان كانوا قد انسحبوا منها فيما بعد . ولا تزال ماتزبن في اسرائيل أضعف من ان تتبنى النضال الثوري او حتى ان تصبح حركة سرية خصوصا وقد أصابتها في الايام القليلة الماضية موجة من الانقسامات التي زادتها ضعفا . وقد حظرت الرقابة العسكرية أعدادا كاملة من جريدة ماتزبن العبرية أحيانا ورفضت منح جماعة ماتزبن ترخيصا باصدار طبعة عربية من صحيفتها ، ومع ذلك فان ماتزبن لا تزال تحتفظ بروابطها مع الشرعية الاسرائيلية .

رد فعل اليهود في الخارج

يمكن القول بشكل عام أن عدوان اسرائيل الظافر عام ١٩٦٧ زاد من ولاء يهود العالم للدولة الصهيونية وتمثلهم بها . ويتهم اليهود الاميركيون الصهيونيون في العادة بأنهم معادون للعرب بصورة أكثر جذرية من اليهود الاسرائيليين انفسهم . لكن ظهور الثورة الفلسطينية ومثال الدولة الديمقراطية الموحدة عبر نضال تحرري ثوري الهب مخيلة اليهود الشباب الراديكاليين اليساريين الجدد في أوروبا وأميركا . فاسرائيل بالنسبة لهم « مؤسسة » ، قاعدة امبريالية ، مجبر (غيتو) أبيض متفوق متغطرس . في الوقت الذي يستطيعون فيه أن يتمثلوا بالفلسطينيين ونضالهم العادل .

فتمثلت آنيا فرانكوس ومارسيل ليبمان واليك سومرهاوزن وكوهين بنديت وكثيرون غيرهم في أوروبا واميركا بالفلسطينيين ، وقام هؤلاء باعتناق ثورة الفلسطينيين وجاءوا ليروهم ويشاركوا في نضالهم ، وتظاهروا من اجل قضيتهم وكتبوا كتبا ومقالات وقصائد عن محنتهم المأسوية ونضالهم التحرري . لقد تخطى الدور الذي لعبه هؤلاء المناصرون التقدميون دور المتظاهر او الكاتب . ذلك أن الحوارات العميقة النفاذة بينهم وبين الفلسطينيين في معسكراتهم وقواعدهم ومكاتبهم ساعدتهم جميعا على التغلب على عقدهم والمخاوف الكامنة في أعماقهم والقلق الذي يساورهم . لقد ساعدوا الفلسطيني العربي أن يرى في اليهودي صديقا ومؤيدا ، أن يرى فيه انسانا ، ضحية لسنوات طويلة

من التمييز والاضطهاد فلا يعود يرى فيه وحشا او سوبرمانا أو قزما او مضطهدا . وعبر هؤلاء استشعر الفلسطيني للمرة الاولى الفارق الانساني الحقيقي بين اليهودي والصهيوني — فلم يعد هذا الفارق مجرد عبارة تتردد .

وادت مقابلة هؤلاء اليهود للفلسطينيين الى عودتهم الى الصحة العقلية ، وشفائهم من فصام الشخصية الخلقي الذي فرضته الصهيونية على اليهود تجاه الفلسطينيين « ما هو خير لليهود وليس خيرا للفلسطينيين » . لقد استطاعوا أن يحبوا الفلسطينيين ، ويشاركوهم نضالهم ويعتنقوا قضيتهم العادلة دون أن يكونوا « قاتلي يهود » او « ماسوكيين كارهين للذات » ، كما سمى الاسرائيليون بحنق عددا من الطلبة الصهيونيين الاميركيين والاوروبيين الذين اشتركوا في مؤتمر الاتحاد العالمي للطلبة اليهود في عراد باسرائيل في تشرين الاول (اكتوبر) المنصرم وصوتوا الى جانب اقتراح يدعو الى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين العرب كجزء متضمن في صلب الايديولوجية الصهيونية ، على ما في ذلك من تناقض(٢٧) .

يبقى أن يفعل الشيء الكثير في هذا المضمار . اذ يجب على المقاومة الفلسطينية أن تخاطب اليهود وتخلق من بينهم الاصدقاء الذين خلقتهم الجزائر من بين الفرنسيين في فرنسا . وهذا بحد ذاته واحد من العوامل المؤثرة في تحقيق الدولة الموحدة وفي الحفاظ عليها .

الدولة الديمقراطية والدولة الفلسطينية العميلة

والآن ونحن نقترب من خاتمة مقالنا ، يتعين علينا أن نقوم بعملية تقييم . أين تقف اليوم هذه الرؤيا لفلسطين الغد ؟ أهي تتقدم أم تتأخر ؟ هل حققت مكاسب في السنتين الاخيرتين ؟ لا يمكن أن يكون جوابنا دقيقا وقاطعا ، ولكن علينا أن نحاول تقييما كهذا .

(١) واجهت حركة المقاومة الفلسطينية عددا من النكسات الخطيرة في العام ١٩٧٠ . فمن جهة عانت المقاومة داخليا من افتقارها الى الوحدة والتماسك وفقدانها للفعالية . وبدا أن نموها وتطورها قد توقف مؤقتا على الاقل بفعل التيارات الداخلية وفقدان المبادرة والتشوش . ومن جهة أخرى، كان اعداء المقاومة يقوون ويصبحون أكثر قدرة. فقد تلاشت المفاجأة التي حدثت في البداية وبدأت الامبريالية الاميركية والصهيونية تكيفان نفسيهما للوضع الجديد سياسيا وعسكريا .

(٢) كانت اميركا مصممة على تجريب استراتيجية « الفتنمة » في الشرق الاوسط على غرار تجربتها في فيتنام . فكان أن لجأت في هذه الحالة الى «أردنة» الصراع الفلسطيني، وذلك بقيامها بمساعدة الجيش الاردني ليقاتل الفلسطينيين فيتحول الصراع الى صراع بين العرب ، وبذلك تخفف العبء عن اسرائيل وتمهد السبيل نحو تسوية سلمية . ولقد تتوجت هذه الاستراتيجية بمجزرة ايلول للفلسطينيين في الاردن وعاقبتها المأسوية .

(٣) جرى تقديم وتلفيق بديل قوي للدولة الديمقراطية هو الدولة الفلسطينية المنفصلة على اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة (وهو ما سنسميه فلسطينستان) فيعترف بالفلسطينيين كشعب له حقوق تقرير المصير ما دام ذلك يبقي على اسرائيل كما هي مضافا اليها بعض الاراضي التي تحتاجها لاغراض الامن وتتدفق التجارة بين البلدين وبينهما وبين باقي العالم العربي . وتصبح الاوضاع في المنطقة طبيعية ، وفي النهاية وخلال فترة طويلة من الزمن يمكن ان يؤدي التطور الطبيعي الى اتحاد البلدين في المستقبل في دولة موحدة . ان هذا التوجه الجديد يقدم في كل مكان ، يقدم للفلسطينيين وللعرب بشكل عام وللعالم أجمع ، ان لم يكن على اساس كونه حلا جديرا مرغوبا فعلى أساس أنه ممكن التحقيق ويمثل ضرورة سياسية .

(٤) من جهة أخرى ، تقف الى جانب فكرة الدولة الديمقراطية العوامل التالية : تنامي الاعتراف العالمي بالفلسطينيين وبحقوقهم القومية الذي بلغ أوجه في قرارات الجمعية

العامة للامم المتحدة ، بطولة وصمود الفلسطينيين في الاردن رغم الهجمات الوحشية ، المقاومة البطولية التي يبديها شعب غزة ، ازدياد الادلة على فاشية اسرائيل في غزة وعدم رغبتها في الانسحاب من الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ ، الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية ، تنامي قبول المقاومة الفلسطينية بين شبيبة العالم . كل هذه عوامل تسهم في نجاح اكبر لمثال الدولة الديمقراطية وفي جعله مقبولا .

ان الدعوة لاقامة فلسطينستان كحل لمشكلة الشعب الفلسطيني ترتكز على ان فكرة الدولة الديمقراطية هي فكرة غير ممكنة التحقيق كما أنها غير مقبولة او مرغوبة من جانب اليهود أساسا فاذا قبلت هذه الحجج اصبح البديل الوحيد المطروح هو انشاء الدولة الفلسطينية العميلة . ولذلك فاننا سنطرح فيما يلي باختصار الحجتين ونناقشهما قبل الانتقال لمناقشة ماهية ومقومات فلسطينستان المقترحة .

(١) الدولة الديمقراطية غير ممكنة التحقيق : تقوم فكرة الدولة الديمقراطية على التحرير ، اي على هزيمة الامبريالية الصهيونية ومن يدعمونها . ولكن هزيمة كهذه ليست ممكنة لان اسرائيل قوية جدا ومتقدمة ، ولانها مدعومة كليا من أقوى بلد امبريالي في العالم ، ولانها دولة معترف بها من العالم كله ، ولانها تتلقى دعما غير محدود من اليهودية العالمية . وفي الوقتنفسه يجري التأكيد على ان الدول العربية ضعيفة ولا يمكن ان تصبح قوية بما فيه الكفاية كما تدل على ذلك هزائمها المتكررة ، وان حركة المقاومة الفلسطينية ضعيفة وغير قادرة ويجري سحقها ، وان الفلسطينيين والعرب لا يرغبون في حمل عبء القتال المستمر ، وان الحكومات العربية على استعداد للتعاون فيما بينها لسحق الفدائيين ، وان استمرار النضال التحرري لن يؤدي الا الى تحطيم العرب وتعزيز قبضة اسرائيل على الاراضي المحتلة .

(٢) الدولة الديمقراطية غير مقبولة او مرغوب فيها : يقال ان الاسرائيليين ومن يدعمونهم لا يرغبون في فكرة الدولة الديمقراطية ، وان استمرار القتال سيصلب المواقف الاسرائيلية ويزيد من تصميم اسرائيل وعزمها ويجعل الاسرائيليين اكثر غربة عن العرب، وانه اذا ما تحققت الدولة بعد التحرير فانها لن تستطيع الاستمرار لان الجماعتين لن تستطيعا التعايش بعد قتال طويل بينهما ، وانه لن تكون ثمة ضمانات تضمن سير اعمال الدولة سيرا مناسبا وتضمن عدم حدوث التمييز العنصري مرة ثانية ، وان الجالية اليهودية اذا انشئت الدولة الديمقراطية ستحكم في النهاية لا فلسطين فحسب بل بقية العالم العربي ايضا بسبب تفوق اليهود على العرب .

المنطق العنصري الاستاتيكي وراء الحجج المضادة للدولة الديمقراطية

ان الافتراض بأن العرب لن يكونوا قادرين ابدا على التعلم وتحسين انفسهم افتراض عرقي تدحضه الحالة اليهودية ذاتها . فلم يكن اليهود ينظرون الى انفسهم كجنود محترفين او غزاة على الاخص في العصور الحديثة . وبالاضافة الى ذلك فان الحجج التي تقوم على ميزان القوى استاتيكية جامدة دوما لانها تأخذ بالاعتبار النسب الحالية ، اي ما يبدو ممكن التحقيق الان . ان الثورات تقوم على المفهوم الدينامي الذي يقضي بأن من الممكن تفجير قوى شعبية ضخمة عبر النضال ، قوى يمكن أن تعبأ وتنظم وتستحث وتسلح محدثة تغييرات مستمرة في ميزان القوى بينما يستمر النضال . فكلما اعطى المرء اكثر كلما كان على العطاء أقدر ، وكلما أعطى المرء أقل كلما كانت قدرته على العطاء أقل . ان عشرين عاما من التشتت العربي والرضوخ للوضع الراهن والهزائم برهان كاف على ذلك . وفي فيتنام ، تستخدم اميركا كل جبروتها الالكتروني وأرهب أسطول جوي في التاريخ ، ومع ذلك فقد برهن الفيتناميون الابطال بثلاثة آلاف طائرة اسقطوها أن النضال الثوري الشعبي عبر حرب الشعب يستطيع ان يلحق الهزيمة والدمار بأقوى جيش في العالم . ان حرب الشعب التي يقوم بها شعب مضطهد باصرار

وفعالية يمكنها التفوق على الحرب الالكترونية والانتصار على العدو المستعمر .
فاذا انتقلنا للنقطة الثانية التي تفترض أن قيام فلسطين الديمقراطية سيؤدي الى سيطرة اليهود لا على فلسطين وحدها بل على الوطن العربي كله هي ايضا تحتوي على منطلق عنصري استاتيكي . ان قيام الدولة الديمقراطية كنتيجة للتحرير وبناء على التحام كامل بين الطليعة الثورية الفلسطينيـــة والثورة التحريرية العربيـــة سيؤدي الى تحطيـــم المؤسسات العنصرية الصهيونية المستغلة وبالتالي الى انهاء كافة الظروف والاعتبارات القانونية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تكفل السيادة الصهيونية والعبودية العربية . ان زوال النازية بالقضاء عليها عسكريا قد أطاح بالسيادة الالمانية والتفوق الالماني العنصري المدعى فأتاح للشعب الالماني فرص الاندمـــاج المتساوي اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا مع الشعوب الاوروبية وتم ذلك بوضوح اكثر في حالة جمهورية المانيا الديمقراطية ، وبالتالي فان عودة الفلسطينيين الى بلادهم نتيجـــة لثورة عربية ظافرة لا يمكن أن يؤدي الى استمرار التفوق العرقي اليهودي الا اذا افترضنا فعلا ان اليهود متفوقون « عرقيا » على العرب غير اليهود تحت أي نظام وفي ظل أي ظرف.وهو افتراض عنصري لا يمكن قبوله . اللهم الا اذا كان ستـــارا لشوفينية مستترة لا تقبل مواطنية اليهود في الوطن العربي تحت اي ظرف من الظروف ، وهـــذا ايضا لا يمكن للثورة قبوله .

البديل الفلسطينستاني

ان البديل المطروح للدولة الديمقراطية هو انشاء دويلة فلسطينية (فلسطينستان) في تلك المناطق من الارض المحتلة بعد عام ١٩٦٧ التي تتميز بكثافة سكانية عربية عالية والتي تبدي اسرائيل استعدادها ـــ ولو لفظيا ـــ على التخلي عنها بعد اقرار تسوية سياسية كاملة والتوقيع على صلح ومعاهدة سلام مع الدول العربية . والارجح هو ان تقام هذه الدويلة المقترحة في اجزاء من الضفة الغربية تستثنـــي القدس ومنطقة قلقيلية ـــ طولكرم وتلال الخليل أو الخليل كلها . كما انهـــا تستبقي لاسرائيـــل وجودا عسكريا على طول نهر الاردن ـــ حسب مشروع آلون الاصلي ـــ وبذلك فان فلسطينستان تصبح جزيرة سياسية بين اسرائيل ومملكة شرق الاردن الهاشمية ، لا يربطها بالوطن العربي الا الجسور « المفتوحة » على نهر الاردن .

ان التشـابه كبير جدا بين الدويلة المقترحة وبين البانتوستانات التي انشأتها الحكومـــة العنصرية الاوروبية البيضاء للسود المستعبدين في جنوب افريقيا تطبيقا لسياسة التفرقة العنصرية المعروفة بالابارتهيد . ففي جنوب افريقيا يعـــزل السكان السود في دويلات يتمتعون فيها ببعض مظاهر الاستقلال و« الكيان السياسي » والحكم الذاتي ، وتنقلهم الباصات كل صباح للعمل في مناجم الذهب والمزارع البيضاء ثم يعودون في الليل الى « مناماتهم » في البانتوستان مما يضمن عزلهم عن الاختلاط بالسكان البيض ونسائهم لاستمرار النقاء العرقي الابيض . اذا كان يبدو هذا التشابه خياليا ومجحفا فان المدخل العلمي الوحيد هو اعتبار ذلك فرض نحاول اثباته بالارقام قبل أن نستمر في الثقة بـــه والاعتماد عليه .

كيف يمكن التحقق من طبيعة الدويلة الفلسطينية المقترحة قبل انشائها ؟ لدينا في الواقع نموذجين حقيقيين لا مفترضين يمكن استخدامهما للتحقق من افتراضنا وهما : ١ ـــ نموذج العرب في اسرائيل (الارض المحتلة قبل ١٩٦٧) . ٢ ـــ نموذج العرب في الضفة الغربية وغزة المحتلة (الارض المحتلة بعد ١٩٦٧) . ان اقامة دويلة فلسطينية داخل اسرائيل او بجانبها كنتيجة للتسوية السياسية وتصفية الثورة لن يأتي بأفضل مما قدمته اسرائيل فعلا خلال ٢٣ سنة لفلسطينيين تعتبرهم مواطنيها الشرعيين او للفلسطينيين الذين تحاول اغراءهم بكافة الطرق بالتعايش معها في الضفة الغربية المحتلة . ولكننا

سنلقي بمثال عرب اسرائيل جانبا على اعتبار ان ما يعانونه من اضطهاد عرقي ومواطنية من الدرجة الثانية واعتقال اداري غير محدود بقانون أو زمن ، ومحـــاولات الاذابة الثقافية والحضارية والاستغلال الاقتصادي هي كلها نتيجة لانهم فقدوا استقلالهم كلية ولم يعد لهم كيان سياسي يستطيعون الاحتماء داخل قشوره(٢٨). كما اننا سنلقي بمثال قطاع غزة المناضل جانبا وكل ما فيه من الكبت والقمع البربري الاسرائيلي على اساس ان اهل غزة يقاومون ويرفضون الاستسلام و« التعايش » مع اسرائيل وبالتالي فهم لا يتيحون لانفسهم فرصة التمتع « بالرفاهية الاقتصادية » التي قد تأتي بها المشاركة مع اسرائيل . وبالتالي فان هذا يترك لنا نموذج الضفة الغربية المحتلة ، وهي على أية حال المكان المقترح لاقامة دويلة « فلسطينستان » المقترحة .

والضفة الغربية هادئة الى حد كبير وتتمتع بقدر من الحكم الذاتي والاستقلال وتعتبرها اسرائيل نموذجا يحتذى للتعايش العـــربي ــ الاسرائيلي وللمعجـــزة الاقتصاديـــة الاسرائيلية . فلننظر اذا الى هذا النموذج المثالي ، ولندرسه من خلال الارقام الاسرائيلية التي نشرها مصرف اسرائيل المركزي في تقريره السنوي والتي أعيد نشرها في مجلة اسرائيل ايكونومست في عـــدد آب/أيلول ١٩٧٠ بالاضافـــة الـــى بعض الاحصاءات الاسرائيلية الاخرى الهامة(٢٩).

السياسة الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية

تتكون السياسة الاقتصادية الاسرائيليـــة في الضفة الغربيـــة من شقين رئيسيـــين :
١ ــ سياسة « الجسور المفتوحة » مع الاردن والعالم العربي . ٢ ــ سياسة تحويل اقتصاد الضفة ودمجه في الاقتصاد الاسرائيلي . ويعلن المسئولون الاسرائيليون ان هدف هذه السياسة هو تحقيق اكبر قدر من الرفاهية الاقتصادية والتنمية للضفة وسكانها . فلننظر الى التطبيق الاسرائيلي ونتائجه .

١ ــ أدت سياسة الجسور المفتوحة الى استمرار تدفق السلع عبر الجسور من الضفة الغربية الى الاردن وبقية العالم العربي واليها. وقد صدرت الضفة الغربية عبر الجسور ما قيمته ٥١،٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ وما قيمته ٦٤،٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ واستوردت الضفة من الاردن عبر الجسور ما قيمتـــه ١٧،٥ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ و٢٤،٥ مليون ليرة عام ١٩٦٩ . وبذلك تكون الضفة قد حققت فائضا في ميزانها التجاري (الواردات ــ الصادرات) مع الاردن (والوطن العربي) قدره ٣٤ مليون ليرة تقريبا عام ١٩٦٨ وحوالي ٤٠ مليون ليرة عام ١٩٦٩ . واذا نظرنا الى الارض المحتلة كلها نجد أن الفائض يصبح ٣٦،٣ مليون ليرة عام ١٩٦٨ و٤٤،١ مليون ليرة عام ١٩٦٩ . على اننا اذا انتقلنا من الارقام المطلقة الى النسبة المئوية نجـد أن صادرات الضفة الى الاردن والوطن العربي في المتوسط تساوي ٦٠٪ تقريبا من جملة صادرات الضفة بينما ان الواردات تساوي ١٠٪ تقريبا من جملة وارداتها فقط .

٢ ــ أدت سياسة الجسور المفتوحة الى زيارة ١٦،٠٠٠ عربي (غالبيتهم فلسطينيين بطبيعة الحال) لذويهم في الضفة الغربية ولكن هذا الرقم تضخم الـــى ٥٠،٠٠٠ عام ١٩٧٠ . كما ان المبالغ التي يحولها الفلسطينيون العاملون خارج الضفة (وغالبيتهم في الخليج والسعودية) لذويهم في الضفة وصلت الى مبلغ ١١٣ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ .

٣ ــ أدت سياسة اندماج الضفة في الاقتصاد الاسرائيلي الى تحويل معظم تجارتها نحو اسرائيل ، و٨٠ ٪ من وارداتها . وبذلك فقد صدرت الضفة ما قيمته ٣٧،٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ ، وما قيمته ٣٧،٣ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ لاسرائيل بينما استوردت منها ما قيمته ١٣١،٣ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ ارتفعت الى ١٦٠،٧ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ (بزيادة قدرها ٣٠ مليون ليرة تقريبا) وبالتالي فقد قفز

العجز التجاري بين الضفة واسرائيل من ٩٣،٩ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ١٢٣،٤ مليون ليرة عام ١٩٦٩ . واذا أخذنا الارض المحتلة كلها نجد ان العجز الذي تعانيه في الميزان التجاري تجاه اسرائيل قد ازداد من ١٣٢ مليون ليرة عام ١٩٦٨ الى ١٩٠ مليون ليرة عام ١٩٦٩ .

٤ ــ وبذلك يبدو واضحا ان العجز المتزايد في الميزان التجاري للارض المحتلة عموما وللضفة الغربية على الاخص انما يسده فائض التصدير للدول العربية والمعونات المالية التي يدفعها الفلسطينيون من الخارج أو ينفقونها عند زيارتهم في الداخل بالاضافة الى ما تدفعه الحكومة الاردنية من حصة المعونات العربية فيما تسميه دعم الصمود ويتمثل اساسا في استمرار دفع معاشات وأجور موظفيها الرسميين في الضفة الغربية . أي ان الضفة الغربية (فلسطينستان المستقبل) تمثل اقتصاد عجز وتبعية Deficitary Economy يمول عجزه فائض الاموال العربية التي تتدفق عبره لتمويل الاقتصاد الاسرائيلي .

٥ ــ قامت اسرائيل بعملية تحويل البنية الاقتصادية للضفة الغربية لربطها بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي ولتقليل ارتباطها بالاسواق العربية. فقد قامت اسرائيل «بتشجيع» التحول نحو الحاصلات الزراعية اللازمة لتغذية احتياجات اسرائيل الصناعية من المواد الاولية الزراعية واحتياجاتها التصديرية للبلاد الاجنبية ، كما قامت بتخفيض مساحات الارض التي تنتج محصولات تعتمد على التصدير للبلاد العربية أو تنتج محصولات منافسة للمنتجات الاسرائيلية . وبذلك خفضت مساحة الارض المنزرعة بطيخا ــ على سبيل المثال ــ من ٤٣ الف دونم في عام ١٩٦٨ الى ٢٦ الف دونم في عام ١٩٦٩ بينما زيدت المساحة المنزرعة تبغا من ١٥٠٠ دونم الى ٨٠٠٠ دونم في العامين المذكورين (أي بزيادة قدرها ٥٣٣٪ في سنة واحدة)(٣٠). وتم التوسع بنفس الطريقة في زراعة السمسم والشمندر والقطن وخيار التعليب وهي كلها زراعات تحتاج لكثافة عمالية عالية جدا ومعظمها لا تصلح له أرض الضفة الغربية . وتتم الزراعة بطريقة تشبه المشاركة بالعقود الطويلة لتوريد الحاصلات للمصانع والشركات الاسرائيلية . ولكن محصول التبغ مثلا كان سيئا لدرجة رفضت المصانع الاسرائيلية استلامه فقامت السلطات الاسرائيلية باجبار مصانع السجاير العربية في الضفة على شرائه مما سبب لها خسائر كبيرة(٣١). وبذلك فان الضفة الغربية تحول تدريجيا نحو مزرعة تقدم محصولات زراعية رخيصة وضرورية للصناعة الاسرائيلية ولا يمكن لاسرائيل الحصول عليها الا بأكلاف عالية لعدم ملاءمتها للتربة ولارتفاع اجور اليد العاملة اليهودية .

صدر حديثا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

أوري افنيري

او الصهيونية المستحدثة

بقلم كميل منصور

اول دراسة حول افنيري وحركته وارائه ومواقفه من اسرائيل والصهيونية ، ومن الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، ومن القومية العربية والصراع العربي الاسرائيلي .

بالعربية والفرنسية ٢ ل.ل.

٦ ــ قامت اسرائيل بانشاء وتنمية قطاع صناعي صغير خادم للصناعة الاسرائيلية عن طريق الاستثمارات الاسرائيلية الفردية التي تضمنها الحكومة الاسرائيلية ضد أخطار الحرب والمصادرة والتخريب ، وتقوم عن طريق عقود العمل الوسيطة Subcontracting بانتاج مصنوعات لحساب مؤسسات صناعية اسرائيلية تقدم لها المواد الخام او المواد شبه الجاهزة ، خصوصا في صناعة الاثاث والملبوسات الجاهزة(٣٢).

٧ ــ شجعت اسرائيل انشاء صناعة خدمات لخدمة الاقتصاد الاسرائيلي ، فقد ارتفع رقم مؤسسات اصلاح السيارات (جراجات) الى مائتين تضاعفت عمالتها ثلاث مرات في عام ١٩٦٩ وحـــده . ويقوم الاسرائيليون باصلاح سياراتهم في الضفة الغربية حيث متوسط أجر العامل اليومي ٧ ليرات اسرائيلية بينما الحد الادنى للاجور ١٧ ليرة يوميا في اسرائيل(٣٣).

لا يمكن للانسان الا ان يتذكر هنا أمثلة الاحياء الفقيرة في المدن الكبرى وخصوصا في الدول المتخلفة والتي توجد بها اسواق الخضروات والفواكه واللحوم المنخفضة الاثمان ومحلات اصلاح السيارات واعمال الحدادة والنجارة والسمكرة، والتي ينام فيها الخدم والبوابون الذين يعملون في النهار في خدمة سكان الاحياء البرجوازية ذات الدخل المرتفع . وبذلك تبقى الاحياء البرجوازية بعيدة عن ضوضاء اصلاح السيارات وبمنأى عن ذباب وقذارة أسواق الفواكه والخضروات ، ويبقى اطفال الاغنياء بعيدين عن أطفال خدمهم الذين يعزلون في الاحياء الفقيرة .

٨ ــ أوضحت الخطوات الماضيـــة كيف تستغل اسرائيل العامـــل العربي في الضفة المحتلة في الزراعة والصناعة والخدمات التي تتطلب بقاءه في أرضه . ولكن صورة البانتوستان لا تكون كاملة الا اذا أضفنا اليها صورة العمالة العربية المنقولة يوميا الى اسرائيل . لقد ارتفع رقم العمال العرب الذين تنقلهم الباصات الاسرائيلية كل صباح للعمل في اسرائيل وتعيدهم الى « مناماتهم » في المساء الى ٤٠،٠٠٠ عامل في عام ١٩٦٩ وهذا الرقم يتزايد بسرعة(٣٤). وهؤلاء العمال يستخدمون في قطاع البناء والتشييد وفي اسفل درجات العمل اليدوي غير الماهر كما يستخدمون كخـــدام في الفنادق والمطاعم الاسرائيلية وفي بعض مهن الخدمات اليدوية الاخرى .

وبذلك فان هؤلاء العمال ينضمون الى صفوف البروليتاريا الفلسطينية العربية في اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ . فعرب اسرائيل يشكلون ٩٠٪ من عمال البناء فيها . ولعله من المذهل للكثيرين أن يعرفوا أن العمال العرب هم الذين بنوا اسرائيل وشيدوا مصانعهـــا وفنادقها ومدنها الكبرى(٣٥).

ان عامل الارض المحتلة حديثا يدخل قطاع التشييد على مستوى أقل من أخيه العامل العربي في الارض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . بل أن التناقضات الطبقية التي يخلقها هذا الوضع تتعداه الى أمثلة أخرى . فالعمال الزراعيون مـــن عرب اسرائيل في المناطق المجاورة للضفة الغربية يقومون الان باستخدام عمال عرب من الارض المحتلة حديثا بأجور منخفضة لزراعة أرضهم لكي يقوموا هم بالعمـــل في اسرائيل بأجور مرتفعـــة لا يستطيع عامل الارض المحتلة حديثا الحصول عليها .

تدلنا احصاءات البنك المركزي الاسرائيلي على ان متوسط الاجر اليومي للعامل العربي من الارض المحتلة بلغ ١١ ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ وهو أقل بست ليرات يوميا من الحد الادنى للاجور في اسرائيل . ويقوم الهستدروت بتحصيل الفارق ــ على أساس انه يساوي قيمة الخدمات الاجتماعية والصحية والتأمينات التي لا تطبق بعد على العمال العرب من الارض المحتلة ــ وتقوم بتحويل المبالغ المتراكمة نتيجة لذلك ، وقد بلغت قيمتها ١٨ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ للحاكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية(٣٦). وبذلك فان العامل العربي في اسرائيل لا يستغل من الرأسمالية الاسرائيلية

فحسب ، بل ان جزءا من فائض ناتج عمله ، ومن نتاج عرقه وجهده يستخدم لتمويل السلطات المحتلة ، لدعم قدرة غاصبه في استمرار استعبـــاده واستغلاله . على ان العامل العربي الذي يحصل على متوسط اجر يومي قدره ١١ ليرة اسرائيلية لا يزال يحصل على ما لا يزيد عن ٧ ليرات اسرائيلية يوميا في الضفة الغربية ، و٥،٧ ليرة يوميا في غزة(٢٧). وبالتالي فانه يستخدم في مكانه كلما امكن ذلك ، وينقل الى اسرائيل حيث لا يمكن انتقال العمل اليه .

خاتمة

تظهر الارقام التي عرضناها بوضوح طبيعـــة الاستغلال الاسرائيلي للضفـــة الغربية ونوعية الاقتصاد الفلسطينستاني المقترح للمنطقة . والنمط البانتوستاني هو الافضل لاسرائيل في هذه المرحلة للاماكن ذات الكثافة السكانية العربيـــة العالية ، فهو يضمن استغلال الايدي العاملة الرخيصة والثروات الطبيعيـــة للمنطقة دون اختلاط السكان العرب باليهود في اسرائيل مما يضمن ــ كما اشار ديان مرارا ــ استمرار نقاء الدولة اليهودية واحتفاظها بشخصيتها اليهودية . ان تزايد أعداد عرب اسرائيل يفوق معدل نمو اليهود فيها سواء بالتوالد الطبيعي او بالهجرة بمعدلاتها الحالية وامتصاص السكان العرب في الارض المحتلة حديثا داخل اسرائيل سيؤدي بعـــد فترة قصيرة الى زيادة السكان العرب عن اليهود . ولذلك فان اسرائيل تستطيع الان وفورا تهويد المناطق ذات الكثافة المنخفضة كما فعلت في الجولان وبعض المناطق النائية في الضفة الغربية وسيناء ، وتستطيع خلق وجود استيطاني يهودي بكثافات متفاوتة حول المناطق العربية التي تريد ابتلاعها تدريجيا كما فعلت في القدس والخليل ، (ولذلك فهي تصر على انها يجب أن تحتفظ بكل مستوطناتها في فلسطينستان الجديدة بالاضافة لقواعدها العسكرية لتكون ركائز لموجة الغزو والتهويد والاستيعاب الجديدة) ولكنها تستخدم الاسلوب البانتوستاني لمعالجة المناطق ذات الكثافة العربية العالية . وهذا هو المبرر الاساسي من انشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية .

هل يمكن للفلسطينيين القبول بفلسطينستان كبديل للدولة الديمقراطية ؟ هل هناك مجال للمقارنة بين العبودية والتحرير ؟ هل هناك أمل للسود في ظل حكومة عنصرية بيضاء ؟ لا شك أن البديل التقدمي الوحيد ، والنموذج الوحيد المقبول لفلسطين الغد بيهودها وعربها هو النموذج الذي طرحته الثورة الفلسطينية ... نموذج الدولة الديمقراطية التقدمية اللاطائفية الموحدة .

---

١ ــ كلمة فتح في المؤتمر الثاني لنصرة الشعوب العربية (القاهرة) من ٢٥ الى ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ . راجع كتاب فتح السنوي (١٩٦٩) ص ١١ . يجدر بنا أن نشير هنا الى انه سبق هذا التصريح الكامل عدة اشارات من فتح الى رغبتها في اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية دون تمييز في الدين او العقيدة تشمل اليهود والمسلمين والمسيحيين . انظر مثلا : الميثاق الصادر عن المؤتمر الاول للمنظمات الفدائية المنعقد في القاهرة بين ١٧ ــ ١٩٦٨/١/٢٠ كما ورد في كتاب غازي خورشيـــد ، دليل حركة المقاومـــة الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحـــاث بيروت آذار (مارس) ١٩٧١ . انظـــر ايضـــا حديث ابو عمار لجريدة الانوار في ١٩٦٨/٦/٢٣ وكتـــاب فتح السنوي ١٩٦٨ ، وحديث ابو عمار لمجلة « باري ماتش » الفرنسية في ١٩٦٩/١/١١ .

٢ ــ انظر ،حمد رشيد ، **نحو فلسطين ديمقراطية** ، سلسلة ابحاث فلسطينية رقم ٢٤ ، منظمـــة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، نوفمبر ١٩٧٠ .

٣ ــ مقابلة مع البرنامج التلفزيوني الامريكي « واجه الامة » في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
Face the Nation Programme, C.B.S. transcript, p. 13.

٤ ــ انظر مقالة ابراهيم ابو لغد عن « المواجهة العربية ــ الاسرائيلية : بعض التعليقات حول المستقبل » في الكتاب التالي

Selected Essays on the Palestine Question, P.L.O. Research Center, Beirut, 1969.

Stone, I.F., "For a New Approach to the Israeli-Arab Conflict", the *New York Review of Books*, August 3, 1967. انظر ايضا

٥ ــ انظر المقالة التي كتبها اوري افنيري للعدد الخاص من مجلة « الازمنة الحديثة » عن النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، حزيران ــ يونيو ١٩٦٧ .

Les Temps Modernes: Numero Special sur le Conflit Israélo-Arabe, June 1967.

٦ ــ محادثة اينشتاين ووايزمان ، انظر كتاب ليلينثال

Lilienthal, A., *"There Goes the Middle East"*, New York, 1957, p. 240.

ويجب أن نقرر هنا أن أينشتاين ظل معارضا لفكرة اقامة دولة يهودية وأفاد بذلك في شهادة أعطاها للجنة الاستقصاء الانجلو أمريكية عن فلسطين انظر *New York Times*, January 12, 1946, p. 7.

وردد ذلك في مذكراته أنظر Einstein, A., *Out of My Later Years*, New York, 1950, p. 263.

٧ ــ محادثة جولدا مائير : مع جريدة السانداي تايمز اللندنية ١٩٦٩/٦/١٥ .

٨ ــ انظر مقالة I. F. Stone السابقة الذكر .

٩ ــ انظر مذكرات هرتزل الكاملة *The Complete Diaries of Theodor Herzl*, Vol. I, p. 88-90, 98. Published by the T. Herzl Foundation (Thomas Yoseloff, New York), 1960

١٠ ــ انظر الميثاق الوطني الفلسطيني ، منظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٨) . ص ٥ .

١١ ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، **حول دولة فلسطين الديمقراطية** ، منشور صادر في بيروت ١٩٧٠ انظر أيضا مجلة الهدف ١٩٧٠/٤/٢٥ .

١٢ ــ ابراهام ليون : « **المفهوم المادي للمسالة اليهودية** » . دار الطليعة ، بيروت (١٩٦٩) .

١٣ ــ جريدة الحياة البيروتية اليومية « فكرة الدولة الديمقراطية المشتركة كما تراها اسرائيل » مقال الاسبوع بقلم الدكتور عمر حليق ، ١٩٧٠/٢/١ .

١٤ ــ انظر مثلا مجلة الثائر العربي التي تصدر عن جبهة التحرير العربية العدد ١٦ في ١٩٦٩/١٢/١، والعدد ١٧ في ١٩٦٩/١٢/١٥ ، العدد ٢١ الصادر في ١٩٧٠/٣/١٥ والعدد ٢٢ الصادر في ١٩٧٠/٣/٣١ . انظر أيضا مجلة الاحرار الاسبوعية ١٩٧٠/٤/١٠ الاحرار ١٩٧٠/٧/٣ ، اما بالنسبة للجبهة الديمقراطية ، انظر مقال حواتمه للموند الفرنسية الذي اعادت نشره « الحرية » في ١٩٧٠/١/١٢ ومقالة لجلسة تريكونتنتال الذي أعادت نشره الحرية في ١٩٧٠/١/١٩ .

يمكن القول بشكل عام ان كافة اعداد مجلة « الاحرار » الموالية لجبهة التحرير العربية ومجلة « الحرية » الموالية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين التي صدرت في الفترة بين شباط وتموز ١٩٧٠ كانت تحتوي على مقالات ومناقشات ومناظرات حول قضية الدولة الديمقراطية والحل الديمقراطي للقضية اليهودية . أنظر ايضا ملحق الانوار ١٩٧٠/٣/٨ وملحق الانوار ١٩٧٠/٣/١٥ . وللانصاف نقرر ان مجلة الحرية هاجمت « الاحرار » بشدة على موقفها المهاجم للفكرة واتهمها محمد كشلي باستخدام الاسلوب الانشائي اللفظي المميز للفكر القومي البرجوازي الصغير وبالضبابية والتعصب ، انظر الحرية ١٩٧٠/٣/١٦ .

١٥ ــ انظر مقالات « الثائر العربي » و« الاحرار » السابقة الذكر .

للضرر الناتج عن المناظرة العقيمة انظر مقالة ويليام توهي بالانترناشيونال هيرالد تريبون ١٩٧٠/٤/٣، ص٤، ومقالات اسرائيليون يردون ، انظر نبيل شعث، « الفكر العنصري الاستعماري وراء اسرائيليون يردون » **مجلة شؤون فلسطينية** ، العدد الاول آذار (مارس) ١٩٧١ .

١٦ ــ انظر مثلا مقالة حاركابي المنشورة في « معاريف » في ١٩٦٩/١١/٢١ بعنوان « دور الفلسطينيين في الصراع العربي ــ الاسرائيلي » .

١٧ ــ انظر مثلا راي الهيئة العربية العليا المنشور في جريدة « الحياة » ١٩٧٠/٣/١٣ وفي مجلة الهيئة « فلسطين » من اعداد مختلفة . يرفض ابو عمار مناقشة موضوع الاعداد هذا كحجة ضد الدولة الديمقراطية ، انظر الجمهورية المصرية ١٩٧٠/٢/٥ .

١٨ ــ انظر اعداد نشرة « اسرائيليون يردون » عن الدولة الديمقراطية ونشرات ما يسمى « بجمعية احلال السلام في الارض المقدسة » وكلاهما تصدرهما اجهزة الدعاية الاسرائيلية باللغة العربية واللغة الانجليزية.

١٩ ــ انظر مقالات الحرية السابقة الذكر عن وجهة نظر الجبهة الديمقراطية .

٢٠ ــ انظر مثلا مقالة « فتح » باللغة الانجليزية بتاريخ ١٩٧٠/١/١٩ .

٢١ ــ قصة مسعده Massada هي اسطورة يهودية عن مجموعة من اليهود قاتلوا فرقة رومانية كبيرة قرب مسعده في فلسطين وقتل عدد كبير منهم ولما غلبهم الرومان على أمرهم فضلوا الانتحار على الوقوع في أسر الرومان .

٢٢ ــ انظر مثلا مقالة ايلي بن غال في اللموند الفرنسية بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٣١ انظر ايضا جون كمشه في مجلة New Middle East عدد سبتمبر ١٩٧٠ ص ٤ ، ومقالة بريس في **نفس المجلة** عدد مايو ١٩٧٠ ص ٣٠ ، وحديث آري الياف سكرتير عام حزب العمال الاسرائيلي ، **نفس المجلة** مارس ١٩٧٠ ص ٨ ، ومقالة أخرى في **نفس المجلة** على صورة حوار بعنوان « مشاكل مثقف اسرائيلي » ، يناير ١٩٧٠ ص ٣٧ .
انظر ايضا مقالات عديدة في مجلة New Outlook الاسرائيلية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، مقالة مردخاي بنتون ، نوفمبر ١٩٧٠ ص ٤١ ، يوسف ابيلياه ، يونيو ١٩٧٠ ، ص ٢٨، وآفروس ، مايو ١٩٧٠ ص ١٩ ، ومردخاي كافري، مايو ١٩٧٠ ص ٢٧، وحاييم دروبكين ، عدد مارس/ابريل ١٩٧٠ ، ص ٤٩ .
ويجدر التذكير هنا ايضا بمقالات « اسرائيليون يردون » انظر مقالة نبيل شعث السابقة الذكر .

٢٣ ــ اسرائيليون يردون العدد رقم ١٦ .

٢٤ ــ انظر المراجع السابقة الذكر تحت هامش (٢٢) .

٢٥ ــ انظر مقال مئير فلنر في مجلة Comment عدد ١٩٧٠/١١/١٤ ص ٧٢٩ . انظر ايضا مقال محمد كشلي ، مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٢٣ .

٢٦ ــ ماتزبن Matzpen هو اسم المجلة التي تصدرها المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية I.S.O. باللغة العبرية ومعناها « البوصلة » . ازراك Israc وازراكا Israca هو اسم المجلات التي تصدرها المنظمة عن طريق فرعها الطلابي في الخارج باللغة الانجليزية في انجلترا وأمريكا ، وازراك هي مختصر Israeli Students Revolutionary Committee (Abroad). واعداد هذه المجلات تحوي فكر المنظمة، انظر ايضا ترجمة مجلة الحرية في العدد ٤٩ لبعض افكار الماتزبن. كذلك المقدمة التي كتبها لوبل لكتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » بالعبرية بعنوان اليهود وفلسطين . انظر ايضا كتاب فاينشتوك الصهيونية ضد اسرائيل Weinstock, *Le Sionisme Contre Israél*, Maspero, 1969.

٢٧ ــ انظر مقالة موني القايم ، مجلة New Outlook عدد سبتمبر/اكتوبر ١٩٧٠ ، ص ٥٦ ، ايضا رسالة من طالب للجرائد الاسرائيلية نفس العدد ص ٦٠ ، قرارات المؤتمر نفسه تظهر في نفس العدد من المجلة ص ٥٨ .

٢٨ ــ انظر صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت .

٢٩ ــ انظر ايضا مجلة نيو ميدل ايست عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ .

٣٠ ــ انظر مقالة احمد خليفة « سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة » ، مجلة شؤون فلسطينية العدد الاول آذار ١٩٧١ ص ٧٧ ــ ٩٤ . انظر ايضا اسرائيل ايكونومست ، العدد المشار اليه سابقا .

٣١ ــ المعلومات عن محصول التبغ من الصحفي البريطاني ديفيد هيرست والتي حصل عليها من دراسة في اسرائيل .

٣٢ ــ اسرائيل ايكونومست ، العدد السابق الذكر ، ومجلة نيو ميدل ايست ، نوفمبر ١٩٧٠ .

٣٣ــ نفس المصدر .

٣٤ ــ نفس المصدر .

٣٥ ــ راجع صبري جريس ، المصدر السابق الذكر ، اني مدين للاخ صبري للفت نظري الى هذه المقارنة الهامة .

٣٦ ــ المعلومات من دراسة لم تنشر بعد كتبها الصحفي الامريكي لورنس موشر بجريدة الناشيونال اوبزرفر بعد زيارة طويلة لاسرائيل في ديسمبر الماضي .

٣٧ ــ اسرائيل ايكونومست . العدد السابق الذكر .

تطورات الاقتصاد الاسرائيلي

الدكتور سعيد حمود

ما هي قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على النمو ، والى اي حد يمكنه تجنيد الامكانيات المتاحة له ، بشكل يضمن له البقاء والاستمرار في وجه صورة المشاكل المعقدة التي تعترضه في الداخل وفي الاطار المحيط به عربيا ودوليا ؟ لعل الاجابة على هذه التساؤلات تضعنا أمام صورة الوقائع القائمة وأمام حقيقة مرتكزات الاقتصاد الاسرائيلي دون مبالغات او أوهام او أخطاء . هناك جملة مؤشرات تعيننا على متابعة التطورات في الاقتصاد الاسرائيلي وتتيح لنا ، في الوقت نفسه ، الاجابة على التساؤلات المطروحة . غير أن متابعة المؤشرات المذكورة يجب أن لا تغيّب عن أذهان الباحثين وعن وعيهم جملة قضايا رئيسية في بنية الاقتصاد الاسرائيلي :

١ ــ اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على العون الخارجي : لم تتمكن كافة الانجازات الاقتصادية عبر السنين ، لا في الخمسينات ولا في الستينات ، ولا نتوقع ذلك في السبعينات ، من أن تحرر الاقتصاد الاسرائيلي من قيد هذا الاعتماد أو أن تخفف من حدته . اما السبب الرئيسي وراء ذلك ، فهو اعباء التسلح وحالة الحرب الدائمة التي تعيشها اسرائيل والتي تضطر لاخضاع كل شيء لدواعيها ، والاصرار على تحقيق جملة اهداف تتعلق بمصلحة الدولة والمجتمع دفعة واحدة (انظر (٤) ادناه) .

٢ ــ التفوق الدائم للواردات على الصادرات ، اي العجز الدائم في الميزان التجاري وميزان المدفوعات ، هذه الظاهرة استمرت في مرافقة الاقتصاد الاسرائيلي ، ولم يستطع ان يتخلص منها حتى الآن . ومن الجدير بالذكر هنا ان نسبة نمو الصادرات اخذت تزيد عن نسبة النمو في الواردات عبر السنين ، من دون أن يؤدي ذلك الى احداث تفوق الصادرات على الواردات (أي الغاء حالة العجز في الميزان التجاري) بل أدى الى تزايد الفجوة اتساعا بالارقام المطلقة بين الواردات والصادرات . أما مرد هذا الامر أو تفسيره فيعود الى طبيعة منطلق القطاع التجاري في بنية الاقتصاد الاسرائيلي ، حيث كان حجم الفجوة بين الصادرات والواردات ضخما .

٣ ــ القدرة الذاتية الهائلة للاقتصاد الاسرائيلي على تغيير تركيبه القطاعي ، بمعنى القدرة على التحول في حجم تركيز الفعالية على القطاع الذي يبدو أكثر الحاحا وأجدى انتاجية في فترة من الفترات . وهذه العملية ليست بسيطة في اقتصاد نام ومتطور ، انها تتطلب نسبة كبيرة من المرونة ومن المقدرة على ضبط نتائج التحويل والسيطرة عليها .

٤ ــ اصرار السياسة الاقتصادية الاسرائيلية على تنفيذ مخطط كامل وفي وقت واحد : التسلح الواسع ومرتفع التكاليف ، استيعاب المهاجرين والعمل على تكثيف قدومهم ، الاستيطان الزراعي ، تحقيق معدل نمو اقتصادي مرتفع ، توسيع نطاق الخدمات العامة باتجاه مجتمع الرفاه ، ارتفاع الاجور وارتفاع مستمر في مستوى الاسعار . (من الواضح ، على أساس العوامل التي تحكمت في تطورات السنوات الاخيرة ، أن عثرات

كبيرة قد وقفت في طريق حرية الاصرار المذكور ، بمعنى أن الضغط الهائل الذي تسببه متطلبات الحرب والتسلح والامن والاشراف على المناطق المحتلة ، قد كبل الانطلاق نحو مجتمع الرفاه وخلق له مشكلات عديدة ، غير أنه من الجدير بالذكر ، أن السياسة الاقتصادية الاسرائيلية لم تعلن عن تخليها عن الاصرار على تنفيذ المخطط الكامل .)

هذه القضايا الرئيسية التي تفعل في بنية الاقتصاد الاسرائيلي لا بد أن تظل ماثلة أمامنا ، خلال عملية متابعة المؤشرات في تطور الاقتصاد الاسرائيلي . يمكن لمؤشرات ثلاثة من ضمن مجموعة مؤشرات اقتصادية ، اجتماعية ونفسية ، أن تعيننا على رؤية ومتابعة ما يجري في حركة الاقتصاد الاسرائيلي : ١ ــ جملة الموارد المتاحة ، ٢ ــ اعباء الحرب، ٣ ــ السكان وحجم النمو الناتج عن التزايد الطبيعي وعن الهجرة الصافية .

المؤشر الاول : ان جملة الموارد المتاحة لاسرائيل تتألف من الناتج القومي بالاضافة الى تفوق المستوردات على المصدرات (فائض الاستيراد) ، الذي يعادل بدوره عجز الحساب الجاري زائدا تفوق المعونات الخارجية على هذا العجز . بالنسبة للناتج القومي فقد حقق في اسرائيل منذ نشوئها ولغاية العام ١٩٦٩ ، نموا سنويا متوسطا بلغ نحو ١٠ بالمائة . بالطبع تعتبر نسبة النمو هذه عالية جدا اذا ما قورنت بمعدلات النمو في البلدان الاخرى . (متوسط النمو السنوي للناتج القومي في بعض البلدان بين ١٩٥٥ و١٩٦٦ : اسرائيل ٩،٣٪ ، المانية الغربية ٥،٣٪ ، فرنسة ٥٪ ، السويد ٤،٥٪ ، الولايات المتحدة ٣،٥٪)(١).

غير أن السنوات الثلاث (١٩٦٥ ــ ١٩٦٧) شهدت هبوطا في متوسط نمو الناتج القومي على الشكل التالي : ١٩٦٥ هبط النمو الى ٨،٢٪ ، ١٩٦٦ الى ٦،٠ بالمائة ، والى ١،٢ بالمائة في العام ١٩٦٧(٢). وجاء هذا الانخفاض نتيجة لسياسة انكماشية متعمدة وضعت في العام ١٩٦٤ في محاولة للحد من الاعتماد على العون الخارجي . بلغ النمو السنوي المتوسط للناتج القومي في العام ١٩٦٨ حوالي ١٠ بالمائة وفي العام ١٩٦٩ ارتفع الى ١١

جدول رقم ١ احتياطي العملات الاجنبية المتجمع بفضل تفوق المعونات على فائض الاستيراد (١٩٦٨ ــ ١٩٧٠)
(بملايين الدولارات)

الشهر	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠
كانون الثاني		٦٧٨،١	
شباط	٧٦٦،٢	٦٩٧،٨	
آذار			
نيسان			
ايار			٤٣٧،٧
حزيران		٥٤٢،٥	٤٤٠،٦
تموز		٥٠٩،٨	٤٥٣،٨
آب	٧٦٤،٣	٥٠١،٥	٤٥٢،٤
ايلول	٧٥٢،٤	٤٧٦،٥	
تشرين الاول	٧٢٠،٢	٤٥٣،٧	
تشرين الثاني	٦٨٩،١	٤١٧،١	
كانون الاول	٦٦٢،٩		

المصدر : Quarterly Economic Review, The Economist Intelligence Unit, No. 2, 1969. No. 1, 1970. No. 4, 1970.

بالمائة ، ليعود وينخفض الى ٨٪ في العام ١٩٧٠ ، ومن المتوقع له ان ينخفض الى نسبة أقل في العام الحالي(٣) .

نلقي الآن نظرة على أوضاع الحساب الجاري وعلى وضع الاحتياطي المتجمع والديون وذلك استكمالا لتفحص جملة الموارد المتاحة في اسرائيل . كان حجم المعونات الخارجية في السنوات السابقة لعام ١٩٦٨ يتفوق على عجز الحساب الجاري(٤)، مما أتاح لاسرائيل تجميع احتياطي ضخم من العملات الاجنبية حتى نهاية ١٩٦٧ . غير ان الاعوام ١٩٦٨ و١٩٦٩ والى حد ما ايضا العام ١٩٧٠ ، شهدت انقلابا هاما في الصورة ، اذ زاد العجز في الحساب الجاري على المعونات الخارجية مما اثر بشكل سلبي واضح على اوضاع احتياطي العملات الاجنبية المتجمع عبر السنين لدى اسرائيل . ظهرت في الجدول الاول صورة التدهور التي تعرض لها الاحتياطي المتجمع منذ شهر شباط ١٩٦٨ ولغاية شهر آب ١٩٧٠ .

هذه صورة أوضاع الاحتياطي المتجمع المتدهورة ، يقابلها على الجانب الآخر ارتفاع قوي في حجم الديون الخارجية ، مما يزيد الاوضاع صعوبة على الاقتصاد الاسرائيلي :

الديون الخارجية(٥)
(بملايين الدولارات)

١٩٦٧	١٦٠٠
١٩٦٨	١٨٥٠
١٩٦٩	٢١٠٠
١٩٧٠	٢٥٠٠

كان العجز في الحساب الجاري (فائض الاستيراد) قد بلغ حدا خطرا في العام ١٩٦٤ ، حين وصل الى ٥٧٣ مليون دولار (في حين كان معدل العجز السنوي في السنوات الثلاث السابقة حوالي ٤٥٣ مليون دولار) . في العام ١٩٦٨ بلغ فائض الاستيراد ٦٩٦ مليون دولار ولأول مرة يكون هذا العجز متفوقا على حجم المعونات الخارجية التي بلغت في العام نفسه ٦٥٤ مليون دولار(٦) . في العام ١٩٦٩ كان العجز حوالي ٩٠٠ مليون دولار ، ليصل الى ١٢٥٠ مليون دولار في العام ١٩٧٠ (حوالي ١٥٠ مليون دولار اكثر مما كان متوقعا له)(٧) .

لاحظنا من الاستعراض حتى الآن عدة أمور نلخصها في النقاط التالية : أ ــ انخفاض نسبة النمو في الناتج القومي في العام ١٩٧٠ ، بعد ارتفاع ملحوظ في العامين ١٩٦٨ و١٩٦٩ . ب ــ تدهور سريع في حجم الاحتياطي المتجمع لدى اسرائيل من العملات الاجنبية . ج ــ تراكم للديون الخارجية على اسرائيل . د ــ اتساع الثغرة بين الصادرات والواردات في العام ١٩٧٠ ، بشكل خطير ، بعد اتساعها التدريجي في العامين السابقين على اثر تحسن طفيف قبل العام ١٩٦٧ . هـ ــ ارتفاع نسبة « فائض الاستيراد » للناتج القومي ولجملة الموارد المتاحة . وقد ارتفعت النسبة بانتظام من عام ١٩٦٦ حتى الآن . من المتوقع أن تستمر حالة الهبوط والقلق على خريطة الاقتصاد الاسرائيلي طيلة العام الحالي ١٩٧١ . وبالتالي فان حجم الضغوط الداخلية سوف يزداد ثقلا ومن جهات عدة . سينخفض ، وبحدة ، الانفاق على الاستهلاك الخاص ، اذ أن الحكومة سوف تستمر باحكام قبضتها على القوة الشرائية . (في حين شهدت السنوات الثلاث الاخيرة ارتفاعا في نسبة الاستهلاك الخاص بحوالي ١٢ ٪)(٨) من جهة اخرى فان الانفاق في القطاع العام سوف يظل مرتفعا ، وكذلك الحال بالنسبة للاستثمار ، (وقد كان العام ١٩٦٨ عاما حاسما بالنسبة لهذا القطاع اذ شهد نموا قويا بنسبة ٨٨ ٪ عن مستواه في العام السابق)(٩) . ان تأثير جملة الضغوط سوف يعكس نفسه بشكل متفاوت على مختلف

فروع المستوردات ، وسوف ينخفض نمو المستوردات بشكل عام ، ففي حين يتوقع أن ينتعش استيراد المواد الاولية وخاصة تلك التي تخدم صناعات التصدير والصناعات الحربية (بفضل التسهيلات والفائدة المتاحة لهذه الصناعات) ، فانه من المنتظر أن ينخفض استيراد المواد الاستهلاكية ، وكذلك المواد الخاصة بالصناعات الاستهلاكية المحلية(١٠). وكافة الادلة تشير الى أن العام الحالي (١٩٧١) سوف يشهد تحسنا واضحا في أوضاع التصدير . لقد بلغت الصادرات ما قيمته ٤٧٦ مليون دولار في الاشهر الثمانية الاولى من العام ١٩٧٠ ، بينما كانت حوالي ٤٦٢ مليون دولار للفترة نفسها من العام ١٩٦٩ . والسبب وراء هذا النمو الطفيف (٣ ٪) يعود الى انخفاض في حجم تصدير الماس بما قيمته ١٤ مليون دولار (— ١٠ ٪) وفي تصدير الحمضيات بما قيمته ٤ ملايين دولار (أي — ٥ ٪)(١١). غير انه على اساس بعض الاتفاقيات الجديدة يتوقع أن يتحسن تصدير الماس ، وكذلك بالنسبة للحمضيات ، اذ من المتوقع أن لا يكون الموسم كاسدا مثل العام الماضي ، هذا بالاضافة الى الانتعاش الذي طرأ على الصادرات الزراعية الاخرى .

من الواضح أن الاقتصاد الاسرائيلي يحاول دائما في تصديه لمعضلاته الاساسية والدائمة ان يحرك قواه الذاتية ، ويجند كافة الامكانات المتاحة له : ضغط الاستهلاك الخاص ، ضبط الاستيراد ، تشجيع التصدير بكافة فروعه، التحكم بالاسعار والاجور..الخ.. غير أنه ظل عاجزا عبر السنين عن ايجاد الحلول الحاسمة لمعضلاته الاساسية ، والسبب الرئيسي وراء ذلك هو التشبث والاصرار على تحقيق الاهداف المتعلقة بمصلحة المجتمع وأمنه كلها ودفعة واحدة . من هنا تركزت القناعة بأن أية عملية اعادة لتوزيع الموارد المتاحة بشكل يتيح تأمين متطلبات الدفاع ، قد توقع توزيع الموارد واستخدامها بسلسلة من الاضطرابات ، تؤثر على تحقيق الاهداف المذكورة . وعلى هذا الاساس فقد لجأ الاقتصاد الاسرائيلي الى منابع اخرى لتأمين متطلبات الدفاع: الضرائب الجديدة، قروض ومعونات جديدة ، الاغتراف من الاحتياطي المتجمع .

المؤشر الثاني : كيف تجابه اسرائيل اعباء الحرب ، وكيف تمول هذا «التأهب العسكري» ذا المستوى العالي جدا ، والفعالية المرتفعة جدا قدرة وتكاليف ؟ في السادس عشر من شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ أعلنت الحكومة الاسرائيلية عن اجراءات جديدة لمجابهة المصروفات العسكرية الجديدة ، حتى لا يتعرض « برنامج الدفاع » لأية مخاطر ، تمثلت هذه الاجراءات باعلان ميزانية اضافية على الميزانية المقرة لعام ١٩٧٠/١٩٧١ . بلغت الاضافة ما قيمته حوالي ٣٣٦ مليون دولار ، مخصصة كلها لشؤون الدفاع . وهي تعني رفع الموازنة المقرة بحوالي ١٠ ٪ . وهي ، من ناحية ، ممولة من قروض جديدة خاصة تبلغ قيمتها حوالي ٢١٧ مليون دولار ، ومن ناحية أخرى من الضرائب الاضافية التي فرضت مؤخرا(١٢). كما ان هذه الاضافة تعني ارتفاعا لنسبة الموازنة العسكرية من الموازنة العامة وكذلك من الناتج القومي . تبلغ الموازنة العسكرية للعام الحالي (١٩٧٠/١٩٧١) حوالي ١،٢٥٠ مليون دولار ، أي ٤٠ ٪ من الموازنة العامة ونحو ٢٥ بالمائة من الناتج القومي المقدر . فاذا أضفنا الى الموازنة العامة ، الموازنة الملحقة (والتي هي مخصصة للشؤون العسكرية) لبلغت نسبة الموازنة العسكرية الى الموازنة العامة ٤٥ بالمائة ، ولاقتربت نسبة الموازنة العسكرية من الناتج القومي الى الثلث بدلا من الربع (٣٠ ٪) . هذه النسب تبقى صحيحة اذا اكتفينا بالارقام الرسمية المعلنة ، غير ان الواقع يشير الى أن الاعباء العسكرية تفوق بكثير الارقام المعلنة : المستوطنات التي تقام لشؤون الدفاع لا تحسب موازنتها مع الموازنة العسكرية بل ترد في موازنة وزارة الزراعة والوكالة اليهودية ، شبكات الطرق التي يتم تعبيدها لاسباب عسكرية ، تظهر مصاريفها في موازنة « مجلس الاشغال العامة »، وكذلك بناء الملاجىء ، والحراس في المؤسسات العامة ، كافة هذه الامور وغيرها لا تحسب في المصروفات العسكرية

بالرغم من انها تخدم أغراض التعبئة العسكرية(١٣).
على الرغم من الارتفاع الهائل في النفقات العسكرية، وعلى الرغم من أن نسبتها في العام الحالي ٧١/٧٠ ، فاقت بكثير نسبتها في الاعوام الماضية (اذ تطورت نسبة مخصصات الدفاع للدخل القومي على الشكل التالي : ٦٥/١٩٦٤ نحو ٩،٩ بالمائة ، ٦٦/١٩٦٥ نحو ٩،٧ بالمائة ، ٦٧/٦٦ حوالي ٩،٥ بالمائة ، ٦٨/٦٧ حوالي ١٢ بالمائة ، ٦٩/٦٨ نحو ١٦ ٪ ، ٧٠/٦٩ بلغت ١٨،١ بالمائة)(١٤)، وعلى الرغم من أن الموازنة العامة في اسرائيل تعادل ما يقارب ٧٠ بالمائة من الناتج القومي ، وهذه نسبة مرتفعة جدا اذا ما قورنت بأوضاع الموازنات العامة في العالم ، وعلى الرغم من أن العبء الضريبي الذي تسببه النسب المرتفعة لنفقات الدفاع ، أصبح باهظا جدا ، على الرغم من كافة هذه الامور فان الموارد المتاحة للاقتصاد الاسرائيلي ما زالت تزداد نسبيا أكثر من عبء النفقات العسكرية ، بفضل تدفق المعونات الهائل وبفضل التعبئة الانتاجية الداخلية التي بلغت في العام ١٩٧٠ حدا عاليا جدا .
مع تثبيت هذه الحقيقة وربطها بما دلت عليه تجربة السنوات الماضية ، من أن المجتمع الاسرائيلي والاقتصاد الاسرائيلي قادران على تحمل كافة أعباء الحرب والاعباء الناتجة عنها من ضريبية وغيرها ، فاننا لا نجد مناصا في مقابل ذلك من تسجيل بعض القضايا الاساسية :
أ ــ من الصحيح أن التجربة دلت حتى الآن أن المجتمع الاسرائيلي تحمل بكل صبر كافة انواع الضغط والضيق في سبيل الحفاظ على أمنه وبقائه ، وصحيح أن الاقتصاد الاسرائيلي قد تمكن من استعمال موارده المتاحة بأسلوب جعله قادرا على التصدي لأزماته والخروج منها ، وصحيح أيضا ان اصدقاء اسرائيل في الخارج واليهودية العالمية ما انفكوا يقدمون الهبات والمعونات والقروض ويلبون الاحتياجات الاسرائيلية الدائمة والمتكررة ، كل ذلك صحيح ، ولكنه من الصحيح أيضا ان القوة العربية في الصراع ، بسبب أوضاعها الذاتية وتأثير تلك الاوضاع على قدرتها ، قد مكنت تلك العوامل التي عددناها من ان تأخذ مداها كاملا وتعطي ثمارها كاملة ، اذ انها (القوة العربية) لم تقنع الصابرين بعدم جدوى صبرهم ، ولم تجعل على الاقتصاد الاسرائيلي مستحيلا أن يستعمل موارده ويكيفها كما يشاء ، ولم تنجح حتى الآن في أن تضع علامة السؤال أمام أصدقاء اسرائيل في الخارج حول جدوى الدعم والعطاء والبذل .
ب ــ ان اقتصادا تتراكم فيه الديون الخارجية سنة بعد سنة ، ويستمر العجز في ميزان مدفوعاته ، وينهار الاحتياطي المتجمع فيه الى حد خطير ، ان اقتصادا يعيش حالة تأهب وحرب دائمة يعاني صعوبات بالغة ليس اقلها تصريف منتوجاته ، وهو محاط باستمرار بالعداء ، ان اقتصادا من هذا النوع ، مهما كانت قدراته ومهما كانت طبيعة المنابع التي تمده بأسباب الحياة ، لا يمكن أن يستمر طويلا دون أزمة مصيرية ، خاصة اذا استنزفت امكانياته بشكل جدي ، واضطر الى خوض حرب حقيقية ولفترة طويلة من الزمن تزيد عن ثلاثة او اربعة شهور(١٥)، يتضح خلالها أن الاكلاف تفوق حدود تحمله وقدراته .
ج ــ تبقى قضية التمويل ، والعبء الذي تسببه على السياسة الاقتصادية الاسرائيلية ، من أكبر الاعباء الاقتصادية وخاصة اذا تحققت الشروط التي اشرنا لها في البندين السالفين .
المؤشر الثالث : وهو موضوع نمو حجم السكان . هذا المؤشر له أهمية خاصة في اي بحث يتناول امكانيات اسرائيل وعوامل قوتها ، وذلك للاعتبارات التالية :
أ. ان التزايد السكاني لا يشكل عبئا على المجتمع الاسرائيلي ، بل انه يعتبر ، في حقيقة الامر، واحدا من اهم ركائزه واصلبها. فالعنصر البشري هو وراء القوة الانتاجية الهائلة في القطاع الاقتصادي ، وهو دعامة المؤسسة العسكرية وقدراتها البارزة ، وهو محرك المجتمع وانجازاته الفنية والسياسية والاعلامية .

ب. ان التراكم البشري يكون عبئا في مجتمع متخلف حضاريا وتقنيا ، امـــا في مجتمع متطور ، حيث تتم التعبئة على اسس علمية وتوزيع قطاعي قائم على الخبرة والحسابات الدقيقة ، فان التزايد السكاني يعتبر الاحتياطي المصيري لوجـــود المجتمع واستمرار بقائه .

ج. ظروف نشأة اسرائيل الخاصة ، واوضاع الحركة الصهيونية فيما يتعلق بالهجرة الى اسرائيل مكنت المجتمع الاسرائيلي من أمـــر متميز قلما تتمتع به المجتمعات الاخرى في قضية حجم النمو السكاني ونوعيته ، هذا الامر المتميز هو : خيار المجتمع الاسرائيلي في انتقاء نوعية سكانه من ناحية الاعمار (سن العمـــل والجندية) والكفاءات (اصحاب الخبرة والمهارات والاختصاص) .

د، نظرا للاعتبارات المذكورة ذاتها فان القطاع السكاني يعتبـــر مقتلا خطرا في جسم المجتمع الاسرائيلي اذا تعرض لاستنزاف حقيقي واذا سدت في وجه نموه وبشكل محكم أبواب الهجرة . من هنا حرص اسرائيل على تجنب الخسائر في الارواح ومن هنا الاثر الكبير الذي تتركه أخبار الوفيات في المجتمع الاسرائيلي .

لنمو حجم السكان في اسرائيل مصدران : الهجرة الصافية والتزايد الطبيعي . فاذا نظرنا الى تطور الهجرة الصافية الى اسرائيل (القادمون ناقصا الراحلون) لوجدنا الصورة التالية من العام ١٩٦٢ الى آخر ١٩٦٩ . (انظر جدول رقم ٢) . أما جملة الهجرة الصافية بين ١٩٤٨ — ١٩٦٩ فقد بلغت ١١٣٧،٣ الف نسمة . وجملة التزايد الطبيعي للسكان للفترة ذاتها بلغت ٧٠٨،١ الف نسمة . ويكون متوسط التزايد الطبيعي السنوي حوالي ١،٨ بالمائة ، بينما يشكل صافي الهجرة ٦١،٦ بالمائة من مجمل زيادة السكان . ووصل عدد سكان اسرائيل في آخر العام ١٩٦٩ الى حوالي ٢،٩٧٩،٠٠٠ ، منهم حوالي ٢،٤٩٦،٠٠٠ يهودي وكانت زيادة جملة عـــدد السكان حوالي ٢،٥ بالمائة(١٦). ومـــن الواضح ، بعد متابعة نمو حجم السكان طيلـــة السنين ، ان اسرائيل لا تعاني ازمة سكانية ، ولن تتعرض لهذه الازمة ، اذا استمرت الاوضاع على ما هي عليه الآن .

جدول رقم ٢ — الهجرة الصافية الى اسرائيل

السنة	صافي الهجرة	ملاحظات
١٩٦٢	٥٥ ٠٠٠	
١٩٦٣	٥٣ ٠٠٠	
١٩٦٤	٤٨ ٠٠٠	
١٩٦٥	٢٢ ٩٠٠	
١٩٦٦	٨ ٣٠٠	
١٩٦٧	٤ ٣٠٠	هذا أدنى حد وصلت اليه الهجرة
١٩٦٨	١٣ ٤٠٠	
١٩٦٩	٢٥ ٠٠٠	

المصدر : المجموعة الاحصائية الاسرائيلية ١٩٦٩ .

استنتاجات : ١ — ان الاقتصاد الاسرائيلي ما زال يتمتع بقدرة كافية على النمو . كما ان المجتمع الاسرائيلي ما زال قادرا على تحمل اعباء الصراع المرتفعة جدا ، وذلك من خلال ما تتيحه له موارده الداخلية والمعونات الخارجية معا(١٧).

٢ — رغم هذه القدرات ، فان حجم الاعباء وتراكمها من ناحية ، وطبيعة رؤية تطورات الاوضاع السياسية والعسكرية القادمة من ناحية أخرى ، هذه العوامل مجتمعة تمكننا من التأكيد على ان المجتمع الاسرائيلي ما زال بعيدا وسيبقى لفترة طويلة قادمة بعيدا عن

بلوغ هدفه الرئيسي وهـو الاستقلال الاقتصادي بتخفيف درجة الاعتماد علـى العون الخارجي .

٣ ــ غير أن ذلك كله لا يغير شيئا من الحقيقة الرئيسيـة القائلة : ان تصاعد حرب الاستنزاف (عدم القبول بتمديد وقف اطلاق النار ، وفشل الحلول السلمية) وتصاعد تأثير المقاومة الفعلي على المنشآت الانتاجية الاسرائيليـة وعلى الحالة النفسيـة في اسرائيل ، وكذلك بروز تطورات ايجابية في حجم القوة العربية في الصراع، كل ذلك جدير بأن يقلب كثيرا من المرتكزات التي لم تهتز حتى الآن في بنية المجتمع الاسرائيلي ، وبالتالي فان هذه العوامل جديرة بأن تدفع الوضع الاسرائيلي الى مأزق خطير ، ربما تتغير فيه كثير من الثوابت الحالية . ليس بالقدرة التكنولوجية وحدها ولا بالدعائم المصطنعة يمكن أن تحيا الدول والى الابد ، حتى في عصرنا الحالي .

---

١ ــ التنمية الاقتصادية في اسرائيل ، مكتب رئيس الوزراء ، سلطة التخطيط الاقتصادي ، القدس ، آذار ١٩٦٨ ، صفحة ١٠ . وتجدر الملاحظة هنا ، ان معدل النمو السنوي في الناتج القومي للبلدان الصناعية يميل الى الهبوط ، وذلك لاعتبارات اقتصادية لسنا بصددهـا الان . هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فان المرجع الاسرائيلي المشار اليه لم يذكر في مقارنته معدلات نمو مرتفعة في بلدان أخرى في اليابان مثلا ، حيث يبلغ معدل النمو السنوي ٩٪ . وفي بعض البلدان العربية مثل الاردن قبل ١٩٦٧ ، حيث بلغ معدل النمو حوالي ٩٪ ايضا . العراق لغاية ١٩٥٨ بين ١٠ ــ ١٢ بالمائة . كما أنه من غير الجائز النظر الى معدل النمو السنوي في الناتج القومي دون اخذ الموارد المتاحة بعين الاعتبار .

٢ ــ تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٨ .

٣ ــ Quarterly Economic Review, The Economic Intelligence Unit, Israel, No. 4 1969, No. 1 and No. 4, 1970, London.

٤ ــ انظر تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٨ ، ص ٢٧ .

٥ ــ الايكونوميست ، اسرائيل ، عدد ٢ ، ١٩٧٠ .

٦ ــ تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٩ ، ص ٢٧ .

٧ ــ Quarterly Economic Review, Israel, No. 4, 1970, p. 5.

٨ ــ تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٨ ، المقدمة ، ص ٣ .

٩ ــ المرجع نفسه ، ص ٢٤٣ .

١٠ ــ Quarterly Economic Review, Israel, No. 4, 1970, p. 1.

١١ ــ المرجع نفسه ، ص ١٠ .

١٢ ــ المرجع السابق ، ص ٣ .

١٣ ــ انظر : مقال بعنوان « الامن ــ ليس بكل ثمن » ، بقلم أهرون جيبع ، « لمرحاب » الناطقة باسم جماعة يجال آلون ، ١٩٧٠/١/٩ .

١٤ ــ مكتب الاحصاء المركزي ، الدليل الاحصائي لاسرائيل ١٩٦٩ .

١٥ ــ حيث يضطر المجتمع الاسرائيلي الى تجنيد اكثر من ٣٠٠ر٠٠٠ انسان أي ما يزيد عن ٣٠ بالمائة من قوة العمل لفترة تزيد عن ٣٠ بالمائة من السنة ، مما يؤثر بالفعل على كافة ركائز القطاع الاقتصادي ، ويعرض (وخاصة اذا طالت فترة التعبئة اكثر من ذلك) أركان المجتمع الاسرائيلي لخطر حقيقي .

١٦ ــ مجلة اسرائيل ايكونوميست ، عدد ٧ ، تموز (يوليو) ١٩٧٠ ، صفحة ١٥٦ .

١٧ ــ تجدر الاشارة الى ان التخطيط الاقتصادي الاسرائيلي ما زال قادرا على اللجوء الى بعض الاجراءات التي تعينه على تحمل اعبائه مثل : تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية (كثير من الاقتصاديين يتوقع ذلك خلال العام الحالي) ، الاكتفاء بنمو اقتصـادي متواضع (في حدود ٦ ٪ سنويا) ، ضغط حجـم الاستهلاك الشخصي الخ ...

حركة التحرير الفلسطيني :
مداها وابعادها

الدكتور طارق اسماعيل

ليست الثورة الفلسطينية ظاهرة حديثة العهد ، كما هو الاعتقاد الشائع احيانا . فلقد كانت هذه الثورة تتقدم منذ اصدار وعـــد بلفور على الاقل . وعلى الرغم من ان حرب حزيران ١٩٦٧ وضعتها في مضمار ومنظور جديدين ، الا انها لم تطلقها . لكن الظاهرة الجديدة منذ حرب حزيران هي ظهور استراتيجية فلسطينية ثورية. واعني بالاستراتيجية الثورية ببساطة خطة عامة لاستخدام الموارد والطاقة استخداما هادفا متناسقا مرسوما بقصد انجاز تغيير أساسي في نظام سياسي و/أو نظام اجتماعي (التغيير في الحالة التي نحن بصددها هو بالطبع استبدال النظامين السياسي والاجتماعي الراهنين لاسرائيل) . « وتنبثق استراتيجية الثورة » طبقا لشالمرز جونسون « من حساب عقلاني للقوى التي عباتها نخبة الوضع الراهن ضد امكان الثورة ، وتطور هذه الاستراتيجية وجهات عمل لجعل هذا الاستعداد العسكري عقيما »(١). ويمكننا فيما يتعلق بالحالة الفلسطينية أن نفسر مصطلحات جونسون كما يلي : « نخبـــة الوضع الراهن » تشـــير الى القيادة الصهيونية الحالية لاسرائيل والبنية الحكومية التي تبقي اسرائيل دولة صهيونية ويهودية بشكل غالب . و« الاستعداد العسكري » يشير الى تلك القوات العسكرية وقوات الامن التي يمكن استثمارها في التصـــدي لمخططات الفلسطينيين الثوريـــة ، والتي تستخدم لمصلحة سياسات قيادة اسرائيـــل السياسية . ويجب ان نلاحظ هنـــا ان الاستعداد العسكري فيما يتعلق بالتصدي للقوى الثورية دالة متغيرة طبقـــا للواجبات الملقاة على عاتق العسكريين لاغراض أخرى .

ما هي علاقة الحركة الفلسطينية بالنظام السياسي الاسرائيلي ؟ يمكن اعتبار الحركة الفلسطينية خارج هذا النظام ، واسرائيل تعتبرها كذلك . فقوات التحرير الفلسطينية موجودة أساسا خارج حدود اسرائيل المادية ومراكزها التنظيمية خارج اسرائيل ، ولا يسمح للفلسطينيين بالقيام بأي دور مشروع في النظـــام السياسي الاسرائيلي ، كـــي لا يندمجوا به . بيد أننا يجب أن نلاحظ ان الفلسطينيين متوجهون الى النظـــام السياسي الاسرائيلي ، على الرغم من أنهم لا يعتبرونه مشروعا ، ونشاطاتهم تتوجه الى التأثير على هذا النظام . وبذلك يمكن اعتبارهم جزءا منه ، بالقدر الذي يمكن فيه اعتبار اية حركة تحرير ، يقتصر وجودها على مساحة صغيرة من أراضي البلد المعني او تعمل من المنفى ، جزءا من النظام السياسي لذلك البلد . فانعزال قوات كاسترو سنوات عدة في مساحة صغيرة من اقليم « اورينتي » لم يقلل بشيء من كونها حركة تحرير كوبية .
افتقرت الثورة الفلسطينية قبل حرب حزيران الى التنظيم ووسائل الاتصال والقيادة .

وكان العمل الثوري احيانا متهورا منعزلا بشكل نسبي وبالتالي سهل القمع . بكلمات اخرى ، كانت الموارد والطاقة التي استخدمت بشكل متقطع غير فعالة كثيرا . بيد أن ظهور استراتيجية فلسطينية يقوم الآن بتغيير طبيعة النزاع . وتتطور بنية تحتية من التنظيم والقيادة والاتصال ، وعلى الرغم من أن هذه البنية لا تزال مفتتة ، الا أن بامكانها تجميع الطاقة والموارد وتسييرها الى أعمال محسوبة مرسومة . هكذا يصبح الفلسطينيون اول مرة منذ العام ١٩٤٨ أطرافا فعالة في الصراع العربي — الاسرائيلي ويشكلون تهديدا خطيرا لاسرائيل .

ما هي طبيعة الاستراتيجية الفلسطينية النامية ؟ على الرغم من أن صورة هذه الاستراتيجية لا تزال غائمة ، الا اننا نستطيع ان نكشف عن بعض ملامحها بتفحص بعض عوامل تطورها .

التعبئة : ربما كان الوجه الاساسي للاستراتيجية الثورية الفلسطينية هو التعبئة السريعة للفلسطينيين منذ العام ١٩٦٧ . غير أن ذلك ليس عفويا ، بل هو نتيجة الوضع الفلسطيني قبل الحرب . فلماذا ، اذا ، لم يعبأ الفلسطينيون في العام ١٩٥٦ او العام ١٩٦٦ ؟

تعتمد التعبئة الى حد كبير على وجود أوضاع تسمح للفرد أن يفسر الواقع بطرق جديدة ويقوم بأشكال جديدة من النشاط الاجتماعي . ويمكن اعتبار هذه القدرة التحرير النفسي (السيكولوجي) للفرد ، وهي عملية مرتبطة بتطور الاعتناق بالمعنى الذي يستخدم به دانيال ليرنر هذا المصطلح(٢) . وهذه العملية شبيهة الى هذا الحد بعملية التحديث . لكن التعبئة تتطلب أيضا أن يسعى الناس بنشاط الى تغيير العالم ليتفق مع رؤاهم الجديدة للحقيقة ولما هو مرغوب . وقد زودنا بحاثة مختلفون في العلوم الاجتماعية بمفاتيح تعين على فهم العملية التي يصبح الناس عبرها محررين ومن ثم نشطين .

يرى كارل دويتش(٣) ان مفتاح التعبئة هو في تفتت المعايير والعلاقات القديمة . ويقدم ايفريت هاجن تفسيرا محتملا لهذا التحلل ، عندما يلاحظ ان المرء يصبح مستلبا من المعايير الاجتماعية اذا انحسر الاحترام الذي يشعر أنه أهل له(٤) . ويقترح جابرييل الموند وسيدني فيربا وجود شعور بالجدارة الشخصية والمشاركة السياسية في أي علاقة ايجابية ، مما يعني ضمنا أن الاستلاب لا يؤدي الى العمل دون وجود بعض الشعور بالجدارة(٥) . وقد اعطانا دافيد ماكليلاند مفتاحا يعين على فهم الصلة التي يشعر أنها تتحدد بعملية تأهيل الطفل للمجتمع(٦) . فاذا وضعنا ما سبق بعضه الى بعض ، يمكننا أن نوجز نظرية على النحو التالي : عندما ينحسر احترام منزلة ناس معينين فانهم يستلبون من المعايير الاجتماعية . ويصبح ذلك اكثر سهولة اذا تغيرت نماذج تأهيل الطفل للمجتمع . واذا حاز الناس المعنيون عبر التأهيل للمجتمع على شعور بالجدارة ، فلربما يعملون على معالجة وضعهم دون أن تقيدهم المعايير الاجتماعية عدا تلك التي انموها بين أنفسهم . بذلك يعمل هؤلاء الناس على تحديث انفسهم ، ويمكن أن يصبحوا قوة تحديث رئيسية في المجتمع الذي يرتبطون به ، اذا منحوا التوجيه والفرص من جانب القيادة او اذا قبلوا ايديولوجية ما .

تزودنا هذه النظرية بتفسير جزئي ، على الاقل ، للتعبئة الفلسطينية . أولا ، لقد عانى الفلسطينيون ، الذين قطنوا فلسطين قبل العام ١٩٤٨ والذين اصبحوا فيما بعد لاجئين ، من فقدان المنزلة التي كانوا معتادين عليها سالفا(٧) . وقد أحدثت الجهود المبذولة لتقديم التربية والتدريب في المخيمات آثارا عميقة على تجارب تأهيل الطفل للمجتمع(٨) . وكان فقدان احترام المنزلة ذاته جزءا كبيرا من محتوى التأهيل للمجتمع . وتضمنت تربية كثير من الفلسطينيين الشباب الدراسة في الولايات المتحدة او اوروبا حيث تعرضوا للافكار الديمقراطية الليبرالية — كالمشاركة الشعبية وتقرير المصير — وللافكار الثورية كافكار ماركس ولينين وماوتسي تونج وهوشي منه وجيفارا وكاسترو الخ. وشهد هؤلاء كذلك

نجاح الحركات الثورية على الاخص في حالة الجزائر التي عبأت الشعب للكفاح المسلح . وتعكس كتابات هؤلاء الفلسطينيين الاختلاف العظيم بين الافكار والمعايير التي تبنوها ونشروها بين اخوتهم وبين تلك التي تبناها الجيل الاقدم ، كما أن هذه كانت على تعارض مباشر مع افكار ومعايير الطبقات العليا التقليدية . وقد كان الجيل الثاني من اللاجئين الذي تربى على الاستلاب والاحباط مستعدا لتقبل هذه الافكار . هكذا كان الفلسطينيون الشباب على استعداد لان يعبأوا . فلماذا لم يعبأوا في الحقيقة الا بعد حرب ١٩٦٧ ؟ نشرت لا فعالية العمل الثوري قبل حرب حزيران شعورا باللاجدوى بين الفلسطينيين. وقد تكونت هذه اللاجدوى مما أسمته ايفريت هاجن بـ « التراجعية » أي انسحاب جماعة من الناس من المشاركة الفعالة في المجتمع بسبب فقدانهم لاحترام منزلتهم(٩). فقد فقد الفلسطينيون ، عبر فقدانهم لوطنهم وحصرهم في مخيمات لاجئين موحشة ، الاحترام الذي كانوا يشعرون أنهم أهل له كبشر . فكانت ردة فعلهم التقوقع على أنفسهم ورفض المخاطر الكامنة في العمل على علاج وضعهم . وفي خضم هزيمة ١٩٦٧ ، ازداد وعي الفلسطينيين لضرورة اعتمادهم على أنفسهم بالدرجة الاولى لتحريرهم. (يمكن القول أن النكبة العربية اعادت للفلسطينيين احترامهم لانفسهم ، ذلك أنها اوضحت أن العرب الاخرين لم يكونوا اكثر قدرة على حماية اوطانهم مما كان الفلسطينيون عام ١٩٤٨) . وبدلا من أن تؤدي الحرب الى التحرير ، ادت الى احتلال اسرائيل لما تبقى من فلسطين ولمرتفعات الجولان السورية وسيناء المصرية ، كما ادت الى خلق مليون لاجيء اضافي ، بعضهم للمرة الثانية خلال عقدين من الزمن . ومن هنا اصبح الاعتماد على النفس المبدأ الذي قبله الفلسطينيون والذي اصبح يوجه سلوكهم .

كذلك ادى اتساع حدود اسرائيل بعد الحرب الى خلق فرص لعمليات اكثر نجاحا ضد اسرائيل . وكان لحادث الكرامة في ٢١ اذار (مارس) ١٩٦٨ حين وقف الفدائيون في وجه قوة اسرائيلية متفوقة أهمية قصوى ، يقول هشام شرابي « كانت الكرامة مسؤولة عن استعادة العرب لاحترام الذات وبينت للفلسطينيين انهم يستطيعون مواجهة الاسرائيليين عسكريا ، وليس ذلك فحسب ، بل أوضحت لهم أيضا انهم بالكفاح المسلح وحده يمكن ان يأملوا في دحر الصهيونية . فتقدم الفدائيون الفلسطينيون ليضعوا أساس استراتيجية نضال شعبي مبني على الحرب الطويلة الامد »(١٠). هكذا وضعت هذه العملية وغيرها من العمليات الناجحة الاساس لاستراتيجية ، وذلك باستعادة الشعور بالجدارة ومنح القيادة لنخبة ثورية اثبتت جدارتها وتزويد هذه النخبة بالموارد والقوة وايضاح نجاعة استراتيجية حرب العصابات .

البيئة السياسية : البيئة السياسية التي تجري صياغة استراتيجية لحركة فلسطينية ثورية ضمنها مكونة من ثلاثة أطراف رئيسية هي: الدول العربية واسرائيل والفلسطينيون. ويمكن النظر الى علاقة هذه الاطراف على أنها دائرية يدور فيها الزاد والناتج باتجاه دوران عقارب الساعة وبعكسها . وعلى الرغم من أن هذا تبسيط مبالغ فيه ، الا أنه يبين أن تداخل أي طرفين يؤثر على الثالث . هكذا ، قد لا تؤدي اعمال الفدائيين الفلسطينيين ضد اسرائيل الى انتقام اسرائيل من العرب في الاراضي المحتلة فحسب ، بل أيضا الى غارات ضد الدول المجاورة ، وهذا ما قد يؤدي بالحكومات العربية الى الضغط على الفدائيين للحد من نشاطهم ، مما يؤدي بدوره الى قيام الفدائيين بعمل ضد الحكومات العربية ، وهكذا دواليك . من هنا ، فان الاختيارات السياسية المتاحة لكل طرف بالعلاقة مع الاطراف الاخرى تؤثر مباشرة على تطور الاستراتيجية الفلسطينية . لقد قصرت اسرائيل ، برفضها الاعتراف بالحركة الثورية الفلسطينية كشخصية مستقلة، مدى استجاباتها الممكنة للثورة الفلسطينية على الانتقام من السكان في الاراضي المحتلة و/أو من الدول العربية . فكان هذا حتى الان من صالح الفلسطينيين لانه عجل تعبئتهم وقوى من الدعم الذي يتلقونه من الجماهير العربية . كما يعتقد المخططون

الفلسطينيون أن المقاومة والتعبئة الثورية العربية ستزدادان كلما وسعت اسرائيل مجال ومساحة انتقامها. ويعتقدون ايضا ان التوسع الاقليمي في صالح الثورة لانه سيزيد الضغط على قوة اسرائيل البشرية واقتصادها ويحط من معنويات شعبها ويفلس مؤسساتها السياسية .

تواجه الحكومات العربية عددا من الضغوط يحد من اختياراتها . اولا : ان وجود حركة فلسطينية مستقلة في الاقطار العربية يهدد الاستقرار بالخطر ، كما دلت الاحداث الاخيرة في لبنان والاردن. ثانيا: تشجع القوة العسكرية التي تستطيع اسرائيل استخدامها ضد الدول العربية وضغوط القوى الخارجية وخاصة الولايات المتحدة على التعايش الضمني مع اسرائيل. اخيرا: لا تشجع المشاكل الداخلية لكل بلد ومصاعب تنمية واعالة مؤسسات دفاعية ضخمة على التورط الطويل الامد . من ناحية اخرى ، تدعم الجماهير العربية الحركة الفلسطينية بقوة ولا تحبذ اي مساومة مع اسرائيل قد تكون ضارة بالفلسطينيين. ولذا فقد اتبع الكثير من الدول العربية سياسات متذبذبة ، فهو متصلب في بياناته للجمهور العربي ومعتدل في تصريحاته للغرب . وقد حاولت الدول استخدام دعمها للفلسطينيين كوسيلة للسيطرة عليهم ، ولكنها لا تستطيع أن تتخلى عن الحركة الثورية الفلسطينية ولا أن تعقد مساومة مع اسرائيل ولا أن تقف في وجه هجمات اسرائيل العسكرية .

قد يكون موقف الحكومات العربية الضعيف هذا اصعب مشكلة تواجه الاستراتيجية الفلسطينية ، فاذا ما قبل السلام او فرض من اكثر من طرف فقد تفقد الثورة قاعدتها ومناطق اعدادها ومصادر دعم رئيسية لها . وسيجبر الفلسطينيون بلا شك على نزع سلاحهم . وفي حالة كهذه قد يكون لارتباط الحركة الفلسطينية المتزايد بالحركة القومية والميل الى ايديولوجية اجتماعية اهمية استراتيجية . فقد تقوض خطة سلام مفروضة او غير شعبية شرعية معظم الحكومات العربية ، وعندئذ يمكن ، اذا كانت الحركة الفلسطينية جزءا من ثورة اجتماعية عربية ، ان تعمم الاهداف لتشمل ليس اسرائيل فقط بل حرب تحرير شعبية داخل المجتمع العربي كله . يقول قائد احدى فصائل الثورة الفلسطينية « ان القبول بالتسوية وايقاف الكفاح المسلح سيؤدي الى الحرب الاهلية»(١١). ليست هذه مجرد امكانية نظرية . فاختلال التوازن في المجتمع العربي المعاصر بفعل تأثير التحديث يخلق وسطا مفضيا الى التغير الاجتماعي الراديكالي . وبالفعل ، تعتقد بعض عناصر الثورة الفلسطينية ان تعبئة الجماهير العربية يجب ان تكون الاولوية الاولى . فاذا فرض السلام ، فان هذا قد يتحول من التزام ايديولوجي الى استراتيجية رئيسية .

ربما يكون الموقف الفلسطيني اكثر المواقف الثلاثة تصلبا . فليس لدى الفلسطينيين ما يخسرون ، والبديل الوحيد للكفاح المسلح بالنسبة لهم هو القبول السلبي بحالة لاجئين . وفي أحسن الاحوال ، وفي ظل سلام مفروض قد يصبحون مواطنين من الدرجة الثانية في فلسطين يعاد انشاؤها تحت الوصاية الاسرائيلية . وليس ذلك بكاف ، فالفلسطينيون مكرسون لهدف عودتهم الى وطنهم مواطنين كاملين في دولة مستقلة ذات سيادة . لذا سيبقى الصراع المسلح المخطط العام لاية استراتيجية فلسطينية ، حتى تعترف اسرائيل والمجتمع الدولي ان الفلسطينيين وجود مستقل له حق تقرير المصير .

التاثيرات الايديولوجية : الاستراتيجية الثورية الفلسطينية آخذة في التطور تحت تأثير الايديولوجيات الثورية الداخلية والخارجية معا . فأفكار الصراع الطبقي وطبيعة الامبريالية وتاكتيكات حرب الغوار المأخوذة عن التقاليد الماركسية اللينينية والنماذج الماوتسية والتجارب العربية والفلسطينية والامثلة الصهيونية تستخدم الان في دعم وتطوير الاستراتيجية . وبذلك يتزود الفلسطينيون بالاتجاه الذي رأينا أنهم بحاجة اليه من اجل التعبئة الناجحة .

بشجع هذا الاستخدام للمصطلحات وانماط التفكير الثورية على اعتبار النضال الفلسطيني والنضالات الثورية الاخرى كلا واحدا . وتبدو الانماط المستخدمة على علاقة بالواقع تكفيها لتكون فعالة . فكيف يؤثر هذا على الاستراتيجية ؟ يمكننا أن نلاحظ بشكل عام أن الفلسطينيين في حركة التحرير على اقتناع بضرورة العمل وفعالية الكفاح المسلح. وهم يؤمنون ايمانا صلبا بقدرتهم على تعديل محيطهم بالعمل عليه بما يتناسب مع كل من عناصره . وتتضمن هذه العناصر اسرائيل والحركة الصهيونية والامبريالية والعناصر الرجعية العربية والفلسطينية (وتعمل ضد حركة التحرير) ، والمتحد الفلسطيني المعبأ والدول التقدمية والعناصر التقدمية العربية والتضاريس (وتعمل مع الحركة)(١٢).

يرى الفلسطينيون ارتباطا بين اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية (بقيادة الولايات المتحدة) والرجعيين داخل العالم العربي ، وذلك على الطريقة اللينينية معدلة بخصوصيات الوضع الفلسطيني(١٣). ومن الجهة الاخرى، يرى الفلسطينيون أن النضال التحرري الفلسطيني يعتمد على الثورة الاجتماعية في فلسطين مرتبطة بالثورة الشعبية في الاقطار العربية .

ويمكن التغلب على العناصر غير الصديقة بطرق متعددة . فالاعتقاد السائد هو أن العمل المسلح يستطيع اضعاف اسرائيل ، فاسرائيل ضعيفة الطاقة البشرية العسكرية وان تكن غير ضعيفة تقنيا . ويعتمد دعم الصهيونية لاسرائيل جزئيا على أمنها كما أن سلامتها المالية تعتمد على الاستقرار . ويمكن بالعمل المسلح الحد من الهجرة الى اسرائيل ومفاقمة الانقسامات الاجتماعية في المجتمع الاسرائيلي . اي أن اسرائيل بكلمات أخرى ليست عصية على الرغم من انها ليست ضعيفة . وقد تكون الصهيونية أصعب على الهجوم ، ولكن يمكن التأثير سلبا في قدرتها على دعم اسرائيل بدعم المشاعر المعادية للصهيونية .

ولا ينظر الى التحالف بين الصهيونية والامبريالية على انه علاقة تبعية،بل ادراك للمصلحة المتبادلة ، ولذا فان الامبريالية يجب أن تهاجم على حدة . ويمكن استخدام الدعاية في اوروبا واميركا لاضعاف موقف الامبرياليين وتحالفهم مع الصهيونية باثارة السخط الشعبي وتشجيع تفهم أفضل للعالم العربي(١٤).

اما النضال ضد القوى الرجعية العربية والفلسطينية فأمر مقبول على وجه العموم كجزء من البرنامج الفلسطيني . وتصنف طبقة ملاك الاراضي القديمة و« البورجوازية العليا » رجعية ،غير أن هناك خلافا في الرأي حول طبيعة الانظمة « البورجوازية الصغيرة » في سوريا والعراق والجمهورية العربية المتحدة . وهناك الى ذلك بعض الخلاف حول الاولوية التي يجب ان تعطى لهذا النضال ، وما اذا كانت اهميته تساوي اهمية الكفاح المسلح ضد اسرائيل .

اما فيما يتعلق بدعم وتنمية العناصر المؤيدة ، فالشعور السائد هو أن دعم الدول العربية التقدمية والانظمة التقدمية الاخرى والرأي العام في الدول الصديقة والرأي العام في الدول الامبريالية يمكن التأثير عليه لمصلحة قوى التحرير الفلسطينية عبر نشر المعلومات والاشتراك الفعال في المؤتمرات وعبر القنوات الدبلوماسية الاخرى(١٥).

يقوم تطور الحركة الفلسطينية على المشاركة المتزايدة ، بما فيها مشاركة النساء والطلبة(١٦). والتدريب المتزايد للمقاتلين ، جنبا الى جنب مع الجهود المبذولة لتوحيد الحركة وتحسين حنكتها الايديولوجية(١٧). وبتوجيه الجهد الرئيسي نحو اتمام تعبئة الفلسطينيين وتوجيه جهودهم بطريقة منظمة ضد اعدائهم .

خاتمة :

تتطور الاستراتيجية الثورية الفلسطينية على أبعاد ثلاثة:ملاكها والتجنيد وقواعد الدعم، وعلاقاتها مع الحكومات في المنطقة والحكومات البعيدة ، وتصور قادتها لدورهم ، وهذا الاخير يتشكل الى حد كبير بالتزامهم الايديولوجي النامي . لقد حاولنا ان نلقي بعض

الضوء على تطور الاستراتيجية تحت تأثير عواملها الفاعلة المختلفة . ويمكن ذكر النقاط التالية على سبيل التخمين : لقد كان الفلسطينيون العمود الفقري لحركة التحرير وسيظلون مصدرها الاساسي للطاقة البشرية . والغالبية العظمى من هؤلاء الناس ذات اصول طبقية عمالية . وتقدر مصادر الفدائيين ان ٨٥٪ من القوى المقاتلة في كل حركات التحرير هم من العمال والفلاحين(١٨). بيد أن هذه الحركة لا تزال في الاطوار الاولى لجهودها من أجل تعبئة الجماهير الفلسطينية وما زالت موارد واسعة غير مستخدمة . وعلى الرغم من أن المرء يمكن أن يستنتج دون مجانبة الصواب ان العنصر اللاجيء يؤلف أساس ملاك حركات التحرير الفلسطينية ، الا ان دعم هذه الحركات اكثر تنوعا ويشمل العالم العربي على امتداده .

كانت حركات التحرير الفلسطينية في بدايتها تنظر الى علاقتها بالانظمة العربية بطرق مختلفة تتراوح بين رفض التمييز بين هذه الانظمة والتصنيف الجامد لها . لكن التجربة التي اكتسبتها هذه الحركات خلال السنوات الثلاث الاخيرة عملت على التقريب بينها ، وقد فعل عامل اخر بالاضافة الى الوحدة العملية التي فرضتها الظروف التي نشأت في الاردن ولبنان. ذلك ان هذه الحركات باكتسابها دعما واعتبارا وتوسيعها لبناها التنظيمية، تصبح أكثر استقلالا وقدرة على الاختيار في علاقاتها مع الدوائر العربية الرسمية . والاتفاقية التي توصلت اليها احدى عشرة منظمة فدائية واعلنت في ٦ أيار ١٩٧٠ تعبير واضح عن هذه الوجهة .

هناك قوة اخرى تدفع الى توحيد الحركة . اذ ستبرز بنمو الحركة مسالة الاعتراف الرسمي من الدول الاجنبية ، ويتوجب ان تكون هناك بنية تنظيمية موحدة لكي يمكن الحصول على هذا الدعم الحيوي . وقد تحدث انقسامات بفعل التنافس على حق الاعتراف ، لكن الاحتمال الاوفر حظا هو أن يؤدي ذلك الى تكوين حكومة فلسطينية مؤتلفة كاملة في المنفى .

كانت ثورة الفلسطينيين في الاصل رفضا لوجودهم كلاجئين ، وكانت نقاط الاتفاق الوحيدة أساسا هي : رفض الفلسطينيين لاوضاعهم والنظر الى اسرائيل على انها دولة عرقية حرمتهم حقهم في تقرير المصير وفي استمرار وجودهم في وطنهم . بيد أن دراية ايديولوجية أكبر قد اكتسبت . وجعلت التجربة العملية وكذلك الحاجة الى الاعتماد على التجارب الثورية الاخرى الجماعات المختلفة اكثر وعيا للمصادر التي يمكن الاعتماد عليها من أجل الدعم . وتتجه الحركة الان نحو اليسار . وكثير من الجماعات ذو توجه ماركسي على نحو ما .

لقد رأينا أن نكبة العام ١٩٤٨ خلقت كتلة من اللاجئين مصابة بضعف معايير السلوك وضعف الايمان وغير راغبة في العمل لتحسين وضعها . لكن السنوات المتوسطة خلقت من هذا الحشد البائس شعبا موحدا سريع التحديث ، لتأتي حرب حزيران ١٩٦٧ فتخلص الفلسطينيين من اعتمادهم على الانظمة العربية وترفع من منزلة قادتهم ، فأصبحوا اذ ذاك شعبا معبأ . ليس الفلسطينيون جميعا عصريين ونشيطين ولكن الكثيرين منهم كذلك لدرجة لا تجعل من القول انهم شعب معبأ مبالغة . لقد انشأ الفلسطينيون عددا من الجماعات الثورية التي يتحسن تنظيمها وتجهيزها وتصبح اكثر حنكة ايديولوجيا يوما فيوما . وقد أوجزنا فيما سلف العناصر التي يتوجب على الفلسطينيين ان يصنعوها ليخلقوا استراتيجية ثورية ناجحة ، ويبدو أنهم يعملون باتجاه خلق استراتيجية كهذه . فاذا استمرت الحركة في التطور على خطوطها الراهنة ، فان الوضع في الشرق الاوسط ومصير اسرائيل سيتغيران جذريا في وجه قوة هذه الحركة المتنامية .

الحواشي :

١ — Chalmers Johnson, *Revolutionary Change,* (Boston, Toronto, C. 1966), p. 154.

٢ — Daniel Lerner, "The Passing of Traditional Society" (Glencoe, Ill. : The Free Press of Glencoe, 1958), Passim.

٣ — Karl W. Deutsh, "Social Mobilization and Political Development", *American Political Science Review,* LV. 3 (Sept. 1961), pp. 493-541.

٤ — Everett Hagen, *On the Theory of Social Change,* (Homewood, Illinois: Dorsey Press, 1962).

٥ — Gabriel Almond and Sidney Verba, *The Civic Culture,* (Boston: Little, Brown, 1965).

٦ — Gabriel Almond and Sidney Verba, *The Achieving Society,* (Princeton: D. Van Nostrand, 1961).

٧ — *Israel or Palestine,* Vorwaerts, November 20, 1969.

٨ — Hudson, *op. cit.,* p. 296-297, and Erskine B. Childers, "Palestine: The Broken Triangle". In Jack H. Thompson and Robert D. Reischaner, eds. *Modernization of the Arab World.* (Princeton: D. Van Nostrand, 1966), p. 154-155.

٩ — Everett E. Hagen, *op. cit.*

١٠ — Hisham Sharabi, *Palestine Guerrillas: Their Credibility and Effectiveness,* (Prepared for the Center for Strategic and International Studies, Washington, D. C. : Georgetown University, 1970) p. 17.

١١ — Quoted in Hisham Sharabi, *op. cit.,* p. 56.

١٢ — أورد البعض عددا أكبر أو أصغر ، انظر :
Ayad Al-Qazzaz, "Book Review : Israeli Militarism, by Mahmud Shit Khattab," *The Middle East Journal,* Vol. 23, No. 3 (Summer 1969), pp. 397-8.

١٣ — انظر مثلا ، لينين ، **الاستعمار أعلى مراحل الراسمالية** ، موسكو .

١٤ — خالد محيي الدين ، « معركة كسب الرأي العام العالمي : واجبات ومسؤوليات جديدة » **الطليعة** (القاهرة) تشرين الثاني ١٩٦٩ . ص ٥٤ — ٥٨ .

١٥ — المصدر ذاته .

١٦ — أحمد عباس ، « أربع وعشرون ساعة في مخيم فلسطيني لتدريب الفتيات » ، **الجمهورية** (القاهرة) ١٠ آب ١٩٦٩ ، ص ٥ و١٠ .

١٧ — « انجازات الثورة الفلسطينية في ستة اشهر » ، **الاهرام** (القاهرة) ٣ أيلول ١٩٦٩ ص ٥ .

١٨ — **الهدف** ، بيروت ، المجلد الاول ، رقم ٤٢ ، ١٦ ايار ١٩٧٠ ، ص ١٠ .

موقف اسرائيل من مشروع روجرز

عبد الحفيظ محارب

قبل طرح مبادرة السلام الاميركية ، التي حظيت بقبول بعض الدول العربيـــة وبقبول اسرائيـــل « المتحفظ » شهدت المنطقة عدة مشاريع للسلام كان نصيبها الفشل. فقد اتسمت الفترة التي أعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ بكثرة المشاريع التي تستهدف وضع حد للنزاع العربي الاسرائيلي . كما وانها اتسمت ايضا بتعنت اسرائيل ، وتصلب مواقفها ، وردودها السلبية تجـــاه كافة مشاريع الســـلام المطروحة من جهة ، ومرونة بعض المواقف العربية الرسمية، التي اخذت تلائم نفسهامع الاوضاع العالمية والمحلية ، المتغيرة والمستجدة ، من جهة أخرى . ففي الفترة التي سبقت حرب حزيران ، وكذلك الفترة التي سبقت قيـــام دولة اسرائيل ، كانت المواقف الاسرائيلية تجاه الحلول السلمية المقترحة من قبل طرف ثالث ، تتسم ، بشكل عـــام ، بالتروي ، او بعدم الرد السلبي ، على أمل ان يرد العرب ردا سلبيا ، وبذلك تفشل تلك الحلول، قبل ان يكلف الاسرائيليون انفسهم عناء الرد عليها، الامر الذي من شأنه ان يخلق انطباعا في المحافل الدولية ، وبين أوساط الرأي العام العالمي ، بأن الموقف العربي يميل الى التعنت ، والتشدد ، بينما يميل الموقف الاسرائيلي الى المرونة واللين .

غير ان هذا الامر ، انقلب رأسا على عقب بعد « حرب الايام الستة » . تقول صحيفة دافار : « منذ حرب الايام الستة يخيل لنـــا ان اليهود والعرب قد تبادلوا ادوارهم التقليدية . ففي الماضي كان من الممكن الاعتماد كليا على العرب لافشال أية بادرة من اجل السلام دون أن تلطخ أيدينا . واليوم تغيرت الصورة . فالعرب يظهرون كل مرة مبادرات جديدة ومتلائمة مع الموقف الدولي أملا منهم ان نقوم نحن بنسف الموقف»(١).

قبل التمعن والتعمق في موقف اسرائيل تجاه مبادرة السلام الاميركية او ما يعرف بمشروع روجرز ، تجدر بنا الاشارة بشكل سريع الى اربعة مشاريع سلام طرحت بعد حرب الايام الستة لوضع حـــد للنزاع العربي الاسرائيلي ، ثلاثة منها صادرة من قبل طرف ثالث (روسيا وفرنسا وبريطانيا) وواحد صادر من قبل حزب « مبام » الاسرائيلي ، أحد الاطراف ذات الصلة بالنزاع . وقد فشلت المشاريع الثلاثة الصادرة من قبل الطرف الثالث ، عندما اصطدمت بالموقف المتشدد من قبل اسرائيل ، دون ان يكون للجانب العربي موقف محدد وواضح يمكن أن يستشم منه بأنه هو العامل الاساسي في افشال هذه المشاريع . أمـــا المشروع الرابع فلم يحظ بموافقة الحكومة الاسرائيلية ، لانها تعتبره دون الحد الادنى لمطالبها الاساسية .

نبدأ اولا بالمشروع الصـــوفييتـــي . لم ينشر هـــذا المشروع بشكل رسمي غير ان نتفا منه قد نشرت في صحف الاهـــرام ونيويورك تايمـــز والاوبزيرفر اللندنية (شهر فبراير ١٩٦٩) .

وتتلخص المقترحات الســوفييتيـــة مما نشرته هذه الصحف بما يلي :

١ ــ جلاء القوات الاسرائيلية عن جميع الاراضي العربية المحتلة منذ الخامس من حزيران ، تنفيذا لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ . ٢ ــ وضع قوة من البوليس الدولي ، مـــن الدول الاربع الكبرى ، على طول الحدود العربية الاسرائيلية ، من الجانبين ، على أن يعتبر وجود هذه القوات ، تنفيذا لقرار مجلس الامن المتعلق بالحدود الامنة . ٣ ــ تجري مباحثات بين الدول الاربع الكبرى ، وكل من الدول العربية واسرائيل ، بشأن قضية اللاجئين ، وحرية الملاحة

في الممرات المائية (خليج العقبة وقنال السويس).
٤ ــ تعلن اسرائيل وحكومات الدول العربية المجاورة عن استعدادها لانهاء حالة الحرب ، والتوصل الى حل سلمي للمشكلة . ٥ ــ يتخذ مجلس الامن طبقا لميثاق الامم المتحدة قرارا عن الضمانات الخاصة بالحدود العربية الاسرائيلية .
لم توافق اسرائيل على هذا المشروع ، ولم تترو قليلا لتدع الدول العربية ترد عليه أولا ، بل بادرت فورا الى اعلان رفضها القاطع له . ووصفه وزير خارجيتها ابا ايبن بأنه لا يساعد على احلال السلام في المنطقة ، وهاجمه عدد من المسؤولين الاخرين . وكذلك هاجمته الصحافة الاسرائيلية بما فيها صحيفة « كول هعام » الناطقة باسم الحزب الشيوعي الاسرائيلي «ماكي» حيث ادعى «شموئيل ميكونيس » ان المشروع السوفييتي مناقض لقرار مجلس الامن .
اما المشروع الثاني فيعرف باسم مشروع « دوغلاس هيوم » وقد رفضته اسرائيل ايضا . ويتألف المشروع من ست نقاط(٢): « ١ ــ اعتراف عربي بدولة اسرائيل . ٢ ــ انسحاب اسرائيل الى حدود مرسومة سلفا ، وذلك بموجب جدول زمني دقيق ، وبأسلوب متفق عليه ومضمون وخاضع للاشراف . ٣ ــ تجريد المناطق التي يتم اخلاؤها، من السلاح ، واقامة شبكات للانذار المسبق ضد الغارات الجوية على طول قنال السويس والحدود الاسرائيلية . ٤ ــ وضع قوة دولية من قبل الامم المتحدة ، تضمن وجودها وسلامتها الدول الكبرى ولو طالت فترة تنفيذ المشروع . ٥ ــ اعادة توطين اللاجئين العرب ، وتنفيذ مشروعات ري تمكن من اعادة توطينهم بشكل ملائم . ٦ ــ وضع ترتيب كنسي ، يؤمن بقاء الاماكن المقدسة مفتوحة لجميع الاديان » .
اما المشروع الثالث فهو المشروع الفرنسي . وقد اصطدم هذا المشروع بالموقف السلبي الاسرائيلي ، هذا الموقف الذي « خيب أمل وزارة الخارجية الفرنسية » وهو يشتمل على النقاط التالية(٣): « ١ ــ انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي التي كانت تابعة للاردن حتى حرب الايام الستة ، مقابل اعلان انهاء حالة الحرب . ٢ ــ من غير المستبعد اجراء تعديلات طفيفة على الحدود ، ولكن هذه يجب ان تكون ذات معنى محلي فقط . ٣ ــ تحديد مناطق مجردة على طرفي الحدود بين الاردن واسرائيل ــ بموافقة الطرفين ــ ووضع قوات دولية تضم وحدات من الدول الاربع الكبرى في هذه المناطق . ٤ ــ وضع القدس تحت ادارة دولية ، تضمن لجميع الاديان حرية زيارة المدينة والاماكن المقدسة الموجودة بها ، على ان يعين حاكم المدينة من قبل مجلس الامن التابع للامم المتحدة ، بعد التشاور مع اسرائيل والاردن وبموافقتهما . ٥ ــ حل قضية اللاجئين على اساس اعادة قسم من لاجئي ١٩٤٨ الى اسرائيل ، وتوطين الباقي في الاردن . »
وقد ارتكز مشروع السلام الذي عرضه زعيم المبام وعضو الكنيست « مئير يعري » في الجلسة التي عقدتها اللجنة السياسية لحزب المبام على ما يلي(٤): « ١ ــ معارضة اقامة مستوطنات ومدن وقرى في الاراضي المحتلة . ٢ ــ تأييد الاعلان الفوري بشأن الموافقة على الانسحاب الى حدود آمنة ومتفق عليها ، بعد ضمان حلول سلام ثابت باتفاقية تقرر الحدود الامنة والمتفق عليها بيننا وبين مصر والاردن . ٣ ــ الحدود الامنة يجب ان تشتمل على القدس الكاملة ، التي يضمن فيها قدر معين من السلطة الذاتية للاقلية العربية. ٤ ــ ضم قطاع غزه لاسرائيل ، ومنح الاردن منفذا حرا الى البحر ، على ان يشارك الاردن في حل قضية اللاجئين . ٥ ــ الحد الامني يضم الجولان وبعر من الهضبة السورية. ٦ ــ اخلاء يهودا والسامرة، بعد تعيين حدود آمنة ومتفق عليها وتجريد الاراضي التي تخليها من السلاح . ٧ ــ تجريد سيناء من السلاح . ٨ ــ تتعهد الدول المجاورة بالقضاء على كل عملية ارهابية ، بعد التوقيع على اتفاقية السلام . ثم توقع اسرائيل والدول المجاورة على اتفاقية تتعلق بحل قضية اللاجئين ، وتنص على موافقتنا على استيعاب عدد معين من اللاجئين داخل حدود اسرائيل . ٩ ــ ضمان حرية الملاحة في القناة وفي مضائق تيران ، وضمان تواجد اسرائيلي ، بشكل او بآخر في شرم الشيخ . »
يتضح لنا بعد هذا السرد السريع للمقترحات التي طرحت بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ لايجاد حل للازمة ، ان الموقف الاسرائيلي تجاهها كان يتسم بالتزمت والتشدد ، ويعود اليه الفضل الاول بافشالها . ويعود ذلك الى عدة اسباب اهمها :
١ ــ الرغبة في التوسع ، فقد اعلنت اسرائيل ، بعد احتلالها لاراض عربية تفوق مساحتها ثلاثة

اضعاف ونصف مساحة فلسطين المحتلة سابقا ، عن ضمها رسميا لمدينة القدس ، واخذت تقيم مستوطنات اسرائيلية في بقاع مختلفة من الاراضي العربية المحتلة .

٢ ــ الشعور بالقوة لدرجة الغطرسة، فقد شعرت اسرائيل بعد الانتصار الذي أحرزته على الجيوش العربية في حرب الايام الستة ، بمدى قوتها ، واخذت تتصرف من خلال هذه القوة، تجاه القضايا الرئيسية ، بشكل يتسم بالغطرسة .

٣ ــ حكومة الائتلاف الوطني ، لقد حالت هذه الحكومة التي تشكلت عشية حرب الايام الستة ، من مجموعة احزاب يمينية ودينية وعمالية ، حالت دون اتخاذ مواقف مرنة وواضحة ، لاختلاف مشارب واهواء اعضائها . فضلا عن انها عززت من موقف فئة الصقور في رسم خطوط رئيسية متشددة للسياسة الاسرائيلية تجاه الدول العربية، والمناطق المحتلة ، بحيث اصبحت الحكومة الاسرائيلية ، حتى بعد انهيار حكومة الائتلاف الوطني في مطلع شهر آب ١٩٧٠ ، اسيرة لتلك السياسة المعلنة من قبل .

بعد فشل مشاريع السلام المطروحة من قبل طرف ثالث وبعد اشتداد أزمة الشرق الاوسط ، والبدء بحرب الانهاك في النصف الاخير من عام ١٩٦٩ ، بقيام وحدات من الجيش المصري ، بشن هجمات على المواقع الاسرائيلية في الجبهة الشرقية للقنال، واستخدام سلاح الجو الاسرائيلي ، كأداة انهاك معاكسة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وتصاعد عملياته في مطلع عام ١٩٧٠ ، واتساعها وشمولها الجبهة الخلفية، الامر الذي دفع الرئيس عبدالناصر للقيام بزيارة سرية للاتحاد السوفياتي حيث تم الاتفاق هناك على تزويد مصر بشبكة من الصواريخ الحديثة المضادة للطائرات ، استطاعت حسر ظل سلاح الجو الاسرائيلي عن العمق المصري ، واقتصاره على جبهة القنال ، وبعد الضجة التي احدثتها اسرائيل حول « تزايد النفوذ السوفييتي في مصر » على امل الحصول على اكبر قدر من المساعدات العسكرية والاقتصادية من جانب الولايات المتحدة ، وبعد اتساع رقعة القتال في الهند الصينية ، حيث بدأت القوات الاميركية الموجودة في فيتنام بغزو الاراضي الكمبودية ، وبعد النداء الذي وجهه الرئيس جمال عبدالناصر في الاول من ايار عام ١٩٧٠ للرئيس نكسون ، بعد هذا كله ، وجدت الولايات المتحدة ان الامر يتطلب تحركا سياسيا جديا في الشرق الاوسط .

ولعل أبرز العوامل التي دفعت الاميركيين الى هذا التحرك تتمثل في عاملين اثنين :

اولا : توطد العلاقات العسكرية والاقتصادية والسياسية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفييتي ، خاصة في مطلع عام ١٩٧٠ ، وبعد الزيارة السرية التي قام بها الرئيس جمال عبدالناصر لموسكو . وقد اعتبرت المساعدات السوفييتية للجمهورية العربية المتحدة من قبل الدول الغربية بمثابة زيادة في التوغل السوفييتي في المنطقة ، وخشيت الولايات المتحدة ، من اضطراد نمو هذا « التوغل » او « النفوذ » في غياب حل سلمي لازمة الشرق الاوسط . وكانت اسرائيل تتحدث اكثر من غيرها عن هذا «التوغل» وعن الخطورة التي تكمن فيه للمصالح الغربية بشكل عام ، وللمصالح الاميركية بشكل خاص . وربما تكون اسرائيل قد ندمت على تهويلها ومبالغتها عند وصفها للنفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط ، ذلك لانها تلقت من الولايات المتحدة ، غير ما كانت تريد الحصول عليه من سلاح ، لقد تلقت مبادرة السلام الاميركية !

ثانيا : تورط الولايات المتحدة في قتالها في الهند الصينية ، واتساع رقعة القتال ، حيث اخذت تشمل الاراضي الكمبودية ، الامر الذي لا يجعل الولايات المتحدة ترتاح امام فتح جبهة أخرى .

في الخامس والعشرين من شهر مايو ١٩٧٠ أعلن وزير الخارجية الاميركي وليام روجرز ، في مؤتمر صحفي ، ان الولايات المتحدة اتخذت خطوة دبلوماسية جديدة وقدمت مقترحات سلام جديدة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط « من اجل تشجيع العرب واسرائيل على وقف اطلاق النار ، والبدء في مباحثات تحت اشراف الدكتور يارينغ » .

وقال في نفس المؤتمر ان خطته تعتمد في جزء منها على تصريحات علنية ، افضى بها كلا الطرفين ، واشار الى اربع نقاط كهذه : ١ ــ « النداء الذي وجهه الرئيس عبدالناصر الى الرئيس الاميركي نكسون في الاول من ايار . ٢ ــ المقابلة التي اجرتها شبكة التلفزيون الثقافية الاميركية مع الرئيس عبدالناصر ، والتي قال فيها انه يميل الى قبول وقف اطلاق النار . ٣ ــ التصريح الذي أفضت به رئيسة وزراء اسرائيل غولدا مئير الذي قالت فيه

ان اسرائيل على استعداد لقبول قرار مجلس الامن . ٤ — التصريح الذي افضى به وزير خارجية اسرائيل ابا ايبن، الذي قال فيه ان العرب سيفاجأون من التنازلات الاسرائيلية ، في اللحظة التي تبدا فيها مباحثات السلام »(٥).

وقد اشار وزير الخارجية الاميركية وليام روجرز الى ان هذه النقاط تشير الى « مرونة ملموسة ». وقال ان التطورات الاخيرة في الشرق الاوسط دفعت الرئيس نكسون ان يأمر في ٢٩ ابريل باجراء دراسة دقيقة تشمل كافة العوامل السياسية والعسكرية لهذه المشكلة . واضاف ان هذه الدراسة قد اكتملت الان . وقال ان الهدف من المبادرة التي تمخضت عن هذه الدراسة هو « تشجيع الاطراف على التقدم نحو سلام عادل ودائم »(٦).

ومما تجدر الاشارة اليه ان مبادرة السلام الاميركية الجديدة التي اعلن عنها وزير الخارجية الاميركي وليام روجرز ، والتي عرفت باسمه ، لم تكن المبادرة الاميركية الاولى من نوعها ، فقد قدم وليام روجرز نفسه ، في شهر ديسمبر ١٩٦٩ ، مشروعا اقترن باسمه ايضا ولم يحظ هذا المشروع بموافقة اي من الاطراف . ويتلخص مشروع روجرز الاول ، كما جاء في مقال للصحفي الاسرائيلي «اوري افنيري» في ست نقاط : ١ — « اعادة المناطق المحتلة مقابل السلام . ٢ — اعتراف العرب باسرائيل . ٣ — منح مركز للعرب في القدس التي ستبقى موحدة . ٤ — عودة محدودة للغاية للاجئين . ٥ — تغييرات طفيفة على حدود الرابع من يونيو. ٦ — تصفية الفدائيين »(٧).

ويعزو اوري افنيري فشل المشروع الى حكومة الائتلاف الوطني « التي نسفت المشروع واحبطته بمساعدة سخية من جانب الفدائيين »(٨).

ولكن ، هل استطاعت حكومة الائتلاف الوطني ، نسف المبادرة الاميركية الثانية ، او ان هذه المبادرة هي التي استطاعت نسف حكومة الائتلاف الوطني ؟

عندما طرحت مبادرة السلام الاميركية الجديدة ، نصح الاميركيون حكومة اسرائيل « ان لا تكون الاولى التي ترفض مشروع روجرز »(٩). غير ان صفة الرفض الملازمة للموقف الاسرائيلي الرسمي ، بعد حرب الايام الستة ، ابت الا أن تكون اسرائيل هي المبادرة الاولى الى رفض المشروع . وبالفعل ، اتخذت حكومة اسرائيل قرارا ، بالاجماع ، وافقت فيه على رفض مشروع روجرز . وكان هنالك ثمة سببان وراء هذا الرفض :

الاول تكتيكي يتعلق بوقف اطلاق النار . فقد خشيت عناصر امنية في جهاز الحكم الاسرائيلي من ان يقوم المصريون خلال فترة وقف اطلاق النار ، بنقل شبكة من الصواريخ والطائرات الى جبهة القنال ، دون ان يواجهوا اية صعوبات ، من اجل تعزيز قوتهم ووضع حد للتفوق الجوي الاسرائيلي . « وعلى هذا الاساس قررت الحكومة رفض اتفاقية وقف اطلاق النار »(١٠).

الثاني جوهري وهو يتعلق بتنفيذ قرار مجلس الامن ، هذا القرار الذي يتحدث بوضوح عن « الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة » وبما ان اسرائيل ترفض الانسحاب او حتى ذكر كلمة « انسحاب » فانها رفضت مشروع روجرز .

وكان هنالك اجماع بين الوزراء ، عند مناقشة مبادرة السلام الاميركية الجديدة ، على ضرورة رفضها ، غير ان الاراء تضاربت حول شكل الرد الاسرائيلي . ونتيجة لتضارب الاراء حول شكل الرد ، برز اتجاهان داخل الحكومة الاسرائيلية : الاتجاه الاول ترأسه وزير الخارجية ابا ايبن « يدعو الى عدم الرد بالبتة »(١١)، ويظهر اسرائيل امام امريكا — من الناحية التكتيكية — انها على استعداد لقبول المشروع ، واعتقد اصحاب هذا الاتجاه ان العرب هم الذين سيرفضون المشروع (وقد اثبتت الاحداث اللاحقة عدم صحة تقديرات اصحاب هذا الاتجاه) وبذلك يوفرون على اسرائيل مهمة عناء الرد السلبي . وقد وقف مع هذا الاتجاه ايضا سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة « يتسحاق رابين » . والاتجاه الثاني ترأسته رئيسة الوزراء غولدا مئير ، ووزير الدفاع موشيه ديان . وقد دعا اصحاب هذا الاتجاه الى رفض المشروع فورا وبدون تأخير او تأجيل « لكي لا يكون هنالك شك بالنسبة لموقف اسرائيل »(١٢). اكثر من ذلك فقد هدد وزير الدفاع موشيه ديان بتقديم استقالته من منصبه اذا لم ترفض الحكومة مشروع روجرز(١٣).

بعد ذلك ، وافقت الحكومة بالاجماع على رفض مشروع روجرز ، وارسلت ردها السلبي الى الولايات المتحدة . غير ان هذا الرد السلبي ، لم ينشر بشكل علني لسببين : ١— «لان حكومة اسرائيل

لم ترغب ان تضع الرئيس الاميركي نكسون في وضع غير مريح . ٢ — لان الاميركيين كانوا قد نصحوا حكومة اسرائيل بأن لا تكون الاولى التي ترفض مشروع روجرز ، لكي ينتظروا رد مصر »(١٤).

اعلن الرئيس جمال عبدالناصر في الخطاب الذي القاه بمناسبة العيد الثامن عشر لثورة ٢٣ يوليو ، قبول الجمهورية العربية لمقترحات السلام الاميركية، او ما يسمى بمشروع روجرز . وقد « اذهلت هذه الخطوة التي اتخذهـا الرئيس عبدالناصر جميـع مواطني اسرائيـل »(١٥) كما « ان الحكومـة الاسرائيلية ، فوجئت مفاجاة تامة من هذه الخطوة المصرية »(١٦). واشارت المصادر الاسرائيلية الى ان اسرائيل قد « دخلت الى اصعب وضع منذ حرب الايام الستة »(١٧) فضلا عن ان كافة الصحف الاسرائيلية اجمعت على ان اسرائيل اصبحت ، عقب قبول الجمهوريـة العربية المتحـدة لمشروع روجرز ، « تمر باصعب امتحان »(١٨). ويعود ذلك الى عدة اسباب اهمها :

١ — ان المبادرة جاءت من قبل دولة كبرى وصديقة، تعتمد عليهـا اسرائيـل في المجالات العسكريـة والاقتصادية والسياسية . ولو جاءت المبادرة من قبل دولة اخرى لهان الامر .

٢ — ان المبادرة تدعو صراحة الى « الانسحاب الاسرائيلي » من المناطق المحتلة ، وهذا ما لا تريده اسرائيل .

٣ — ان حكومة الائتلاف الوطنـي في اسرائيل ، والتي تحرص عليها رئيسة الحكومة غولدا مئير ، مثلما كان يحرص عليها سلفها ليفي اشكول ، لا يمكنها الموافقة على هذه المبادرة ، دون حدوث انقسام خطير بين اعضائها ، يؤدي الى حل هذه الحكومة .

٤ — ان حكومة اسرائيل ، كانت قد ارسلت قبل بضعة اسابيع ردهـا السلبي على المقترحـات الاميركية .

هذا ، فضلا عن ان وسائل الاعلام الاسرائيلية كانت قد عبأت المواطن الاسرائيلـي ضد المبادرة الاميركية ، ثم اخذت تدعو الى اضفاء صفة العلنية على الرد السلبي، الذي كانت اسرائيل قد أرسلته الى الولايات المتحدة . فقد قالت صحيفة هآرتس : « ينبغي ان نقول لا لمشروع روجرز بشكل علني وقاطع وفي اقرب وقت ممكن ، فالقضيـة ليست ديلوماسية ، بل انها تقديرات سياسية . ينبغي عدم ابقاء شك في واشنطن ، بأن اسرائيل لا يمكنها ان توافق على تسوية كهذه »(١٩).

لم تر وسائل الاعلام الاسرائيليـة ، في قبـول الجمهورية العربية المتحدة للمشروع الاميركي ، قبولا بريئا ، بل اعتبرته بمثابة مصيدة لاسرائيل ، وبمثابة « حملة مصرية سوفييتية القصد منها دق اسفين في العلاقات الاميركية الاسرائيلية، والحيلولة دون تزويد الجيش الاسرائيلي بالسلاح ، ووضع اسرائيل امام ضغوط سياسية دولية »(٢٠) كما اعتبرته « مناورة تستهدف عزل اسرائيل في المحافل الدولية وعرقلة العلاقات بين اسرائيل واميركا ، خاصة فيما يتعلـق بتزويد اسرائيل بالاسلحـة والاستعداد من وراء ذلك لخوض معركة حاسمة مع اسرائيل »(٢١).

وقد اجمعت الصحف الاسرائيلية التي تمتلك باعا طويلا في بلورة وتجسيد الراي العام الاسرائيلي ان قبول الجمهورية العربية المتحدة للمشروع الاميركي ما هو الا بمثابة «مناورة» وان اختلفت تفسيراتها في دوافع هذه « المناورة » وما تصبو اليه . اما المسؤولون الاسرائيليون فقد رأوا في قبول الرئيس عبدالناصر للمشروع الاميركي ، بانه لا ينطوي على اي تغيير في سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه اسرائيل . فقد قال الوزير شمعون بيرس ، في محاضرة القاها في نادي « بيت بيرنر » بتل ابيب: « ان خطاب ناصر ما هو الا بمثابة لافتة جديدة للسياسة المصرية القديمة ولا ينطوي على اي تغيير عملي لهذه السياسة . علينا ان نميز بين الامور التي تجري بالفعل ، وبين الامور التي تستهدف اصطياد امين الاخرين » . ثم اخـذ يقارن بين التسوية السياسية والتسوية الفنية على اعتبار ان مشروع روجرز يدخل ضمن التسويات الفنية وقال : « ان التسوية السياسية تسبق التسوية الفنية ، وقد ادركوا ذلك في اوروبا ، عقب الحرب العالمية الثانية . وقد سبق لاسرائيل ان دخلت ثلاث مرات في تسويات جزئية ، واذا ما دخلنا هذه المرة ايضا في تسوية فنية ، فاننا نضع انفسنا أمام حرب رابعة ، اصعب من سابقاتها »(٢٢).

اما الوزير جليلي فقد ذكر في اجتماع شعبي عقد في مدينـة رحوبوت « ان الموافقـة المصرية علـى المقترحات الاميركية لا تعتبر تحـولا عربيا نحو السلام ، بل اجراء دبلوماسي مصري سوفياتـي يستهدف منع اسرائيل من التزود بالاسلحة التي

تحتاجها للدفاع عن نفسها »(٢٣).

وقال الوزير مناحيم بيجن في مقابلة اجرتها معه اذاعة « صوت اسرائيل » : « ان الرئيس عبد الناصر ، ألقى خطابه في يوم الثورة المصرية ، بيد ان اقواله لم تنطو على اية ثورة . ان الرئيس عبدالناصر يود تدمير دولة اسرائيل ، فقد طرح مرة اخرى ، طلبه القديم الداعي الى عودة اسرائيل الى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ ، واعادة ما يسمى بحقوق الشعب الفلسطيني »(٢٤).

ليس هنالك ثمة شك بأن قبول الجمهورية العربية المتحدة للمشروع الاميركي قد جعل اسرائيل تمر في أدق واحرج مأزق سياسي عرفته منذ حرب الايام الستة . ويعود ذلك الى التقديرات الخاطئة للمسؤولين الاسرائيليين . فقد كانت اسرائيل تتصور ان الجمهورية العربية المتحدة او اية دولة عربية لن تقبل المشروع الاميركي الجديد على اساس انه مشروع صادر من قبل دولة غربية مناوئة للموقف العربي وفي احسن الاحوال فانها لن ترد عليه .

وانطلاقا من هذا التصور لم تقم اسرائيل ببذل جهود كافية لتوضيح موقفها للحكومة الاميركية او ملاءمة هذا الموقف مع الموقف الاميركي . بل واكثر من ذلك ، فقد قام بعض المسؤولين الاسرائيليين الذين يعتبرون من فئة الحمائم بخداع وتضليل الاوساط الحاكمة في البيت الابيض الاميركي ونتيجة لهذا التصور وقعت اسرائيل في حسابات خاطئة اثناء تقييمها للتطورات المحتملة ، سواء من قبل الجانب الاميركي او الجانب العربي .

وكان يتسحاق رابين سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة ، ورئيس هيئة الاركان سابقا ، هو المسؤول الاسرائيلي الاول الذي وجهت اليه الانتقادات . فقد ادعى بعض الوزراء « ان تقييمات « رابين » وتحليلاته للوضع ، بالشكل الذي قدمت به امام الوزراء ، كانت مغلوطة ومضللة ، خاصة فيما يتعلق بموقف الولايات المتحدة ، واجراءاتها المنتظرة ، بالنسبة لمشروع روجرز »(٢٥). ولم يقتصر النقد الذي وجه الى يتسحاق رابين على النقد الموضوعي ، بل تعداه الى النقد الساخر ، حيث قال احد الوزراء : « ان رئيس هيئة اركان النصر ، تحول الى سفير للانسحاب »!(٢٦).

وهنالك ثمة اشخاص يعزون التقييمات الخاطئة ، لعدم انتهاج الحكومة الاسرائيلية سياسة بعيدة المدى : يقول الصحفي « يوئيل ماركوس » : « ...لا يليق بنا البحث بكيفية وصولنا لهذا الوضع ، لكن اتضح اليوم دون ادنى شك انه كانت هناك بعض التقديرات الخاطئة ، ومن المحتمل ان يكون ذلك نتيجة عدم وجود سياسة بعيدة المدى » . ولدعم رايه ، استشهد « ماركوس » بما افضت به رئيسة الحكومة غولدا مئير في المقابلة الصحفية التي اجرتها معها صحيفة « هآرتس » حيث قالت : « انه عند البحث المبدأي حول غارات العمق ، لم يفكر احد بأن الامر سيؤدي الى تدخل الاتحاد السوفييتي » !(٢٧).

بعد المأزق السياسي الحرج الذي زجت به اسرائيل اخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تقلل من شأن قبول الجمهورية العربية لمبادرة السلام الاميركية ، وتدعي ان الرئيس عبدالناصر اجاب على البادرة الاميركية « بلا ونعم » في آن واحد ، وانه قبلها بشروط ، وانطلاقا من هذه الصورة التي رسمتها وسائل الاعلام الاسرائيلية حول قبول الجمهورية العربية المتحدة للمبادرة الاميركية ، اخذت هذه الوسائل تدعو اسرائيل ان تحذو حذو الرئيس عبدالناصر ، « وان تعلن مبادئها التي ترتأيها لحل النزاع العربي الاسرائيلي ، دون ان يفسر ذلك كرفض لمبادرة السلام الاميركية »(٢٨). تقول صحيفة دافار المقربة من الاوساط الحاكمة : « يجب على اسرائيل ان تعلن هي الاخرى عن استعدادها لقبول مشروع روجرز مثل مصر ، ولكن شريطة ابعاد الصواريخ والطيارين السوفييت من مصر »(٢٩). اما صحيفة معاريف ، فقد دعت الى « عدم الموافقة على مبادرة سلام تكون اسرائيل في نهايتها ، اضعف ، سواء نجحت هذه المبادرة او فشلت... ينبغي رفض كافة التحفظات المصرية ، وضمان حفاظ دقيق على ميزان التسلح في المنطقة واستمرار تزويد اسرائيل بالاسلحة الاميركية ، خاصة حيال الالتزام السوفييتي بالاستمرار في تزويد مصر بالاسلحة ... بعد ذلك فقط ، يكون بالامكان الموافقة بتحفظ على البدء في مداولات حول مشروع روجرز »(٣٠).

بعد اسراف وسائل الاعلام الاسرائيلية في تصوير رد الجمهورية العربية المتحدة ، على انه يرتبط بتحفظات ويقترن بشروط مسبقة ، جاء نفي هذه الادعاءات من قبل الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية ، حين قال : « ان الرد المصري كان ايجابيا دون اية شروط »(٣١).

لم تنظر حكومة الولايات المتحدة عند استلامها رد

اسرائيل السلبي على المبادرة الاميركية ، الى هذا الرد ، كرد نهائي ، او كرفض للمبادرة ، بل اعتبرته « ضمن اطار اختلاف وجهات النظر بين البلدين »(٣٢). وكانت الولايات المتحدة قبل ذلك ، واثناء تمهيد الطريق أمام مبادرتها العتيدة ، قد طلبت من اسرائيل « ان تعلن انها توافق على قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، وانها لا تعارض الانسحاب » . وبناء على هذا الطلب ، قرأت رئيسة الوزراء غولدا مئير في الكنيست ، البيان الذي كان قد اعلنه يوسف تكوع سفير اسرائيل في الامم المتحدة في الاول من مايو ١٩٧٠ ، حول موافقة اسرائيل على قرار مجلس الامن . ومن الجدير بالذكر ان بيان تكوع قد فسر في العالم كرفض لقرار مجلس الامن ، وليس كقبول له كما أراد تكوع(٣٣). وفيما يتعلق بقضية الانسحاب قالت رئيسة الوزراء ان قوات الجيش الاسرائيلي ستعود الى حدود جديدة(٣٤) « غير انها امتنعت بشكل ملحوظ عن استخدام كلمة انسحاب».

بعد الموافقة التي حظيت بها المبادرة الاميركية من قبل الجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، اخذت الولايات المتحدة تضغط على اسرائيل لكي توافق هي الاخرى عليها . بيد ان هذا الضغط لم يتسم بالتهديد بوقف المساعدات العسكرية والاقتصادية من جانبها ، بل اتسم بالتأكيد على منح اسرائيل مزيدا من الضمانات والمساعدات في حال قبولها للمبادرة. والحقيقة ان اي طلب من اميركا لاسرائيل بشكل بحد ذاته ضغطا على الاخيرة بسبب اعتماد اسرائيل الكلي على الولايات المتحدة في قضاياها الرئيسية ، ولذلك ليس من السهل الوقوف في وجه المطالب الاميركية . وفي المقابل ، تجد الولايات المتحدة نفسها غير قادرة على توجيه ضغط حقيقي على اسرائيل بسبب تشابك المصالح الاميركية والاسرائيلية ، وقوة الدعاية الصهيونية في اميركا. كانت اسرائيل تتخوف من عدد من القضايا اذا ما وافقت على مشروع روجرز ، اهمها :

١ ــ حدوث خلل في ميزان القوى في الشرق الاوسط ، فقد تخوفت اسرائيل من تدفق الاسلحة السوفييتية لمصر ، دون ان تحصل هي الاخرى على اسلحة مماثلة .

٢ ــ استغلال فترة وقف اطلاق النار المحدودة ، فقد تخوفت من قيام مصر بتعزيز جبهة قنال السويس بواسطة استكمال شبكة الصواريخ المضادة للطائرات ، الامر الذي من شأنه ان يؤدي الى فقدان سيطرتها الجوية في منطقة القنال .

وقد وضعت هذه التخوفات في حساب الرئيس الاميركي نكسون . ففي المؤتمر الذي عقده في فندقه بلوس انجلوس ، قال نكسون في محاولة منه لازالة هذه التخوفات : « اعتقد انه بوسع اسرائيل الموافقة على وقف اطلاق النار الذي اقترحته الولايات المتحدة بدون تخوف ، وبدون ان تعرض أمنها للخطر » . واضاف مؤكدا : « انني استطيع ان اتعهد لاسرائيل بانه بامكانها قبول وقف اطلاق النار كما نص عليه مشروع روجرز ، بدون ان تتخوف من ان الامر سيستغل من قبل مصر لتعزيز مواقعها العسكرية » . واضاف « انني أؤمن بأن العرب سيكونون اوغياء لفكرة تجميد الوضع عسكريا ابان وقف اطلاق النار » . واختتم تصريحه بقوله : « لقد اكدت التزام الولايات المتحدة بالاهتمام بأمن اسرائيل ، وبالمحافظة على ميزان القوى في الشرق الاوسط »(٣٥).

لم يكتف الرئيس نكسون بهذا التصريح ليزيل « تخوفات » اسرائيل وانما اعقبه بارسال رسالة الى رئيسة الوزراء غولدا مئير ، يدعو فيها حكومة اسرائيل الى الموافقة على مبادرة السلام الاميركية ويتعهد فيها « بأن الولايات المتحدة ستواصل التمسك بفكرة عدم الانسحاب من مناطق ، بدون تسوية سلمية ، كما وانها ستفي بكل التزاماتها لاسرائيل ، بما في ذلك قضية ميزان التسلح»(٣٦). ومما يسترعي الانتباه ان اسرائيل رأت في رسالة نكسون هذه خير سند لها في موافقتها على المبادرة الاميركية ، وكان ظل هذه الرسالة يسيطر على رد الحكومة الاسرائيلية عند استجابتها لمشروع روجرز .

بالاضافة الى ذلك ، ومن اجل دفع اسرائيل الى قبول المبادرة الاميركية ذكرت الصحف الاميركية ، ان الولايات المتحدة ستقوم بتزويد اسرائيل بأنواع معينة من الاسلحة الدفاعية، وذلك من اجل تسهيل الامر على رئيسة الوزراء غولدا مئير ، في اقناعها اعضاء حكومتها بضرورة الموافقة على مشروع روجرز ، وألمحت الى ان الرئيس نكسون سيقترح اشتراك جنود اميركيين في قوة حفظ السلام التي سترسل الى المناطق المجردة من السلاح ، عندما يحين الوقت للمحافظة على الحدود التي سيتم الاتفاق عليها(٣٧).

من هنا نرى ، ان الولايات المتحدة لم توجه الى اسرائيل ضغطا ملموسا ، بل التزمت نحوها بتعهدات معينة ، وطلبت منها الموافقة على مشروعها . وهذا الطلب يعتبر بحد ذاته ضغطا على اسرائيل ، لطبيعة العلاقات التي تربط البلدين . هذا بالاضافة الى ان كبار المسؤولين الاميركيين يعتقدون بأن رفض اسرائيل لمشروع روجرز ، سيكون بمثابة « خدمة كبيرة للاتحاد السوفياتي ولناصر »(٣٨).

بعد تلقي رئيسة الوزراء غولدا مئير رسالة الرئيس الاميركي نكسون اخذت تبدو في الافق ملامح التغيير في الموقف الاسرائيلي تجاه مبادرة السلام الاميركية. فقد اخذ معظم الوزراء يؤيدون الاستجابة لوقف اطلاق النار المحدود بثلاثة اشهر بينما كانوا يعارضون ذلك ويدعون الى وقف اطلاق النار غير المحدود بفترة زمنية ، كما اصبح معظمهم يميل الى استئناف الدكتور يارينغ لمهمته « حسب روح المقترحات الاميركية الجديدة »(٣٩).

وكان اول الداعين من بين كبار الشخصيات الاسرائيلية الى الموافقة على مشروع روجرز ، يجآل آلون نائب رئيسة الحكومة ووزير الثقافة ، الذي قال في اجتماع امام طلبة المدارس الثانوية في القدس : « يبدو لي انه ينبغي علينا في هذه الحالة ان نستجيب الى مبادرة الولايات المتحدة الاميركية ، وعدم افشال هذه الخطوة خاصة بعد ان استجابت لها دولتان عربيتان »(٤٠).

ربما يكون من المستغرب ، ان يكون يجآل الون ، الذي يعتبر من ائمة الصقور ، والمشهور بمشروعه الاستيطاني التوسعي المقترن باسمه (مشروع الون) من اوائل الشخصيات الاسرائيلية المبادرة الى الدعوة لقبول مشروع روجرز ، الذي يختلف اختلافا كليا وجوهريا عن مشروع الون ، والذي يختلف الى حد بعيد عن مشروع حزب مبام الذي يعتبر دون الحد الادنى للتنازلات الاسرائيلية . غير ان هذا الاستغراب يمكن ان يتبدد اذا علمنا ان الدافع الاساسي من وراء مبادرته الى الدعوة لقبول مشروع روجرز هو الصراع على وراثة رئيسة الوزراء . فقد رأى يجآل الون انه من الافضل له في حماة هذا الصراع ان يلائم نفسه مع الاحداث المتغيرة والمستجدة ، وان يضع نفسه على رأس ائمة الحمائم ، التي كانت الولايات المتحدة تعقد عليها آمالها في قبول مبادرتها ، وبذلك يكون قد شق طريقه في حومة الصراع القائم في اسرائيل حول خلافة رئيسة الوزراء غولدا مئير .

وكان وزراء حزب التجمع العمالي (مباي ، احدوت هعفودا ، مبام ، رافي) هم اول من مال الى قبول المبادرة الاميركية من الناحية المبدأية . واتضح ذلك بعد اجتماع عقده وزراء الحزب في منزل رئيسة الوزراء بعد ان استدعوا للتشاور(٤١). ثم انضم الى موقف حزب العمل ، الحزب الليبرالي المستقل، بعد ان اجتمع اعضاء كتلة الحزب في الكنيست في منزل الوزير « موشيه كول » واستمعوا منه الى تقرير حول التطورات الاخيرة في الحكومة(٤٢). وتبع هذين الحزبين ، الحزب الوطني المتدين (المفدال) حيث ايدت ادارة الحزب بأغلبية الاصوات « انه ينبغي على حكومة اسرائيل ان تستجيب للمبادرة الاميركية ، مع التأكيد على انه ينبغي لمهمة يارينغ، ان تؤدي بالطرفين الى مفاوضات حول سلام ثابت، واعتراف متبادل ، وتعيين حدود آمنة ومتفق عليها بدون شروط مسبقة »(٤٣). غير ان حزبا واحدا له وزن كبير في حكومة الائتلاف الوطني لم يؤيد المبادرة الاميركية ، ووقف ضدها بكل قوة ، كما وقف في السابق ضد مشروع روجرز الاول ، وكانت له اليد الطولى في نسف ذلك المشروع ، ألا وهو حزب « جاحال » (كتلة حيروت الاحرار) .

لم تر معظم الاحزاب الرئيسية في اسرائيل ، في مبادرة السلام الاميركية ، شيئا يتلاءم ويتمشى مع سياستها وبرامجها المعلنة. ولو كان الخيار المطلق في يدها ، لما مالت الى قبول هذه المبادرة ، والدليل على ذلك ان حكومة الائتلاف الوطني كانت قد رفضتها رفضا قاطعا وبعثت بردها الى الولايات المتحدة ، غير ان الولايات المتحدة لم تر في هذا الرد ردا أخيرا !! واعتبرته موضوعا يدخل « ضمن اطار اختلاف وجهات النظر بين البلدين»، لادراكها بأنها تشكل أداة ضغط هائلة على اسرائيل بدون ان يتطلب الامر توجيه تهديد علني اليها .

وقد رأى وزراء الائتلاف الوطني باستثناء وزراء كتلة « جاحال » ان الوضع الجديد الذي طرأ بعد موافقة دولتين عربيتين على مبادرة السلام الاميركية ، وبعد توضيحات الرئيس نكسون التي وردت برسالته التي بعث بها الى رئيسة الوزراء غولدا مئير ، يتطلب من اسرائيل ان تستجيب للمبادرة الاميركية، ولكن بشروط . بيد ان هذا التحول الذي طرأ على الموقف الاسرائيلي اثار ازمة سياسية خانقة في

اسرائيل . فقد بدا ان هذا التحول سيدفع كتلة « جاحال » الى الخروج من الائتلاف الوطني ، هذا الائتلاف الذي تحرص غولدا مئير عليه حرصها على اي مكسب وطني ، فضلا عن ان غالبية الرأي العام الاسرائيلي تؤيد بقاء كتلة جاحال في حكومة الائتلاف الوطني .

وواجهت اسرائيل امتحانا عسيرا . كيف تخرج من المعادلة الصعبة : الموافقة على مشروع روجرز الذي تفرضه الاعتبارات الدولية والابقاء على حكومة الائتلاف الوطني الذي تفرضه الاعتبارات الامنية ؟! هذا مع العلم بأن جمع المسالتين يكاد يكون من ضروب المستحيلات .

قالت صحيفة معاريف في مقال افتتاحي ، في محاولة منها لرسم معالم الطريق امام السياسة الاسرائيلية : « الامتحان الاول الذي تواجهه اسرائيل هو امتحان داخلي . ينبغي ان يكون ردنا على الوضع السياسي والامني الذي طرأ في منطقتنا مع كل تبعاته الدولية ، مزدوجا : اعصاب قوية ، وحفاظ على التجمع القومي . ومن اجل الحفاظ على التجمع القومي ينبغي اظهار مرونة في الصيغ. لان الامتحان الحقيقي في المجال الخارجي لا يزال بعيدا » . واختتمت مقالها بقولها : « ان حل التجمع القومي ، سيكون بمثابة انتصار كبير لناصر وبريجنيف ، وكذلك لاوساط معادية لنا في الولايات المتحدة »(٤٤).

الحل الذي اقترحته صحيفة معاريف للخروج من المازق ، يتمثل في ايجاد « صيغ مرنة » تقبلها كافة الاطراف في حكومة الائتلاف الوطني. ولكن هل تقبل كتلة جاحال البقاء في حكومة الائتلاف الوطني مقابل موافقة شكلية من قبل اسرائيل على مشروع روجرز ؟ ومما تجدر الاشارة اليه ان نظرة وزراء كتلة «جاحال» وقادتها لم تكن موحدة تجاه شكل الرد الاسرائيلي وتجاه المبادرة الاميركية نفسها ، حيث يوجد هناك في هذه الكتلة وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر « مناحيم بيجن » . فمن المعروف ان كتلة « جاحال » كانت قد تكونت عام ١٩٦٥ من اتحاد حزبين ، حزب « حيروت » الذي انبثق عن حركة « اتسل » الارهابية ، والحزب الليبرالي الذي انبثق عام ١٩٦١ عن حزب الصهيونيين العموميين . ولذلك ليس من المستغرب ان يكون هنالك اختلاف في وجهات النظر داخل كتلة جاحال. ويشكل اعضاء حيروت الجناح المتطرف في كتلة جاحال .

لقد برز اتجاهان في هذه الكتلة بالنسبة لمشروع روجرز : الاتجاه الاول يمثله بيجن : يدعو الى رفض المشروع الاميركي ، والخروج من حكومة الائتلاف الوطني اذا ما وافقت عليه ، ويؤيده معظم اعضاء « حيروت » . والاتجاه الثاني : يدعو الى رفض المشروع مع عدم الخروج من حكومة الائتلاف الوطني ، ومواصلة النضال من داخلها ضد المشروع ، ويؤيد هذا الجناح معظم اعضاء الحزب الليبرالي .

بعد بروز هذين الاتجاهين ، وبوادر الخلاف داخل كتلة جاحال ، وجد مناحيم بيجن نفسه انه يخوض معركتين الاولى ضد قبول اسرائيل لمشروع روجرز، والثانية ضد اصحاب الاتجاه الثاني في كتلته ، الذين يرون ضرورة البقاء في حكومةالائتلاف الوطني، حتى لو قبلت الحكومة المبادرة الاميركية . لان النضال من الداخل حسب اعتقاد اصحاب هذا الاتجاه ، افضل لكتلة جاحال من النضال خارج الاطار الحكومي .وقد واجه مناحيم بيجن امتحانا عسيرا في هاتين المعركتين ، وكانت تخوفاته مضاعفة ، فهو يرى في المشروع الاميركي « مشروع خراب »(٤٥) لاسرائيل في الوقت الذي كان فيه حزبه يقف على عتبة انشقاق خطير ، لوجود قسم كبير في الحزب لا يرى هذا الرأي . ولكنه صمم على الصمود في المعركتين مهما تكن النتائج ، ودعا كتلة جاحال في الكنيست لبحث موضوع استجابة الحكومة الاسرائيلية ولاتخاذ قرارات بهذا الصدد . وبالفعل عقدت كتلة الحزب في الكنيست جلسة استغرقت اكثر من خمس ساعات ، استمعت فيها الى تقرير مطول من قبل مناحيم بيجن ، تطرق فيه الى الاتصالات مع رئيسة الوزراء ووزراء التجمع وقال : « انه ينبغي على الحكومة ان لا توافق على مشروع روجرز ، لان هذا يعني الموافقة على تجزئة ارض اسرائيل من جديد ، مع العودة الى الحدود التي كانت قائمة عشية حرب الايام الستة . وان كتلة جاحال لا يمكنها قبول ذلك ، لانه يتعارض والمبادىء التي دخلت بها الانتخابات»(٤٦). واعرب بيجن عن استغرابه لاستعداد رئيسة الحكومة ووزراء حزب التجمع لقبول المشروع ، الذي كانوا قد رفضوه بشدة قبل بضعة اسابيع ، ثم قال : « لو انني كنت مجبرا على التوقيع على وثيقة انسحاب لقمت بقطع يدي اليمنى »!(٤٧) ثم

طالب الكتلة باتخاذ قرار بالخروج من الحكومة اذا ما قبلت مشروع روجرز .

ثم اعقبه الوزير « اريه دولتشتاين » (من جناح الاحرار في كتلة جاحال) واقترح تأجيل الرد السلبي على مشروع روجرز ودعا الى التريث طالما ان اسرائيل ترابط على خطوط وقف اطلاق النار . واثار هذا الاقتراح حفيظة مناحيم بيجن ، حيث اندفع نحو زميله قائلا بغضب: « يا سيد دولتشتاين ان مبادرة روجرز ليست مبادرة سلام لاسرائيل ، بل مبادرة خراب لاسرائيل »(٤٨).

وفي نهاية الاجتماع حظيت دعوة بيجن ، للخروج من الحكومة اذا ما وافقت على مبادرة السلام الاميركية ، بـ ١٤ صوتا ، وحظيت دعوة الوزير « ريملت » بالبقاء في الحكومة بـ ٩ أصوات وامتنع شخصان على التصويت .

ومن الجدير بالذكر ان شخصا واحدا فقط ، من الحزب الليبرالي (عضو الكنيست تسمرمان) قد ايد موقف بيجن ، بينما لم يؤيد اي شخص من « حيروت » البقاء في الحكومة . اما الشخصان اللذان امتنعا عن التصويت ، فقد كانا وزير المواصلات عيزر وايزمن (حيروت) وعضو الكنيست « موشيه نسيم » (الحزب الليبرالي) . ولم يحضر الجلسة كل من عضوي الكنيست « يوسف سرلين » و« ابراهام كاتس » (من الحزب الليبرالي) بسبب وجودهما خارج البلاد(٤٩).

لقد اظهرت الجلسة التي عقدتها كتلة « جاحال » بالرغم من انتصار الاتجاه الاول الذي يمثله مناحيم بيجن ، ان موقف الاتجاه الثاني له وزن لا بأس به في تحديد الموقف الذي ينبغي على الحزب اتخاذه. وقد حاول اصحاب هذا الاتجاه بلورة موقفهم ، والدعوة اليه بشكل اشد ، حيث بادرت ادارة الحزب الليبرالي الى عقد اجتماع لبحث تطورات الموقف . وقال رئيس ادارة الحزب الوزير « اريه ريملت » في هذا الاجتماع : « اني أؤمن بحقنا التاريخي على ارض اسرائيل ، ولكن هنالك اجراءات علينا ان نقبلها كسياسيين . لقد عمل حزب العمل الشيء الكثير للحيلولة دون خروج كتلة جاحال من حكومة الائتلاف الوطني . لم يقم بذلك من اجل مصلحة ضيقة بل بدافع من ثلاثة عوامل : وجود التهديد الخارجي، واهتزاز الروح المعنوية في حالة الاستقالة،وعدم الارتياح الذي يخلقه وجود كتلة جاحال ، في صف المعارضة ، في هذا الظرف » .

وبدد الوزير « ريملت » بعد دعوته هذه للبقاء في حكومة الائتلاف الوطني ، احتمالات حدوث انشقاق في كتلة جاحال يؤدي الى انفصام عرى الوحدة بين الحزبين بقوله في نفس الجلسة « ان قرار مركزي « جاحال » سيكون ملزما للحزبين وستقف كتلة « جاحال » ككتلة واحدة »(٥٠).

وانتظر الطرفان المتنازعان في كتلة جاحال الاجتماع الذي سيعقده مركزا الحزبين (حيروت والاحرار) لاقرار الخط الذي ستسلكه الكتلة في حالة استجابة الحكومة للمبادرة الاميركية .

وفي غضون ذلك ، ومع اشتداد الصراع داخل كتلة جاحال ، واشتداد ساعد الجناح الذي يدعو الى الخروج من الحكومة ، خشيت فئة الصقور في حزب العمل ، وعلى رأسها غولدا مئير وموشيه ديان ، من ان تؤدي استقالة كتلة جاحال الى اضعاف مركز الصقور ، وبالتالي تعزيز مركز « الحمائم » في الحكومة . ذلك « لان وزراء كتلة جاحال الستة بالاضافة الى رئيسة الحكومة والوزراء ديان، وجليلي ، وبيرس ، قد شكلوا اكثر من مرة سورا صلبا حجز خلفه معظم اعضاء الحكومة »(٥١).

ومن أجل الابقاء على حكومة الائتلاف الوطني ، وعدم انسحاب كتلة جاحال منها ، عبر وزراء حزب التجمع العمالي عن استعدادهم لتمكين كتلة جاحال من الامتناع عن التصويت في الكنيست ، او حتى التصويت ضد المشروع اذا كان هذا يؤدي الى الحفاظ على التجمع القومي في هذه الظروف(٥٢) غير ان زعيم الاتجاه الاول في كتلة جاحال مناحيم بيجن لم يستجب لهذا العرض .

ثم طلبت رئيسة الوزراء غولدا مئير من وزير الدفاع موشيه ديان القيام بمحاولة لاقناع مناحيم بيجن بالعدول عن موقفه ، خاصة وان ديان كان قد نجح في اقناع بيجن في الكف عن تهديده بالاستقالة على اثر المقابلة الصحفية التي كان قد اجراها رئيس الحكومة السابق ليفي اشكول مع مجلة نيوزويك الاميركية . وقد استجاب وزير الدفاع موشيه ديان الى طلب رئيسة الوزراء ، واجتمع مع زميله مناحيم بيجن « غير ان هذا الاجتماع لم يجلب في اعقابه التحول المرجو الذي كانت تتوقعه رئيسة الوزراء »(٥٣).

لم تقتصر المحاولات المبذولة لاقناع مناحيم بيجن ، للعدول عن موقفه ، على وزراء حزب التجمع ، بل شملت ايضا بعض الاحزاب والشخصيات ،

سواء منها التي تقف في صف المعارضة ، او التي تنضوي تحت لواء التجمع القومي . فقد اجتمع اعضاء الكنيست عن اجودات يسرائيل ، والقائمة الرسمية (قائمتان معارضتان) بالوزير مناحيم بيجن ، وطلبوا منه ان تبقى كتلة جاحال في الحكومة ، غير انه اجاب « بأن كتلة جاحال عازمة على الاستقالة من الحكومة اذا ما وافقت الحكومة بالفعل على قرار يسمح للدكتور يارينغ بالعمل على تنفيذ مشروع روجرز »(٥٤).

وقام الحزب الوطني المتدين ايضا بمحاولة من جانبه لاقناع مناحيم بيجن للعدول عن موقفه . فقد وجه منسق الحزب « اليعيزر جؤولين » نداء الى بيجن قال فيه : « لقد تقرر باجماع اعضاء ادارة الحزب الوطني المتدين (المفدال) وكتلتنا في الكنيست، في الجلستين الاخيرتين، اللتين كرستا حول موضوع الرد على المبادرة الاميركية ، التوجه اليك كرئيس لحركة حيروت ، وكرئيس كتلة جاحال في الكنيست، في هذه الساعة المصيرية للامة وللدولة، لتستجيبوا لمطلبنا ، ومطلب عشرات الالاف من مواطني اسرائيل بأن لا تستغيلوا من الحكومة وان لا تتسببوا في حل حكومة الائتلاف الوطني وان تواصلوا نضالكم حول موقفكم داخل الحكومة ولجانها ، ان موقفكم في الداخل له وزن كبير وتأثير ، بالنسبة لتطورات الاحداث في المستقبل »(٥٥).

وجاء رد مناحيم بيجن على هذه المحاولات في حفل تدشين معهد جيبوتنسكي بتل ابيب ، الذي اقيم برعاية نائب رئيسة الوزراء يجآل الون ، وبحضور جمهور كبير ، حيث قال بيجن : « من هذا المكان ، انا شد اعضاء حزب التجمع ، والحزب الوطني المتدين ، والقائمة الرسمية ، وكل اولئك الذين ينظرون الى ارض اسرائيل كنظرتنا ، بأن يتحدوا معنا ، وان يقيموا معا « حركة مقاومة للانسحاب » حركة لانقاذ اسرائيل !! واني ادعو صديقي العظيم ، الذي رفع لواء تكامل البلاد يتسحاق طبنكين ، ان يقوم ويترأس « حركة مقاومة الانسحاب » . » وتساءل بيجن : « كيف يكون من المعقول ان نسلم قلب الامة الى الاجانب ، ونوقع امام ١٢٦ امة على صك التزام بأننا لا نمتلك حقا في أجزاء من وطننا ! »(٥٦).

عند هذا ، بدا واضحا ان مناحيم بيجن قد ادار ظهره لكافة المحاولات المبذولة لعدوله عن موقفه ، وانه قد عقد العزم ، بعدم التراجع مطلقا عنه . ومع ذلك فقد كانت هنالك محاولة اخيرة ، جاءت من قبل نفس الشخص الذي اختاره مناحيم بيجن ليقود « حركة مقاومة الانسحاب » حيث قام الزعيم القديم لحزب «احدوت همفودا» واحد رؤساء «الحركة من اجل ارض اسرائيل الكاملة » يتسحاق طبنكين الذي يناهز الثالثة والثمانين من عمره ، بالاجتماع بمناحيم بيجن وبذل محاولات لاقناعه بأن لا يخرج من حكومة الائتلاف الوطني(٥٧). غير ان نصيب هذه المحاولة الاخيرة من النجاح كان كنصيب المحاولات السابقة .

سبق ان ذكرنا ، ان كتلة جاحال تشكلت عام ١٩٦٥ من اتحاد حزبي حيروت والاحرار ، وان الحزبين حافظا على استقلال فروعهما. ومن الجدير بالذكر ان لهذه الكتلة مركزين مستقلين : مركز حيروت ، ومركز الاحرار ويضم كل مركز ١١٧ عضوا ويبلغ اعضاء المركزين معا ٢٣٤ عضوا(٥٨). وهؤلاء هم الذين يقرون الخطوط الرئيسية لسياسة الكتلة ، ويحسمون القضايا الرئيسية المختلف عليها ، بأكثرية الاصوات ، لذا كان لا بد بعد موافقة الحكومة الاسرائيلية على مبادرة السلام الاميركية ، وما احدثته هذه الموافقة من بروز اتجاهين داخل الكتلة ، الاول يطالب بالانسحاب من حكومة الائتلاف الوطني بسبب الموافقة، والثاني يدعو الى البقاء في الحكومة ، والقيام بنضال داخلها ضد الموافقة ، كان لا بد من اللجوء الى مركزي الحزب لاقرار السير في احد هذين الاتجاهين. عقد مركزا الكتلة اجتماعا في مساء الثالث من آب ١٩٧٠ في تل ابيب ، واستمر الاجتماع حتى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل .

افتتح مناحيم بيجن هذا الاجتماع بخطاب شامل حاول فيه اقناع اعضاء المركزين ، بتأييد موقفه الداعي الى الانسحاب من الحكومة ، ووصف قبول الحكومة للمبادرة الاميركية بأنه بمثابة استسلام ، وأعاد الى الاذهان « اتفاقية ميونيخ » الامر الذي حدا بأحد الاعضاء ليقاطعه قائلا : « لا تكن نبي خراب ، بث الامل في النفوس ، ولا تبشر بالخراب »(!)(٥٩). بعد هذه الملاحظة تحول الاجتماع الى اجتماع عاصف ، وقام البعض من اعضاء مركز حيروت بتهديد ذاك العضو ، وحاولوا الاعتداء عليه .

ثم عاد مناحيم بيجن ، واستمر في القاء كلمته ،

ووصف مشروع روجرز بأنه بمثابة « مصيدة أعدت لابادة اسرائيل »(٦٠) ودعا مركزي الحزب الى الموافقة على انسحاب كتلة جاحال من الحكومة . ثم تحدث بعض الاعضاء ، بين مؤيد ومعارض ، لمناحيم بيجن . وكان من ابرز المعارضين له الوزير يوسف سبير (الاحرار) الذي كان يعبر عن الاتجاه الثاني . قال سبير : « اننا بتركنا الحكومة ، نفلت من ايدينا اداة قوية ، نستطيع بواسطتها خدمة الشعب . اننا نخلق فراغا لن يملأ ، وسيستغل الوضع أسوأ استغلال . علينا ان نهتم بالدولة . ان دور كتلة جاحال اليوم شبيه بالدور الذي أنيط بها عشية حرب الايام الستة »(!)(٦١).

في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ظهرت نتيجة التصويت ، فقد صوت الى جانب الاستقالة ١١٧ عضوا وعارضها ١١٢ عضوا ، وامتنع عضوان عن التصويت ، والغي صوت واحد ، وتغيب اثنان عن الاجتماع . وبذلك انفرط عقد « التجمع القومي » في اسرائيل بعد مضي ثلاثة اعوام وشهرين على تأسيسه(٦٢).

خضع جناحا كتلة جاحال لنتيجة التصويت وقدم وزراء الحزب الستة استقالتهم الى رئيسة الوزراء، وكان يتقدمهم مناحيم بيجن ، الذي انحنى امام غولدا مئير عند تقديم استقالته وقبل يدها(٦٣). وبذلك تكون مبادرة روجرز الثانية قد نسفت حكومة التجمع القومي في عام ١٩٧٠ ، بعد ان نسفت حكومة التجمع القومي ، مبادرة روجرز الاولى في عام ١٩٦٩ .

بعد ان وجدت حكومة اسرائيل ان الامر يتطلب احداث تغيير على موقفها تجاه مشروع روجرز ، خاصة بعد قبول دولتين عربيتين له ، وعقب الضغط الاميركي المشوب بالاغراءات ، قررت الاستجابة الى مبادرة السلام الاميركية . وكانت المشكلة الرئيسية التي واجهت الحكومة هي صيغة الرد على المبادرة الاميركية ، لذلك شكلت الحكومة « لجنة صياغة » « برئاسة رئيسة الوزراء غولدا مئير ، وعضوية الوزراء ابا ايبن ، آلون ، جليلي ، ديان ، غيرهفتج ، بيلد ، كول وشبيرا»(٦٤). وقد قام كل من رئيسة الوزراء غولدا مئير ووزير الدفاع موشيه ديان بوضع اللمسات الاخيرة على صيغة الرد .

تنص صيغة الرد الاسرائيلي بالحرف على ما يلي :

« بعد التدقيق في رسالة الرئيس نكسون الصادرة بتاريخ ٢٤ يوليو ، واستنادا الى فحواها ، ومن خلال التمسك بالخطوط الاساسية لسياسة الحكومة وبياناتها الرسمية تقرر الحكومة الاستجابة الى مبادرة السلام الاخيرة لحكومة الولايات المتحدة ، وابلاغها بأنها مخولة بأن تبلغ السفير يارينغ ان :

ا ــ اسرائيل مستعدة لتعيين مندوب عندما تحين الساعة ، للاشتراك في محادثات ، مع مصر او الاردن ، تجري تحت اشراف الدكتور يارينغ ، وفقا للترتيبات والاماكن والمواعيد التي يوصي بها الدكتور يارينغ ، اخذا بنظر الاعتبار مواقف الاطراف المعنية بشأن هذه الترتيبات ، والترتيبات التي جرت بموجبها في السابق ، محادثات كهذه بين الاطراف .

ب ــ موقف اسرائيل تجاه وقف اطلاق النار في جميع الجبهات ، بما في ذلك الجبهة المصرية ، ما زال قائما على اساس التعامل بالمثل ، وفقا لقرار مجلس الامن . واستنادا الى التوضيحات التي أعطيت من قبل حكومة الولايات المتحدة فان اسرائيل مستعدة للاستجابة لاقتراح الولايات المتحدة بشأن وقف اطلاق النار (لثلاثة اشهر على الاقل) في الجبهة المصرية .

ج : المحادثات تحت اشراف الدكتور يارينغ ستجري في نطاق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتستند على استعداد الاطراف المعنية لتنفيذ هذا القرار بكل اجزائه ، من اجل التوصل الى اتفاق سلام ملزم ، ومتفق عليه بين الاطراف بحيث يضمن:

١ ــ التزام مصر والاردن واسرائيل ، بوضع حد لجميع المطالب او اوضاع الحرب ، والاحترام والاعتراف المتبادل بالسيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لاسرائيل ومصر (او اسرائيل والاردن) وحق هذه الدول في العيش بسلام في حدود آمنة ومعترف بها ، بعيدة عن اي تهديد او اعمال عنف . ويكون كل طرف مسؤولا داخل اراضيه عن منع اعمال حربية او اعمال عدائية ، سواء من جانب قوة عسكرية او شبه عسكرية ، بما في ذلك قوات غير نظامية ضد القوات العسكرية او المدنيين الموجودين في اراضي الطرف الاخر .

٢ ــ انسحاب قوات اسرائيل المسلحة من مناطق احتلت في نزاع ١٩٦٧ الى حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها ، تحدد في اتفاقيات سلام .

٣ ــ اشتراك اسرائيل في هذه المباحثات ، هو بدون شروط مسبقة . ان اسرائيل لا تطلب سلفا

ان يوافق الاطراف علـى مواقفها ، وكذلك فان اسرائيل لا تقبل سلفا ، شروط الاطراف الاخرى ، التي وردت في بيانات الاطراف سواء منها العلنية او غير العلنية . وكل طرف يكون حرا في طرح اقتراحاته في مواضيع المباحثات »(٦٥).

اما مبادرة روجرز فانها تشتمل على ما يأتي(٦٦):

ا ـ « ان توافق كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لفترة محدودة (٣ شهور) .

ب ـ ان توافق الاطراف المعنية على التصريح التالي على اساس ان يصدره السفير يارينغ في شكل تقرير الى السكرتير العام يو ثانت :

ابلغتني الجمهورية العربية المتحدة والاردن واسرائيل انها توافق على :

ا ـ انها بعد ان قبلت وابدت رغبتها في تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، بكل اجزائه ، فانها سوف تعين ممثلين لها في المناقشات التي تعقد تحت اشرافي طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذي قد اوصي به ، مع الاخذ في الاعتبار ، كلما كان ذلك مناسبا ، ما يفضله الاطراف بالنسبة لاسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

ب ـ ان الهدف من المناقشات المشار اليها عاليه ، هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى : ١ ـ الاقرار من جانب الاطراف بسيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي (وفق نص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) . ٢ ـ الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي التي احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ ، وذلك طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ج ـ وانه لتسهيل مهمتي للعمل من اجل التوصل الى حل كما تضمن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، فان الاطراف ستحترم بكل دقة ـ ابتداء من اول يوليو حتى اول اوكتوبر علـى الاقل ـ قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار » .

من الملاحظ ان الرد الاسرائيلي لا ينطبق تماما مع الصيغة التي قدمهـا وليام روجرز لتوقع عليهـا اسرائيل. وبدلا من ذلك فضلت الحكومة الاسرائيلية ان تستجيب الى المبادرة الاميركية من خلال بيان تصدره هي وتوقع عليه . وقد عمدت لجنة الصياغة في البيان الذي توصلت اليه ، الى ربط موافقة اسرائيل على مبـادرة السلام الاميركية بالشروط التي ترتئيها اسرائيل وعلى سبيل المثال ، جاء في الصيغة الاسرائيلية : « بعد التدقيق في رسالة الرئيس نكسون واستنادا الى فحواها ... » اي ان الموافقة الاسرائيلية ترتبط بالتعهدات التي قطعها الرئيس نكسون على نفسه بدعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا .

ثم جاء في الصيغة : « ومن خلال التمسك بالخطوط الاساسية لسياسة الحكومة » والحقيقة ان هذه الجملة تلغي المبادرة الاميركية او تتناقض معهـا جملة وتفصيلا اي ان الموافقة ترتبط بالمقررات التي كانت الحكومـة قد اتخذتهـا او البيانات التـي اصدرتها . لان الحكومة قد اتخذت قرارات كثيرة، مثل دعوتها الى اقامـة مستوطنات في المناطـق المحتلة ، او اعلانها ان نهر الاردن يشكل الحد الامني لاسرائيل ، او قرارها الداعي باقامة ضاحية يهودية في الخليل ، هذا فضلا عـن ان بيـانات الحكومة نفسها تتناقض في بعض الاحيان(٦٧).

ومن الممكن القول بأن بيان الرد الاسرائيلي قـد شدد على الامور التالية :

ا ـ التأكيد على رسالة الرئيس نكسون وفحواها والخطوط الاساسية للحكومة ، كمقدمة لاستجابة اسرائيل على المبادرة الاميركية دون التطرق الى ذكر مشروع روجرز .

٢ ـ التأكيد على ان تجري المباحثات تحت اشراف الدكتور يارينغ في « **نطاق قرار مجلس الامن** » وليس « طبقا » لقرار مجلس الامن .

٣ ـ التأكيد على ان اشتراك اسرائيل في المباحثات التي تجري تحت اشراف الدكتور يارينغ ان تكون « بدون شروط مسبقـة » وهذا مـا لم تتضمنه مقترحات السلام الاميركية .

٤ ـ التأكيد على « انسحـاب قوات اسرائيـل المسلحة من اراض احتلت » وليس « الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي التي احتلت » كما جاء في ترجمة الاهرام لمقترحات روجرز .

هنالك فرق بين «انسحاب قوات اسرائيل المسلحة» وبين «الانسحاب الاسرائيلي» ذلك لان «الانسحاب» في النص الاول يقتصر علـى القوات الاسرائيلية المسلحة فقط ، ولا يشمل المدنيين الاسرائيليين . بينما « الانسحاب » في النص الثاني يشمل كافة المظاهر الاسرائيلية في المناطق المحتلة . ولذا فليس من المستغرب ان تكون « لجنة الصياغة » قد أرادت ان تمكن اسرائيل من القول : « انسحاب قوات اسرائيلية مسلحة ، نعم . انسحاب اسرائيلـي

مدني ، لا » !!(٦٨).

اما مسألة الفرق في الصيغتين حول جملة «الاراضي المحتلة » الواردة في صحيفة الاهرام و« أراض احتلت » الواردة في الصيغة الاسرائيلية فانها تعود الى غموض النص الانجليزي وجواز ترجمته بالطريقتين اللتين ترجمنا بهما . وقد تمسك الموقف العربي بـ«أل» التعريف بينما ازال الموقفالاسرائيلي ال التعريف لانه راى في ذلك نقطة ضعف في النص الانجليزي ، يمكن استغلالها لكي يتسنى لاسرائيل البقاء في مناطق عربية محتلة والخروج من مناطق اخرى .

هذا ، وقد اقرت الكنيست صيغة الاستجابة الاسرائيلية للمشروع الاميركي ، بعد خطاب القته رئيسة الوزراء غولدا مئير في الكنيست . وصوت الى جانب صيغة الاستجابة ٦٦ نائبا من كتل الائتلاف المقلص بالاضافة الى كتلة همولام هزيه ، والحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » . وصوت ضدها ٢٨ نائبا من كتلة جاحال والمركز الحر وقسم من القائمة الرسمية . وامتنع ٩ أعضاء عن التصويت من كتل اغودات يسرائيل ، وعمال اغودات يسرائيل والقائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ونائبا الحزب الوطني المتدين ، « هامر » و« شاكي » والنائب « ابي زوهر » من القائمة الرسمية(٦٩).

يمكن القول ان المقترحات الاميركية تشتمل على ثلاثة امور رئيسية : وقف اطلاق النار المحدود والانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة ، والتوقيع على اتفاق سلام ملزم .

وقد تحقق حتى الان الجزء الاول من هذه الامور الثلاثة وهو وقف اطلاق النار المحدود . اما الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة، والتوقيع على اتفاقية سلام ملزم ، فلم يتحققا حتى الان ، وربما يؤدي ذلك الى نسف وقف اطلاق النار المحدود بين الطرفين .

والامر الذي يسترعي الانتباه هو ان اسرائيل كانت ولا تزال في صراعها مع الدول العربية ترغب في وقف اطلاق النار غير المحدود لان ذلك يمكنها من تكريس المكاسب التي احرزتها عن طريق عدوانها ، مع مرور الزمن ، وترفض دائما وقف اطلاق النار المحدود .

كانت رئيسة الوزراء غولدا مئير قد رفضت الاقتراح الذي تقدم به الرئيس جمال عبدالناصر حول وقف اطلاق النار المحدود بفترة زمنية قبل الموافقة على مشروع روجرز ، لان ذلك « من شأنه ان يمنحه مزايا تكتيكية واستراتيجية لاستئناف حرب الاستنزاف في جبهة القنال »(٧٠).

وتخشى اسرائيل من ان وقف اطلاق النار المحدود سيكون فرصة سانحة للمصريين لتعزيز جبهتهم الامامية بشبكة من الصواريخ المضادة للطائرات . وقد عبرت عن ذلك صحيفة هآرتس بقولها : « ان الحقيقة واضحة وهي ان اي وقف اطلاق النار في الظروف الراهنة سيلحق الضرر باسرائيل ، ومن المحتمل ان يلحق الضرر بأمن الدولة على المدى البعيد ... ويتمثل التخوف الرئيسي في استغلال المصريين لوقف اطلاق النار ، في بناء شبكة من صواريخ « سام ٢ » و« سام ٣ » في جبهة قنال السويس على امتداد ١٦ كم طولا و٣٠ كم عمقا ، في محاولة منهم لتقليص فاعلية هجمات سلاح الجو الاسرائيلي ، في حالة فشل مشروع روجرز ، وتجدد المعارك مرة اخرى »(٧١).

ان اسرائيل ، برفضها وقف اطلاق النار المحدود ، تنطلق من خلال اقتناعها بأن سلاحها الجوي يمتلك التفوق في جبهة القنال ، وبأنه مع تكثيف غاراته ، يمكنه انهاك الجبهة المصرية ، او الحيلولة دون تعزيزها بصواريخ مضادة للطائرات ، ومن خلال تصورها باحتمال فشل مبادرة السلام الاميركية ، وبذلك تكون مصر هي المستفيدة من وقف اطلاق النار لان قضية التحصينات ، وتعزيز المواقع لم تشكل حاجة ماسة بالنسبة لاسرائيل ، مثلما كان الحال بالنسبة لمصر « ولكن مشكلتنا كانت مشكلة مادية وليست متعلقة باطلاق النار كما هو الحال عند المصريين »(٧٢). وازاء هذه التخوفات كان لا بد من بلورة موقف اسرائيل تجاه وقف اطلاق النار المحدود ، الذي جاء في مقترحات السلام الاميركية ، بواسطة القيادة العامة للجيش الاسرائيلي ووزير الدفاع موشيه ديان . وبالفعل بلورت القيادة العامة للجيش الاسرائيلي موقف الحكومة الاسرائيلية بشأن وقف اطلاق النار ، كما جاء في صيغة الاستجابة الاسرائيلية على المبادرة الاميركية(٧٣).

وقد توصلت الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل الى اتفاق لوقف اطلاق النار ، يحتوي على المواد التالية ، كما جاء على لسان وزير الدفاع موشيه ديان في الكنيست الاسرائيلية :

١ ــ « تحترم اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة اتفاقية وقف اطلاق النار التي يبدأ مفعولها يوم الجمعة ١٩٧٠/٨/٧ ، الساعة العاشرة حسب توقيت غرينتش .

٢ ــ يوقف الطرفان اعمال التوغل ، واطلاق النار في البر والجو على امتداد خطوط وقف اطلاق النار.

٣ ــ يمتنع الطرفان عن تغيير الوضع الحالي العسكري ، داخل المناطق الممتدة ٥٠ كم شرق وغرب خط وقف اطلاق النار .

٤ ــ لا يدخل او يقيم ، اي طرف من الاطراف منشآت عسكرية جديدة مهما كانت في هذه المناطق، ويقتصر النشاط داخل هذه المناطق على الاعتناء بالمنشآت القائمة في اماكنها ومواقعها الحالية ، وبالاعتناء بالقوات الموجودة حاليا في هذه المناطق وتزويدها بالمؤونة .

٥ ــ ومن اجل التحقق من احترام وقف اطلاق النار يستعين كل طرف من الاطراف بوسائله الخاصة ، بما في ذلك الطائرات المقاتلة ، التي تمتلك حرية العمل ، دون عرقلة ، لمسافة ١٠ كم من خط وقف اطلاق النار ، في الجانب الذي ترابط فيه . كما يحق لكل طرف الاستعانة ، اذا تطلب الامر ذلك بجهاز الامم المتحدة ، بغرض تقديم تقرير للطرف الاخر ، حول ادعاءات تتعلق بخرق وقف اطلاق النار ، وخرق تسكين النشاط العسكري .

٦ ــ يلتزم الطرفان بمعاهدة جنيف لعام ١٩٤٩ ، بشأن معاملة اسرى الحرب ، ويوافقان على الاستعانة باللجنة الدولية للصليب الاحمر في تنفيذ التزاماتهما وفقا لهذه المعاهدة »(٧٤).

لقد ذكرنا ان اسرائيل لا ترغب في وقف اطلاق النار المحدود بفترة زمنية ، وانما تريد وقف اطلاق النار غير المحدود الى ان يحل السلام الدائم بينها وبين الدول العربية . بيد انها قبلت هذه المرة وقف اطلاق النار المحدود ، بعد اعتمادها على التوضيحات التي تلقتها من الولايات المتحدة، بشأن المحافظة على ميزان القوى خلال فترة وقف اطلاق النار ، وعلى البند الرابع في اتفاقية وقف اطلاق النار ، والخاص بتسكين النشاط العسكري في الجبهة على امتداد قنال السويس .

في الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة ، وقبل اربع ساعات من دخول اتفاقية وقف اطلاق النار الى حيز التنفيذ اعلنت رئيسة الوزراء غولدا مئير، في خطاب اذيع من « صوت اسرائيل » عن وقف اطلاق النار في الجبهة المصرية . قالت في خطابها :

« انني مسرورة لابلاغ الشعب في اسرائيل ان وقف اطلاق النار سيدخل حيز التنفيذ بيننا وبين مصر هذه الليلة . ان وقف اطلاق النار قد تم التوصل اليه بمبادرة من قبل الولايات المتحدة ، وسيبدأ اعتبارا من منتصف هذه الليلة ، ويسري مفعوله على كافة القوات المرابطة على جانبي خط وقف اطلاق النار » .

ثم انحت باللائمة على مصر لخرقها اتفاقية وقف اطلاق النار التي تم الاتفاق عليها لدى انتهاء حرب الايام الستة . واعربت عن املها بأن يحافظ المصريون هذه المرة على وقف اطلاق النار ، الى ان يتم التوصل الى سلام دائم. ثم امتدحت « جنود الجيش الاسرائيلي في البر والبحر والجنود الذين يجلسون في الاسر ، وكافة اولئك الذين يرابطون على خط وقف اطلاق النار »(٧٥).

وقد استقبل الاسرائيليون وقف اطلاق النار بالاستبشار والفرح والغبطة ، واخذ الجنود المرابطون في جبهة القنال يرفعون الكؤوس ويشربون نخب هذا الحدث(٧٦).

اما على صعيد الجبهة الخلفية فقد « كانت هذه اعظم بشرى ليوم السبت ، لعشرات الالاف من النساء وأمهات جنود الجيش الاسرائيلي . فقد شعر الشعب بأسره ، وذلك لاول مرة بعد صيف عام ١٩٦٨ ، ان السير نحو حرب المئة عام بين العرب واليهود قد توقف ، هذه الحرب التي ينظر اليها الانهزاميون الحقيقيون من بيننا ، كأمر من وزير التاريخ ، هذا الوحش القبيح في مخيلتهم ، بحيث ينبغي ان يروي ظمأه بدم ابنائنا »(٧٧).

غير ان هذه الفرحة العارمة التي عمت الجبهة الامامية في قنال السويس ، والجبهة الخلفية في مدن اسرائيل لم يكتب لها ان تعم مستوطنات الحدود في الجبهة الشرقية في تلك الليلة ، بفضل الغارات التي كان يشنها الفدائيون العرب على هذه المستوطنات . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فان سكان مستوطنة « هجشيميم » الذين تعرضوا لقصف قذائف الكاتيوشا من قبل الفدائيين لم يسمعوا عن وقف اطلاق النار الا مساء اليوم الثاني . كما ان سكان مستوطنة « مناحميا » استمعوا الى « البشرى » التي زفتها رئيسة الوزراء غولدا مئير وهم داخل الملاجىء ، لتعرض المستوطنة لهجوم فدائي(٧٨)، الامر الذي جعل

سكان مستوطنات الشمال وغور الاردن يعتقدون بأن « مركز الثقل للمعركة قد انتقل من السويس اليهم »(٧٩).

سبق لنا ان ذكرنا ان الحكومة الاسرائيلية بعثت بردها على مشروع روجرز ، بعد ان قامت لجنة وزارية بصياغة الرد الاسرائيلي ، وانها وافقت على قبول مشروع روجرز من خلال بيانها الذي يحتوي على تحفظات، دون ان توقع على المقترحات الاميركية ، بعكس الجمهورية العربية المتحدة والاردن ، اللتين وقعتا على هذه المقترحات . كما ذكرنا ان البيان الاسرائيلي احتوى على تعديلات للمقترحات الاميركية ، فضلا عن ربطه الموافقة الاسرائيلية ، بالشروط التي ترتأيها اسرائيل .

وعندما تلقى المسؤولون الاميركيون رد اسرائيل « المتحفظ » ابلغوا يو ثانت ، ان الدول الثلاث مصر والاردن واسرائيل ، قد قبلت مشروع روجرز، وقد استدعى السكرتير العام للامم المتحدة الدكتور يارينغ ليقوم بمهمته على ضوء مقترحات روجرز دون ان يذكر « التحفظات » الاسرائيلية الواردة في ردها ، الامر الذي احدث استياء في الدوائر الرسمية الاسرائيلية تجاه اميركا . فقد كانت اسرائيل تعتقد ان الاميركيين سيؤكدون على التحفظات التي اوردتها اسرائيل في ردها، وبالتالي تكون هذه التحفظات ، المنطلق الذي يمكن لاسرائيل ان تنطلق منه في المحادثات التي ستجريها مع الدكتور يارينغ . غير ان الاميركيين لم يأبهوا بهذه التحفظات ، خاصة وانهم كانوا قد ارسلوا توضيحات لاسرائيل ، التزموا بموجبها بتعهدات تجاهها . فضلا عن انهم كانوا يودون الاسراع في انجاح مبادرتهم ، الامر الذي دعاهم الى عدم ذكر التحفظات الاسرائيلية ، للسكرتير العام للامم المتحدة ، خوفا من ان تعرقل هذه التحفظات سير مهمة يارينغ .

ومن هنا بدأت تظهر بوادر ازمة الثقة بين الولايات المتحدة واسرائيل بسبب ما اسمته اسرائيل « بقضية الوثيقة » .

وقد اخذت ازمة الثقة هذه تتضح عندما استدعت اسرائيل سفيرها في واشنطن للتشاور ، قبل أن يبدأ الدكتور يارينغ مهمته التي انيطت به .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال ، ان الاميركيين عندما صاغوا مشروع روجرز ، وضعوا نصب اعينهم الاحتمالات والامكانات التي يمكن ان يؤدي اليها قبول هذا المشروع على الصعيد الداخلي في اسرائيل والعالم العربي . وكانت تقديرات واشنطن ترتكز على توجيه ضغط على اسرائيل لكي تقبل الانسحاب من المناطق المحتلة . وكانت القوة التي تعتمد عليها واشنطن بعد استخدام الضغط ، تتمثل في عدد من فئة الحمائم التي كانت تقوم بين الفينة والاخرى بزيارة الولايات المتحدة وتدعي أمام المسؤولين الاميركيين « انها معنية بالسلام وليس بالمناطق »(٨٠).

وقد اصيب الموظفون الاميركيون بخيبة أمل من افراد فئة الحمائم الاسرائيلية . « فبدل ان تكون هنالك استجابة ملموسة لمبادرة السلام الاميركية ، توجد تحفظات قوية لدى مختلف التيارات الاسرائيلية في الوقت الذي لا تسمع فيه فئة الحمائم صوتها »(٨١). هذا فضلا « ان هنالك حمائم هامة تحولت فجأة الى ما يشبه الصقور »(٨٢).

يقول كبار الموظفين الاميركيين « انهم كانوا يعتقدون بأن حركة الحمائم ستقوم باستقطاب الرأي العام في اسرائيل لتأييد مبادرة السلام الاميركية بعد انسحاب كتلة جاحال من الحكومة» خاصة وان ابا ايبن كان قد الح الى ان السبب الذي يكمن وراء عدم استخدامه لكلمة «انسحاب» هو « وجود المعارضة اليمينية التي تمثلها كتلة جاحال في الحكومة ».

وقد قال احد كبار الموظفين الاميركيين « لقد خذلنا ابا ايبن » . وقال آخر : « لقد ضللنا »(٨٣).

وربما يعود « خذلان » المسؤولين الاميركيين وسهولة تضليلهم على ايدي فئة الحمائم في اسرائيل ، الى عدم وجود رؤيا واضحة لكنه هذه الحمائم . فقد تصور الاميركيون ان ما يسمى بفئة الحمائم في اسرائيل ، « تفضل السلام على المناطق » وهذا تصور خاطىء ، لان فئة الحمائم الاسرائيلية ، خاصة تلك الفئة الموجودة داخل الحكومة ، تتفق مع فئة الصقور على فكرة ضم مناطق عربية لاسرائيل ، وان اختلفت معها في مقدار هذا الضم. وبما ان مشروع روجرز يدعو الى « الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة » فان ذلك لا يجد استحسانا لدى فئة الحمائم والصقور على حد سواء . والفرق الوحيد بين هاتين الفئتين في هذا المجال ، ان فئة الصقور تجرؤ على توضيح ما يجيش بخاطرها من افكار، بعكس فئة الحمائم التي تلوذ بالسكوت .

بعد تلقي الولايات المتحدة رد اسرائيل على

مقترحاتها ، والذي اعتبرته واشنطن انه بمثابة « نعم ولا » في آن واحد(٨٤)، وفي جو ازمة الثقة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، والتي اشتهرت باسم « قضية الوثيقة » وفي الوقت الذي كان يتأهب فيه الدكتور يارينغ للقيام بمهمته ، اخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث حول خرق المصريين لوقف اطلاق النار وادعت ان المصريين خرقوا اتفاقية وقف اطلاق النار بعد دخولها حيز التنفيذ مباشرة، «حيث قاموا بتقديم عدد من بطاريات صواريخ ارض جو على اختلاف انواعها باتجاه القنال ، على بعد يتراوح بين ٢٠ — ٣٠ كم من خط الماء . وقد نصبت هذه الصواريخ في منطقة تقع بين طريق السويس/القاهرة في الجنوب، وطريق الاسماعيلية/ الدلتا في الشمال »(٨٥).

وعلى اثر ذلك خلقت قضية اخرى ، وهي « قضية الصواريخ » التي جاءت بعد اسبوع تقريبا من ظهور « قضية الوثيقة » غير ان «قضيةالصواريخ» حظيت بنصيب كبير من الترويج ، والدعاية ، من جانب اسرائيل .

طلبت اسرائيل من الولايات المتحدة الاميركية ، العمل على « اعادة بطاريات الصواريخ المصرية التي نقلت الى منطقة التجميد العسكري بعد سريان وقف اطلاق النار الى اماكنها السابقة » كما واكد وزير الدفاع موشيه ديان « مسؤولية الولايات المتحدة لحرمة وقف اطلاق النار »(٨٦).

ثم اخذت اسرائيل تتحدث عن تقديم مجموعة ثانية من بطاريات الصواريخ الى منطقة القنال في الفترة الواقعة بين ١٥ — ٢٧ من شهر آب تمهيدا لاغلاق الطريق امام السفير يارينغ .

وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه قضية الصواريخ، برزت في الافق قضية اخرى ، قضية مكان ومستوى المحادثات التي ستجري تحترعاية الدكتور يارينغ، حيث رأت اسرائيل انه من الافضل اجراء المباحثات في مكان بعيد عن اروقة الامم المتحدة ودعت الى اجراء هذه المباحثات في جزيرة قبرص ، بينما دعا الجانب العربي الرسمي لاجرائها في نيويورك . وبالنسبة لمستوى المباحثات ، فقد دعت اسرائيل لان تكون بمستوى وزراء الخارجية ، بينما الجانب العربي الرسمي دعا لان تكون بمستوى المندوبين في هيئة الامم المتحدة .

وفي هذا الجو اخذت الحكومة الاسرائيلية تضغط على الولايات المتحدة « بما انها مسؤولة عن حرمة وقف اطلاق النار » للعمل على اعادة الصواريخ المصرية الى اماكنها السابقة . وحذر سفير اسرائيل لدى واشنطن يتسحاق رابين من « ان مباحثات الدكتور يارينغ ستتعرض للانهيار بسبب غياب رد فعل اميركي على تحريك الصواريخ »(٨٧) كما ان وزير الدفاع موشيه ديان هدد بتقديم استقالته من الحكومة ، اذا ما اعلنت اسرائيل انها لا ترى نفسها مرتبطة بوقف اطلاق النار بعد ان انتهك المصريون وقف اطلاق النار »(٨٨). وهذه هي المرة الثانية التي يهدد بها ديان ، بتقديم استقالته من الحكومة خلال شهرين ! واعلن بعض وزراء الحزب الوطني المتدين انهم سيقفون الى جانب وزير الدفاع موشيه ديان ، وانهم سيعملون من اجل انسحاب الحزب الوطني المتدين (المفدال) من الحكومة «اذا ما استنتج ديان استنتاجات شخصية من الوضع الذي طرأ » (٨٩).

عند ذلك رأت حكومة اسرائيل ان الوضع يتطلب اتخاذ خطوة حاسمة ، ولذلك قررت في جلستها الاسبوعية ، « عدم الاشتراك في المباحثات مع الدكتور يارينغ ، طالما ان اتفاقية وقف اطلاق النار لم تتحقق باكملها ، بما في ذلك تجميد الوضع العسكري »(٩٠).

وقد اشترطت الحكومة الاسرائيلية، عودتها لمباحثات الدكتور يارينغ باعادة الوضع في جبهة القنال الى ما كان عليه ، وبذلك انهارت محادثات الدكتور يارينغ بعد شهر تقريبا من قبول اسرائيل للمبادرة

نكون واهمين اذا اعتقدنا ان «قضية الصواريخ كانت العامل الاساسي في انهيار محادثات يارينغ ذلك لان العامل لانهيار هذه المباحثات ، يتمثل في البون الشاسع بين موقف اسرائيل الرسمي من قضية المناطق المحتلة ، وبين المقترحات الاميركية التي تدعو الى « الانسحاب الاسرائيلي » من هذه المناطق . اما قضية الصواريخ فانها تعتبر من العوامل الثانوية لانهيار المباحثات . فبعد موافقة اسرائيل على المبادرة الاميركية بأيام معدودة اتضح ان وزير الدفاع ورئيسة الوزراء ، بالاضافة الى عدد من الوزراء ، « يرون انه لا يمكن التنازل عن شرم الشيخ وغزه والقدس وضواحيها وهضبة الجولان »(٩١) وهذا يتعارض مع مشروع روجرز ومع مهمة الدكتور يارينغ . كما ان رئيسة الوزراء صرحت في الكنيست بعد اسبوع تقريبا من قبول اسرائيل للمبادرة الاميركية ، وفي الوقت الذ

كان يتأهب فيه الدكتور يارينغ للبدء باتصالاته مع الاطراف المعنية « ان مندوبينا في المباحثات التي ستجري تحت اشراف يارينغ ، سيعملون بموجب الخطوط الاساسية لسياسة الحكومة والقرارات التي صادقت عليها الكنيست »(٩٢). ومن المعروف ان الخطوط الاساسية لحكومة اسرائيل تتعارض تماما مع مشروع روجرز .

بعد ان اتخذت حكومة اسرائيل قرارا بعدم الاشتراك في مباحثات يارينغ ، الا اذا سحب المصريون بطاريات الصواريخ الى الجبهة الخلفية ، حدثت في المنطقة تطورات كبيرة لها علاقة بشكل او بآخر بمشروع روجرز ، تمثل في الاحداث الجسام التي وقعت في الاردن والتي ذهب ضحيتها آلاف القتلى والجرحى . كما وقع في مصر حادث جلل : وفاة الرئيس جمال عبدالناصر . وقد ادت هذه الاحداث بالاضافة الى رفض اسرائيل الى الاشتراك في مباحثات الدكتور يارينغ الى عرقلة مشروع روجرز، الى ان حانت نهاية وقف اطلاق النار المحدود بفترة زمنية مدتها ٩٠ يوما . حيث بدأ الاهتمام من جديد بالمشروع ووافقت الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل على مد فترة وقف اطلاق النار الى ٩٠ يوما آخر . غير ان اسرائيل بقيت متمسكة بقرارها الداعي الى عدم الاشتراك في مباحثات الدكتور يارينغ ما لم تسحب بطاريات الصواريخ المصرية الى الخلف .

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة الاسرائيلية كانت قد تلقت خلال فترة وقف اطلاق النار الثانية ، اعتمادات امريكية تبلغ قيمتها ٥٠٠ مليون دولار من الولايات المتحدة ، كنوع من الضغوط الامريكية المشوبة بالاغراءات التي تمارسها امريكا على اسرائيل من اجل موافقة الاخيرة على مبادرتها !

وقد قامت حكومة الجمهورية العربية المتحدة خلال الفترة الثانية لوقف اطلاق النار بتحرك سياسي كبير من اجل تنفيذ المبادرة الامريكية . ووجدت اسرائيل نفسها أمام خيارين فأما ان تبقى مصرة على طلبها ، ضاربة عرض الحائط الرأي العام العالمي وتوصيات امريكا، او ان ترجع الى محادثات يارينغ بدون قيد او شرط . وقد اختارت الطريق الثاني فأعلنت عن استعدادها للاشتراك في المباحثات التي سيجريها الدكتور يارينغ .

يمكن اخيرا تلخيص الموقف الاسرائيلي تجاه مشروع روجرز بما يلي :

١ — ان اسرائيل كانت قد رفضت المشروع قبل موافقة الجمهورية العربية عليه ، وعادت وقبلته بعد ذلك بضغط امريكي .

٢ — ان قبول اسرائيل للمشروع ، جاء على شكل بيان اصدرته حكومة اسرائيل دون التوقيع على المشروع ذاته، كما فعلت الجمهورية العربية المتحدة والاردن .

٣ — ان بيان الرد الاسرائيلي ، يختلف في بعض فقراته ونصوصه عن المشروع الامريكي كما وانه يعتبر بمثابة « نعم ولا » في آن واحد للمشروع الامريكي .

٤ — هنالك بون شاسع بين الموقف الاسرائيلي الرسمي وبين المشروع الامريكي .

٥ — ان اسرائيل لم تقبل المشروع عن طيب خاطر، بل اضطرت لقبوله ، لاسباب عدة اهمها الضغط الامريكي والتحسب من الرأي العام العالمي بعد موافقة الجمهورية العربية المتحدة عليه .

ماذا يمكن ان نستنتج مما سبق ؟

ان اسرائيل لن تطبق كافة نصوص المقترحات الامريكية ، خاصة الفقرة التي تنص على « الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة » ولن تنسحب الى حدود الرابع من يونيو ، وستبقى متمسكة بالتفسير الاخر للنص الانجليزي الوارد في المقترحات الامريكية « الانسحاب الاسرائيلي من مناطق احتلت » . واذا حدث العكس وانسحبت اسرائيل من كافة المناطق المحتلة ، بما في ذلك القدس ، واصبحت خلف حدود الرابع من يونيو، عن طريق المفاوضات ، فان معجزة تكون قد حدثت بالفكر الصهيوني . غير ان هذه المعجزة غير واردة في عصرنا .

---

١ — داغار ١٩٧٠/٨/١٢ .
٢ — هايوم ٦٩/١٠/٩ .
٣ — يديعوت احرونوت ٦٩/١٢/١٤ .
٤ — يديعوت احرونوت ٧٠/١/٢٣ .
٥ — هتسوفيه ٧٠/٦/٢١ .
٦ — نفس المصدر ٧٠/٦/٢١ .
٧ — هعولام هزيه ٧٠/٧/١ .
٨ — هعولام هزيه ٧٠/٨/٥ .
٩ — نفس المصدر ٧٠/٨/٥ .
١٠ — نفس المصدر ٧٠/٨/٥ .

١١ ــ هعولام هزيه ٧٠/٨/٥ .
١٢ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/٥ .
١٣ ــ نفس المصدر ٧٠/٧/١ .
١٤ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
١٥ ــ دافار ٧٠/٧/٢٨ .
١٦ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
١٧ ــ نفس المصدر ٧٠/٧/٢٤ .
١٨ ــ دافار ٧٠/٧/٢٨ .
١٩ ــ هآرتس ٧٠/٧/١٥ .
٢٠ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
٢١ ــ هتسوفيه ٧٠/٧/٢٤ .
٢٢ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٢٣ ــ نفس المصدر ٧٠/٧/٢٦ .
٢٤ ــ نفس المصدر ٧٠/٧/٢٦ .
٢٥ ــ هعولام هزيه ٧٠/٧/٢٩ .
٢٦ ــ نفس المصدر ٧٠/٧/٢٩ .
٢٧ ــ دافار ٧٠/٧/٢٦ .
٢٨ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
٢٩ ــ دافار ٧٠/٧/٢٨ .
٣٠ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٣١ ــ دافار ٧٠/٧/٢٦ .
٣٢ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
٣٣ ــ هعولام هزيه ٧٠/٦/٣ .
٣٤ ــ هعولام هزيه ٧٠/٦/٣ .
٣٥ ــ يديموت احرونوت ٧٠/٧/٣١ .
٣٦ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٣٧ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٣٨ ــ نفس المصدر ٧٠/٧/٢٦ .
٣٩ ــ نفس المصدر ٧٠/٧/٢٧ .
٤٠ ــ دافار ٧٠/٧/٢٨ .
٤١ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٤٢ ــ نفس المصدر ٧٠/٧/٢٩ .
٤٣ ــ معاريف ٧٠/٨/٢ .
٤٤ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٧ .
٤٥ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٨ .
٤٦ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٨ .
٤٧ ــ يديموت احرونوت ٧٠/٧/٣١ .
٤٨ ــ معاريف ٧٠/٧/٢٨ .
٤٩ ــ يديموت احرونوت ٧٠/٧/٣١ .
٥٠ ــ معاريف ٧٠/٨/٢ .
٥١ ــ يديموت احرونوت ٧٠/٧/٣١ .
٥٢ ــ معاريف ٧٠/٧/٣٠ .
٥٣ ــ يديموت احرونوت ٧٠/٨/٣١ .
٥٤ ــ معاريف ٧٠/٧/٣٠ .
٥٥ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/٣ .
٥٦ ــ معاريف ٧٠/٨/٣ .
٥٧ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/٣ .
٥٨ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/٣ .
٥٩ ــ معاريف ٧٠/٨/٤ .
٦٠ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/٤ .
٦١ ــ يديموت احرونوت ٧٠/٨/٤ .
٦٢ ــ هآرتس ٧٠/٨/٤ .
٦٣ ــ معاريف ٧٠/٨/٥ .
٦٤ ــ معاريف ٧٠/٨/٢ .
٦٥ ــ معاريف ٧٠/٨/٥ .
٦٦ ــ الاهرام ٧٠/٧/١٢ .
٦٧ ــ هعولام هزيه ٧٠/٨/٥ .
٦٨ ــ معاريف ٧٠/٨/٥ .
٦٩ ــ معاريف ٧٠/٨/٥ .
٧٠ ــ دافار ٧٠/٦/٣٠ .
٧١ ــ هآرتس ٧٠/٧/٣٠ .
٧٢ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/٧ .
٧٣ ــ دافار ٧٠/٨/٩ .
٧٤ ــ دافار ٧٠/٨/١٤ .
٧٥ ــ هآرتس ٧٠/٨/٩ .
٧٦ ــ انظر مجلة الجيش الاسرائيلي « بمحنيه ص ٩ تاريخ ٧٠/٨/١١ .
٧٧ ــ دافار ٧٠/٨/١٢ .
٧٨ ــ معاريف ٧٠/٨/١٤ .
٧٩ ــ معاريف ٧٠/٨/١٤ .
٨٠ ــ يديموت احرونوت ٧٠/٩/٣ .
٨١ ــ نفس المصدر ٧٠/٩/٣ .
٨٢ ــ نفس المصدر ٧٠/٩/٣ .
٨٣ ــ يديموت احرونوت ٧٠/٩/٣ .
٨٤ ــ معاريف ٧٠/٨/١٠ .
٨٥ ــ دافار ٧٠/٨/١٣ .
٨٦ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/١٤ .
٨٧ ــ معاريف ٧٠/٩/١ .
٨٨ ــ نفس المصدر ٧٠/٩/٣ .
٨٩ ــ نفس المصدر ٧٠/٩/٣ .
٩٠ ــ دافار ٧٠/٩/٧ .
٩١ ــ معاريف ٧٠/٨/٩ .
٩٢ ــ دافار ٧٠/٨/٣ .

المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن

ندوة

بلال الحسن — شفيق الحوت
احمد خليفة — نبيل شعث
منح الصلح — صادق العظم
غسان كنفاني

احمد خليفة : هنـاك شعور بأن حركة المقاومة تواجه الان ازمة مصيرية . السؤال هو : ما هي اسباب هذه الازمة وما هي مظاهرها ، وكيف يمكن الخروج منها ؟

منح الصلح : اظن ان مشاكل المقاومة كلها تدور حول نقطة واحدة . هذه النقطة هي ان الواقع العربي والواقع العالمي يرفضان ان يعاملا المقاومة الا على اساس انها نظام ويتصرفان معها على اساس انها نظام . وهذا الامر كان خطرا منذ اليوم الاول لظهور المقاومة ، ولكن هذا الخطر بلغ ، في نظري ، ذروته الان لان العمل الفلسطيني قبل هذه النظرة التي نظر من خلالها اليه الواقع العربي والواقع الدولي واصبح يتصرف في أموره الداخلية، وفي أموره الخارجية ، في صياغة مواقفه وفي فهم دوره ، كنظام . الخطير هو أن هناك بعض الاشياء التي كانت صغيرة في البداية ، كبرت مع الوقت . الخطأ الصغير اصبح خطأ كبيرا ، والشيء الذي كان يخيف ١٠٪ يكاد اليوم يكون خطرا حاسما . لنأخذ ثلاث قضايا على سبيل المثال : اولا ، قضية الوحدة الوطنية ، وهي الان مشكلة لبنانية مائة بالمائة ، لبنانية من حيث ايديولوجيتها ، ولبنانية من حيث محتواها ، اي انها مشكلة جمع جميع الفلسطينيين ، او جميع ممثلي الواقع الفلسطيني بشكله الراهن في وحدة سياسية لا جمع الثوار في وحدة متحركة . هـذا المفهوم اللبناني للوحـدة الوطنية ، الذي ينظر الى الوحدة على انها تجميع غير ثوري لقوى متباينة ، لم يكن في السابق . انطلقت قضية الوحدة الوطنية من واقع معين هو ان منظمة فتح كانت ترفض ان تعتبر ان الجبهة الشعبية منظمة محترمة وانها تستحق ان تدخل كطرف في لقاء معها . تجنبت الوحدة مع الجبهة الشعبية بتوسيع عدد المنظمات ، وافترضت ان هناك عددا لا نهاية له من المنظمات الفلسطينية يجب ان يدخل الوحدة ، اي انها ميعت قضية الوحدة الوطنية . ثم كبر هذا التمييع وتحول كليا عن قصده الاول ، فبدلا من ان يكون وحدة بين المقاتلين تطور فأصبح وحدة بين الثوريين ، ثم تطور فأصبح وحدة بين الجميع ، اي اصبح وحدة على الطراز اللبناني . الخطر لم يأت مـن العمل فقط بل اتى من تركيب العمل الفلسطيني وتكوينه ، من نتيجة تصرفاته ، اي عندما كثرت اخطاء العمل الفدائي ، وعندما ضعف التأييد الجماهيري لهذا العمل ، سقط حق المنظمات الفدائية نسبيا بالقول انها تمثل شعب فلسطين او على الاقل هكذا نظرت الاطراف الاخرى الى الامر . عندئذ قويت فكرة الوحدة الوطنية على الطريقة اللبنانية . وكان نمو الوحدة الوطنية ، حسب المفهوم اللبناني، في العمل الفلسطيني ، يقوى بنسبة ما كانت اخطاء العمل الفدائي تتكاثر وتتوضح ، وبنسبة ما كانت تضيف الفروق في نوعية التصرف بين منظمات العمل الفدائي وبقية اطراف العمل الفلسطيني . وقد كان الاعلام المعادي يتسقط اخطاء العمل الفدائي ويضخمها .

هذه ، اذن ، المشكلة الاولى التي تطورت وكبرت وهي الان خطر يهدد بتفريغ العمل الفلسطيني من ثوريته .

القضية الثانية هي قضية تحول العمل الفلسطيني الى نظام . وكما يقال ، فان ذلك يعود في الاصل الى رغبة في مقاومة الانظمة العربية ، وانا اعطي العمل الفدائي بعض الحق في الشكوى من الانظمة العربية ولا سيما الانظمة العربية التي جاءت تقيم منظمات داخل العمل الفدائي ، فاصبح العمل امام أمر واقع : انظمة عربية موجودة داخل العمل الفدائي تعطي بعض المنظمات الاسلحة والاموال. كان جواب العمل الفدائي : لا استطيع ان اقاوم الانظمة الا اذا اصبحت نظاما . لنقل هذا بصراحة اذ عندما قررت المنظمات دخول منظمة التحرير ، استندت في ذلك الى تقديرها بأنها لا تستطيع أن تقاوم الانظمة العربية الا اذا اصبحت على مستوى واحد معها ، الا اذا تحولت الى شبه نظام . ان ما حصل ، اذن ، هو ان العمل الفدائي هرب الى فوق . هذه العملية هي قرار ارادي بانشاء نظام فلسطيني . واعتقد ان هذا القرار خطير وهو ، بنتائجه ، شيء من التغير في طبيعة مهمة العمل الفدائي والغرض الذي انطلق من اجله .

الشيء الثالث في رأيي هو ان العمل الفدائي اصر على ان يعتبر نفسه ثورة خارج حركة التحرر العربي ، ثورة مفتوحة على الجميع ، على الرجعيين ، على التقدميين ، على المحافظين ، وعلى اليساريين واليمينيين . هذا النوع من الفهم الذي ساوى بين الجميع في القرب والبعد عن الثورة اعتقد انه مفهوم خاطىء جدا ، وقد أودى بالعمل الفدائي الى هاوية لانه لا يمكن اقامة ثورة خارج حركة التحرر العربي ، لا بد لاي ثورة تنشأ من ان يكون لها مقياس صريح للصديق والعدو ، للقريب والبعيد ، وان لا تتخذ قاعدة المعونة المادية فقط ، او المعونة بالرجال او المعونة ببعض المواقف السياسية كأساس . ان مشروع انشاء ثورة خارج حركة التحرر العربي ، اما ان يتطور تطورا نوعيا ويتغير تغيرا نوعيا ، واما ان يصل بنا الى النقطة التي لا محيد عنها ، وهي ان تكون غاية هذه الثورة انشاء كيان فلسطيني لتحرير فلسطين لان ثورة خارج حركة التحرر العربي لا تستطيع ان تعطي اكثر من كيان ولا شيء الا هذا الكيان . المقصود بالعلاقة مع حركة التحرر العربي هو الشيء الذي يعبر عنه احيانا بعلاقة الثورة بالحركات الوطنية وبالجماهير واحيانا بموقف الثورة الصريح من الدول الرجعية وامثال هذه الكلمات ، خصوصا وان تحرير فلسطين ومقاومة الحل السلمي بالذات لا يمكن ان تكون الا من خلال تعريب الثورة . الرد على الحل السلمي والرد على المؤامرة على العمل الفدائي هو في هذا التعريب. والتعريب يعني ان تكون الثورة الفلسطينية جزءا من الثورة العربية ، وليس التعريب مراعاة الانظمة العربية .

احمد خليفة : تكلم الاخ منح عن الاخطار الثلاثة التي تهدد الثورة الفلسطينية ، واعتقد انه تكلم عن حركة المقاومة كما لو انها ليست وحدة منسجمة . لكن اتضح من حديثه جزء من الاسباب التي حالت دون تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية . ولهذا احب ان اركز على موضوع الوحدة الوطنية التي اعتبرت بعد احداث ايلول المهمة المركزية التي تواجه حركة المقاومة . وجرت محاولات وجهود باللجنة المركزية وخارج اللجنة المركزية وفي المجلس الوطني لتحقيق هذه الوحدة ، الا ان هذه المحاولات لم تحقق اهدافها حتى الان .

بلال الحسن : قبل ان اجيب عن السؤال « لماذا لم تتحقق الوحدة » ، وحتى تكون الاجابة واضحة المعنى ، يجب أن أوجز رأيي بالموضوع المطروح ثم اصل للاجابة عن هذا السؤال . اريد ان اتحدث عن المنطلقات الاساسية لسياسة حركة المقاومة ككل وخاصة في الساحة الاردنية باعتبار ان الساحة الاردنية هي نقطة الثقل الاساسية في قوة العمل الفدائي . اريد أن اتحدث عن هذه الاسس التي أفرزت ، في تقديري ، النتائج التي تعيشها حركة المقاومة الان .

اقول اولا ان تعامل حركة المقاومة مع النظام الاردني ، وهو نظام معاد لها ويعمل لضربها منذ اليوم الاول لوجود حركة المقاومة ، كانت له صفة عامة هي صفة التذبذب بين موقفين متناقضين : الموقف الاول هو الموقف المستعد لحمل السلاح في وجه النظام الاردني الى حد ضرب قصر الحمر . الموقف الثاني هو العودة مباشرة وبعد انتهاء اطلاق النار الى التعايش مع النظام وكأن شيئا لم يكن . عملية التذبذب السياسي بين موقفين متناقضين من شأنها ان تضيع وضوح الرؤيا السياسية امام الجماهير، وان تفقد بالتدريج ثقة الجماهير بالقيادات

التي تتصدى للعمل الوطني . وهذه السياسة ، مع تكررها ، افقدت قيادات المقاومة قوة الزخم الجماهيري الذي احاط بها بعد انطلاق العمل الفدائي في حزيران .

النقطة الثانية هي ان حركة المقاومة كانت تعيش حالة بعد عن مطالب ومشاكل الجماهير الاردنية وخاصة تلك المطالب التي تتعلق بمشاكل الجماهير مع النظام . وحتى نحدد القضية بشكل ادق اقول ان في الاردن قطاعين من الجماهير : قطاع يعيش حالة انتاجية كجزء من عملية الانتاج في البلد ، وقطاع اخر يعيش على هامش العملية الانتاجية . تمثل القرية الاردنية ، التي يتكون اغلب سكانها من الضفة الشرقية ، نموذجا للقطاع الاول . وقد تعاملت حركة المقاومة مع هذا القطاع على اساس دعوة سكان القرى لحمل السلاح لمواجهة اسرائيل. من هذه النقطة منح قطاع كبير من هذه الجماهير تأييده لحركة المقاومة . لكن مع قيام رد الفعل الاسرائيلي العنيف متمثلا بالغارات وبحرق المزارع في الاغوار ، ومع استمرار وجود المشاكل الاقتصادية لهذا القطاع من السكان ، كان كل مواطن في هذه القرى يواجه معضلة : فهو يريد ان يؤيد حركة المقاومة ، وهذه حالة قائمة ، ويريد في الوقت نفسه ان يحل مشاكله ، وفي نطاق حل مشاكله ، لم تكن المقاومة ملاذا يحتمي به ليجد فيها مدخلا او أملا حاليا او للمستقبل . كان النظام يدرك هذه الحالة ، فيأتي ليستوعب مشكلة القرية الاردنية من خلال توظيف العاطلين عن العمل ، وذلك باستيعابهم كجنود في الجيش الاردني . ولان حركة المقاومة ابتعدت عن درس المشاكل الحياتية للقرية الاردنية ، ولم تحاول ايجاد حل لها بالتعاون مع الحركة الوطنية الاردنية والنضال من اجل هذا الحل ، ابقت المواطن الاردني ، وخاصة في قطاع الريف ، معزولا ، مما أتاح للسلطة الاردنية مجال الاستفادة من هذه الازمة ومكنها من تجنيد هذا القطاع ضمن اجهزتها . القطاع الثاني الذي يعيش على هامش عملية الانتاج في البلد متمثل في سكان المخيمات . جاءت المقاومة لتقدم لهم حماية مزدوجة ، قدمت لهم السلاح الذي مكنهم من الوقوف في وجه الارهاب الاردني وعسف السلطة الاردنية ، وأمنت للمقاتلين منهم ضروريات حياتهم المعاشية . وهكذا وجد سكان المخيمات في المقاومة ملاذا معاشيا . وهنا اخذ اطار التأييد في المخيمات معنى مختلفا عن اطار التأييد في القرية الاردنية . هذا الواقع هو الاساس الموضوعي الذي بني عليه القول ان هناك فلسطينيا متحمسا للعمل الفدائي، واردنيا يسأل العمل الفدائي عما قدمه لحل الجانب الاخر من مشاكله . وفي الاساس ، عندما أدرك النظام الاردني هذا الوضع وعمل على استغلاله بشكل قوي استطاع ان ينفذ منه ليزرع الاقليمية وليكرس الانقسام العامودي في اوساط الشعب بين الفلسطيني والاردني ، هذا الانقسام الذي اخذ فيما بعد شكله التنظيمي بين جندي وفدائي .

الموضوع الثالث ، موضوع العلاقة مع الحركة الوطنية الاردنية : ان مواجهة هذه المشكلة تقتضي اقامة علاقات بين العمل الفلسطيني متمثلا بحركة المقاومة وبين الحركة الوطنية الاردنية . كانت الحركة الوطنية الاردنية ، عندما بدأ العمل الفدائي انطلاقته بعد ١٩٦٧ ، تعيش ضربة ١٩٦٦ وآثارها. وفي الواقع فان قيادات الحركة الوطنية لم تخرج من السجن الا عشية حرب حزيران . بالتالي ، جاء العمل الفدائي ليجد الحركة الوطنية مضروبة ويجد بقاياها فقط . ونتيجة مبادرته للعمل ضد اسرائيل، استطاع ان يستقطب تيار الجماهير الواسع مما جعله القوة السياسيةالاساسية في الاردن واصبحت الحركة الوطنية ، أو بقايا الحركة الوطنية في ذلك الوقت ، تعيش على هامش حركة المقاومة الفلسطينية . الذي حصل ان حركة المقاومة الفلسطينية ارتاحت الى هذا الواقع ولم تجد فيه اية نقطة ضعف . ولذلك بدل ان تتوجه لتنمية الحركة الوطنية الاردنية حتى تأخذ دورها في التصدي لمشكلات المواطن الاردني ، عملت على الغاء وجودها دون أن تتولى القيام بالمهام التي يفترض بالحركة الوطنية الاردنية ان تقوم بها .

النقطة الرابعة هي نمط علاقة حركة المقاومة الفلسطينية مع الجماهير العربية : كان الاطار العام لتصرف حركة المقاومة يقوم على التعامل مع الانظمة العربية ، وحسين تتعامل مع الجماهير العربية ، كانت تتعامل معها من خلال الانظمة العربية وحسب الحجم الذي تطلبه الانظمة العربية. ظهرت نتيجة هذا التعامل تماما في معركة ايلول . حين ندرس رد الفعل الجماهيري على المجزرة الاردنية مقاسا بعنف الحملة نفسها ، نجد فارقا كبيرا سببه ان حركة المقاومة لم تستطع ان ترسم سياسات تؤدي الى انشاء علاقات وثيقة مع

الجماهير العربية ، علاقات يومية بعيدا عن علاقات الدعم المالي والدعم العاطفي . لذلك عندما احتاجت في معركة ايلول الى هذا الدعم كانت النتائج التي نعرفها .

هناك نقطة خامسة : ان حركة المقاومة من خلال منظمة التحرير بشكل خاص ابرزت نفسها في الاردن بهوية فلسطينية كاملة . وهنا يجب ان نفرق بين ابراز الشخصية الفلسطينية وبين الهوية الفلسطينية في الاردن . ابراز الشخصية الفلسطينية خاصة في المراحل الاولى لانطلاق العمل كان قضية ضرورية جدا وقد نجح العمل الفلسطيني في ذلك الى حد كبير . انما لم يستطع العمل الفلسطيني ان يفهم طبيعة الساحة الاساسية التي يعمل منها وحين اصر على ابراز وتعميق الهوية الفلسطينية في الاردن كان يتيح المجال للقوى المضادة ان تستغل هذه النقطة لزرع الانقسام الاقليمي بين الفلسطينيين والاردنيين وتجسدت هذه السياسة بشكل خاص في موضوع العمل الشعبي الذي تتزعمه منظمة التحرير من خلال انشاء الاتحادات الفلسطينية مقابل الاتحادات والنقابات الاردنية . انشأت المنظمة ١٤ اتحادا فلسطينيا في الاردن وفي كثير من الاحيان كانت هناك مساع تبذل لانشاء اتحادات فلسطينية لها اتحادات اردنية مماثلة وعندما نقول اردنية نقولها تجاوزا لان اكثر من ٧٠ ٪ من اعضاء الاتحادات الاردنية هم من الفلسطينيين . هذه الهوية الفلسطينية اشعرت المواطن الشرق الاردني بنوع من الغربة خاصة وان حركة المقاومة كما قلنا لم تكن مهتمة في ان تطرح مواقف سياسية وتمارس مواقف نضالية لصالح المواطن الشرق اردني فيما يتعلق بمشاكله مع النظام .

هذه السمات العامة هي التي حددت سياسات حركة المقاومة وحددت حجم وطبيعة تعاملها مع القوى الفاعلة في المجتمع الاردني او المجتمع العربي وفي ظلها جاءت معركة ايلول على المقاومة. نستطيع ان نقول ان ميزان القوى في معركة ايلول قد مال بشكل واضح تماما لصالح السلطة الاردنية . هذا الميل نعبر عنه بأن ازدواجية السلطة التي كانت سائدة قبل ايلول لم تعد ازدواجية بل اصبح هناك سلطة واحدة وهناك معارضة مسلحة لهذه السلطة . وقد فرض حسم موضوع ازدواجية السلطة لصالح النظام الاردني على حركة المقاومة بضع خطوات تراجعية لا نستطيع ان نصفها بكلمة صحيح او خطأ لانها نتيجة لتوازن القوى القائم في الاردن .

الموضوع الان كيف نرد على حملة النظام في ايلول وعلى الحملات المتوالية التي يشنها اعتمادا على حملة ايلول بقصد تصفية حركة المقاومة . هنا في تقديري نصل الى موضوع الوحدة الوطنية. ان معركة ايلول وما سبقها تفترض ، اذا اردنا ان نواجه الانقسام العمودي في اوساط الشعب ، ان تبادر حركة المقاومة داخل الاردن الى قضيتين اساسيتين: القضية الاولى هي طرح برنامج وطني ديمقراطي يتناول قضايا الضفة الشرقية ومشاكل السكان فيها ، مشاكل السياسة الخارجية للسلطة الاردنية وتحديد موقف منها لتغذية النضال السياسي الجماهيري ضد هذه السياسة ونتائجها على المدى البعيد . والنقطة الثانية اقامة علاقة وثيقة جدا ومتلاحمة وليس مجرد دعم متبادل بين حركة المقاومة وبين الحركة الوطنية الاردنية . وفي تقديري انه بدون الاقدام على هاتين الخطوتين لن يستطيع العمل الفدائي في الاردن مواجهة الانقسام العامودي في صفوف الشعب وبالتالي لن يستطيع استعادة القوة الجماهيرية التي كانت لحركة المقاومة من قبل ولن يستطيع ان يواجه ، بالفعالية المناسبة ، محاولات النظام الاردني لابادة المقاومة .

نبيل شعث : هل تقصد بالنقطة الاولى ان تتحول المقاومة الى معارضة سياسية ؟ انت قلت انه كان هناك ازدواجية سلطة والان لم يعد هناك ازدواجية بل صار هناك سلطة ومعارضة مسلحة . انت تريد ان تحول هذه المعارضة المسلحة الى معارضة سياسية لتأخذ دور التصدي للسياسة الخارجية الاردنية والتصدي لتعامل النظام مع الافراد والتصدي للسياسة الزراعية والسياسة الصناعية هل هذا قصدك ؟

بلال الحسن : مطلوب من حركة المقاومة ان تطرح هي والحركة الوطنية الاردنية برنامجا مشتركا ذا شقين : الشق الاول يتناول قضايا التحرير والشق الثاني يتناول القضايا الوطنية الديمقراطية في الاردن وعلى رأسها موضوعان اساسيان : موضوع المسألة الزراعية في الاردن وموضوع السلطة الوطنية الديمقراطية . وبدون أن تصبح حركة المقاومة طرفا اصيلا في هذا الموضوع مع الحركة الوطنية الاردنية فانها لن تستطيع استعادة التأييد الجماهيري الواسع الذي كان لها ولن

تستطيع بالتالي ان تواجه تآمر النظام الاردني لابادتها . كانت هذه النقطة بالذات الموضوع الاساسي في الحوار الذي دار في اجتماعات اللجنة المركزية التي سبقت المجلس الوطني ثم في اجتماعات المجلس الوطني ، ثم في اجتماعات لجنة الوحدة الوطنية ، لجنة العشرين التي تشكلت لصياغة البرنامج السياسي والتنظيمي . وقد دار النقاش بين موقفين متناقضين تماما . هذا الموقف الذي شرحته ، والموقف الآخر الذي يقول : نحن حركة تحرير فلسطينية . عملنا مركز في منظمة التحرير الفلسطينية . يجب أن تبقى كل قضايانا وكل قياداتنا وكل تنظيماتنا فلسطينية الطابع . وفيما يتعلق بقضايا الاردن هذه مهمة الحركة الوطنية الاردنية ونحن « نتعاون » معها في نضالها . هذان المفهومان كانا على صراع دام اكثر من ثمانية ايام في القاهرة ورغم هذه المدة الطويلة في النقاش لم يكن من الممكن الوصول الى موقف مشترك محدد حول هذه القضية ، لذلك خرج المجلس الوطني بقرار ابقاء كل شيء على حاله أي تأجيل النقاش والاستمرار به لفترة ثلاثة اشهر اخرى .

غسان كنفاني : اريد التركيز باختصار شديد قدر الامكان على خمس نقاط واتصور ان لا احد منا يدعي انه يمتلك تشخيصا كاملا للمأزق وكيفية الخروج منه وبالتالي فان ما سأفعله هو انني سأطرح ما عندي من نقاط لاساهم مع الاخرين في استكمال الصورة . النقطة الاولى ، عندي شعور بالاتجاه نحو التبسيط في حالة النقد ، والوقوف من جديد في عملية احكام مطلقة نظرية ليس لها علاقة بالعملية الجذرية التي من المفروض ان تنطلق عملية النقد من خلالها . خيل الي ان عملية النقد تحولت الى اعتراف كنسي ولم تعد نقدا ذاتيا بالمعنى الثوري وهذه تؤدي لتبسيط مبالغ فيه للامور في نوع من ايلام الذات دون ان يبذل اي جهد في الواقع لرسم مخرج او تشخيص حقيقي لهذه الحالة الجذرية التي اكتشفت خلال تجربة الثلاث او الاربع سنوات الماضية .

النقطة الثانية هي في الواقع مثال على ما ذهبت في قوله وهي الطريقة التي تكلم بها بلال ، اي طريقة الشعارات التي طرحها وكأنها سحر ساحر . ان القول بأن الحركة الوطنية الفلسطينية مثلا تجاهلت الارتباط بالحركة الوطنية الاردنية ، كلمة جميلة ولكن حتى لو كان هناك اجماع نظري وعملي ا اهمية هذا الارتباط فهناك اكثر من ظرف موضوعي وذاتي يجعل هذه النقطة شعارا بعيدا جدا يصعب تحقيقه في الفترة الزمنية التي هي موضع البحث . اي ان ترداده هو ابتعاد عن التشخيص العلمي لما حدث لان هذا الكلام يتجاهل الوتيرة البطيئة الطويلة والصعبة لعملية التثوير . هناك استهانة بين حقيقة ان عملية التخطيط والتثوير هي علم ويستهلك وقتا طويلا جدا ومن خلال عملية صعبة وبطيئة وبين الاعتقاد بأن كون ذلك لم يتم انجازه في الفترة السابقة كان خطأ . لانني اعتقد انه حتى لو كانت حركة المقاومة الفلسطينية منذ عام ١٩٦٧ حتى ايلول ١٩٧٠ لم تعان من التقصيرات التي عددها الاخ بلال لما كانت استطاعت ان تجترح على الاطلاق برنامج الخلاص الوطني . ما كان ممكنا ان تتجنب انتكاسات بشكل او بآخر . اننا ، في حالة عملية النقد الذاتي ، يجب ان لا نقفز مثلا من حالة النقد الذاتي التي كانت لنا قبل ايلول والتي قامت على التركيز المبالغ فيه على الانقسام الافقي للحركة الوطنية الفلسطينية وبعد ايلول بثلاثة اشهر ننتقل بعملية النقد الذاتي الى التركيز المبالغ فيه على عملية الانقسام العامودي وتجاهل عملية الانقسام الطبقي تقريبا . ان هذا نوع غريب جدا ولا علاقة له بعملية النقد الذاتي بالمعنى الثوري وخصوصا بالمعنى الماركسي اللينيني .

النقطة الثالثة باعتقادي ان ما يقال باسم النقد والنقد الذاتي هو في معظمه نتائج ولا بد من وقفة لاستكشاف الاسباب الحقيقية بدون خوف . ان السبب الحقيقي ، في اعتقادي ، لهذه النتائج كلها يمكن تلخيصه بما يلي : انه العناد اللاعقلاني للالتصاق بالهدف الاستراتيجي وعدم حل هذا التناقض الفظيع القائم بين ضخامة الهدف الذي طرحته المقاومة الفلسطينية وبين الامكانيات التي بين يديها . وانا اعتقد ان كل الامور تنبع من هنا ومن هنا ينبع مأزق المقاومة . وهذا خطأ يقع فيه اليمين بنفس المقدار الذي يقع فيه اليسار . لماذا ؟ لان قضية الالتزام الايديولوجي التي هي مفصل الخلاف بين اليمين واليسار لا تظهر على الصعيد التكتيكي ليس بثورتنا بل بكل ثورات العالم . لا تظهر هذه الالتزامات الايديولوجية عادة على الصعيد التكتيكي ويبدو الالتزام الايديولوجي والستراتيجية العملية ملتصقين ببعض ونحن لم نصل الى هذا المستوى . كنا ملتصقين باستراتيجيات بعيدة المدى

ولكن على صعيد التكتيك هذا الخلاف الايديولوجي غير ظاهر عمليا انا لا استطيع ان أرى أين هو ظاهر . فالذي حدث هو ما يلي : ان هذا الخطأ الذي يمكن ان نقول افتراضا ان اليمين واليسار وقعا فيه تقريبا بصورة متساوية يتمثل في اننا لم نستطع حل التناقض بين عظمة الهدف والواقع الموضوعي للوسائل المتوفرة لنا . ماذا يعني ذلك ؟ استنهضنا معسكر العدو الهائل الضخم من خلال معركتنا سواء نظريا او عمليا دون ان نستنفر بالمقابل القوة القادرة على مواجهته ، لم نستطع استنهاضها على صعيد فلسطيني محض قبل ان نحكي عن الانقسام الشاقولي للمجتمع . لم نستطع استنهاضها على صعيد فلسطيني اردني، لم نستطع استنهاضها على صعيد عربي ، ولم نستطع استنهاضها على صعيد دولي . طبعا حكينا كثيرا عن علاقاتنا بالثورة العالمية وعن علاقتنا بحركة التحرر الوطني ، والاممية الرابعة صفقت لنا في باريس ، وصفقت لنا حركات التحرر الجيفارية في امريكا اللاتينية ، ولكن الترجمة العملية لذلك كله كانت صفرا .

من ناحية ثانية ، انا موافق على التشخيص العمومي الذي طرحه الاخوان قبلي المتعلق بموضوع المبالغة في فلسطينية الحركة الوطنية العربية. وهذه المبالغة لم يرتكبها فقط أولئك الذين كانوا يقولون اننا لا نتدخل في شؤون الدول العربية الداخلية ولكن ارتكبها ايضا اولئك الذين جعلوا برنامج الخلاص الوطني بعد حزيران يقوم على تفتيت الحركة الوطنية العربية الى فصائل قطرية مستقلة. هذه القضية اساسية ايضا حينما نأتي نتقدم بثورة فلسطينية ونلغي من ورائها التنظيم القومي او التنظيم الذي على مستوى الامة فهذا ايضا يوازي عملية عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، لماذا ؟ لان هذا النوع من التفكير يستخدم عاملا واحدا من عوامل التأثير في الواقع الثوري العربي الذي هو تقديم النموذج للجماهير العربية ، تقديم النموذج اليومي . هذا يعني الاحتكاك السلبي بغض النظر عما قلناه نظريا . فان هذا تعاون سلبي مع الحركة الوطنية العربية وليس تعاونا ايجابيا . الشيء الثالث هو عدم العلمية في الثورة . الثورة علم وهذا الكلام يقوله كل واحد منا ولا يبدو اطلاقا انني اطرح شيئا جديدا — والثورة علم والصحيح ايضا هو أنه كما ان السنكري ليس بالضرورة مطربا فان الفكر الثوري والفكر العسكري المتعلق بالثورة ليسا عملية ارتجالية وعملية اطلاق شعارات تتبدل بين يوم وآخر . وهذه القضية ارتكبتها جميع فصائل المقاومة سواء بعملية التبرير العسكري المتهافت وغير المعقول والمضحك بالواقع لعملية القصف من وراء النهر التي وجدت لها مدرسة كاملة سخيفة وروجت نفسها على صعيد عام مستفيدة من الجهل العام العسكري في المنطقة او قضية العمليات الكبيرة وايضا العمليات التي يمكن ان تكون مختلفة وارتكبتها جميع التنظيمات على قدم المساواة والتي كانت بالاساس تغطية لعملية فشل اساسية .

عملية الانحسار في المقاومة الفلسطينية بدأت منذ الكرامة بالضبط ، اذ منذ ذلك الحين استعارت المقاومة الفلسطينية بامكانياتها المحدودة اهداف امة كاملة تنوء هذه الامة جميعها في تحضيرها واستخدامها . طرحت معركة الكرامة ، والطريقة الاعلامية التي تحدثنا فيها جميعا والانظمة العربية عن معركة الكرامة ، طرحت جوا في النضال الفلسطيني، لم تكن المقاومة الفلسطينية في وضعها ذاك ولا الحركة الوطنية العربية قادرة على امتصاصه واستيعابه وتنظيمه وانا اعتقد ان هذه في علم الثورة ، قضية خطيرة جدا . طبعا هذا الانحسار كان ممكنا ان يتحول فيه ميزان القوى ببطء دون ان يشعر اي طرف من اطراف الثورة بأن هناك عملية انحسار ولكن هذا لم يحدث مع الاسف لاسباب ربما تطرقنا لها . الذي حدث هو ان موجة الانحسار هذه وصلت الى ذروتها نتيجة اخطاء عديدة جدا ونتيجة ثغرات عديدة جدا وتفجرت في شكلها العسكري في ايلول . نحن نعرف ايضا عسكريا بأن الهزيمة العسكرية في ايلول لا تعني شيئا اذا لم تنعكس نتائجها العسكرية سياسيا ونحن نعرف ايضا ان معركة ايلول هي معركة قد تنهزم فيها المقاومة عسكريا لكن عملية تصفية المقاومة جسديا وانهائها هي العملية التالية. هناك اذن ثلاث مراحل : مرحلة الكرامة ، ثم الانحسار الذي تفجر في معركة ايلول واذ لم تنتهز او تستغل الفرصة في ايلول الى ما لا اعرف فالخطوة التالية هي تصفية المقاومة جسديا اذا لم تستطع المقاومة تطوير نفسها سياسيا وعسكريا لاحتلال موقع اقوى بكثير مما ستكون عليه السلطة الاردنية ... قلنا ان مجزرة ايلول هي نصف

عملية ، مجزرة ايلول هي ارغام المقاومة على القيام بتراجع عسكري وعدم قدرتهـا على تعويض هذا التراجع العسكري بعمل سياسي وتكتيكي لارجاع الوضع النفسي الى حالته او بشكل يعدل قليلا من ميزان القوى فاذا فشلت المقاومة في ذلك فستكون الفرصة مؤاتية للنظام الاردني كي يستكمل النصف الاول الذي جرى في ايلول بنصف آخر وهو التصفية الجسدية النهائية للثورة . هـذه كانت النقطة الرابعة .

النقطة الخامسة : يبدو لي ان المخرج من هذا المازق يكمن في القدرة على ادراك ثلاث قضايا اساسية : ادراك حجـم التآمر وادراك حجـم المهمات وادراك حجم الامكانيات . كيف يمكن العمل وفق الخطوط الثلاثة هذه عمـلا ثوريا للمرحلـة القـادمة ؟ هـذه هي المشكلة التـي تقف امامها حركة المقاومة . انا لا اختلف طبعا مع الشعارات فهي لا تعني شيئا في الواقع فمشكلتها هي مشكلة تعبئتها ببرنامج عمل . انا موافق على الشعارات التي طرحت من جميع الاخوان لكن اتصور انهم نسوا منها شيئا اساسيا جدا هو العمل في داخل فلسطين . انا اعتقد ان لا طريقة ولا مخرج الا لتقول لماذا انت موجود طبعا مع احترامي الجزيل للبرامج الاستراتيجية ولكوننـا نريـد أن ننشىء مجتمعا في الشرق الاوسط موحـدا وديمقراطيـا واشتراكيا ولكن المهم بالدرجة الاولى هل تقاتل او لا تقاتل ؟ هناك طرق عديدة طبعا للتهرب من هذا السؤال الحيـوي في الاردن . نبدأ بالتحليـلات ونستطيع فيما يتعلق بسوريا وبجبهة قناة السويس ان نناقش مليون قصة ومن ثم الى اين ؟ ماذا عن النشاط القتالي للتنظيمات الفلسطينية ؟ ومفروض ان لا نقول للناس انه اذا ما اتفقت الحركة الوطنية الفلسطينية مع الحركة الوطنية الاردنية على برنامج ريفي اننا والله «شلنا الزير من البير» فالقضية ليست رفع شعارات بل تتطلب نضالا فعليا . يجب أن لا نكتفي بتعبئة الناس بالشعارات بل المطلوب هو العمل على تنفيذ اهداف متساوية مع الامكانيات المتوفرة . احد هذه الخطوات الاساسية في بناء الميزان بين الادراكات الثلاثة التي عددناها : ادراك حجـم التآمر وحجم المهمات وحجم الوسائل ، هي ، باعتقادي حل مسالة الوحدة الوطنية . والوحدة الوطنية الان في هذه المرحلة بالذات ما بين نصفي ايلول ، كما سميناها ، لم تعد مسالة مطلب يوضع مع برنامج العمل الريفي في جنوب لبنان ، الذي هو مهم بدوره ، لكن الوحدة الوطنية هي مسالة حياة وموت في هذه الفترة . وفي صدد الاجابة عن سؤال لماذا لم تتحقق الوحدة ، اريد ان اقول انه يوجد اتجاه نحو التبسيط ، والدخول في التفاصيل . وباعتقادي ان المسالة الجذرية هنا هي في الاعتراف بوجود خلاف على قيادة العمل الوطني الفلسطيني . ان اليمين ، اذا جاز التعبير ، لا يشعر ان ميزان القوى يجبره على التخلي عن قيادة القوى في العمل الوطني الموحد ، واليسار لا يستطيـع ان يحسم هذا الموضوع دون ان يتفق فيما بينه . قبل ان يحسم هـذا الموضوع لن تتحقق وحدة وطنيـة فلسطينية وانا برأيي انها ليست محسومة حتى الان ومهما حاولنا ان نقول ان القصة هي خلاف على كذا وخلاف على كذا . انا لا اعتقد ان هنـاك خلافا على برنامج وطني بل هناك خلاف على حصة الاطراف في هذه القيادة وهذه القضية غير محسومة لا من قبل اليمين ولا مـن قبل اليسار . اليسار الفلسطيني ، اذا جاز التعبير ، يعطي لليمين الف مبرر لعدم التخلي عن قيادة الثورة الفلسطينية لان بعض اطراف اليسار الفلسطينـي لا تريد لبعض اطرافه الاخرى ان تأخذ القيادة .

نبيل شعث : اعتقد ان الاخ غسان اجاب على بعض الاسئلة التي كانت عندي ولو انه طـرح شعارات جديدة . لقد فهمت انه ضد الشعارات التبسيطية وشعار اليمين واليسار الذي طرحه يمكن ان يكون اكثر تبسيطا وقد يكون اكثرها خطورة في هذه المرحلة . لكن على كل حال هناك نقطة مهمة جدا احب ان اؤكد عليها او اضيف اليها وهي اهمال المتحدثين الاوليين لسبب ما دور الظروف الموضوعية التي تحيط بالثورة والتـي ادت الى الازمة التي نمر بها . بمعنى انه حتى لو كانت الثورة قد حلت مشاكلها الذاتية مبكرا جدا ، يبقى السؤال الكبير هل كان بامكانها ان تتجنب ازمة المواجهة ، ازمة الحيـاة او الموت مع النظـام الاردني . لان القضية ليست قضية النظام الاردني فقط ، فمن الضروري ان يكون واضحا ان التآمر الاردني عـلى الثورة ليس نابعا مـن العملية الديالكتيكية بين المقاومة والعمل الوطني الاردني وبين النظام الاردني فقط اذ هناك الطرف الامريكي وهو طرف مهم جـدا في القضية . ان التحرك الاردني كان الى حد كبير يتفق مع تفكير كيسنجر

في عملية « فيتنمة » الحرب الفيتنامية وبالتالي يمكن بدون تجن استخدام كلمة « اردنة » العمل الفلسطيني للتعبير عن دور امريكا في دعم وتعبئة وتنظيم وتمويل وتسليح النظام الاردني والتخطيط له لكي يصبح قادرا على سحق المقاومة الفلسطينية والقضاء عليها لمصلحة اسرائيل اولا وبالدرجة النهائية لمصلحة الاستعمار الامريكي والامبريالية العالمية في المنطقة . ومن هنا يظهر ان بعض النقاط التي تحدثنا عنها مبالغ فيها بمعنى ان تصدي النظام الاردني كان منذ البداية ليس فقط لوجود الثورة الفلسطينية في مكان القوة في المدن وانما كان تصديه لها بالاساس لمحاولة قطع الطرق على الفدائيين من الدخول من الاردن الى اسرائيل ولمنعهم من الدخول للعقبة ومنعهم في غور الصافي ومنعهم في وادي عربة ومنعهم في الغور الشمالي وزرع الالغام في طريقهم ، وتبديل حقول الالغام لاصطيادهم والتصدي لدورياتهم وبالتالي فان تصعيد العمل مع اسرائيل كان بالضرورة يؤدي الى تصعيد للدور الاردني في التصدي للعمل الفدائي حتى لو ظل العمل الفلسطيني بعيدا عن لعب اي دور اساسي في المدن وفي الريف . ويجب ان نذكر ان النظام الاردني قد تصدى للمقاومة في ١٩٦٨/١١/٤ مثلا قبل ان يكون لها قوات في المدن وقبل قيامها « بالاستفزازات » التي تحدث عنها النظام كثيرا قبيل ايلول ١٩٧٠ . بطبيعة الحال ان الذي شرحه الاخ بلال اضاف الى هذا مهام جديدة للنظام الاردني اذ انه يتصدى لحياته اساسا بالاضافة لتصديه لدوره كطرف في الثالوث الامريكي الاردني الاسرائيلي الذي لعبه بشكل واضح جدا في فترات مختلفة . النقطة الثانية التي احب ان اضيفها ان هذا الخطر الموضوعي الذي يتمثل في استخدام امريكا للنظام الاردني لتصفية العمل الفدائي قد يكون اكثر اهمية من استخدام اسرائيل ذاتها لاداء هذه المهمة وقد لجأ الاستعمار الامريكي دائما الى هذا الاسلوب في المناطق المختلفة التي لم يستطع ان يتصدى لها مباشرة . وهنا اذكر بما حدث في اندونيسيا حيث لم يكن النظام الامريكي قادرا على التصدي للثورة الاندونيسية من الخارج وانما عندما استطاع ان يتصدى لها من الداخل ذبح مليوني اندونيسي باسم القضاء على الشيوعية وذبح الاندونيسيين تم اساسا عن طريق ثورة اندونيسية داخلية . تماما كما حدث في الاردن فالرأي العام العالمي لا يستطيع قبول قيام اسرائيل بقتل وتشويه ٢٠،٠٠٠ عربي في عمان ، لكنه يستطيع هضم قيام عرب اردنيين بعمل ذلك ، طالما انها معركة بين « الاشقاء » . ما كان يمكن لامريكا ان تفعل ما فعلته في كمبوديا والمذابح الفظيعة التي وقعت في كمبوديا والجثث التي ملأت النهر لايام متوالية ، دون ان تستخدم طرفا كمبوديا في تنفيذ هذه العملية الرهيبة ولذلك فاستخدام الطرف الاردني للقضاء على حركة المقاومة الفلسطينية كان عملية تخضع للديالكتيكية الامريكية وطريقة العمل الامريكي وطريقة التعامل الامريكي في هذه الاحوال . ليس لي ما اضيفه لاني اوافق على معظم الكلام الذي قاله الاخوان عن الاخطاء التي ارتكبتها حركة المقاومة والتي ادت الى مساعدة النظام الاردني في عمليته . فقد ساهمت في عزل الريف الاردني والمواطنين الشرق اردنيين عن حركة المقاومة ، فجردت نفسها من حزام واق هام، جردتها من التفاعل الذي كان يمكن ان يحدث والذي كانت بوادره قد ظهرت في لبنان مثلا وفي الاردن والذي لم تستطع حركة المقاومة ان تستغله كله . ولا بد هنا من مناقشة ما قيل عن الدور الذي كان يمكن لحركة المقاومة ان تلعبه في حركة التحرر العربي والدور الذي لم تلعبه ، ولماذا لم تلعبه . وهنا احب ان اذكر بالمشاكل التي تواجه ما يسمى بحركة التحرر العربي وارتباط ما يمكن اعتباره بالتنظيمات او الاحزاب العربية بالانظمة العربية . يكاد يكون من الصعب جدا ان لم يكن من المستحيل ان تفصل الثورة بين تعاملها مع حركة التحرر العربي وبين تعاملها مع الانظمة التي تعتبر ثورة عربية. هذا ليس ممكنا على حد معرفتي اللهم الا في لبنان ، لكن في سوريا والعراق والجمهورية العربية المتحدة والجزائر واليمن الديمقراطية والسودان تشكل القوى العربية التحررية والتقدمية في هذه البلدان النظام ذاته وبالتالي فان تعامل حركة المقاومة الفلسطينية مع حركة التحرر العربي كان يفرض عليها التعامل مع الانظمة العربية وقد ادى ذلك الى وقوعها في محاذير عديدة . اي انني ارى ان من الصعب الفصل بين الاثنين الا اذا حاولنا ان نحمل الامور اكثر مما تستحق . الشيء ذاته بالنسبة للحركة الوطنية الاردنية . قال الاخوان انها كانت فعلا منهكة القوى في الـ ٦٧ . هل كانت الحركة الوطنية الاردنية قادرة ، لو دعمت فعلا او سندت او تركت مستقلة لكن بتعاون وتعاضد والتحام

حركة المقاومة الفلسطينية ، هل كان يمكن لها ان تقوم بالايفاء بالمهمات التي تطرق الاخ بلال لها اي ان تتصدى فعلا للمشكلة الزراعيـــة الريفية ، وتتصدى للسياسة الاردنية الخارجية ، وتتصدى لقضية نظام وطني اردني ديمقراطي ؟ انا اعتقد انها كانت مضعضعة . وفي هذا انا اشترك مع غسان أنها لا يمكن ان تصبح قادرة لفترة طويلة قادمة الا اذا كنا نتكلم عن عمل طويل الاجل وليس عمل شهر او شهرين ولا عمل سنة او سنتين وهي الفترة القصيرة التي تواجه فيها المقاومـــة بخطر الفنـــاء والتصفية . لا اريد ان ابدو كمدافع وان آخذ موقفا اعتذاريا لحركة المقاومة الفلسطينية لانني لست كذلك لكن اذا كنا نريد ان يكون ما نقوله متكاملا يضع الامور في وزنها الصحيح يجب ان نقول انه بالاضافة للاخطاء التي ارتكبتها حركة المقاومة كانت هناك ظروف موضوعية يصعب تخطيهـــا والتغلب عليها ولو كانت قيادة المقاومة متفوقة ومتميزة علميا وعقلانيا ومتوجهة قوميا بشكل واضح ولا تعاني من الشرذمة بداخلها ولا اثر للمشاكل التي واجهتها . هل كان يمكن لحركة المقاومة ان تعمل مع عناصر غير العناصر التي تمثل النظام في الدول التقدمية اي هل كان يمكن ان تعمل على ان تلتحم مع عناصر اخرى وان تلتحم مع جماهير الامة العربية في تلك البلاد التي فيها انظمة مدعومة ناشئة عن تنظيم تقدمي ، هذا مستحيل . بل اذكر تماما في بعض الاماكن التي كان النظام التقدمي فيها يقدم الدعم كله والى اقصى الحدود ، لكن عندما كانت تقترب اي حركة ثورية فلسطينية من ان تنشىء علاقة شبه تنظيمية مع افراد او جماعات في هذه البلدان كان ذلك يضرب راسا ويفرض عليه الحجر بشكل سريع وهذا ، اذا كان واضحا وقائما في انظمة البلاد الثورية فهو واضح بشكل اكبر طبعا في البلاد التي ليس فيها انظمة ثورية حيث اعمال الكبت والقمع ممارسة بشكل كبير . النظام الاردني بطبيعة الحال سيفعل ذلك اذا حاولنا من الان ان نضع برنامجا يعتمد على عمل هذا التنظيم الفلسطيني الاردني على مستوى الريف والمدينة والصحراء . لا بد ان نضع في حسابنا ان النظام سيتصدى لذلك باكبر قدر من القسوة لان النظام الاردني يعرف تماما ما معنى ان نقوم بعملية تنظيم وعملية التحام حياتي وتنظيمي مع الجماهير الاردنية ومحاولة التصدي للسلطة في الامور الحياتية للجماهير الاردنية بالاضافة إلى ذلك فالانسان يجب ان يكون واقعيا لمدى ما كانت تستطيع حركة المقاومة وما زالت تستطيع عمله ازاء تلبية المطالب الحياتية للجماهير الاردنية في الريف او في الصحراء او في المـــدن . ومـــا استطاعت حركة المقاومة ان تلبيه مـــن احتياجات حياتية للمواطن الفلسطيني في المخيمات في الواقع كان نابعا اساسا من الدعم الكبير المالي والتسليحي الذي تلقته حركة المقاومة الفلسطينية من الانظمة العربية والتي استخدمت جزءا منه في عملية التجنيد وتدعيم قوتها في المخيمات ، اي ان فرصة نادرة توفرت لان قيادتها كانت من البداية وخصوصا بعد الكرامة قادرة على الحصول على الاسلحة والمال من الخارج ، واستخدام هذه الاسلحة والاموال في عملية الحصول علـــى متطوعـــين واعدادهـــم وتسليحهم وتحمل اعبائهم الحياتيـــة والانفاق على عائلاتهم . هل كان يمكن لحركة المقاومة ان تفعل مثل ذلك واكثر منه للتصدي لهذه الامور الحياتية للمواطن الاردني في الريف والمدينة او الصحراء وان تفعل ذلـــك منافسة للمؤسسة الاقتصاديـــة الاردنية المتمثلة في الجيش الاردني والتي تقـــوم بعملية الدفع في مضخة مما يأتيها من اموال من امريكا ومن غيرها ومن اموال تأتيها من دول النفط والتي استخدمتها في عملية حل المشاكل الاقتصادية للمواطن الاردني والتي على اساسها يقول بلال ، وانا اوافقـــه ، حدثت عملية استقطاب مـــن قبل النظام الاردني . اني اجد هذا الامر صعبا . انا طبعا لا اتناسى دور التثوير وانا مؤمن ان التثوير يجعل الناس يفهمون اين تقع مصالحهم الحقيقية لكن كلمة مصالحهم الحقيقة تفترض اجلا طويلا نوعا ما وهنا فعلا يكمن مربط الفرس في موضوعنا . وفي الختام اقول انني فعلا متفق مع الاخوان في ان المرحلة الحالية مرحلة مصيرية وهامة جدا واننا اينما التفتنا وحيثما توجهنا نلاقي صعابا آخـــذة بالتزايد واننا مقبلون على عملية تصفية كاملـــة للقواعد الفدائية الظاهرة ، على الاقل وهذا يتطلب تغييرا كبيرا في الاستراتيجية . وهذا يعني التطبيق الحقيقي لمفهوم السرية والعمل تحت الارض والتطبيق الحقيقي لمعنى العمـــل في الارض المحتلة بشكـــل تطويري حتى لما يتم في غزة ونقل ذلك الى الضفة الغربية وانشاء قواعد فعالة بها . لكن من الصعب جدا عمل اي من ذلك قبل تحقيق الوحدة الوطنية . وانا اوافق الاخ منح في ان العملية ليست عملية توحيد

بالاسلوب اللبناني بل يجب ان تكون توحيدا للقوى الحقيقية القادرة . هذا يعني انني ارى ان هناك خطورة في القول بان على العمل الفدائي الفلسطيني ان يعطي الان الدور لمن يسموا بالمستقلين لكي يأخذوا الاغلبية في المجالس الوطنية الفلسطينية وان العمل الفدائي الفلسطيني اخطأ ويجب عليه الان ان يتنحى . انا اعتقد ان هذه كارثة كبرى وانا اشتم منها روائح مؤامرات واطراف متعددة ليس هناك داع لذكر اسمها . الثورة هي التي تمثل الشعب الفلسطيني ويجب لها ان تتحمل كل تبعات ومسؤوليات المرحلة واولى مسؤولياتها هو توحيد قواها . وتوحيد قوى الثورة لا يمكن تأجيله لان جزءا كبيرا من الاخطاء التي حدثت في التقييم وفي التخطيط ، راجع الى التشرذم والتشتت داخل صفوف الثورة . كانت الاطراف المختلفة تطرح استراتيجيات مختلفة ولم يكن هناك استراتيجية واحدة . وبالتالي لا نجحت استراتيجية الطرف هذا ولا استراتيجية الطرف ذاك . عملية المبالغة في الارقام والخطأ في حساب القوى وفي حساب من لدينا داخل الجيش الاردني ، عملية الخطأ في حساب كم بندقية لدينا في عمان ، كلها نتيجة للتشرذم ومن ثم فالوصول الى وحدة حقيقية للقوى الثورية القادرة والفعالة والتي تتحمل مسؤولية المرحلة والتي لا تترك بالطبع مجالا لما يسمى مستقلين يجب ان تكون له الاولوية الاولى . أنا أرى فعلا ان الثورة الفلسطينية بقواها المقاتلة يجب ان تكون هي القادرة على تعبئة الكفاءات . فاذا كان هناك كفاءات علمية فلسطينية موجودة خارج حركة المقاومة فهذا هو خطأ القوى الثورية في حركة المقاومة فان من واجب هذه القوى ان تجند هذه الكفاءات داخلها وان تعبئها وان تثورها وان تسيسها اذا لم تكن قد سيست وان تصبح هذه القوى فعالة داخل تنظيم ثوري موحد . ولكن استمرار التشرذم وعدم وضوح الرؤيا والفعالية داخل التنظيمات المختلفة ساهم في خلق مجموعات «المستقلين» وفي ابعاد الكثير من الكفايات الملتزمة المخلصة عن مواقع العمل الثوري. أما عند تحقيق الوحدة الوطنية الحقيقية والتنظيم الثوري الفعال فلا يبقى دور لمستقل ولا يبقى مجال لعمل الا من خلال اطارات الثورة وداخل بنيتها . ويصبح عندها الكلام عن المستقلين كلام خطير لا يؤدي الا الى التشكيك في الثورة وخلق جماعات مناوئة لها .

صادق العظم : مما ذكرت دكتور نبيل حول دور امريكا وخط كيسنغر في « اردنة » او « فتنمة » الصراع في الساحة الاردنية ، اعتقد أن النتيجة السياسية لذلك هي وضع امريكا في موضع عدو رئيسي ، وكل الكلام ان امريكا ليست عدوا وانما هي في « موقع العدو » وان كل كلام عن تحييد امريكا او ان مفتاح الحل في النهاية في يدها وانه أمام التنازلات العربية ستضغط امريكا لانها هي التي ستأتي بالتسوية السلمية هو طبعا كلام فارغ من وجهة نظر ثورية . اي أن النتيجة السياسية لكلامك يجب أن تكون ما ذكرته ولا اعرف اذا كنت توافق .

ثانيا : ان التقصير الكبير من جانب المقاومة ايضا يستنتج من كلامك هو انها كانت تعرف وتدرك منذ البداية ان النظام الاردني ضدها ومع ذلك لم تضع في الواقع استراتيجية اساسية لمواجهة النظام. اي أن المقاومة لم تضع استراتيجية بحيث انه عندما يأتي اليوم الذي يقرر النظام تنفيذ سياسة امريكا في « اردنة » المعركة نهائيا تتمكن المقاومة من مواجهة النظام وخطته . اعتقد ان احد الاسباب الرئيسية في الهزيمة التي وصلت اليها المقاومة في أيلول هو غياب مثل هذه الاستراتيجية وغياب الاعداد اللازم لتنفيذها . ثالثا ، قضية التعامل مع الجماهير العربية ، الاستاذ منح قال ان الثورة الفلسطينية كانت خارج معركة التحرر العربي وانت قلت ان حركة التحرر تتمثل في أنظمة وانا اوافق على ذلك هذا يعني في النهاية وعلى الصعيد العملي والفعلي ان الثورة الفلسطينية عندما تريد ان تتعامل مع الجماهير العربية اي جماهير حركة التحرر عليها ان تعمل ضد الانظمة ولا مفر من هذه النتيجة . لو ارادت حركة المقاومة الاتصال بالحركات الجماهيرية فان الانظمة لن تنظر الى الموضوع على أنه مجرد تعارض بينها وبين المقاومة بل ستعتبر ذلك تناقضا وتضرب مباشرة كما ذكر الدكتور نبيل. من جهة اخرى لاحظت من بعض تعليقاتك والى حد ما تعليقات الرفيق غسان نوعا من قصر النفس حول قضية الاجل الطويل . تقولان اشياء ثم تستدركان بالقول الا اذا كان ذلك الشيء يتطلب أجلا طويلا ولكن موضوع الثورة مفروغ منه ومسلم بأنه طويل الاجل .

غسان كنفاني : انا ، واعتقد ان الدكتور نبيل

شعث ايضا ، لم ننشىء نقدنا على الاعتقاد بأن المسائل التي تعرضنا لها يمكن حلها بسرعة . كلا. اننا ننطلق من الاقرار بأنها قضايا تحسم من خلال الصراع الطويل المدى ، ولكننا كنا ننتقد اعتماد أساليب تكتيكية قصيرة النفس لحل هذه القضايا الاستراتيجية التي تحتاج الى وقت طويل ، ثم الوقوع تحت تأثير الخيبة الناجمة عن عدم حدوث المعجزة بسرعة . اي اننا انتقدنا اسلوب النظر الى هذه القضايا التي نتفق انها تحتاج الى اجل طويل ، ولكننا نرى الاسلوب المستخدم في حلها وكأنها تحتاج الى زمن قصير .

صادق العظم : موافق ولكن هناك قضية التوحيد. لا يكون التوحيد تعسفيا بل يكون على اساس اتفاق حول برنامج سياسي جذري واساسي وهذا يبدو انه غير متوفر الان في العمل الفلسطيني ، أو أن يبرز طرف من الاطراف عن طريق الكفاح على انه اقدر الاطراف واقواها واشدها بأسا وصمودا وصلابة ويفرض قيادته على هذا النحو كما حدث بالنسبة للشيوعيين في الفيتنام . في الحقيقة اذا كنا لا نريد الوحدة عن طريق التعسف لا مانع ان يكون في الساحة طرفان او اتجاهان : اتجاه سوف يبدو اكثر راديكالية واتجاه اخر يبدو اكثر محافظة ويريد ابقاء الجسور مع النظام الاردني مثلا والاستمرار الى حد ما على اساس السياسات السابقة . اي لا مانع ان يكون اتجاه بلشفي وآخر منشفي مثلا.

نبيل شعث : بالنسبة للموضوع الاول انا متفق معك ان دور امريكا دور حاسم واساسي وان من المهم جدا ان يلتحم العمل الثوري الفلسطيني بالعمل الثوري العربي عن طريق مقدار تصديه للمصالح الامريكية في المنطقة وعن طريق تفهمه الحقيقي لدور امريكا في حربنا مع اسرائيل وبمقدار ما يفعل ذلك يستطيع ان يواصل المسيرة بنجاح. ان اهمال ذلك ليس عملية خطأ في الفهم فحسب لكنه خطأ مدمر في التطبيق في النهاية . بالنسبة الى أن التنظيم سيؤدي الى التعارض مع الانظمة فهذا حدث قبل ان تستطيع الثورة الفلسطينية ان تنشىء اي تنظيم ذي فعالية . كان يضرب مباشرة. انت تطالب العمل الفلسطيني الان ان يصبح بديلا لانه اذا شاء ان يتصدى لمسؤولية انشاء علاقات مع الجماهير العربية بمعنى انشاء تنظيمات بديلة وتصحيحية للتنظيمات الموجودة على مستوى الحكومات فانه يحتاج الى طاقات وقدرات اكثر بكثير من امكانياته الحالية . فهو ليس قادرا ان يقيم تنظيما على مستوى الساحة الاردنية فكيف يكون بمقدوره ان ينشيء تنظيما حقيقيا تصحيحيا في البلاد العربية الاخرى . هذه مسؤولية يمكن ان يتحمل العمل الفلسطيني جزءا منها لكن الجزء الكبير منها يجب ان يقع على القدرات العربية في هذه البلاد . واما بالنسبة لموضوع الاجل الطويل والقصير اعتقد ان الاخ غسان اجاب على السؤال. اما كيف نتصدى للقضايا العاجلة، وانا متفق معه، لاننا قد نكون مقبلين على حرب تصفية قادمة وبالتالي يجب التصدي لها دون أن نفقد البصيرة لما يمكن عمله في المدى الطويل . واما في النقطة الاخيرة فاني ارى في هذا الكلام ما اعتبره تجنيا اذا كان المقصود فعلا ان هناك طرفا منشفيكيا وطرفا بلشفيكيا ، اذا كان المقصود أن يتفق العمل الفلسطيني ، ان يقرر العمل الفلسطيني ، ذاتيا ان يفرز فصائل تقوم بأعمال معينة في حين ان القدرة او القدرات او التنظيم الفلسطيني الام يدعي جهله بها ويتنصل من مسؤوليتها اي على نحو ما كان يفعله الصهيونيون في الارغون وشتيرن .

صادق العظم : انا لم اعن ذلك . عنيت ان هناك تصفية جسدية .

نبيل شعث : تصفية جسدية لمن ؟ بالعكس انا أرى ان الذي يدعو له الاخ صادق العظم ان هناك فصائل تتصور نفسها اكثر تقدمية وتتصور خطها اكثر يسارية ان هذا الخط لن يستطيع ان يتفوق الان لانه لا يتمتع بالمد الجماهيري الكافي وليس لديه رصيد من الانجازات الحقيقية التي يستطيع تقديمها للجماهير لتبرير وجوده المنفصل ، لكن تتصور انها في الاجل الطويل تستطيع وتريد من الطرف الاخر الذي هو الان يمثل اكبر قوة والذي يمثل الجماهير الفلسطينية بشكل اكبر والذي عنده قدرات اكثر ، ان يحميها ويحافظ على وجودها ثم يقدم لها هذه الجماهير في الوقت المناسب . ولذلك ، الحقيقة ، بالاضافة الى ما في هذا من عدم الواقعية اعود لاقول فعلا وامانة ان العمل الفلسطيني لا يحتمل نتائج هذه النوايا الانفصالية مهما كانت حسنة . واخيرا اقول انه حتى لو توحد العمل الفلسطيني كله ستظل قدرته على المجابهة الكاملة محدودة وسيتحمل خسائر كبرى لضمان استمراره ، ولا يجوز له بأي حال من الاحوال ان يجابه هذه المعارك المصيرية وهو

منشق على نفسه انشقاقا يولد عدم وضوح رؤيا للجماهير ويولد الاحساس بالتعارض في الداخل ، ويولد عدم القدرة على تقدير المواقف وعلى تقييم القوى ، ويولد كل الصراعات الموجودة الان .

شفيق الحوت : بعد كل هذا الحوار ارى انني احار بين ان اطرح وجهة نظري او ان اعلق لكنني لاحظت اننا بحاجة الى تحديد المبادىء العامة والقضايا العامة وانا استغرب بالفعل وجود ملاحظة شائعة في الوسط الفلسطيني وهي اننا غامضون في المبادىء ومحددون في التفاصيل . استهل ابداء رأيي بالقول بأنه اذا كان تحرير فلسطين هو الهدف الثابت والمطلوب والمطروح فالمهمة اذا هي مهمة عربية واي تصد فلسطيني محض لقضية انجاز هذا الهدف هو تصد لا بد له ان يصطدم بالازمات وصولا الى طريق الفشل النهائي واي وجود فلسطيني ليس عربي الهوية والسمات والنضال هو المرشح لحكم التسويات وليس لحكم التحرير . من هنا لم نفاجأ بالازمة التي تحياها حركة المقاومة الفلسطينية ولا أقول هذا ادعاء ، وربما كان جميع الاخوة يتنبأون بما جرى في ايلول في الاردن ويتوقعون هذه الازمة . ولو عدنا الى تصريحات جميع الرفاق والاخوان في حركة المقاومة لوجدناهم يتسابقون الى الحديث عن اننا كنا في عنق الزجاجة او في قعر الزجاجة . قبل هذا الكلام مرارا وتكرارا قبل وقوع الازمة والمجزرة ربما بشهور عديدة . أنا اشارك الاخ غسان بأن الثورة علم ولكن بمعنى أن يقرأ الانسان التاريخ وان يستخرج العبر والدروس مما جرى في هذا التاريخ على امتداد الكرة الارضية بأسرها ويبدو اننا لو راجعنا انفسنا لوجدنا ان هذه الازمة ليست التجربة الاولى في حياة النضال الفلسطيني ، هي الازمة ربما الرابعة او الخامسة او السادسة ولو فشلنا فلن يكون هذا فشلا جديدا وانما استمرار لسلسلة من الفشل انتابت حركة النضال الفلسطيني . نحن الان مبعثرون ولكننا كنا حركة نضالية واحدة سنة ١٩٤٨ وما قبلها ولكننا كذلك فشلنا . لو سألنا انفسنا لماذا فشلت حركة النضال الفلسطيني قبل ١٩٤٨ لقلنا انها اولا كانت قيادة فوقية عشائرية لم تعرف كيف تجند الجماهير ولا كيف تستوعب الكفاءات والقدرات ولانها كانت متخلفة عن المستوى القيادي المتوفر لدى العدو، متخلفة حضاريا ، متخلفة في رؤياها وفي فهمها لحقيقة القضية الفلسطينية التي تتركز في أن الاستعمار خلق اسرائيل ليحول دون تطوير الانسان العربي على الارض العربية وان يحول دون تحقيق اهدافه في خلق المجتمع العربي الواحد المنتج . كان الاستعمار يرى ذلك منذ خمسين سنة لان الاستعمار هو أيضا علم وتحركه عقول واعية تنظر الى الامام وربما اكثر من الحركات التي تتصدى له في بعض الاحيان . من هنا فان الازمة، كما قلت ، لم تكن مفاجأة واستغرب اننا في كل ما طرحناه من أسباب هذه الازمة وكأننا اكتشفناها بعد وفاة او استشهاد ٨٠٠٠ انسان او اكثر او اقل (لا ادري لانه من اخطاء الثورة انها لا تحترم الاحصاء والارقام) .

ولا بد من كلمة حول التشرذم او التعدد . وانا أقول ان هذا التعدد لا حل له ولا يمكن ان تتم وحدة فلسطينية بشكل تقليدي على الاطلاق . نحن أمام مشكلة لا بد لها من حل فريد مميز لاننا ورثنا اوضاعا من الصعب انتجاوزها وانتجاهلها. كان هناك امكانية حل واحد للوحدة الوطنية لو كانت منظمة فتح مؤهلة بالفعل لان تستوعب جميع الحركات النضالية الفلسطينية ، ولكنها عجزت لاسباب لا اعتقد ان الان مجال بحثها . فتح جاءت كرفض لما كان قبلها ولكنها سرعان ما أصبحت جزءا مما قبلها . فالاخوة الذين دخلوا بعد فتح على العمل الفدائي ، اي القوميون العرب ، والذين انشقوا فيما بعد الى جناحين وتمثلوا في الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية ، هم أصحاب تاريخ طويل حافل في القضية الفلسطينية كان لهم قبل النكسة آراء غريبة ثم تحولوا عن هذه الاراء وهم الان يطرحون اراء جديدة ، واعتقد ان هذا الطرح السريع وهذا التبدل السريع ، على اهميته ، بحاجة الى اختمار . لذلك وقعوا اسرى شعارات لا اعتقد انهم كانوا سيقعون فيها لو كانت الفكرة مختمرة في اذهانهم . بدأوا في الانقسام الافقي وقللوا بالانقسام العامودي مع ان الاخوة يقولون في غير هذا المجال انه ليس ثمة انقسام عامودي وليس ثمة انقسام والقضية بين لا وطنية او رجعية فلسطينية اردنية ووطنية فلسطينية اردنية . اذا كان ثمة من وضع غير صحي في الاردن ، فهي الان مرحلة عابرة ولا اعيرها كبير اهتمام .

واذا كان لا بد من الدفاع عن منظمة التحرير

الفلسطينية التي هي أن صح التعبير ، كقفـــا الخزانة في البيوت المهجورة عندما يريـــد الانسان ان يرمي شيئا يحتار اين يضعه ولا يريد رؤيـــاه يقذف به وراء هذه الخزانة . منظمة التحريـــر الفلسطينية التي أقامت اتحادات ، كما اشار الاخ بلال ، هي منظمة التحرير في عهد الفئـــة الحاكمة وهي مجموعة المنظمات الفلسطينية وبقيادة فتح بالذات ، هي ليست شيئا مجردا واقول ذلك حتى لا نخلط لان هناك رأيا واضحا في قضيـــة منظمة التحرير قد لا يكون رأي الاخ بلال لذلك لا بد من التنويه بأن هذه الاتحادات جاءت في عهد كانت فيه فتح والصاعقة والجبهة الديمقراطية في اللجنة التنفيذية وهم الذين اقروا مثل هذا العمل. واذا لم يكن للديمقراطية هذا الرأي ، فانها ، بالمقابل ، حركت قضية اسمها قضية مشاكـــل الجماهير في الاردن . وانا في الواقع لا يمكن ان أقف موقفا سلبيا من مشاكل الجماهير في الاردن ولكن لا يمكن ان اجعل منها هدفا اساسيا من اهداف الثورة ، وهذه كانت بداية التحول من الثورة الى النظام وتحول الثورة الى حركـــة اصلاحية في الاردن . منظمة التحرير حاولت تجنيد اردنيين ، الديمقراطية حولت الاردنيـــين الـــى فلسطينيين . اقول كنت اتمنى على كوادر الحركات الفلسطينية الاردنية لو طعمنا بها الحركة الوطنية الاردنية وحتى لو فرغنا فلسطينيين باسم الحركة الوطنية الاردنية ربما كان هذا انسب على صعيد الترتيب لمصلحة الثورة الفلسطينية .

لا زلت اتكلم عن الازمة الذاتية لحركة المقاومة. اننا ورثنا الماضي ولم نحاول ، ربما حاولنا ولكننا لم ننجح ، في تجاوزه . بل على العكس أضفنـــا له علة جديدة هـــي علـــة القطريـــة الفلسطينية الشوفينية وانقطعنا عن حركات التحرر الوطني العربي . هنا أيضا استطرد في الحديث عن حركات التحرر العربي فأقول ان اول ما هو مطلوب بالنسبة للتعامل مع حركات التحرر العربي ان تكون حركة المقاومة واضحة في هويتها السياسية . ليس المقصود بذلك ان تتعامل مع شخص او مع جهاز مخابرات او قيادة عليا او قيادة سياسية او امانة حزب . في البداية يجب ان تكون انت واضحا في هويتك السياسية ، هذا الوضوح يوصلك الـــى التعامل مع الفريق الجدير بالتعاون معك . واني لا استثني فريقا فلسطينيا واحدا من التعامل مـــع اجهزة هذا النظام او ذاك على الاطلاق . نحن لم نكن واضحين ثم اعتقد ان وضع الانظمة العربية كلها في سلة واحدة امر مبالغ في تبسيط القضية. اولا هنـــالك نظامـــان عربيـــان النظـــام التقليدي الرجعي المرتبط مصلحيا وتاريخيا ووجـــودا ومؤسسات مع الامبريالية التي هي أساس المشكلة وهنالك الانظمة التقدمية التي تتفاوت في صلتها الخارجية بدرجات مختلفة . انا لا اضع النظام في القاهرة مع النظام في العراق على الاطلاق . ومن هنا انا اعتقد انه عندما بدأت حركة المقاومة تهاجم الانظمة ككل ودون تحديد ودون وضوح ارتكبت ، او على الاقل ، جنت بعض المثالب التي كان من الممكن ان تتجاوزها فيما لو كـــانت اكثر تحديدا .

الشيء الثاني في الازمة الذاتية هو عدم الجدية . وأنا آسف ان أقول هذا الكلام لانني من المؤمنين ايمانا كبيرا بأن المشكلة الكبرى ليست وضـــوح الرؤيا وليست ما يقال عن وجود تباين ايديولوجي او تناقض ايديولوجي . انا اعتقد ان مرحلة التحرير الوطني ترفض هذا المنطق ولنا اسوة في اكثر من حركة تحرير وطنية تباشر نضالا الان في فيتنام وفي غيرها ومن جبهات وطنية في امريكا اللاتينية تضم اكثر الفئات تباعدا في بعض الاحيان او علـــى الاقل اكثر مما بين الاخوة في الساحة الفلسطينية من خلافات ايديولوجية . ولكن بالفعل ، وهـــذه مسؤولية احملها لجميع العاملين في الحقل الوطني، ان الاخوة لم يفرضوا على انفسهم الصبر الضروري لايجاد البرنامج السياسي المرحلي الذي يستطيعون من خلاله ان يمارسوا عملا نضاليا والدليل ان البرنامج السياسي الذي كان يبدو وكأنه مشكلة في المجلس الوطني اذا به اسهل الامور اقرارا وكنت أتمنى ان يكون اصعب الامور اقرارا . ولكن عندما جئنا ـــ وهنا اشارك الاخ غسان واهنؤه علـــى صراحته بالفعل ـــ الى القضية في النهاية وجدنا ان المشكلة هي مشكلة حصة كل فريق ، قضية حصتي في قيادة العمل الفلسطيني . وفي هذا الصدد انتقل مباشرة الى الحديث عن المستقلين الذي اثـــاره الدكتور نبيل شعث . انه قد لا يدري انني عندما استمع الى اخوة في حركة فتح استمع الى اكثر من رأي . انا لا اعرف ان معنى الالتزام هو أن يكون على معطفي زر فتح او زر الجبهة الشعبية او الديمقراطية او غيرها . التنظيـــم السياسي

بمعنى انه تنظيم للثورة الفلسطينية ما زال غير موجود وربما يوجد بعض المستقلين واستعير كلمة الاخ منح « مستقلين عن المؤسسات القائمة » لانه يبدو ان بعض التنظيمات لا يعدو ان يكون شلة بدأت عملا واصبحت هي التنظيم . أما اذا تجاوزنا هذه الشلة الى صفوف المقاتلين ، فنجد انه ربما تكون بين جميع صفوف المقاتلين فكرة عن بعض التنظيمات ، ولكن جميع المقاتلين هم مقاتلون تحت راية التحرير الفلسطيني لا اكثر ولا اقل . ومن يعرف ومن هو على تماس فعلي من الاخوة العاملين في الحقل الفلسطيني يجدون هذه الحركة المستمرة من الانتقال بين المقاتلين من تنظيم الى تنظيم . هذه اذن عدم الجدية. هنا اكرر مرة اخرى بأنه لو كان هنالك جدية واحساس بعظم المسؤولية وخطورة المسؤولية فمن المستحيل على الاطلاق ان تقف اية عوائق في طريق تحقيق هذه الوحدة . ولكن ، لكل فصيل من فصائلنا مطالبه في القيادة، وهذه هي المشكلة التي لا ادري كيف يمكن ان نخرج منها . ولكني طبعا لا ارشح اسلوب التصفيات ولا ارشح عمليا اسلوب مسح الفروق النظرية ولكنني ارى، وان كان مثلا مؤلما ان يتخذه الانسان، ارى في الحركة الصهيونية انها استطاعت ان تستقطب وان تنظم العمل بين المنظمات بصيغة واخرى وربما تكون هذه صيغة مناسبة لنا على صعيد المرحلة التي نحن فيها على أمل الخروج بصيغة مميزة تفرضها الظروف المميزة للقضية الفلسطينية .

الاخ بلال تكلم عن التذبذب في التعامل مع النظام الهاشمي وهذا صحيح اشاركه الرأي ولكن الحقيقة المؤلمة انني عندما ابحث في هذا الموضوع فانني مضطر ان أتكلم عن حركات مقاومة وليس عن حركة مقاومة واحدة . ومن هنا كان هذا التذبذب، كان يكون لهذا الفريق رأي وللفريق الاخر رأي وللفريق الثالث رأي وكثيرا ما كان ، وهذه حقيقة مؤلمة ، يتفق ثلاثة او اربعة على رأي ولكن هذا الرأي لا يصل الى القواعد . وفي اجواء مثل الاجواء الاردنية كان من السهل على مناضل يحمل بندقية ان يشعل الموقف ، وعندئذ يصبح التصدي مهمة جميع حركة المقاومة بجميع فصائلها . خضنا المعركة مع النظام الاردني لان النظام الاردني ارادها واستثمر خلافاتنا احسن استثمار واستغلها احسن استغلال . نظريا وعلى الكتب انا مع الاخ بلال بما يسميه الريف وان كنت لم ار ريفا حتى الان في الاردن اي انك من جرش ترى ١٢ شجرة ومن ثم تبدأ الصحراء . ربما كانت المزرعة الكبرى في المملكة الاردنية الهاشمية هي الجيش الاردني وما عدا ذلك أنا لم أر ريفا وبالتالي ارجو أن لا نقع اسرى تجارب الاخوة المناضلين في مناطق اخرى من العالم حيث هنالك اوضاع طبقية واضحة ويمكن بالفعل توظيفها واستغلالها لمصلحة معركة التحرير الفلسطيني . أنا لا اريد ان اقف موقفا سلبيا من هذه القضية ولكنني اقول أن هنالك بعدا اهم من هذا البعد اثبتته الحركة النضالية وهو البعد القومي . وانني على ثقة بأن المجتمع الاردني القبلي قابل لان يوظف للحركة، لان يقحم في المعركة. من الباب القومي للقضية الفلسطينية. ولكننا آثرنا الحديث عن البعد الطبقي اكثر من اللازم ثم في مجال التطبيق عندما حاولنا ان نطبق بالفعل ، لم نحسن اساليب التطبيق . والاخ بلال لا شك يشاركني باننا كنا في هذا الموضوع خياليين اكثر مما كنا ممارسين حقيقيين . كنا نظن ان تعليق صورة لزعيم يساري يصبغ ذلك الجزء من الريف بالصبغة اليسارية ، الامر الذي بالفعل استنفر هؤلاء البسطاء ضدنا فباتوا يظنون ان تعليق صورة لينين تعني انه بديل عن سيدنا محمد . وانا اعتقد ان اللينيني الماركسي الواعي كان يجب أن يدرك هذه الامور ، يدرك المرحلة التي يحياها شعب بدائي كشعبنا في الاردن وبالتالي ان يتناول موضوع التثوير الطبقي عن طريق اكثر ملاءمة للوضع القائم هناك . اعتقد ان هذه اهم النقاط فيما يتعلق بالازمة الذاتية . وفيما يتعلق بموضوع الساحة الاردنية انا من المنادين ومن المؤمنين بضرورة تحديد صلاحيات ومهام فريقين في الاردن دون اي شعور ودون اي اندفاع وراء نزعات شوفينية بل من منطق عربي . اقول انه لا بد لاخوتنا في الاردن ان يمارسوا عملا وطنيا وعملا قوميا، وهذا استمرار لخط النضال الذي مارسه الشرق اردنيون قبل حركة المقاومة . لقد عاملنا اخوتنا في الحركة الاردنية كأحد فريقين اما ذيل واما قابض وكلا المعاملتين هي معاملة سيئة بينما كان يجب ان تعزز الحركة الاردنية لانني اؤمن بأن عروبة العمل تفرض اصلا الوجود القطري في خدمة القضية العربية وليست هوية نحملها في جيبنا على الاطلاق .

قبل ان اختم لا بد من الاشارة مؤيدا كلام الدكتور نبيل واريد ان اؤكده هنا وهو دور الولايات المتحدة ودور الامبريالية . انا اقول ان حركة المقاومة الفلسطينية نضجت وان رأينا السلبية فقط فئمة ايجابية ولكن من قبيل وضع الامور في نصابها ومن قبيل رؤية المسار النضالي لحركة المقاومة . لقد كان الحديث في بداية العمل الفدائي عن الولايات المتحدة يعتبر حديثا غير مقبول ومكروه. كان ثمة من يفصل في الثورة الفلسطينية بين اسرائيل وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وانا أتحدى اننا لو عدنا الى الادب الثوري الفلسطيني الذي برز بعد الـ ٦٥ واستمر الى فترة وقبيل روجرز وحتى اثناء روجرز وصدر عن تنظيمات فلسطينية لوجدنا انه يحاول جاهدا ويتأبى ان يذكر الولايات المتحدة او كلمة امبريالية او كلمة استعمار . ربما كان طرح بعض الاخوة في الجبهة الشعبية ، وانا معهم من الناحية السياسية مئة في المئة ، صحيحا الا ان بعض تصرفات اخوتنا في الجبهة الشعبية على صعيد الممارسة لهذا الشعار بأن نضع الاستعمار في صف المجابهة شجعت تيارا مضادا لكي ينعزل نهائيا عن قضية التصدي للامبريالية . أنا اقول ان الامبريالية واسرائيل شيء واحد ولا يمكن فصل اسرائيل عن الامبريالية اي عن الولايات المتحدة الامريكية ومن هنا أعود الى بداية كلمتي لاقول بأن المهمة النضالية لمواجهة ذلك الكيان الاستعماري الصهيوني الاسرائيلي مهمة قومية لاننا بالتالي مطالبون بأن نتصدى للولايات المتحدة الامريكية ، هذا التصدي مع احترامي وتقديري للشعب الفلسطيني وربما هذا المليون لو كان في ظروف اخرى وفي بقعة جغرافية اخرى ، ربما كان بمقدوره ان يتصدى وان ينجح ولكن في القضية الفلسطينية وفي هذا الظرف بالذات، وضمن هذه الصورة المتلاحمة على المصير وفي ظل وجود دول تخاف من ردود الفعل ولها قدرات محدودة على الردع ، او منها من هو متواطىء ، فان القضية تصبح صعبة جدا على الشعب الفلسطيني وحده . من هنا كان التلاحم المصيري بين قضية الثورة الفلسطينية وقضية حركة التحرير العربي. مرة اخرى ، حركة التحرر العربي موجودة بجميع انحاء الوطن العربي اذا كان بعضها ممثلا بأنظمة وكنا مضطرين أن نتعامل معه . كما قلت ان هويتنا تحدد نوعية هذا التعاون ولكننا بنفس الوقت أهملنا التعامل مع حركات التحرر العربي . في دول كالمغرب وغيرها بينما كانت المعارضة الوطنية ونقابات العمال تنتظر بفارغ الصبر ان يأتي مندوب المقاومة الفلسطينية ليقيم معها علاقات نضالية عضوية وسياسية كانوا يجدوننا نذهب من الطائرات الى القصور بدلا من ان نذهب الى هؤلاء الناس وكانت هذه القصور تتعزز مواقفها في ضرب هذه المؤسسات النقابية والعمالية التي هي وحدها مؤهلة لتكون حليفنا في معركتنا ضد الاستعمار .

بلال الحسن : اولا ، بالنسبة لما قال الاخ غسان الذي اتهم حديثي بالتبسيط الميكانيكي لعملية النقد، اعتقد انه من خلال نقده للتبسيط وقع في العمومية الشديدة جدا . واذا كنا نريد ان ننتقد الشعارات وننتقد عقلية الشعارات في حركة المقاومة فيجب ان ننطلق من هذا النقد الى التحليل والا نقع في طريق مسدود ليس له مخرج . الاخ غسان قال انه لا يرى ان هناك خلافات تكتيكية في حركة المقاومة وفي مواقف فصائلها وانه يرى المشكلة في التصاق منظمات المقاومة فقط في الهدف الاستراتيجي وانا اخالفه تماما بهذا المفهوم . أنا اقول ان كل الحوار الفلسطيني هو خلاف حول المواقف التكتيكية . لا احد يختلف على الميثاق الوطني الفلسطيني . الميثاق يحدد الاهداف الاستراتيجية الكاملة للنضال الفلسطيني، التحرير، رفض الحلول التصفوية ، ورفض الدولة الفلسطينية العميلة ، الخ ... دائما كان الخلاف حول المواقف التكتيكية ، بشكل أدق حول البرامج المرحلية في كل فترة . ابرز مثل على ذلك هو حوار المجلس الوطني الفلسطيني الاخير . حوار المجلس لم يكن متركزا حول القضايا المصيرية كان متركزا حول البرنامج المرحلي ، البرنامج المرحلي لعمل الحركة الوطنية الفلسطينية في الاردن بشكل خاص باعتبار ان العمل في الاراضي المحتلة ليس مطروحا للنقاش وهذه القضية كانت في منتهى الوضوح . وانا هنا اخالف الاخ شفيق بأنه كان يجب ان يكون البرنامج السياسي اصعب شيء يتفق عليه . البرنامج السياسي الذي دار النقاش حوله في اللجنة المركزية وفي المجلس الوطني لم يتفق عليه . كل ما اتفق عليه هو العموميات التي أمكن استخلاصها من الحوار الفلسطيني الذي دار في المجلس الوطني .

الاخ غسان انتقد الانتقال السريع من القول بالانقسام الافقي الى القول بالانقسام العامودي .

هنا لا اريد ان ارد على النقطة انما اريد ان اقول ملاحظة صغيرة ان القول بالانقسام العامودي ليس رأيا انما هو واقع قائم . هناك الان في المجتمع الاردني انقسام عامودي واضح واذا كنا نريد ان نرفضه فاننا نرفض الواقع ولا نرفض رأيا لاحد التنظيمات . والذي يذهب الى الاردن يلاحظه في كل الاوساط . هذا الانقسام يريد النظام ان يعمقه وان يبقيه اساسا ونحن نريد سياسات تستطيع أن تتخطاه .

اريد ان ارجع لنقطة الخلافات التكتيكية واقدم امثلة سريعة عليها : الموقف من مؤتمرات القمة كان خلافا اساسيا في حركة المقاومة ، الموقف من النضال النقابي في الاردن كان خلافا دائما بين المنظمات الفدائية ، الموقف من تعميق ازدواجية السلطة من خلال المجالس الشعبية كان موضوع صراع دائم في المخيمات بين المنظمات الفدائية . هذه قضايا تكتيكية في صلب البرنامج المرحلي الفلسطيني الذي كان عليه دائما خلافات .

الاخ غسان قال ايضا ان المشكلة هي في رسم المخطط . هذا صحيح انما لم يعد هذا الحديث وحده ، منذ فترة طويلة ، مقبولا في الوسط الفلسطيني . مطلوب الانتقال الى مرحلة ادلاء الرأي في بنود هذا المخطط . قد يكون الرأي الذي يبدى حول بنود هذا المخطط غير مقبول لكن دون الدخول في عملية النقاش هذه لا يمكن الوصول الى نتائج .

بالنسبة للحديث الذي قاله الدكتور نبيل شعث اريد ان ارد اولا على نقطة هامة وردت في حديثه . لقد فهم قولي بأن يتصدى العمل الفدائي للمشكلات الاجتماعية بأن المطلوب من العمل الفدائي ان يحل هذه المشكلات . الذي قصدته ان المطلوب من حركة المقاومة ان تفهم هذه المشكلات ، ان تطرح برنامجا سياسيا نضاليا لحلها ، تتولد حول هذا البرنامج حركة جماهيرية تناضل هي من أجل هذه الاهداف حتى حين يأتي النظام الاردني ليستغل هذه المشاكل لا تقع الجماهير في فخ المخطط الاردني وحتى عندما تدخل مؤسسات النظام الاردني تدخل وهي في موقف وطني واع تستطيع ان تواجه فيه مخطط النظام .

شفيق الحوت : ما هي مشكلة الريف في الاردن التي تتحدث عنها الجبهة الديمقراطية ؟ هل هي موضوع اقطاع ؟ ام ماذا ؟

بلال الحسن : انت ذكرت نقطة في حديثك ان المشكلة ليست في الريف ، المشكلة هي في الجيش، اقطاعية الجيش . هذا يضعنا في صلب مشكلة الريف الاردني . انت تخوض معركة مع النظام الاردني ، هذه المعركة تحتاج فيها الى تجنيد القوى الجماهيرية ، هذه القوى الجماهيرية بسبب طبيعة الجفاف في الريف الاردني تجد متنفسها الاقتصادي في الجيش فبالتالي ما لم تدخل الى موضوع الريف لتقيم فيه تنظيما سياسيا وما لم تخلق حالة من الوعي في أوساط الريف الاردني فان النظام سيحاول باستمرار استيعاب ازمة الريف من خلال الجيش ، فيبقى الجيش مؤسسة بيد النظام يضرب بها الحركة الجماهيرية . مدخلك لتطوير العمل الوطني في الجيش هو في تنبيه الجندي الفلاح لمشكلته الاقتصادية التي يستغلها النظام لتسخيره ضد الحركة الوطنية .

شفيق الحوت : العمل داخل الجيش الاردني القائم على توعية الجنود والضباط الاردنيين قد يكون الطريق الانسب من ان تقول للناس هذا جيش مرتزق او هذا جيش ضد القضية الوطنية وبالتالي لا تدعوا اولادكم يدخلونه .

بلال الحسن : لا تستطيع ان تعالج المشكلة هكذا، انما تعالجها بتوعيتهم حول مشاكلهم الحقيقية في البلد وبأن الجيش هو مصدر تخدير لحل هذه المشاكل لتخلق حالة وطنية داخل الجيش لا تقف مع النظام . بالنسبة لكلام الاخ نبيل في معرض رده على الدكتور صادق حول الموقفين الفلسطينيين « البلشفيك والمنشفيك » انا اريد ان اضع القضية في بساطة : اذا استمر الخلاف حول المنهاج المرحلي للعمل الوطني الفلسطيني في الاردن فهذا الخلاف قد يؤدي الى وجود موقفين فلسطينيين وبالتالي الى تكتلين فلسطينيين ، وهذا خطر يجب ان لا نقع به وان نواجهه بدأب في الحوار والتفاهم وصولا الى منهاج واحد حتى لا تنقسم الحركة الوطنية الفلسطينية .

اما بصدد ما ذكره الاخ غسان عن موضوع العمل ضد اسرائيل واننا نتجاهل هذه القضية فالحقيقة ان ليس من تجاهل لكن يجب ان يكون هناك تركيز على العوائق التي تقف أمام العمل الفدائي في التوجه نحو اسرائيل . هل يستطيع العمل الفدائي الان في الظروف القائمة، وفي ظروف الصراع مع السلطة الاردنية ان يكرس جهوده للعمل ضد اسرائيل من الاغوار ؟ هذا الواقع غير قائم . اصرار النظام

الاردني على التصفية يفرض على العمل الفدائي ان يواجه هذه المعركة . والقضية ليست امنيات. الصورة القائمة حتى الان ان العمل داخل الارض المحتلة يتغذى من الاردن ، غزة لها ظروف خاصة ذاتية ناتجة عن الواقع الوطني الذي عاشت فيه فترة طويلة ، عن وجود تنظيمات مدربة منذ ١٩٥٦ هذا كان موجودا في غزة بينما يفتقد بشكل حاد بالنسبة للضفة الغربية ، العمل فيها يتغذى من الاردن وتطور العمل في الضفة الغربية مرتبط بحماية ظهر المقاومة وامنها في الاردن .

بالنسبة لما ورد في حديث الاخ شفيق ، مثل فيتنام الذي ذكره حول الوحدة الوطنية مثل براق جدا ويذكر دائما في النقاش لكن في اعتقادي ان هناك خطأ في المقارنة . الواقع القائم في فيتنام ليس قدرة الجميع على استيعاب بعضهم بعضا في جبهة واحدة ، بل هي وجود حزب قائد استطاع ان يستوعب القضية الوطنية في البلد ، واستطاع بسبب ذلك ان يضم كل التنظيمات، حتى التنظيمات اليمينية الى جانبه في المعركة ضد الرجعية في سايغون وضد الامبريالية الامريكية . هذا الوضع غير قائم في الساحة الفلسطينية فالقوى المسيطرة في الساحة الفلسطينية لم تستطع حتى الان في برنامجها ان تقوم بعملية القيادة لكافة طبقات المجتمع .

شفيق الحوت : الحزب القائد في فيتنام اصبح قائدا لانه استطاع ان يستوعب . لم يكن هناك حزب قائد ثم استوعب . يعني ان الاستيعاب تم من خلال ممارسته وقدرته وتحليله للوضع ومعرفته واستفادته من القضية ، كان حزبا قائدا بالممارسة واصبح مستوعبا لجميع هذه التنظيمات وهذا ما تفتقر اليه الساحة الفلسطينية .

بلال الحسن : بالنسبة لتعليق الاخ شفيق على موضوع التذبذب في سياسة المقاومة وقوله انه ينبع من التعدد في المواقف ، ارى ان التذبذب لا ينبع من تعدد المواقف ، بل من سياسة التيار المسيطر على حركة المقاومة كما ينبع من قرارات المجالس الوطنية التي تصاغ بمنطق التسويات فهي لا تعبر عن وجهة نظر واضحة بل هي قرارات عامة تساعد على تقديم اكثر من تفسير. مثلا عندما اتخذ المجلس الوطني الاستثنائي قرارا بتحويل الاردن الى « معقل للثورة الفلسطينية » وضعت هذه الصيغة هربا من الصيغ المحددة لمعنى معقل الثورة الفلسطينية. هذه الصيغة العامة سمحت بسياسات متناقضة وابقت امكانيات التذبذب قائمة . بالنسبة لحديثه عن اخطاء اليسار انا اقول ان اليسار وقع في اخطاء والمثل الذي ذكره صحيح . البيئة فيها تخلف سياسي صدمته اساليب في العمل بعيدة عن فهم الواقع وهذا خطأ لكن هذا خطأ في الاسلوب يجب ان لا نسحبه الى الموقف الفكري المطروح .

غسان كنفاني : ليس عندي ما أقوله على الذي قاله بلال لان قراءة الاشياء التي قلتها بشكل كلي هي التي تجعل الخلافات على القضايا الجزئية التي اثيرت محلولة انما انا اعتقد في نهاية التحليل بأنني وبلال لسنا مختلفين حول القضايا التي اجاب عنها بصرف النظر عن الخلاف الشكلي الذي يبدو موضوع عدم الدقة بيني وبينه واعتقد في تفسير او في اعطاء المدى الزمني لكلمة تكتيك واستراتيجية . هناك قضايا ذكرها على اساس تكتيك يمكن ان لا اعتبرها تكتيك بل استراتيجية والذي اريد ان اؤكد عليه ان القضايا التكتيكية تبدو بعيدة جدا عن الولاءات الايديولوجية لكن انا متفق معه ان هناك خلافا في حركة المقاومة على قضايا ايديولوجية . اما بالنسبة لموضوع العمليات في اسرائيل انني لا زلت مصرا على كلمة تبسيط ميكانيكي لانني لم اذكر العمليات ضد اسرائيل كشيء مطلق مجرد قائم بذاته انا ذكرته كبند من بنود ايقاف موجة الانحسار ولم ارتب هذه البنود وراء بعضها ميكانيكيا بل وضعتها بين كل البنود التي عددها الزملاء وانا اضفت اليها قضية تصعيد العمل داخل اسرائيل .

ان في الحركة الوطنية الفلسطينية يمينا ويسارا وأنا أعتقد بأن المشكلة الاساسية القائمة الان هي ان هناك شعورا عاما لدى اليسار بأن اليمين غير قادر على قيادة هذه المرحلة ولكن اليسار غير قادر على التقاط هذه المرحلة وقيادتها . ومن ثم فان اليسار مختلف فيما بينه من الذي يقود اليسار لان اليسار منقسم على نفسه . هذا هو الوضع الراهن . انا لا اريد ان ابسط الامور بشكل يبدو ان هناك خلافا على هذه البرامج التكتيكية او تلك. انا اقول مثلا ان القضية الراهنة الان والمتفق عليها من قبل الجميع وتشكل المهمة الرئيسية الان هي صيغة مرحلية للوحدة الوطنية تنعكس ببرنامج سياسي وتنعكس في وضع تنظيمي مناسب لهذا البرنامج السياسي . والهدف المرحلي الراهن الان امامي هو الدفاع عن بقائنا . وانا لا اعتقد انه

يوجد خلاف حول هذه النقطة في هذه المرحلة فماذا الذي يحدث ؟ نحن نعتقد او اليسار الفلسطيني يعتقد بأن برنامج اليمين للايفاء بمهمات هذه المرحلة غير ممكن لانه يجب ان يقود اليسار هذا البرنامج. اليسار الفلسطيني بالذات كي يحسم هذا الموضوع يجب ان يتفق فيما بينه او ينتظر حتى يحدد ميزان القوى فيما بين اطرافه ، من هو الذي يستطيع ان يقود العمل الوطني الفلسطيني ، وبرأيي ان هذه هي المعضلة الجوهرية الان ، وليست الشعارات التكتيكية .

ان البعض يصنف فتح ومنظمة التحرير مثلا في جهة من اليمين ويضع الجبهة الشعبية والصاعقة والديموقراطية في جهة اليسار. انا ضد هذه الفكرة في رسم الخارطة ، لان التقسيم بذلك يكون عصبويا وعشائريا . ان عملية التطور ، عملية التبدل في ميزان القوى بين اليمين واليسار داخل حركة المقاومة عملية مضطربة وتحدث باستمرار . الجزء الذي سيثبت جدارته للقيادة هو الجزء الذي سيبرهن يوميا للجماهير من خلال ممارساته ان الخط الاستراتيجي الذي يتمشى عليه هو الصحيح. هذه قضية لا تقرر في المجلس الوطني الفلسطيني ولا تقرر في اللجنة التنفيذية ولا بالمقالات ولا التصريحات الصحفية. هذه تقرر من خلال الممارسة الميدانية الصبورة والدؤوبة . طبعا انا لا احاول ان اقلل من الخلافات الراهنة ولكنني احاول استكشاف السبب الجوهري الذي يتوقف عليه حسم الوحدة الوطنية الفلسطينية . ليس معنى هذا بأن « اليمين » الفلسطيني لا يستطيع حل مسألة الوحدة الوطنية وانه ليس من الممكن ان تحسم الا اذا صار اليسار هو القائد . لا يمكن لليمين في حالة اندحار اليسار وصغر حجمه ، ان يحرز انتصارا في ميزان القوى مرحليا وان يقوم بعمليات تصفية ، وان يقوم بعمليات مخاطرة وقمع، هناك عدة اساليب تستطيع ان تؤمن هيمنة اليمين على حركة وطنية ما ، وقد حدث ذلك في تجاربنا وفي تجارب عالمية ، كما عندي شعور ، انه فيما عدا حدوث تغير في ميزان القوى داخل حركة المقاومة ، فان مسألة الوحدة الوطنية لا يمكن حلها بسهولة ، وهذا التغير الذي اقصده ليس تفوق طرف على طرف ، ولكن مجمل التطورات الذاتية والموضوعية داخل وخارج مجموع فصائل حركة المقاومة . اننا في وضع معقد ومتشابك ، واعتقد ان صيغة الجبهة الوطنية الفيتنامية غير صالحة لنا لسببه بسيط هو ان الحركة الوطنية الفلسطينية بالتوازن بين اطرافها وبين برامجها لا تتشابه مع فيتنام ولا الصين لان الوضع داخل الحركة الوطنية الفلسطينية لا يزال حتى الان عاجزا عن ان يعكس نفسه في برنامج عمل متفق عليه . وهذه عملية مستمرة تخضع للتطور . وطبعا اذا حاول الانسان ان يجري تقديرا « لكمية » التحول التي حدثت في صراع الارادات داخل حركة المقاومة الفلسطينية في السنوات القليلة الماضية لتبين ان مقدارا مرموقا من التحسن قد طرأ ، ولا شك انه سيستمر .

نبيل شعث : لقد توصلت الاطراف المختلفة في المجلس الوطني الاخير ، وقد يكون هذا انجازه الاساسي الى برنامج عمل مرحلي ووفق عليه بالاجماع وهو برنامج حد ادنى مثالي ، واتفق الجميع على مهمات مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي التي نمر بها وبالتالي فعلى التنظيمات الثورية الفلسطينية ان تسعى بكل جهدها وفي اقرب فترة ممكنة الى تحقيق بنية تنظيمية وحدوية فعالة تضع كافة الفعاليات العسكرية والسياسية والمالية تحت قيادة موحدة وفي اطار قادر على استمرار الثورة وتصعيد عملياتها وزيادة قدرتها على التصدي للاعباء الجسام وللمخاطر الكبيرة التي تنتظرها ودون ذلك لا يبقى يمين ولا يسار .

الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة

فؤاد حمدي بسيسو

هذه الدراسة هي اول دراسة تنشر بالعربية عن الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة (دون التوسع في الاثار الاخرى ، من سياسية وعسكرية ونفسية واجتماعية) . واننا اذ ندرك مدى حساسية هذا الموضوع واهميته القصوى ، نؤكد على ان ما جاء فيه هو اجتهاد فردي مبني على المعلومات المتوافرة القليلة ، وهو يعكس راي كاتبه فقط ، ولا يلزم اسرة التحرير ولا البنك المركزي الاردني حيث يعمل الكاتب ولا د. تيسير عبدالجابر الذي وضعت الدراسة باشرافه . كما واننا نرحب باية تعليقات حول الموضوع او اية معالجات مستقلة له سواء من الجانب الاقتصادي او/والجانب السياسي واية جوانب اخرى .

« التحرير »

كان الابقاء على الجسور الاردنية مفتوحة بعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية من الاردن من الجوانب الملحوظة التي تلت عدوان ١٩٦٧ ، والتي لم تلق حتى الان اية دراسة متعمقة، وذلك بالرغم من الحاح وضرورة التعرف على آثارها ، وما قد يترتب عن اغلاقها اذا قام العدو بذلك . او ما يترتب على هذا الاغلاق اذا اتخذت السلطات الاردنية مثل هذا الاجراء . ولا يخفى ان بقاء الجسور مفتوحة يعني تحرك عناصر الانتاج والسلع بين المناطق المحتلة والضفة الشرقية ، ضمن حدود سياسات كل من الاردن واسرائيل وقيودها على حرية الحركة عبر الجسور . مما سيترتب على ذلك التاثير على اتجاهات الاقتصاد الاردني بضفتيه . والهدف الرئيسي لهذا البحث التعرف على الاثار الاقتصادية العامة الناجمة عن سياسة فتح الجسور الاردنية ، وذلك بالنسبة لكل من الاقتصاد الاردني بضفتيه والاقتصاد الاسرائيلي . ولقد ووجهنا بنقص في المعلومات والاحصاءات المتوفرة عن التحركات الاقتصادية عبر الجسور الاردنية . ولقد حاولنا حصر اقصى قدر من هذه المعلومات عن طريق الاجهزة الرسمية والمجلات العلمية وبعض المصادر العلمية الاسرائيلية ، كما قمنا بزيارة شخصية لمنطقة الجسور الاردنية لمدة ثلاثة ايام لاغراض الدراسة .

المبحث الاول : اقتصاديات الضفة الغربية

اولا : اقتصاديات الضفة الغربية والاقتصاد الاردني : بلغ عدد سكان الضفة الغربية من الاردن في نهاية عام ١٩٦٦ حوالي ٩٨١ الف نسمة من اصل سكان المملكة البالغ عددهم مليونين ومئة الف نسمة ، اي ما نسبته ٤٧٪ من مجموع السكان. وتبلغ مساحة الاراضي الزراعية للضفة الغربية ما نسبته ٣٢٪ من مجمل المساحة الزراعية في المملكة مساهمة بما نسبته ٨٠٪ من المساحة المزروعة فواكه وما نسبته ٤٥٪ من مجمل المساحة المزروعة خضروات و٢٥٪ من المساحة المزروعة حبوبا و٣٥٪ من عدد المواشي والدواجن الموجودة في المملكة .

اما مساهمتها في الانتاج المحلي للمملكة لمختلف القطاعات الاقتصادية فقد كانت حسب معدل ١٩٥٩ — ١٩٦٥ كما يلي(١): الزراعة ٣٤ — ٤٠٪ ، الصناعة ١٨ — ٢٠٪ ، الانشاءات ٣٠ — ٣٥٪ ، الكهرباء والمياه حوالي ٣١٪ ، النقل ٤٥ — ٥٠٪ ، تجارة الجملة والمفرق ٤٠ — ٤٥٪ ، البنوك

والصيارفة والتامين ٣٥ — ٤٠٪[٢] ، ملكية المساكن ٤١٪ ، الادارة العامة والدفاع ١٥ — ٢٠٪ ، الخدمات ٥٠ — ٦٠٪ .

يضاف الى هذه المساهمات الرئيسية في الاقتصاد الاردني انتاجها لما نسبته ٨٠ — ٩٠٪ من انتاج زيت الزيتون في الاردن . ولهذه المادة اهمية اقتصادية بالنسبة للتصدير وللصناعات الزراعية. كما تشكل الضفة الغربية المورد الرئيسي للدخل من السياحة وتحويلات الاردنيين العاملين في الخارج ، حيث ساهمت الضفة الغربية قبل عدوان ١٩٦٧ بما نسبته ٨٠ — ٩٠٪ من دخل السياحة للاردن وما نسبته ٩٠٪ من تحويلات العاملين الاردنيين في الخارج . وقد ساهم الدخل السياحي والدخل من تحويلات العاملين في الخارج للاردن خلال عام ١٩٦٦ بما نسبته ٦٨٪ من اجمالي دخل الصادرات من الخدمات للاردن[٣]. وهناك نوع من المساهمة غير المباشرة للضفة الغربية في الاقتصاد الاردني تتركز في كونها سوقا حيويا للعديد من المنتجات الصناعية الاردنية ، خاصة الموجودة في الضفة الشرقية مثل المنتجات البترولية والاسمنت والاقمشة والادوية والجلود ومسحوق الصابون ، كما تعتبر سوقا رئيسيا لقطاعات النقل والتجارة المالية والخدمات .

ثانيا : اقتصاديات الضفة الغربية والاقتصاد الاسرائيلي : فيما يتعلق بالقطاع الزراعي يلاحظ ان نموه في اسرائيل يواجه بمشكلة نقص كل من المياه والتربة. ولذلك يجري التركيز على الزراعة الكثيفة كما يجري الاهتمام بزيادة انتاج انواع معينة من الفواكه والخضروات سواء منها ما يلزم للصناعة المحلية او لمواجهة اهداف زيادة حجم الصادرات، ويجري التركيز بصورة خاصة على انتاج منتجات فصل الشتاء والربيع . وبالنسبة للقطاع الزراعي في الضفة الغربية فرغم ان مستوى تطوره ينخفض عن مستواه في اسرائيل فانه يرتفع عن غيره من الدول النامية مما يتيح لاسرائيل امكانية تطوير هذا القطاع ، ويدعم ذلك استعداد المزارع في الضفة الغربية لتقبل التغيير[٤]. كما تتوفر الفرصة لاسرائيل لانجاز عملية الزراعة الكثيفة خاصة في منطقة الاغوار التي تتميز بارتفاع انتاجيتها ، كما يمكن ادخال زراعة المحاصيل الصناعية والتصديرية والتوسع فيها ، مثل القطن والبندورة والباذنجان والدخان والسمسم .

وفي ميدان التجارة تتوفر فرصة حيوية لتصدير بعض منتجات الضفة الغربية للاسواق الخارجية عن طريق اسرائيل ، خاصة فيما يتعلق بالخضروات، والاستيراد من اسرائيل لبعض المنتجات الزراعية. وفيما يتعلق بالصناعة في الضفة الغربية فهي لا تزال في مراحلها الاولى للتنمية وتقتصر على صناعات الخدمات كتوليد الطاقة الكهربائية والمياه والصناعات الزراعية التي تعتمد على الانتاج المحلي كالدخان والصابون والمعلبات الغذائية والصناعات اليدوية السياحية كصناعة خشب الزيتون والتطريز والموبيليا[٥]. ان ذلك يعني توفير ميدان تسويق حيوي للصناعة الاسرائيلية في الضفة الغربية لتحل محل كل من صناعات الضفة الشرقية والمستوردات الصناعية من الخارج . وبالنسبة لعوامل الانتاج يلاحظ وبصورة خاصة بالنسبة للعمالة انخفاض مستويات الاجور في الضفة الغربية عن مستواها في اسرائيل . ان ذلك يمنح الفرصة للاستفادة من خدمات العمال العرب وتشغيلهم في المناطق الزراعية والصناعية الاسرائيلية ، مما يساهم في تلطيف حدة الارتفاع في مستوى الاجور في اسرائيل ، وسد الثغرة الناجمة عن النقص النسبي في العمالة الاسرائيلية وبصورة خاصة في اوقات التعبئة[٦].

ثالثا : اقتصاديات قطاع غزة : تتميز اقتصاديات قطاع غزة بكون القطاع الزراعي يحتل المرتبة الاولى بالنسبة لبقية القطاعات من حيث المساهمة في كل من الانتاج والعمالة ، حيث يساهم بحوالي ثلث الانتاج القومي الاجمالي وبنسبة مرتفعة من العمالة الكلية في القطاع[٧]. وينتج القطاع الزراعي الحمضيات والتي تعتبر المحصول الرئيسي والتصديري للقطاع ، وبعض المنتجات الاخرى من الفواكه والخضروات وفق الجدول رقم ١ .

وتشكل الحمضيات المورد الرئيسي لدخل القطاع من العملات الاجنبية ومحصوله النقدي التصديري الرئيسي . فقد بلغت نسبة الصادرات من الحمضيات خلال عام ١٩٦٣ حوالي ٨٩٪ من اجمالي الصادرات[٨]. وتنخفض اسعار حمضيات قطاع غزة عن اسعار الحمضيات الاسرائيلية بما نسبته ٢٥ — ٤٠٪ ، كما تنخفض هذه الاسعار عن اسعار الحمضيات اللبنانية بنسبة ملحوظة . وفيما يتعلق باحتمالات التجارة مع الاردن يمكن اعتبار القطاع مصدرا لعبور العديد من المنتجات

الجدول رقم (١)
الانتاج الزراعي لقطاع غزة
١٩٦٧ — ١٩٦٨

	القيمة/بالالف ليرة اسرائيلية	الكمية/ بالطن
الانتاج	٥٢،٣٠٠	
المحاصيل/الاجمالي	٣٩،٥٣٠	
المحاصيل الحقلية	٧٠٠	
الخضروات	٧،٦٠٠	٣٣،٠٠٠
البطيخ والقرع	٢،٠٥٠	٨،٠٠٠
الزيتون	١،١٨٠	١،٥٧٠
الحمضيات	٢٢،٤٠٠	٩٢،٢٠٠
فواكه اخرى	٥،٦٠٠	١٤،٧٠٠
حيوانات حية ومنتجاتها	١١،٧٠٠	
اللحوم	٤،١٥٠	١،٩٠٠
الحليب	٣،٧٠٠	٧،٨٠٠
السمك	٢،٨٠٠	٣،٧٠٠
اصناف اخرى	١،٠٥٠	—

المصدر: Central Bureau of Statistics, Statistical Abstract of Israel 1969, No. 20, Table X/9, p. 639.

الزراعية للجسور الاردنية متجهة للضفة الشرقية، وبصفة خاصة الحمضيات والجوافة واللوز والبلح وبذر الخروع والاسماك .

المبحث الثاني : السياسات الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية :

تتابع سلطات الاحتلال في سياساتها الاقتصادية تحقيق اهداف اقتصادية عامة : (١) دفع الاقتصاد في الضفة الغربية للنمو في ظل ظروف سلمية كجزء من خطة لجعل الادارة الاسرائيلية لهذه المناطق تنفذ مخططاتها بسهولة . ويندرج تحت هذا الهدف محاولة تقليل نسبة البطالة وتشجيع مختلف النشاطات الزراعية والصناعية والتجارية ومساعدتها. وتعتقد الادارة الاسرائيلية ان التعامل مع الشعب العامل وادارته يكونان اسهل مما عليه الحال مع الشعب العاطل[٩]. (٢) تحقيق نوع من التنسيق الاقتصادي مع الاقتصاد الاسرائيلي ، يمكن ان ينمو باتجاه عملية التكامل بين الاقتصادين بصورة تدريجية[١٠]، ويهدف في نفس الوقت الى توجيه الاقتصاد بما يتفق ومواجهة احتياجات الاقتصاد الاسرائيلي الاستهلاكية والصناعية والتصديرية . وبينما يعارض المسؤولون الاسرائيليون في تحقيق الدمج الاقتصادي بين الاقتصادين — والذي يعني حرية التنقل للطاقة البشرية العاملة والبضائع وعوامل الانتاج الاخرى ، مما يعني بصورة غير مباشرة ضم هذه المناطق لاسرائيل ، وهو قرار سياسي على درجة من الخطورة — فانهم يؤيدون سياسة التنسيق الاقتصادي بينهما . ويعتقد ايجال الون نائب رئيسة الوزراء ان الدمج الاقتصادي في الظروف الحالية سيقع على كاهل اسرائيل من الناحية الاقتصادية[١١] . وعلى أية حال فان السياسة الاقتصادية الاسرائيلية تتركز ، في المرحلة الحالية على الاقل ، حول تحقيق التعاون والتنسيق الاقتصادي بين الاقتصاد الاسرائيلي واقتصاد المناطق المحتلة . (٣) محاولة تخفيف الاعتماد على اقتصاد الضفة الشرقية سواء من الناحية التمويلية او التسويقية ، وذلك بصورة تدريجية[١٢].

اولا : السياسة الزراعية : اهدافها :

(١) تقليل الاعتماد على الضفة الشرقية بصورة تدريجية ، وذلك من حيث فرص التسويق لمنتجات الضفة الغربية الزراعية[١٣] ولذلك يجري باشراف وزارة الزراعة الاسرائيلية وادارة المناطق المحتلة تقليل المساحات المزروعة من البطيخ والشمام وغيرها من المنتجات التي تعتمد ، بصورة رئيسية، في تسويقها على اسواق الضفة الشرقية . وذلك مرتبط بهدف تحقيق التكامل التدريجي بين القطاع الزراعي في كل من الضفة الغربية واسرائيل . ولذلك تجري عملية التخصص في أنواع معينة من المنتجات للاستفادة من مزايا التخصص النسبي[١٤]. هذا وقد لوحظ ان وزارة الزراعة الاسرائيلية قد أعدت خطة لمعالجة مشكلة الانتاج الزراعي للضفة الغربية في حالة اغلاق الجسور بصورة مفاجئة، وقد راعى المخططون الاسرائيليون عند تقديرهم لكميات الانتاج الزراعي في الضفة الغربية لسنة ١٩٦٩/١٩٧٠ امكانية اغلاق الجسور . فكل ناتج يسوق في الضفة الشرقية أوجد له المخططون سوقا اخرى لتصريفه عند اغلاق الجسور . والمنتجات الزراعية الرئيسية التي تسوق في الضفة الشرقية هي البندورة ، والثمار الحمضية من قطاع غزة ، والعنب والزيتون .

فالبندورة يمكن تسويقها في اسرائيل للاستهلاك المحلي وللصناعة ، أما الحمضيات فيمكن تصديرها الى أوروبا وتصنيع بعضها في اسرائيل ، بينما يمكن تجفيف العنب وتسويق قسم منه في قطاع غزة ، كما يمكن تصدير الزيتون الى اوروبا من الموانىء الاسرائيلية(١٥).

(٢) تلبية احتياجات الاقتصاد الاسرائيلي : سواء من حيث الاحتياجات الاستهلاكية ، او باعتبار المنتجات محاصيل صناعية تمون الصناعة الاسرائيلية ببعض احتياجاتها او للاحلال محل المستوردات الاسرائيلية من الاسواق الخارجية ، وفي ضوء هذه الاهداف يجري تشجيع انتاج كل من القطن والسمسم والدخان والبندورة التي تستخدمها المصانع الاسرائيلية ، كما يجري تشجيع انتاج الحبوب والحمص لمواجهة احتياجات الاستهلاك ، وتشجيع منتجات التصدير للاسواق الخارجية خاصة الخضروات والحمضيات واللوز والقطن(١٦). وقد شرع فعلا خلال عام ١٩٦٨ بتقديم أنواع غرسات جديدة لمزارعي الضفة الغربية لزراعة ما تحتاجه السوق الاسرائيلي .

(٣) تنمية القطاع الزراعي في الضفة الغربية لتحقيق حالة من العمالة العامة ، ومواجهة احتياجات الاستهلاك المحلي وتحقيق دخل مناسب للمزارع في الضفة الغربية(١٧) وتحقيقا لذلك تراعي الخطط الزراعية التركيز على زراعة المنتجات الزراعية في الاراضي ذات الغلة المرتفعة نسبيا ، كما في منطقة الاغوار ، وكذلك التخصص في الزراعة التي تعتمد على العمالة الكثيفة وانتاج المنتجات التي تسوق اما في اسرائيل او في الاسواق الخارجية .

وتحقيقا للاهداف المذكورة تقوم الادارة الاسرائيلية بتسهيل تدريب المتخصصين الزراعيين من ابناء الضفة الغربية في اسرائيل وتعريفهم بنظريات الانتاج الحديثة واساليبها ، وتقدم للمزارع مختلف التسهيلات المتعلقة بالبذور والاسمدة والمبيدات .

ثانيا : السياسة المالية : استمر النظام الضريبي في الضفة الغربية على النظام الضريبي الاردني ، مع تغيير لاسعار الضريبة لتتكيف في مستوياتها مع اسرائيل(١٨). وعلى سبيل المثال ارتفعت نسبة الضريبة على انتاج كل من الصابون والزجاج والبلاستيك من ٧،٥٪ الى ١٥٪ ، وارتفعت نسبة الضريبة على المنسوجات من صفر الى ١٥٪(١٩). هذا وتوضع ميزانية خاصة بالمناطق المحتلة تخضع لضرورة اقرارها من اللجنة المالية في الكنيست الاسرائيلي ، ويفرد فيها جزء خاص للضفة الغربية (اليهودية والسامرة ، بالتعبير الاسرائيلي) . وتسلم القروض الى البلديات عن طريق المجالس المحلية وعددها ٢٢ مجلسا في الضفة الغربية ، يقدم كل مجلس محلي تقريرا ماليا شهريا الى الادارة العسكرية ، ويقوم بتنفيذ مختلف الانشطة وفقا للميزانية المقررة(٢٠). وقد جرى تعديل موعد السنة المالية وفقا للسنة المالية الاسرائيلية والتي تبدأ في نيسان وتنتهي في نهاية آذار. ويجري تمويل معظم موازنات الضفة الغربية من فائض الميزانية الاسرائيلية ، بينما يمول الربع فقط من الموارد المحلية للضفة الغربية(٢١). فقد لوحظ انه بينما بلغت مخصصات موازنة ١٩٦٩/١٩٧٠ للمناطق العربية المحتلة حوالي ١٦٢،٣ مليون ليرة اسرائيلية فقد تمت تغطية ما يعادل ٣٩ مليون ليرة اسرائيلية فقط (٢٤٪) كدخل من المناطق العربية المحتلة ، توزعت مصادرها حسب ما يرد في الجدول ٢ .

الجدول رقم (٢)

	مليون ليرة اسرائيلية
الدخل من الاملاك والاعمال التجارية	١،٧
الرسوم على انتاج السجاير والمشروبات وغيرها من المنتجات	١٥،٨
الضرائب غير المباشرة مثل الرسوم الجمركية ورسوم الطوابع	٧،٦
رسوم النقل والمحاكم	٣،٢
الضريبة على الاملاك والاعمال التجارية (التي تحول الى البلديات)	٢،٧
الدخل المنتظم من خدمات البريد والتليفون والقروض المسددة	٨،٠
	٣٩،٠

المصدر: The Israel Economist, May-June 1969, p. 175.

ويلاحظ ان الاهداف الاقتصادية تستحوذ على اقل نسبة من الانفاق بالمقارنة مع الاهداف الاجتماعية والمتطلبات الادارية ، فقد استحوذت الاهداف الاقتصادية على ما نسبته ١٨،٧٪ ، ١٨،٩٪ من اجمالي النفقات التي خصصت للضفة الغربية في موازنتي ٦٨/٦٩ ، ٦٩/٧٠ على التوالي ، بينما

استوعبت الاهداف الادارية والاخرى ما نسبته ٢٢،٥٪ في كل من الميزانيتين المذكورتين ، واستوعبت المتطلبات الاجتماعية ما نسبته ٥٨،٨٪ ، ٥٥،٦٪ من الموازنتين المذكورتين (انظر الجدول رقم ٣) . ومما تجدر ملاحظته ان للمستثمر الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة بعض تسهيلات تقدم له لاقامة مشاريع فيها ، اهمها منحه قرضا من بنك التنمية الصناعي بقيمة نصف الاستثمار في الاصول الثابتة وبفائدة ٩٪ وهو اقل سعر فائدة لمثل هذه القروض في اسرائيل(٢٢).

الجدول رقم (٣)

ميزانية اسرائيل للضفة الغربية

حسب البنود الرئيسية

(بالنسب)

الاهداف	١٩٦٨/١٩٦٩	١٩٦٩/١٩٧٠
الاهداف الاقتصادية	١٨،٧	١٨،٩
المتطلبات الاجتماعية	٥٨،٨	٥٥،٦
الادارية والاخرى	٢٢،٥	٢٥،٥
الاجمالي	١٠٠	١٠٠

المصدر : The Military Administration of the Administered Areas, op. cit., p. 6.

ثالثا : السياسة المصرفية : تتحرك السياسة المصرفية لاسرائيل في الضفة الغربية في اطار اهداف التكامل التدريجي بين قطاعات الضفة الغربية الاقتصادية وقطاعات الاقتصاد الاسرائيلي ومحاولة عزلها تدريجيا عن ارتباطاتها المصرفية في الضفة الشرقية ، وفتح مجالات للتوسع في النشاط المصرفي للمصارف الاسرائيلية في منطقة الضفة الغربية . وفي ضوء هذه التطلعات لا تبدي السلطات الاسرائيلية رغبة في تمكين فروع البنوك الاردنية في الضفة الغربية من استئناف انشطتها المصرفية وتقديم خدماتها للمواطنين. ولدى ضغط المؤسسات الدولية (خاصة صندوق النقد الدولي) عليها ، يلاحظ ان سياستها تتركز في ضرورة قيام هذه الفروع بتسوية حساباتها وتحصيل ودائعها لدى مراكزها الاصلية في الضفة الغربية ، وحصولها على مخطف الوثائق المتعلقة بها، تمهيدا لاستقلالها التام عن مراكزها الاصلية في الضفة الشرقية ، مع وجود اشراف مباشر من مفتش البنوك الاسرائيلي، ونوع من الحماية ضمنها لها بنك اسرائيل في القدس (البنك المركزي الاسرائيلي) . ويستخدم الاسرائيليون دائما شرط تحرير فروع البنوك من كل تبعية او ارتباط بدولة لا تقيم علاقات منتظمة مع اسرائيل بصفة عامة . كما تشترط على فروع البنوك في الضفة الغربية حظر اجراء المعاملات بين بعضها لصالح حساب دولة لا تقيم مع اسرائيل مثل هذه العلاقات .

ويلاحظ فيما يتعلق بسياسة الاقراض الاسرائيلية في الضفة الغربية انها تركز على منح القروض لتمويل المشاريع العامة ومشاريع الخدمات بشروط اسهل من شروط منحها لاغراض التجارة . فبينما تمنح القروض للمشاريع غير التجارية لمدة ثماني سنوات وبفائدة مقدارها ٦٪ ، فان القروض التي تقدم للمشاريع التجارية تكون لمدة خمس سنوات وبفائدة مقدارها ٨٪(٢٣). مع العلم بأن المشاريع غير التجارية تتركز في مشاريع الطرق وتاسيس خدمات الكهرباء والمياه .

رابعا : السياسة العمالية : يعتبر النقص في العمالة المدربة من المشاكل الرئيسية التي تواجه الاقتصاد الاسرائيلي على اثر حرب حزيران ١٩٦٧. ولا زالت هذه المشكلة حتى الان بفعل سياسة التعبئة الشاملة ووصول الاقتصاد الى مرحلة قريبة من العمالة الكاملة . لذلك اتجهت ادارة السياسة الاقتصادية لاسرائيل للاستفادة القصوى من الطاقة العمالية العربية لمواجهة احتياجات النمو الاقتصادي في ظل ظروف اقتصاديات الحرب والتعبئة(٢٤). خاصة وان مستوى الاجور للعمال العرب في المناطق العربية المحتلة يقل كثيرا عن مستواه في اسرائيل . لهذا فقد قامت الادارة العسكرية في الضفة الغربية بفتح مكاتب عمل في كل من الخليل ورام الله وجنين وقلقيلية وطولكرم ونابلس وبيت لحم ، تتولى هذه المكاتب تسجيل اسماء الباحثين عن عمل وتاكيد حقهم في العمل ، ومن ثم توجيههم لفرص العمل داخل المناطق العربية المحتلة واسرائيل(٢٥). ويقوم العمال العرب في الضفة الغربية بالاشتغال في الاعمال العامة كمشاريع الطرق واعمال الصيانة للمدارس والمستشفيات ، وبالنسبة لاسرائيل يشتركون في اعمال تجميع الحمضيات وقطفها والتشجير والبناء والصناعة الخفيفة كصناعة التعليب والتغليف . وقد بلغ عدد العمال العرب العاملين في اسرائيل حتى ١٩٧٠/٢/٢٠ (٢٠) الف عامل منهم (١٤)

الف عامل من الضفة الغربية والباقي من قطاع غزة(٢٦). ولا يخشى من منافسة العمالة العربية في اسرائيل للعمالة الاسرائيلية وذلك لكونها تمثل نسبة ضئيلة منها .

المبحث الثالث : التجارة عبر الجسور الاردنية :

تبع عملية فتح الجسور الاردنية بين الضفتين الشرقية والغربية استمرار قيام حركة تجارة نشيطة بينهما . وقد تأثرت هذه التجارة بطبيعة العلاقات التجارية الاسرائيلية مع الضفة الغربية وحركة التجارة بينهما . لذلك سنقوم بتحليل حركة التجارة بين الضفة الغربية واسرائيل وبين الضفتين الشرقية والغربية ، في كلا الاتجاهين .

اولا : التجارة الاسرائيلية مع الضفة الغربية :

منذ آب ١٩٦٧ لجأت اسرائيل الى تبني سياسة حرية التجارة في حركة السلع من اسرائيل الى الضفة الغربية عن اعتقاد بأن اسواق الضفة الغربية تشكل مجالا رحبا لاستيعاب المنتجات الصناعية الاسرائيلية ، كذلك انتهجت نفس السياسة بعد شهرين فيما يتعلق بحركة السلع من الضفة الغربية الى اسرائيل ما عدا فيما يتعلق باستيراد المنتجات الزراعية للضفة الغربية الى اسرائيل(٢٧). والتحفظ الذي تبديه اسرائيل امام حرية استيراد المنتجات الزراعية اليها يكمن في هيكل الاسعار المختلف بالنسبة لمنتجات الطرفين الزراعية ، حيث تعتبر مستويات الاسعار في الضفة الغربية منخفضة نسبيا عنها في اسرائيل مما يهدد بمنافسة قوية للانتاج الزراعي الاسرائيلي .

وقد سجلت حركة التجارة بينهما نشاطا ملحوظا خلال عام ١٩٦٩ حيث زادت قيمتها بنسبة ٢١٪ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ . ويلاحظ ان نشاط التجارة بينهما يتركز في حركة الاستيراد للضفة الغربية من اسرائيل والتي ارتفعت بمعدل ٢٩٪ خلال عام ١٩٦٩ عن عام ١٩٦٨ (انظر الجدول رقم ٥) . ويلاحظ ان نشاط حركة الاستيراد من اسرائيل يتركز في المنتجات الصناعية التي ارتفعت بما نسبته ٤٨٪ خلال عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ ، وقد شكلت الواردات الصناعية للضفة الغربية من اسرائيل ما نسبته ٨٣٪ ، ٨٢٪ من اجمالي المستوردات لعامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ على التوالي . ويلاحظ ان المستوردات الزراعية من اسرائيل هي في مستوى ثابت نسبيا اقرب الى التراجع منه الى التزايد (انظر الجدول رقم ٤) . وتتركز المستوردات الصناعية للضفة الغربية من اسرائيل في المنسوجات والمواد البلاستيكية والجلود والمنتجات البترولية والمواد النثرية(٢٨).

وبالنسبة لصادرات الضفة الغربية لاسرائيل يلاحظ بانها قد مالت نحو الانخفاض خلال عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ وبنسبة بلغت ٨٪ ، وقد تركز هذا الانخفاض في المنتجات الزراعية التي لا تشجع اسرائيل استيرادها من الضفة الغربية ، بينما سجلت الصادرات الصناعية من الضفة الغربية الى اسرائيل زيادة طفيفة وبنسبة ٣٪ (انظر الجدول رقم ٥) . ويلاحظ ان صادرات الضفة الغربية الصناعية لاسرائيل تركزت في المنتجات الاثرية والتحف والمنتجات اليدوية والاحجار. وتركزت الصادرات الزراعية في الزيتون للاستهلاك المحلي والعنب لصناعة الخمور والخيار لصناعة التعليب . (انظر الجدول رقم ٦) مع ملاحظة ان الصادرات من هذه المنتجات قد شكلت ما نسبته ١٣٪ في المتوسط من انتاجها الكلي ، وما نسبته ٧٪ من الانتاج الزراعي الكلي . (انظر الجدول رقم ٦) .

وقد سجل الميزان التجاري بين الضفة الغربية واسرائيل ، ومنذ قيام هذه التجارة ، فائضا آخذا في التزايد بصورة ملحوظة لصالح اسرائيل . فقد ازداد هذا الفائض من ٩٠٢ مليون دينار خلال عام ١٩٦٨ الى ١٨٠٩ مليون دينار خلال عام ١٩٦٩ ، وبنسبة مقدارها ١٠٥٪ . ورغم ان كلا من التجارة في المنتجات الزراعية والصناعية للضفة الغربية مع اسرائيل تسجل عجزا في الميزان التجاري ، فان المنتجات الصناعية هي المسؤولة عن المعدل الكبير للعجز (انظر الجدول رقم ٤) . ففي الوقت الذي سجلت التجارة في المنتجات الصناعية عجزا مقداره ١٥٠٩ مليون دينار لصالح اسرائيل خلال عام ١٩٦٩ ، فقد سجلت التجارة في المنتجات الزراعية عجزا مقداره ٣٠١ مليون دينار لنفس العام . ويلاحظ ان العجز في ميزان التجارة بين اسرائيل والضفة الغربية يمول في جزء رئيسي منه عن طريق فائض حساب الخدمات بينهما لصالح الضفة الغربية ، والمسؤول عن هذا الفائض نفقات الاسرائيليين السياح في الضفة الغربية ، ودخل العاملين العرب في اسرائيل. فقد لوحظ ان فائض حساب الخدمات قد مول في عام ١٩٦٨

حوالي نصف عجز الميزان التجاري للضفة الغربية مع اسرائيل (انظر الجدول التالي رقم ٧) . علما بأن الجزء الباقي من الفائض التجاري لصالح اسرائيل يجري تمويله عن طريق نفقات الادارة العسكرية الاسرائيلية في الضفة الغربية وتحويلات كل من الحكومة الاردنية ووكالة الامم المتحدة لموظفيهم في الضفة الغربية وتحويلات العاملين الاردنيين في خارج الضفة الغربية لذويهم فيها .

الجدول رقم (٤)

احصاءات التجارة للضفة الغربية (بالارقام المطلقة) (بالمليون دينار)

	١٩٦٧	١٩٦٨			١٩٦٩*	
	تموز كانون ١	كانون ٢ حزيران	تموز كانون ١	١٩٦٨	كانون ٢ حزيران	تموز كانون ١	١٩٦٩
١ ـ تجارة الضفة الشرقية مع الضفة الغربية	٣،٦	٣،٤	٣،٩	٧،٣	٤،١	٣،٨	٧،٩
صادرات الضفة الشرقية للضفة الغربية	٠،١	٠،٥	١،٣	١،٨	١،٢	١،٣	٢،٥
منتجات زراعية	—	٠،٤	٠،٩	١،٣	٠،٩	٠،٨	١،٧
منتجات صناعية	—	٠،١	٠،٤	٠،٥	٠،٣	٠،٥	٠،٨
واردات الضفة الشرقية من الضفة الغربية	٣،٥	٢،٩	٢،٦	٥،٥	٢،٩	٢،٥	٥،٤
منتجات زراعية	١،٢	١،٦	١،٠	٢،٦	١،٦	١،٤	٣،٠
منتجات صناعية	٢،٣	١،٣	١،٦	٢،٩	١،٣	١،١	٢،٤
الميزان التجاري للضفة الشرقية مع الضفة الغربية	—٣،٤	—٢،٤	—١،٣	—٣،٧	—١،٧	—١،٠	—٢،٧
٢ ـ تجارة الضفة الغربية مع اسرائيل	٥،٥	٩،٢	١٣،٦	٢٢،٨	١٣،٤	١٤،٣	٢٧،٧
صادرات الضفة الغربية لاسرائيل	٠،٧	١،١	٣،٧	٤،٨	٢،١	٢،٣	٤،٤
منتجات زراعية	—	٠،١	١،٥	١،٦	٠،٣	٠،٨	١،١
منتجات صناعية	—	٠،٩	٢،٣	٣،٢	١،٨	١،٥	٣،٣
واردات الضفة الغربية من اسرائيل	٤،٨	٨،١	٩،٩	١٨،٠	١١،٣	١٢،٠	٢٣،٣
منتجات زراعية	٣،٨	٦،٢	٦،٧	١٢،٩	٩،٤	٩،٧	١٩،١
الميزان التجاري للضفة الغربية مع اسرائيل	—٤،١	—٧،٠	—٦،٢	—١٣،٢	—٩،٢	—٩،٧	—١٨،٩
صافي الميزان التجاري للضفة الغربية مع كل من اسرائيل والضفة الشرقية	—٠،٧	—٤،٦	—٤،٩	—٩،٥	—٧،٥	—٨،٧	—١٦،٢

المصدر : Central Bureau of Statistics, Monthly Bulletin of Statistics.

ملاحظة (١) الاحصائية تغطي حركة التجارة عبر الجسور .

ملاحظة (٢) يلاحظ استخدامنا لتعبير التصدير والاستيراد للتجارة بين الضفتين لغرض الدراسة فقط مع عدم اعترافنا بكونهما جزئين منفصلين .

ملاحظة (٣) جرى حساب الارقام الى الدينار الاردني من الليرة الاسرائيلية على اساس سعر التعادل المحدد لدى صندوق النقد الدولي منذ تموز ١٩٦٧ وهو ٩،٨ ليرة اسرائيلية للدينار .

* احتسبت الارقام على اساس ضرب رقم التسعة اشهر في اربعة أثلاث .

مع ملاحظة ان جميع هـذه البنود تغطي العجز التجاري وتسمح بفائض يتراكم مع السكان او يودع لدى البنوك خارج الضفة الغربية(٢٩).

وبالنسبة لمستقبل التجارة بين الضفة الغربية واسرائيل ، وبافتراض بقاء الظروف الحالية على حالها ، وعلى ضوء السياسات الاقتصادية الاسرائيلية في منطقة الضفة الغربية ، والهادفة اساسا في الميدان الزراعي الى تقليل الاعتماد على التسويق للضفة الشرقية ، والتخصص في الانتاج الذي يجد طريقه اما الى اسواق التصدير الخارجية او الى المصانع الاسرائيلية، فان التجارة في المنتجات الزراعية لا يتوقع ان تنمو بمعدلات عالية وستستمر في مستوى منخفض بصفة عامة(٣٠). وبالنسبة للمنتجات الصناعية فيتوقع ان تسجل الصادرات الاسرائيلية الصناعية للضفة الغربية نشاطا متواصلا ، لان الصناعة في الضفة الغربية غير متقدمة ولا تلبي احتياجات السوق المحلية ، كما يتوقع ان يصحب حركة التصدير

الجدول رقم (٥)

احصاءات التجارة للضفة الغربية (بالنسبة المئوية)

	١٩٦٨		١٩٦٩				نسبة التغير في التجارة لعام ١٩٦٩
	كانون ٢ ــ حزيران ١٩٦٨		كانون ٢ ــ حزيران ١٩٦٩				بالمقارنة مع عام ١٩٦٨
١ ــ تجارة الضفة الشرقية مع الضفة الغربية	١٠٠		١٠٠		١٠٠		٨
صادرات الضفة الشرقية للضفة الغربية	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠	٢٩	١٠٠	٣٢	١٠٠	٣٩
منتجات زراعية		٨٠		٧٢		٧٥		٦٨	٣١
منتجات صناعية		٢٠		٢٨		٢٥		٣٢	٦٠
واردات الضفة الشرقية من الضفة الغربية	٨٥	١٠٠	٧٥	١٠٠	٧١	١٠٠	٦٨	١٠٠	ــ٢
منتجات زراعية		٥٥		٤٧		٥٥		٥٦	١٥
منتجات صناعية		٤٥		٥٣		٤٥		٤٤	ــ١٧
الميزان التجاري للضفة الشرقية مع الضفة الغربية									
٢ ــ تجارة الضفة الغربية مع اسرائيل	١٠٠		١٠٠		١٠٠				٢١
صادرات الضفة الغربية لاسرائيل	١٢	١٠٠	٢١	١٠٠	١٦	١٠٠	١٦	١٠٠	ــ٨
منتجات زراعية		١٨		٣٣		١٤		٢٥	ــ٣١
منتجات صناعية		٨٢		٦٧		٨٦		٧٥	٣
واردات الضفة الغربية من اسرائيل	٨٨	١٠٠	٧٩	١٠٠	٨٤	١٠٠	٨٤	١٠٠	٢٩
منتجات زراعية		٢٥		٢٨		١٧		١٨	ــ١٨
منتجات صناعية		٧٥		٧٢		٨٣		٨٢	٤٨
الميزان التجاري للضفة الغربية مع اسرائيل									٤٣
صافي الميزان التجاري للضفة الغربية مع كل من اسرائيل والضفة الشرقية									٧٠

المصدر : مشتق من الجدول رقم (٦)

الجدول رقم (٦)
التجارة بين الضفة الغربية
واسرائيل في المنتجات الزراعية

	الانتاج ٦٨/١٩٦٩ بالطن	المبيع في اسرائيل بالطن	نسبة المبيع بالطن
الزيتون	٧٥،٠٠٠	١٠،٠٠٠	١٣٪
العنب	٣٦،٠٠٠	٥،٠٠٠	١٤٪
الخيار	١٠،٠٠٠	١،٠٠٠	١٠٪

المصدر : The Israeli Economist — Jerusalem, Oct. 1969, p. 287.

الجدول رقم (٧)
ميزان الخدمات الاسرائيلي مع المناطق المحتلة (١٩٦٨)

(بالمليون دينار)

الصادرات الاسرائيلية من السلع والخدمات	٢١،٥
الواردات الاسرائيلية من السلع والخدمات	١٦،١
العجز في حركة تبادل السلع والخدمات	٥،٤
الصادرات من السلع (صناعية وزراعية)	١٦،١
الواردات من السلع (صناعية وزراعية)	٥،٤
العجز في حركة تبادل السلع	١٠،٧

المصدر : IMF, Israel 1969, Article XIV Consultation, SM/69/124, Aug. 7, 1969, Table 43, p. 69.

الصناعي من الضفة الغربية الى اسرائيل بعض النشاط نظرا لاهتمام اسرائيل في تنمية القطاع الصناعي في الضفة الغربية وتشجيعه خاصة ما يلبي احتياجات اسرائيل ولا يتنافس مع منتجاتها . هذا ويتوقع ان يستمر العجز في ميزان التجارة بينهما لصالح اسرائيل وبصورة متنامية باستمرار. وذلك نظرا لتنامي الصادرات الصناعية الاسرائيلية للضفة الغربية ، وعلى نطاق يتفوق على امكانيات زيادة المستوردات الاسرائيلية للمنتجات الصناعية والزراعية للضفة الغربية (راجع الجدول رقم ٤).

ثانيا : تجارة الضفة الغربية مع الضفة الشرقية :

تتمتع الصادرات من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية منذ مطلع عام ١٩٦٨ بحرية التجارة والاعفاء من الرسوم الجمركية والقيود الادارية ، ما عدا المنتجات التي تتلقى مساعدات من اسرائيل او المواد الخام المستوردة لاسرائيل ، حيث يشترط الحصول مقدما على اذن تصدير بالنسبة لها[٣١]. اما بالنسبة لمستوردات الضفة الغربية من الضفة الشرقية فتخضع فيما يتعلق بالمنتجات الصناعية لرسوم جمركية متفاوتة ، فترتفع هذه الرسوم على المنتجات الصناعية المماثلة للمنتجات الصناعية الاسرائيلية، وتصل احيانا الى حوالي ١٥٠٪[٣٢]. وبالنسبة لحركة التجارة بين الضفتين الشرقية والغربية فقد لوحظ اتجاهها نحو الزيادة فقد سجلت قيمة التجارة بينهما خلال عام ١٩٦٩ تزايدا بنسبة ٨٪ عن عام ١٩٦٨ . وترجع هذه الزيادة اساسا الى زيادة الصادرات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ، بينما سجلت الواردات للضفة الشرقية بعض التراجع (انظر الجدول رقم ٤) . وفيما يتعلق باتجاهات التجارة بين الضفتين ، فيلاحظ ان المنتجات الزراعية هي الفرع الرئيسي للتبادل التجاري تصديرا واستيرادا ، وان كانت اهميتها في جانب الصادرات من الضفة الشرقية للغربية اكبر نسبيا منها في جانب مستورداتها من الضفة الغربية . فبينما شكلت الصادرات الزراعية من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ما نسبته ٦٨٪ من اجمالي صادراتها لها خلال عام ١٩٦٩ ، فقد سجلت مستورداتها الزراعية من الضفة الغربية بما نسبته ٥٦٪ من اجمالي مستورداتها منها خلال عام ١٩٦٩ (انظر الجدول رقم ٥) . هذا ويلاحظ بأن الاهمية النسبية للصادرات الزراعية الى الضفة الغربية متجهة نحو الانخفاض مع اتجاه الاهمية النسبية للصادرات الصناعية نحو التزايد (انظر الجدول رقم ٥) بينما اتجهت الاهمية النسبية للواردات الزراعية من الضفة الغربية نحو التزايد على حساب انخفاض النسبة للواردات الصناعية .

وفيما يتعلق بتطور حركة التجارة بين الضفتين ، يلاحظ بالنسبة لحركة الصادرات من الضفة الشرقية للغربية تسجيلها لمعدل نمو ملحوظ . فقد سجلت الصادرات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية خلال عام ١٩٦٩ تزايدا بنسبة ٣١٪ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ مع ملاحظة ان نمو التجارة التصديرية قد شمل كلا من الصادرات الزراعية والصناعية ، وان كان بالنسبة للصادرات الصناعية قد بدأ بمعدل أعلى (بلغ ٦٠٪ بالمقارنة مع ٣١٪ للصادرات الزراعية) (انظر الجدول رقم ٥) .

ويعتبر كل من الاغنام والحيوانات الحية الاخرى والحبوب بانواعها اهم بنود الصادرات الى الضفة الغربية . اما بالنسبة للمنتجات الصناعية المتجهة للضفة الغربية فاهمها المواد الصحية والزجاج والاقمشة وبعض قطع السيارات والحديد المبروم ومعظمها مواد معاد تصديرها .

اما بالنسبة لحركة الاستيراد من الضفة الغربية فيلاحظ اتجاهها نحو التراجع فقد سجلت خلال عام ١٩٦٩ انخفاضا بنسبة ٢٪ بالنسبة لعام ١٩٦٨ يرجع أساسا لانخفاض المستوردات الصناعية ، وذلك على الرغم من ان المنتجات الزراعية المستوردة قد سجلت تزايدا بنسبة ١٥٪ خلال عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ . وربما يرجع ذلك الى سياسة اسرائيل في استيعاب المنتجات الصناعية للضفة الغربية وعدم تشجيع تسويقها في الاردن مثل المنتجات الزراعية .

ومما يجدر ذكره ان ما نسبته ٤٠٪ من الانتاج الزراعي للضفة الغربية خلال عام ١٩٦٨/١٩٦٩ قد اتجه للضفة الشرقية ، بالمقارنة مع ٥٣٪ للاستهلاك المحلي و٧٪ اتجه لاسرائيل على النحو الوارد في الجدول رقم ٨ .

واهم بنود مستوردات الضفة الشرقية من الضفة الغربية تتكون من المنتجات الزراعية مثل البندورة والخيار والبطيخ والشمام والحمضيات والعنب والزيتون يليها في الاهمية المنتجات الصناعية مثل الزيوت النباتية والصابون وزيت الزيتون والكبريت.

ويلاحظ بالنسبة للميزان التجاري بين الضفتين انه يسجل فائضا لصالح الضفة الغربية . وقد اتجه هذا الفائض نحو الانخفاض خلال عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ وبما مقداره ٠،١ مليون دينار ، حيث بلغ هذا الفائض خلال عام ١٩٦٩ ما مقداره ٢،٧ مليون دينار (انظر الجدول رقم ٤) مقابل ٣،٧ مليون في نهاية عام ١٩٦٨ .

وفيما يتعلق بمستقبل حركة التجارة بين الضفتين، يبدو لنا أنها لن تشهد نموا ملحوظا وذلك انعكاسا لسياسة اسرائيل القائمة على تقليل الاعتماد التدريجي لمنتجات الضفة الغربية على أسواق الضفة الشرقية ، وتقوية فرص التسويق في الاسواق الخارجية . كما أن اسرائيل لا تشجع استيراد المنتجات الصناعية من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ، خاصة فيما يتعلق بالمنتجات المماثلة للمنتجات الاسرائيلية . وستتركز بنود المنتجات التي تعبر الجسور الاردنية في المنتجات الزراعية للضفة الغربية التي تعتبر فائضا عن حاجة كل من السوق المحلي وسوق اسرائيل والاسواق الخارجية وبعض المنتجات الصناعية للضفة الغربية التي تسوق عادة في الضفة الشرقية، والتي تستورد موادها الخام عن طريقها. وبالنسبة للمنتجات المتجهة للضفة الغربية فستتركز في بعض المنتجات الحيوانية والحبوب وبعض المنتجات الصناعية .

المبحث الرابع : الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة :

اولا ــ الاثار الاقتصادية العامة على الاقتصاد

الجدول رقم (٨)
تصريف منتجات الضفة الغربية الزراعية

	الانتاج/طن ١٩٦٨/١٩٦٩	المبيع في منطقة الضفة الغربية	المبيع في الضفة الشرقية	المبيع في اسرائيل
البندورة	٤٣،٠٠٠	٣٥،٠٠٠	٨،٠٠٠	—
الخيار	١٠،٠٠٠	٧،٠٠٠	٢،٠٠٠	١،٠٠٠
البطيخ والشمام	٣٠،٠٠٠	١٥،٠٠٠	١٥،٠٠٠	—
البرتقال	٤٥،٠٠٠	٢١،٠٠٠	٢٤،٠٠٠	—
العنب	٣٦،٠٠٠	٢٦،٠٠٠	٥،٠٠٠	٥،٠٠٠
الزيتون	٧٥،٠٠٠	٢٥،٠٠٠	٤٠،٠٠٠	١٠،٠٠٠

المصدر: The Israel Economist, Jerusalem, Oct. 1969, p. 287.

الاردني/الضفة الشرقية : ساهمت حركة التجارة عبر الجسور الاردنية في استمرار تزويد الضفة الشرقية من الاردن بجزء رئيسي من احتياجاتها من المنتجات الزراعية (الفواكه والخضروات) كما سبق وان رأينا . كما شكلت نسبة مرتفعة في اجمالي عرض المنتجات الزراعية في سوق عمان المركزي . وذلك يعود الى كون الضفة الغربية تساهم مساهمة رئيسية في انتاج الاردن من الفواكه والخضروات (٨٠٪ من المساحة المزروعة فواكه خلال عام ١٩٦٦ ، و٤٥٪ من المساحة المزروعة بالخضروات خلال عام ١٩٦٦) . ورغم ان مناطق الاغوار في الضفة الغربية معطلة نسبيا بفعل الظروف العسكرية على جانبي النهر ، فان منطقة اريحا والمناطق الاخرى البعيدة عن مناطق الصدام العسكري لا زالت منتجة . ومما لا شك فيه ان ارتفاع المستوى العام لاسعار منتجات الضفة الغربية الزراعية فيما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بالمقارنة لما قبلها والذي تأثر بالندرة النسبية لعنصر العمل الذي بدأ يتجه نحو اسرائيل ولارتفاع مستويات الاجور بالاضافة الى الضرائب التي استحدثت بعد الحرب ، فان هذا الارتفاع قد انعكس على اسعارها في الضفة الشرقية .

ومما تجدر ملاحظته ان اهمية الضفة الغربية تتركز بصورة خاصة فيما تساهم به من الانتاج الشتوي للخضروات والفواكه والذي لا يمكن استيراده من الدول العربية المجاورة . وبينما بلغت مساحة الخضر الشتوية للاردن ما نسبته ٤٠٪ من المساحة الخضرية للاردن فان المساحة المزروعة في الضفة الغربية من الخضروات الشتوية تبلغ ٢٦٪ من مساحة الاردن لهذه المنتجات وهي نسبة تبدو قليلة الاهمية . وهكذا يبدو لنا ان حركة نقل المنتجات الزراعية الى الضفة الشرقية قد ساهمت في الحد من آثار انخفاض حجم العرض للمنتجات الزراعية في الضفة الشرقية بفعل تعطل منطقة الاغوار ، مما كان سيؤدي الى اللجوء لاسواق اخرى وباسعار اشد ارتفاعا ، وذلك كان سيؤدي لتفاقم مشكلة الارتفاع المتواصل في مستوى اسعار المنتجات الزراعية . كما ساهمت حركة نقل المنتجات الصناعية للضفة الغربية الى الضفة الشرقية في استمرار امداد السوق الاردني باحتياجاته من هذه المنتجات الهامة وذات الجودة المرتفعة خاصة فيما يتعلق بزيت الزيتون والصابون والزيوت النباتية والكبريت والبلاستيك. وفي بعض الاحيان تتجه بعض هذه المنتجات لمواجهة احتياجات بعض الاسواق العربية . يضاف الى ذلك كونها مصدرا لرسم الانتاج الذي لا زال يفرض على منتجات الضفة الغربية الصناعية والتي تعبر الجسور الى الضفة الشرقية . ان استمرار قيام هذه التجارة في منتجات الضفة الغربية الصناعية قد ساهم في تمويل انشطة اصحابها والذين لهم مصالح تجارية في الضفة الشرقية ، وذلك ادى الى تلطيف حدة التراجع الذي أصاب النشاط التجاري على أثر حرب ١٩٦٧ .

وبالنسبة لاثار حركة نقل البضائع من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية والتي يلاحظ تركزها في مجموعة من المواد هي الاغنام والحبوب وبعض المنتجات الصناعية خاصة المواد الخام للصناعة في الضفة الغربية والتي تستورد أصلا من خارج الاردن (أي أنها سلع يعاد نقلها الى الضفة الغربية) . فقد ادت الى تمكين الصناعة في الضفة الغربية من الحصول على المواد الخام بشروط اسهل مما لو حصلت عليها عن طريق اسرائيل مما ينعكس على اسعارها في الضفة الشرقية، كما انها سمحت باستمرار قيام تجارة الترانزيت في الضفة الشرقية وما يتبع ذلك من تنشيط لحركة التجارة فيها . وتوفر مصدرا للرسوم التي تستوفى عليها لدى استيرادها من خارج الاردن .

ورغم ان استيراد المواد الخام للصناعة في الضفة الغربية وبقية المستوردات الحيوانية والزراعية يساهم في الضغط على ارصدة الضفة الشرقية من العملات الاجنبية الا ان اثار ذلك رهينة باستمرار تزويد الضفة الشرقية بمنتجات الضفة الغربية الصناعية(٣٣) ورهين كذلك باستهلاك المنتجات الحيوانية والزراعية في الضفة الغربية وعدم تسربها الى اسرائيل . ويلاحظ ان نسبة الضغط على ارصدة الاردن من العملات الاجنبية مقابل عمليات الاستيراد لصالح الضفة الغربية هي نسبة منخفضة من اجمالي ارصدة الاردن من العملات الاجنبية . وقد بلغت هذه النسبة خلال عام ١٩٦٩ (حتى بافتراض ان معظم صادرات الضفة الشرقية للغربية هي معاد تصديرها) ٢٪ وما نسبته ٣٪ من اجمالي مستوردات الاردن . كما تساهم عملية اعادة التصدير في امتصاص جزء من الارصدة المتراكمة بالدينار والناجمة عن عمليات تسويق

منتجات الضفة الغربية في الضفة الشرقية .

ورغم ان التجارة بين الضفتين تسجل عجزا لصالح الضفة الغربية فان العجز مرتبط بالظروف الهيكلية للاقتصاد الاردني في الضفة الشرقية والذي يعتمد على الضفة الغربية في معظم المنتجات الزراعية من الفواكه والخضروات بالاضافة لبعض المنتجات الصناعية . وان كان في تصورنا ان حجم هذا العجز كان اقل في حركة التجارة بين الضفتين لما قبل الحرب نظرا لتصدير بعض الصناعات في الضفة الشرقية لمنتجاتها لاسواق الضفة الغربية مثل الاسمنت والمنتجات البترولية والاقمشة . ومنع اسرائيل لنقل هذه المنتجات بالاضافة الى انفتاح اسواق الضفة الشرقية امام منتجات قطاع غزة من الحمضيات ساهم في تسجيل حركة التجارة بين الضفتين لفائض في صالح الضفة الغربية بلغ خلال عام ١٩٦٨ حوالي (٣٤٧) مليون دينار (انظر الجدول رقم ٤) او ما نسبته ٩٪ من اجمالي العجز التجاري للاردن مع العالم خلال نفس العام (بلغ العجز التجاري للاردن خلال عام ١٩٦٨ حوالي (٤٣) مليون دينار)(٣٤). ويلاحظ ان العجز يمول بالعملة الاردنية المحلية مما لا يشكل اي ضغط مباشر على ارصدة الاردن من العملات الاجنبية وذلك كان سيحدث مع اي بلد آخر .

وبالنسبة لتأثير سياسة الجسور المفتوحة على النظام المصرفي في الضفة الشرقية فقد ادى قيام بعض العمليات المصرفية المحدودة والتي تركزت في حركة الافراج عن جزء رئيسي من ودائع مواطني الضفة الغربية وتمكين بنوك الضفة الشرقية من استيفاء بعض ديونها على بعض تجار الضفة الغربية الذين اضطروا للتعامل مع البنوك لمصالحهم التجارية، وكذلك ايداع بعض العملاء من الضفة الغربية لودائعهم في بنوك الضفة الشرقية . هذه العمليات وان كانت محدودة النطاق فقد ساهمت في تلطيف حدة التراجع في انشطة النظام المصرفي للضفة الشرقية ، علما بأن دورة النشاط المصرفي بين الضفتين لا زالت معطلة . وبالنسبة لحركة انتقال العملة عبر الجسور والتي في معظمها تتجه نحو الضفة الغربية ، فرغم عدم وقوفنا على اثارها الاقتصادية ، فانه يبدو لنا بصورة عامة ان تسريب العملات الاردنية والاجنبية بكميات كبيرة يزيد من نشاط عنصر المضاربة في الاقتصاد الاردني ويحرمه من استثمار هذه الاموال في اوجه منتجة تساهم في جعل الاقتصاد اكثر توازنا . ان زيادة الارباح الناجمة عن حركة تسريب العملات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية تشجع عمليات الاستثمار في العملة ذاتها بدلا من الاستثمار المنتج.

وهكذا يبدو لنا ان الاثر العام لقيام تجارة عبر الجسور الاردنية على الاقتصاد الاردني يتركز في السماح بقيام تجارة نشطة الى حد ما بين الضفتين في كلا الاتجاهين . وقد ادى قيامها الى تلطيف حدة التراجع الذي اصاب النشاط التجاري في الضفة الشرقية على اثر حرب حزيران ١٩٦٧ مباشرة ، كما ساهم في التخفيف من مشكلة انخفاض حجم العرض النسبي للمنتجات الزراعية في اسواق الضفة الشرقية، والذي تأثر بتعطل الانتاج الزراعي في منطقة الاغوار .

ثانيا : الاثار الاقتصادية العامة على الاردن/الضفة الغربية : نجم عن سياسة الجسور المفتوحة تحرك المنتجات الزراعية للضفة الغربية من الفواكه والخضروات وكذلك منتجات قطاع غزة عن طريق الضفة الغربية الى الضفة الشرقية للاردن . ادى ذلك الى تمكين الضفة الغربية من تسويق فائض انتاجها من الفواكه والخضروات في اسواق الضفة الشرقية . مما انعكس على توليد مصادر للدخل تعتبر هامة نظرا لاهمية القطاع الزراعي في الضفة الغربية والحجم النسبي للعاملين فيه والذي يبلغ ما نسبته ٣٥٪ من اجمالي عدد العاملين في الضفة الغربية(٣٥). ومما يؤدي الى اتساع نطاق الفائدة ان الملكية في الضفة الغربية ليست اقطاعية بل موزعة . ولولا فتح الجسور لواجه الانتاج الزراعي نوعا من الكساد كان سينعكس على بقية القطاعات الاقتصادية في الضفة الغربية . خاصة وان اسرائيل لا تبدي اي ارتياح للسماح لمنتجات الضفة الغربية الزراعية والرخيصة نسبيا بالانتقال الى اسواقها . ويعتقد البعض بأن فتح الجسور امام منتجات الضفة الغربية الزراعية كان السبب الرئيسي في جعل الحياة طبيعية في الضفة الغربية وبقية المناطق المحتلة ، وليس لسبب آخر(٣٦). كما ان نقل منتجات قطاع غزة الزراعية الى اسواق الضفة الشرقية ، خاصة الحمضيات عن طريق الضفة الغربية وشاحناتها ادى الى قيام تجارة ترانزيت في الضفة الغربية ، ساهمت في توليد مصادر معينة للدخل .

كما ساهمت حركة نقل البضائع من الضفة الشرقية

الى الضفة الغربيـــة في توفير احتياجات الضفـــة الغربية التموينية مـــن الحبوب والاغنـــام وبعض المنتجات الزراعية الاخرى، والتي كانت ستستورد عن طريق اسرائيل بأسعار مرتفعة نسبيا، بالاضافة لخضوعها لتعليمـــات الاستيراد الاسرائيلية التي تزداد تعقيدا مع ازدياد مشاكل ميزان المدفوعات الاسرائيلي . وقـــد ساهمت حركة نقل المنتجات الصناعية الى الضفة الغربية خاصة المواد الخام بتوفيرها لصناعات الضفة الغربية بأسعار معتدلة. يضاف الى ذلك توفير الضفـــة الشرقية للعملات الاجنبية اللازمة لعمليات الاستيراد هـــذه لتجار الضفة الغربية ، مما يسهل لهم عمليات التجارة في هذه المنتجات ويبعدهم عـــن الخضوع لتعليمات الاستيراد الاسرائيلية المتشددة والتي تقيد عملية الاستيراد بقيود شديدة . كما يلاحظ بأن تحويلات كل من الحكومة الاردنية لموظفيها في الضفة الغربية ووكالة الامم المتحدة لموظفيهـــا ، يضاف اليهم تحويلات العاملين الاردنيين في الخارج لذويهم في الضفة الغربية، والتي استمرت في اتجاهها للضفة الغربية بفعل سياسة الجسور المفتوحة قد مكنت من المحافظة علـــى المستوى المـــادي والمعيشي للمواطنين ومنعه من التراجع الذي كان لا بد ان يحدث لدى قفل الجسور . وهنا تبرز فكرة دعم صمود اهالي الضفة الغربية .

ثالثا : الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة على اسرائيل : تمكنت اسرائيل عن طريق سياسة الجسور المفتوحة مـــن توجيه التجارة بينها وبين الضفة الغربيـــة بحيث تسجل النمط الامثل لهذه التجارة من وجهة النظر الاسرائيلية . فمن ناحية اقامت علاقاتها التجارية مع الضفة الغربية بحيث تكون الضفة الغربية بمثابة سوق لمنتجات اسرائيل الصناعية بالدرجة الاولى وبعض المنتجات الزراعية. لذلك تحرك الانتاج الصناعي الاسرائيـــلي الى اسواق الضفة الغربية بصورة نشيطة ومتنامية باستمرار وفي نفس الوقت لم تشجع اسرائيـــل استيراد المنتجات الزراعية للضفة الغربية الـــى اسرائيل لاختلاف مستويات اسعارها عن مستويات اسعار المنتجات الاسرائيلية المماثلة ، وفضلت التخلص من فوائض الانتاج الزراعي للضفة الغربية في اسواق الاردن/الضفة الشرقية عبر الجســـور الاردنية المفتوحة ، وذلك انعكس على قيام حركة نشيطة لنقل المنتجات الزراعيـــة للضفة الغربية الى اسواق الضفة الشرقية . وقد ساعد ذلـــك اسرائيل في التخلص من مشكلة فائض المنتوجـــات الزراعية للضفة الغربية في حالة اغلاق الجســـور والتي لا يسهل تصريفها في الاسواق الخارجية(٣٧). وحرصا على الاحتفاظ بأسواق الضفة الغربيـــة للمنتجات الاسرائيلية فرضت اسرائيل قيودا جمركية شديدة على الجسور فيما يتعلق بحركة نقـــل المنتجات الصناعية، ادى ذلك الى انخفاض مستوى حركة نقل المنتجات الصناعية من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية . وقد بلغت الواردات الصناعية من الضفة الشرقية ما نسبته ٤ ٪ فقط من الواردات الصناعية من اسرائيل خلال عام ١٩٦٨ (انظـــر الجدول رقم ٦) .

وبالنتيجة النهائية قام نموذج للتجـــارة بين اسرائيل والضفة الغربية ميزانه التجاري لصالح اسرائيل ، ونموذج للتجارة بين الضفة الغربية والضفـــة الشرقية ميزانه التجاري لصالح الضفة الغربية . وما ينجم عن ذلك من تسرب مبالغ كبيرة من العملة الاردنية من الضفة الشرقية الى الضفة الغربيـــة انعكاسا لعملية تمويل العجز في الميزان التجاري بينهما ، وهذه الارصدة من العملة الاردنية كانت اما قوى شرائية اتجهت لشراء المنتجات الاسرائيلية او اكتنزت . كما كانت الجسور المفتوحة مصدرا ماليا كبيرا للخزينة الاسرائيلية نجـــم عن الرسوم الجمركية على حركة التجارة عبر الجسور والرسوم والطوابع الاخرى على حركة انتقال الاشخاص . ويقدر دخل اسرائيل من الرسوم الجمركية علـــى الجسرين بحوالي مليوني دينار سنويا(٣٨). ومـــن ناحية اخرى تحاول اسرائيل تسريب بعض منتجاتها الزراعية الفائضة الى الاسواق الاردنية ، واهمها الحمضيات والموز والخيار والبطاطا . كما تحاول الحصول على بعض احتياجاتها السلعية من بعض المنتجات الزراعية (خاصة الحبوب ـــ حيث تستخدم مصانع المشروبات الروحية الاسرائيلية الشعير كمادة خام) والحيوانية (الاغنام) عن طريق الاردن. وترتبط امكانيات نجاح اسرائيل في القيام بهذه العمليات بمـــدى فعـــالية الرقـــابة الاردنية فـــي منطقة الجسور .

وبهدف قصر عملية تسويق المنتجـــات عبر الجسور الاردنية على المنتجات العربية، صدرت عدة أوامر دفاع عن وزير الاقتصاد الوطني تنظم عملية التسويق هذه في ضوء المبادىء التالية(٣٩). ١) تخضع عملية

نقل المنتجات الزراعية الى الضفة الشرقية لتصاريح مسبقة تقوم باصدارها دائرة التسويق الزراعي استنادا الى شهادة المنشأ الصادرة عن الغرفة التجارية في المنطقة باسم صاحب البضاعة لكل شحنة من الشحنات ، بعد التأكد من كونها من منتجات عربية . ٢) تقوم نقط المراقبة على الجسور الارضية بمراقبة كل شحنة واردة للتأكد من شهادة المنشأ والتصاريح الصادرة عن الدائرة، ومن ثم يجري سوقها مباشرة الى سوق الجملة المركزي في عمان . ٣) يقوم موظفو دائرة التسويق الزراعي (بالنسبة لبعض السلع كزيت الزيتون)بأخذ عينات من كل شحنة واردة لارسالها الى المختبر لفحصها والتأكد من أن مواصفاتها تتفق والمنتجات العربية ، وبمنع التصرف بأية شحنة قبل ظهور نتيجة الفحص المخبري ويتم ذلك بموجب تعهد خطي من قبل صاحب الشحنة او ناقلها والوسيط المودعة لديه. ٤) تخضع عملية استيراد المنتجات الصناعية الى الضفة الشرقية الى اذن مسبق ، يراعى فيه ان تتناسب الكمية المستوردة من المنتجات الصناعية للضفة الغربية وكميات المواد الخام التي سبق ان نقلت الى الضفة الغربية لصناعتها . ٥) تخضع عملية نقل المنتجات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية الى تصريح مسبق يراعى فيه التأكد من كون المنتجات متجهة للاستهلاك في أسواق الضفة الغربية . ٦) تصدر اوامر بمنع نقل اية منتجات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية تثبت المعلومات تسربها الى اسرائيل ، كما حدث بالنسبة لمادة الشعير . هذا وترتبط فعالية هذه التعليمات بمدى تطبيقها ومراعاتها .

رابعا : اغلاق الجسور واثاره الاقتصادية :

من التحليل السابق لاثار فتح الجسور الاقتصادية يمكننا تحديد اثار اغلاق الجسور الاقتصادية بالنقاط التالية :

(١) الضفة الشرقية : أ ــ فقدان فرصة الحصول على المنتجات الزراعية للضفة الغربية من الفواكه والخضروات وكذلك منتجاتها الصناعية . وذلك سيؤدي الى استيرادها من الدول العربية والاجنبية بشروط اقل مناسبة . ورغم ان بعض الفواكه يمكن استيرادها من سوريا وباسعار اقل الا ان باقي المنتجات الزراعية خاصة الشتوية لا يمكن مطلقا تعويض مصدر الضفة الغربية لها.وسينعكس ذلك في النهاية على كل من مستويات الاسعار في الضفة الشرقية والضغط على ارصدة الاردن من العملات الاجنبية . ب ــ سيصيب النشاط التجاري بعض التراجع ، خاصة ذلك النشاط المرتبط بكل من حركة التجارة والاشخاص عبر الجسور الاردنية بين الضفتين وحركة اعادةالتصدير للمنتجات المستوردة عن طريق الضفة الشرقية لصالح الضفة الغربية . ج ــ عدم توفر الفرصة لتحويل الحكومة الاردنية لرواتب موظفيها في الضفة الغربية والتي تقدر بحوالي ٤٢٨،٥ الف دينار(٤٠). وذلك سيؤدي الى تخفيف اعبائها المالية مع ملاحظة ان لذلك اثارا سياسية واجتماعية سلبية . د ــ حرمان الجهاز المصرفي في الضفة الشرقية من بعض الفرص المخففة من حدة تراجع انشطته، والناجمة عن قيام بعض العمليات المصرفية لاهالي الضفة الغربية في الضفة الشرقية .

(٢) الضفة الغربية : أ ــ لا بد وان تحصل مشكلة لتصريف فائض المنتجات الزراعية للضفة الغربية في المدى القصير ، مما سيؤدي الى زيادة عرض هذه المنتوجات في أسواق الضفة الغربية وانخفاض عام في مستويات اسعارها ينتهي الى كساد يصيب النشاط الزراعي ثم ينعكس على بقية القطاعات الاقتصادية . ب ــ سيترتب على توقف حركة التحويلات الحكومية للموظفين في الضفة الغربية وتحويلات العاملين في الخارج لاقاربهم الى احداث آثار اقتصادية واجتماعية سلبية على المواطنين . وسيؤدي الى انخفاض في حجم القوى الشرائية لينعكس على انخفاض مستوى الطلب العام في الاقتصاد . ج ــ اصابة النشاط التجاري والمرتبط بحركة التجارة عبر الجسور الاردنية بنوع من التراجع .

(٣) اسرائيل : أ ــ فقدان جميع مصادر التمويل الناجمة عن الرسوم الجمركية الاسرائيلية علىحركة التجارة عبر الجسور ورسوم الطوابع ورسوم التصاريح على حركة انتقال الاشخاص . وهو مصدر مالي له وزنه . ب ــ سيترتب على الاقتصاد الاسرائيلي بعض الاعباء المرتبطة بعملية تصريف فائض المنتوجات الزراعية للضفة الغربية والتي لا يفضل دخولها للاسواق الاسرائيلية . كما ان تصديرها للخارج ليس بالعملية السهلة كما سبق وان رأينا . ج ــ سيؤدي استيراد احتياجات الضفة الغربية من المواد الاولية للصناعة والاجهزة وبعض المستوردات الغذائية والحيوانية عن طريق

اسرائيل الى الضغط على ارصدتها من العملات الاجنبية ، وهي مشكلة تعاني اسرائيل منها الان وبحدة. د ــ فقدان فرصة التفكير في تسريب منتجاتها الى الاسواق العربية عن طريق الجسور .

الخلاصة : يبدو لنا من التحليل السابق ان لسياسة الجسور المفتوحة آثارا اقتصادية ايجابية على كل من الاقتصاد الاردني بضفتيه الشرقية والغربية والاقتصاد الاسرائيلي .

ومما يجدر التركيز عليه هنا ان نتائجنا عن الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة هي نتائج صحيحة في المدى القصير ، اما في المدى الطويل فسيصيب هذه النتائج بعض التعديل . ويبدو لنا ان استمرار تأثر اقتصاد الضفة الغربية بالاقتصاد الاسرائيلي واتجاه المستوى العام للاسعار في الضفة الغربية نحو الارتفاع وبصورة ملحوظة واستمرار توجيه السياسات الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية نحو زيادة التكامل التدريجي مع الاقتصاد الاسرائيلي وتخفيف الاعتماد على الضفة الشرقية ، سيؤدي ذلك في المدى الطويل الى زيادة نطاق الاثار الاقتصادية الايجابية لسياسة الجسور المفتوحة على الاقتصاد الاسرائيلي، خاصة بافتراض تمكن اسرائيل من توسيع نطاق ثغرة التعامل مع الاسواق العربية من خلال الجسور الاردنية ومناطق الحدود الاخرى . بينما ستواجه الاردن (وبافتراض استمرار فتح الجسور) ظروف تعني استقبالها لمنتجات الضفة الغربية الفائضة (فقط) وبمستويات اسعار عالية ربما تفوق مستويات استيرادها من الدول العربية المجاورة . يضاف الى ذلك استمرار الاردن في وضع رصيد عملاته الاجنبية تحت تصرف رجال اعمال الضفة الغربية .

التوصيات : تبنى هذه السياسة بحذر شديد يقتضي ما يلي : أ ــ تشديد الرقابة على مصانع الضفة الغربية ومنع تعاملها قدر الامكان مع اسرائيل والا فالحد من حرية تعاملها مع الضفة الشرقية. ويتوفر من المعلومات ما يفيد بوجود نوع من التعاون فعلا بين بعض رجال الصناعة في الضفة الغربية واسرائيل خاصة في ميدان استيراد بعض المواد الخام والاجهزة وتبادل الخبرات. ب ــ تشديد الرقابة على منطقة الجسور الاردنية سواء من حيث ضرورة التقيد بالتعليمات او من حيث نزاهة الاشخاص ، وقد ضبطت عدة حالات من عدم النزاهة واحيلت فعلا للمحاكمة . مع ضرورة مراقبة جميع مناطق الحدود خاصة منطقة العقبة للحد من حركة التهريب . ج ــ ضرورة المتابعة الاحصائية والعلمية لحركة التجارة للتأثيرات المتبادلة بين اقتصاديات الضفتين من خلال الجسور المفتوحة ومراقبة حركة العملة عبر الجسور .

---

١ ــ دائرة الاحصاءات العامة ، عمان ، تقرير عن مساهمة الضفة الغربية في الاقتصاد الاردني، ١٩٦٩ .

٢ ــ يلاحظ ان نسبة مساهمة النشاط المصرفي للضفة الغربية في نشاط الاردن ككل هي نسبة اقل من هذه النسبة ، فقد ساهم النشاط المصرفي للضفة الغربية عام ١٩٦٦ ممثلا في موجودات البنوك بما نسبته ٢٢٪ وما نسبته ٢٦٪ للودائع وما نسبته ٢٣٪ للتسهيلات الائتمانية .

٣ ــ البنك المركزي الاردني ، النشرة الاحصائية الشهرية ، المجلد الخامس ، العدد ١٢ ، كانون الاول ١٩٦٩ ، دائرة الابحاث والدراسات ، جدول رقم ٤ .

٤ ــ Agriculture in Judaea and Samaria, Israel Economist, Nov.1969.

٥ ــ معلومات عن الضفة الغربية للاردن ، فلسطينيات ، سلسلة كتب فلسطينية ١٢ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية .

٦ ــ فؤاد بسيسو ، المستوى الاقتصادي الاسرائيلي لحرب حزيران ١٩٦٧، البنك المركزي الاردني ، دائرة الابحاث والدراسات ١٩٦٩ ، ص ٢٢ .

٧ ــ Two Years of Military Government 1967 - 1969, p. 37, Without author (memo).

٨ ــ ادارة الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، دائرة الاحصاء والنشر ، نشرة الاحصاءات الرسمية لعام ١٩٦٣ .

٩ ــ The Financial Times — London 18, 12, 1969.

١٠ ــ Newsweek — March 23, 1970, p. 22.

١١ ــ دائرة شؤون الوطن المحتل، منظمة التحرير الفلسطينية ، ملف الجسور عبر النهر ، نقلا

عن ملحق صحيفة هآرتس الاسرائيليـــة بتاريخ ١٩٦٩/٩/١٢ .

١٢ — Military Administration of the Administered Areas, op. cit., p. 9.

١٣ — Ibid, p. 9.

١٤ — Economist Intelligence Unit (EIU), Quarterly Economic Review (Israel), London, No. 1, 1969, pp. 3-4.

١٥ — دائرة شؤون الوطن المحتل، منظمة التحرير الفلسطينيـــة ، تقرير عـــن « احتمالات اغلاق الجسور » ، استنادا الى تقرير لوزير الزراعة الاسرائيلي .

١٦ — المصدر السابق .

١٧ — The Israel Economist, "Agriculture in Judaea and Samaria" Jerusalem, Nov. 1969, p. 307.

١٨ — Two Years of Military Government, op. cit., pp. 28-29.

١٩ — منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة شؤون الوطن المحتل ، نشرة الوطن المحتل ، العدد ١٩ ، ١/١ — ١٩٧٠/١/١٥ ، ص ٢٥ .

٢٠ — The Israel Economist, Nov. 1969, op. cit.

٢١ — EIU, op. cit., pp. 3-4.

٢٢ — The Israel Economist, Oct. 1969, p. 267.

٢٣ — The Israel Economist. Economic Notes on the Area under Israel's Administration, Jan. 1969, p. 15.

٢٤ — New Middle East, Economic Pressures on Israel's New Government, London, No. 15, Jan. 1970, p.17.

٢٥ — The Israel Economist, Jan. 1969, op. cit., p. 15.

٢٦ — الوطن المحتل ، ١٩٧٠/١/١ — ١٥/١/ ١٩٧٠ ، منظمة التحرير الفلسطينيـــة ، دائرة شؤون الوطن المحتل .

٢٧ — Military Administration of the Administered Areas, Two Years of Military Government, Israel, 1969, p. 24 (memo).

٢٨ — The Financial Times, London, 2, 5, 1969.

٢٩ — Two Years of Military Government 1967-1969. op. cit., p. 27.

٣٠ — وذلك علـــى ضوء كل مـــن السياســـات الاسرائيلية التي لا تشجع انتقال منتجات الضفة الغربية الزراعية الى اسرائيل ، وعلى ضوء تمتع الضفـــة الغربية بنوع الاكتفاء الذاتي في الانتاج الزراعي .

٣١ — The Military Administration of the Administered Areas, op. cit., p.23.

٣٢ — المصدر : معلومـــات شخصية مـــن ذوي الخبرة في حركة التجارة والذين يعبرون الجسور.

٣٣ — صدر أخيرا عن وزارة الاقتصاد أمر دفاع ينظم بموجبه نسب المواد الخام التي تدخل في صناعات الضفة الغربية والكميات المسموح بنقلها الى الضفة الغربيـــة ، مقابل التقيد بادخـــال المنتجات الصناعية للضفة الغربية التي تعادل فقط حجم المواد الاولية التي دخلت الى الضفة الغربية حرصا على ربط عملية نقل المواد الخام الى الضفة الغربية بنقل المنتجات المصنعة الى الضفة الشرقية وحرصـــا على تسريب منتجات صناعية اسرائيلية .

٣٤ — البنـــك المركـــزي ، دائـــرة الابحـــاث والدراسات ، التقرير السنوي السادس ٦٩ ، عمان .

٣٥ — The Israel Economist, April 1970, No. 3, p. 69.

٣٦ — Agriculture in Judaea and Samaria, Israel Economist, Jerusalem, Nov. 1969, p. 306.

٣٧ — مجلة المرصاد ، اسرائيل ، العدد ٩٧٧ ، ١٩٦٩/١١/٦ .

٣٨ — منظمة التحرير الفلسطينية — دائرة شؤون الوطن المحتل ، ملف الجسور عبر النهر (مستند داخلي) .

٣٩ — الجريدة الرسمية للمملكة الاردنية الهاشمية، اعداد متتالية .

٤٠ — J. D. F., Jones, Problems of a Colonial Power, Financial Times, 20, 5, 1969.

مقابلة مع مسؤول
في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتزبن)

ليلى سليم القاضي

قيد الطبع دراسة اعدتها ليلى القاضي من باحثات مركز الابحاث عن المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتزبن) ، وهي منظمة بدات تلفت النظر بشكل خاص بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، حيث قامت بنشاطات دعاوية واسعة داخل اسرائيل وفي اوروبا ضد العدوان وضد الاضطهاد الذي يلاقيه عرب المناطق المحتلة . وكانت هذه النشاطات مرافقة بطرح وجهة نظر ايديولوجية ترفض الفكرة الصهيونية من اساسها وترفض الكيان الاسرائيلي المستقل على ارض فلسطين . وقد كان من شان هذه النشاطات والطرح الفكري أن تمت لقاءات بين عدد من قادة هذه المنظمة في اوروبا وعدد من الافراد القياديين في المنظمات الفدائية، كما تم تنظيم مظاهرات ومهرجانات مشتركة ضد اسرائيل ودعاتها في انكلترا والمانيا وفرنسا كان لها مفعول دعاوي كبير ، وتعرض بسببها عدد من قادة هذه المنظمة لاعتداءات جسدية من قبل العنصريين اليهود كان اشهرها حادث الاعتداء الذي وقع على ايلي لوبل في باريس وكاد يودي بحياته ، وكان من نتائجها ايضا ان امتنعت الحكومة الاسرائيلية فترة طويلة عن تمديد جوازات سفر بعض اعضاء هذه المنظمة وهددتهم بسحبها . ان « شؤون فلسطينية » تنشر فيما يلي الجزء الاهم من مقابلة اجرتها ليلى القاضي ، في سياق اعدادها للدراسة المذكورة عن المنظمة ، مع احد القادة المؤسسين لهذه المنظمة ، لما في هذه المقابلة من فائدة في القاء الضوء على حركة سياسية وتيار فكري معاد للصهيونية اثار اهتماما واسعا في الاوساط الثورية الفلسطينية . وتتضمن الدراسة المعدة للطبع مقدمة نقدية لماتزبن كتبها الاستاذ غسان كنفاني .

ارجو ان تعطينا صورة عن التطورات التي طرات على تحليل منظمتكم وفهمها للقضية الفلسطينية ؟

هذا هو الموضوع الرئيسي الذي تطورت المنظمة في نظرتها اليه منذ تأسيسها اذ أن تطورنا بالنسبة للقضايا الكبرى الاخرى لم يكن يتصف باية سمات خاصة بل كان منسجما مع ما جرى للحركات اليسارية الثورية في العالم بصورة عامة . على صعيد هذه الامور اصبحت وجهات نظرنا اكثر وضوحا كما نما نقدنا للحزب الشيوعي . ومن هذه الناحية نحن جزء من اليسار الثوري العالمي وخاصة في العالم الثالث . اما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والشرق الاوسط سألخص التطورات الهامة التي طرات على مواقفنا بما يلي : عندما تأسست منظمتنا لم يكن هناك اي فارق مميز بين وجهة نظرنا حول الصهيونية والقضية الفلسطينية وبين الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي يتمثل اليوم براكاح . على سبيل الايضاح اذكر الحادثة التالية : قبل تأسيس الماتزبن بفترة قصيرة قام اثنان من الاعضاء المؤسسين بنشر كتاب احتوى على كمية كبيرة من وثائق مناقشات البرلمان الاسرائيلي وتعليقات الصحف عليها . وكانت التحليلات التي قدمها الكتاب منسجمة تماما مع خط الحزب الشيوعي . وحتى هذه الساعة ما تزال وجهات النظر المعروضة في ذلك الكتاب اقرب الى موقف الحزب الشيوعي مما هي الى موقفنا الذي تطور وتبدل بصورة جذرية . فيما يلي عرض لوجهة نظر

الحزب الشيوعي هذه ، علما بأني أقوم ، من خلال هذا العرض ، بنقد الحزب وبنقد وجهات نظري القديمة التي كنت اعتنقها شخصيا والتي اعتبرها مرحلة انتقالية في نمو مواقفي السياسية كما في نمو المواقف السياسية لمعظم اعضاء منظمتنا . واعني هنا ، طبعا ، الاعضاء اليهود لان الاعضاء العرب لم يكونوا ضحية للاوهام الصهيونية الى الدرجة مثلما كنا نحن . مع ذلك ان ما قلته ينطبق، الى حد ما، على الاعضاء العرب كذلك اذ ان عددا كبيرا منهم كان منتسبا الى الحزب الشيوعي كما انه معروف ان عددا كبيرا من العرب هم اعضاء حتى الان في الحزب .

ان اول ما ينبغي ان نفهمه بالنسبة لموقف الحزب الشيوعي في الماضي والحاضر هو انه يقيس كافة الامور بمعيار بسيط واحد هو صلة القضية المعنية بالاتحاد السوفياتي . وقد يبدو هذا الوصف فجا ولكن هذا ما كان يحدث في الواقع . اضرب مثلا صغيرا هنا . لو راجعنا مناقشات البرلمان الاسرائيلي عام ١٩٥٠ المتعلقة بالبيان الثلاثي (اي بيان الدول الكبرى بضمان الحدود كما كانت عليه يومئذ بين اسرائيل والدول العربية) وهو وثيقة مهمة جدا في التاريخ المعاصر للشرق الاوسط ، لوجدنا ان الحزب الشيوعي وقف ضد البيان لانه رأى فيه مناورة سياسية ضد الاتحاد السوفياتي فقط . لا شك ان البيان كان جزءا من الستراتيجية الامبريالية الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي ولكن كان له ايضا مضامين اخرى مهمة ومتنوعة بالنسبة للمنطقة العربية نفسها مما لا نجد له اي ذكر في معارضة الحزب الشيوعي للبيان . كان البيان الثلاثي يبغي ايضا المحافظة على الوضع القائم في المنطقة عام ١٩٥٠ وتصفية القضية الفلسطينية نهائيا . كانت كل هذه الاشياء متضمنة في البيان الثلاثي ولكن الحزب الشيوعي لم يعلق على اي منها . في الواقع لم يكن بمقدوره ان يفعل ذلك لانه كان يحاكم كل شيء على اساس المقياس الذي ذكرته .

لا شك ان الحزب الشيوعي معاد للصهيونية . والسبب الرئيسي لموقفه هذا هو كون الصهيونية متحالفة مع الامبريالية ضد الاتحاد السوفياتي . طبعا هذا موقف سليم ضمن حدود معينة ولكنه غير كاف . من ناحية اخرى يفتقر الحزب الشيوعي الى اي تحليل للصهيونية كحركة استعمارية بحد ذاتها. اي ان الحزب لا يواجه الصهيونية الا من خلال سياستها الخارجية ، أي من خلال علاقاتها بالقوة الدولية . اما بالنسبة للديناميكية الداخلية للصهيونية فليس لدى الحزب اي شيء ليقوله ، كما انه لا يفكر بهذه الطريقة أصلا . وبما ان الحزب الشيوعي يرفض النظر الى الديناميكية الداخلية للحركة الصهيونية والصدام الذي ولدته على ارض فلسطين قبل العالم العربي يبقى الحل الذي يقدمه للنزاع محصورا ضمن حدود الاعتراف بالحقوق المشروعة لكلا الشعبين : العربي الفلسطيني والشعب الاسرائيلي . هذه معادلتهم لحل القضية الفلسطينية . وكان هذا موقفي انا في عام ١٩٦٢ كما كان الموقف الذي كانت تتبناه ضمنا منظمة ماتزبن . كان ذلك واضحا في الاعداد الاولى من مجلة ماتزبن حيث كنا نؤيد حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة مثلا ولكن لم يكن هناك اي نقد راديكالي للحركة الصهيونية يبدأ بتحليل تاريخها ومن ثم يواجهها من خلال تطورها لكشف طبيعتها وما فعلته في فلسطين منذ نشأتها .

بين الاعوام ١٩٦٣ — ١٩٦٦ تطور موقفنا باتجاه تبني هذا النقد ، ولا اعتقد ان هذا التطور جرى تحت تأثير اية عوامل او احداث خارجية كبيرة بل جاء نتيجة تحرير انفسنا من أساليب التفكير السائدة في الحزب الشيوعي حول كافة القضايا السياسية. لم نعد نحاكم كل شيء وفقا لعلاقته بالاتحاد السوفياتي . من هنا شعرنا بضرورة ملحة لفهم الصهيونية وتحليلها بحد ذاتها اذ كنا نعرف منذ البداية ارتباطها بالامبريالية ، وكنا عاصر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . ولكن السؤال الذي طرحناه على انفسنا هو : ما هي العوامل الكامنة في الصهيونية التي تجعلها حليفا طبيعيا للامبريالية ؟ ما هو تاريخ الاستعمار الصهيوني في فلسطين ؟ أصبحت هذه التساؤلات قضايا في غاية الاهمية بالنسبة لنا وشرعنا في دراستها وطورنا خطا سياسيا حولها . ليس بامكاني ان اشرح هنا هذا الخط ولكنه موجود في الوثائق المتعددة التي نشرناها. بالنسبة للاستنتاجات الاولية التي توصلنا اليها في هذا الميدان حوالي عام ١٩٦٦ فهي موجودة في نشرة « اسرائيل الاخرى » حيث حاولنا تقديم تحليل للصهيونية كحركة استعمارية تمتلك ديناميكية خاصة بها ، أي انها ليست أداة سلبية محض بيد الامبريالية وانما تتصف بقوانين حركتها الخاصة بها التي تدفعها بالضرورة الى حلف دائم مع الدولة الكبرى التي تكون مسيطرة في الشرق الاوسط .

أما موقفنا في الوقت الحاضر فهو لا يختلف كثيرا من حيث الاساس عن التحليلات التي عرضناها في وثائق عام ١٩٦٦ ، مع الاخذ بعين الاعتبار ان بعض ما ورد في تلك الوثائق كان مناسبا لعام ١٩٦٦ ولكنه لم يعد ذي بال مع مرور الزمن ومع التحولات التي طرأت على المنطقة . لقد تغير موقفنا منذ عام ١٩٦٦ بالنسبة لموضوع مهم هو تحليلنا لحرب عام ١٩٤٨ ، علما بأن موقفنا الحالي من تلك الحرب ينسجم مع الروح العامة لتلك الوثائق.

السؤال الاساسي هو فيما اذا كان الصدام الذي وقع بين المؤسسة الصهيونية والسلطة البريطانية في فلسطين هو حرب ضد الامبريالية باعتبار انه انتهى بطرد الاستعمار البريطاني من فلسطين ؟ يجيب الحزب الشيوعي على هذا السؤال بالايجاب.

اما اجابتنا نحن فقد كانت غامضة الى حد ما في وثائق عام ١٩٦٦ . أما موقفنا الحالي فيتلخص بالقول انه لا يجوز بأي حال من الاحوال اعتبار صدام ١٩٤٨ المسلح كحرب معادية للامبريالية . في احسن الاحوال يمكن اعتباره صداما نشأ بين الجماعة المستعمرة (بكسر الميم)، اي المستوطنين الذين جاءوا من الخارج ، وبين الامبراطورية التي ترعرع استعمارهم في كنفها الى ان اصبحوا بحاجة الى مجال حيوي اكبر . بعبارة اخرى تشبه تلك الحرب الى حد كبير نزاع ايان سميث في روديسيا مع الاستعمار البريطاني . مثال آخر نستمده من حرب البوير حيث لم يكن البوير محررين لافريقيا الجنوبية من الامبريالية بل كانوا يسعون لمجرد التخلص من السيطرة الاستعمارية المباشرة عليهم . ارادوا ان يكونوا هم المستعمرون الحقيقيون لافريقيا الجنوبية بدون وصاية خارجية مباشرة .

استمر تطور خطنا بهذا الاتجاه كما يتبين من وثيقة نشرناها مباشرة قبل اندلاع الحرب عام ١٩٦٧ (وهي موجودة في نشرة « اسرائيل الاخرى ») . كما نشرنا وثيقة أخرى بعد انتهاء القتال مباشرة وموضوعها الحرب ذاتها ولكن لسوء الحظ لم تنشر باللغة الانكليزية بعد ومن المتوقع صدورها قريبا . ولا اعتقد ان من الضروري الخوض في تفاصيل موقفنا في هذه المقابلة اذ ان ذلك مطروح في الوثائق المذكورة وفي وثيقة نشرتها مجلة « الحرية » في بيروت . اعلنا كذلك مواقف اخرى من قضايا محددة مثل مشروع روجرز والصدام الحاصل بين الفدائيين والسلطات الاردنية .

ما هي علاقاتكم الحالية بالحزب الشيوعي وكيف تفسرون تعاونكم مع راكاح ؟

لو كنا في بلد اعتيادي مثل بقية البلدان لكانت علاقاتنا مع الحزب الشيوعي مختلفة جدا عما هي عليه في اسرائيل. اي كنا وجدنا انفسنا في معسكرين مختلفين . لكن الوضع في اسرائيل مختلف ، اذ نجد انفسنا مع الحزب الشيوعي في موقع المعارض والمكافح ضد الصهيونية . لكن هذا لا يعني ان امكانات التعاون مع الحزب الشيوعي غير محدودة. في الواقع انها محدودة جدا بالمواقف المتعارضة التي نقفها نحن ويقفها الحزب الشيوعي من الحل الصحيح ، كما نراه ، للقضية الفلسطينية ومن الاسلوب السليم ، كما نراه ايضا ، لتحقيق هذا الحل . يستند الحزب الشيوعي في هذه المسالة الى قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، ولا غرابة في ذلك اذ ان الاتحاد السوفياتي يؤيد القرار . ونتيجة لهذا الموقف وجد الحزب الشيوعي نفسه منذ فترة قريبة في موقع طريف وغريب عندما اعلن روجرز مشروعه المشهور . كان الحزب الشيوعي في موقف المحرج حقا لان مشروع روجرز صادر عن الامبريالية الامريكية من ناحية وهو لا يختلف عن قرار مجلس الامن المذكور من ناحية ثانية . لذلك ادان الحزب المناورات الامبريالية في المنطقة في معرض تعليقه على مشروع روجرز وأيد بحماسة المشروع نفسه . أي في وقت واحد قال الشيوعيون ان مشروع روجرز مناورة امبريالية وأيدوه . ان مطلب الحزب الشيوعي هو الحل السياسي للنزاع في المنطقة . ومع ما في هذه التسمية من اختلاط فان المقصود بالحل السياسي هو حل النزاع على اساس توازن القوى القائم حاليا في الشرق الاوسط. فلو كان بالامكان الحصول على حل سياسي مرض (من وجهة نظر ثورية) بطرق غير عسكرية لا اعتقد ان احدا سيمانع في ذلك . لكن الحل السياسي المقصود حاليا هو الذي اشرت اليه ، أي الذي يترك السلطة الصهيونية في اسرائيل والاوضاع العربية على حالها . المسالة اذن لا تكمن في مجرد البحث عن وسائل الوصول الى حل للنزاع بل في نوع الحل المطلوب. وواضح جدا أن الحزب الشيوعي يؤيد حلا يقوم على استمرار الاوضاع القائمة في الشرق الاوسط بما في ذلك النظام الصهيوني في اسرائيل . الفارق الحقيقي اذن ليس بين الحل العسكري والحل السياسي بل بين الحل الثوري والحل غير الثوري. ويقف الحزب الشيوعي بوضوح مع الحل غير

الثوري ، بينما نقف نحن بحزم ضد هذه الحلول وامثالها لاننا لا نعتقد بانها ستحل أي شيء . ولكن بالرغم من الهوة العميقة التي تفصلنا عن الحزب الشيوعي في هذا الموضوع نجد انفسنا في نفس الموقع معه بالنسبة لبعض القضايا اليومية والتفصيلية ، مثلا الجرائم التي ترتكبها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية وفي قطاع غزة ضد المواطنين العرب ، كذلك بالنسبة للعبة البرلمانية داخل اسرائيل . نحن لا نعلق كثيرا من الاهمية على اللعبة البرلمانية ، مع ذلك عندما تجري الانتخابات علينا ان نحدد مواقف معينة من بعض المرشحين . لذلك نؤيد مرشحي الحزب الشيوعي ، وفي الانتخابات الاخيرة عملنا معهم . وبامكاني ان اقول ان اشتراكنا في الحملة الانتخابية الاخيرة الى جانب الحزب الشيوعي كان مهما بالنسبة للحزب نظرا الى صعوبة الوضع الذي وجد نفسه فيه حيث كان معظم مناضليه العرب قيد الاعتقال في تلك الفترة . وكانت المساعدة التي قدمناها للحزب في الحملة الانتخابية كبيرة ، كما ان الموقف الذي اعلناه في وثيقتنا الانتخابية شرح دوافعنا في تأييد الحزب في الانتخابات بالرغم من اننا لا نلتقي معه كليا في نظرتنا الى قضايا الشرق الاوسط . وقد لاقت هذه الوثيقة تأييدا كبيرا في الاوساط العربية في اسرائيل . وكان اعضاء منظمتنا يستقبلون استقبالا جيدا في القرى العربية حيث ينشطون ويوزعون المنشورات . بعبارة اخرى مع اننا دعونا اهل القرى في منشوراتنا الى التصويت لمرشحي الحزب الشيوعي فقد شرحنا ايضا نقدنا المعروف لمواقف الحزب المعينة .

كيف كنتم تعملون كحزب سياسي داخل المجتمع الاسرائيلي وكيف تتصورون استمرار عملكم هذا ؟

لقد تنوعت اساليب عملنا مع تبدل الظروف . واعتقد ان جزءا من الجواب على هذا السؤال متضمن في اجابتي على السؤال الاول حول التاريخ التنظيمي لماتزبن . بامكاني ان اقسم تاريخ عملنا الى ثلاث مراحل . كما ذكرت سابقا كان نشاطنا الرئيسي في السنوات الاولى موجها نحو حركة لجان العمل في أوساط الطبقة العاملة الاسرائيلية ، وقد بذلنا جهدا كبيرا في هذا المجال وتعلمنا العديد من الدروس . تعلمنا مثلا انه بالامكان كسب تأييد العمال حول قضايا النضال العمالي الاقتصادي البحت،لان العمال قادرون على الاستنتاج بأنفسهم. ان المستدروت يشكل عائقا في وجه تحقيق مصالحهم الطبقية . لكن من ناحية اخرى عندما كنا نحاول رفع مستوى النضال الى الصعيد السياسي ضد النظام بحد ذاته كنا نواجه مسألة الصهيونية كعائق اساسي . لذلك توصلنا الى النتيجة التالية: طالما بقيت الصهيونية طاغية في اسرائيل وبقيت الظروف العالمية وظروف المنطقة تسمح للمجتمع الاسرائيلي ككل بالتمتع بامتيازات في الشرق الاوسط تدعمها الامبريالية الامريكية فان الطبقة العاملة في اسرائيل تبقى مستفيدة من الصهيونية ومن المستبعد ان تتحول الى طبقة ثورية بالفعل . اريد ان اشدد على العبارة الاخيرة . بما ان المجتمع الاسرائيلي مقسم على أسس طبقية يقوم العائق السياسي الذي نحن بصدده (اي الصهيونية) بدور المعطل للنمو الثوري للطبقة العاملة الاسرائيلية . اما في ظروف اخرى تكون فيها الصهيونية على وشك الانهيار مثلا (بسبب اوضاع محلية وعالمية جديدة) عندئذ ستتحول الطاقات الثورية الكامنة في الطبقة العاملة الاسرائيلية الى حيز الوجود الفعلي .

اما المرحلة الثانية في عملنا فقد جاءت ، على ما اعتقد ، عام ١٩٦٦ عندما كانت المسألة المطروحة علينا هي توسيع المنظمة . ولتحقيق ذلك قمنا بنشر افكارنا وآرائنا بكل طريقة ممكنة وبكافة الوسائل المتوفرة ، وجذبنا الى المنظمة اعضاء من كافة قطاعات المجتمع الاسرائيلي ، بما في ذلك عمال من اليهود والعرب ، علما بأن العوائق التي تواجه العامل العربي في نشاطه لا يواجهها العامل اليهودي في اسرائيل . طبعا واجهنا مشاكل القمع التي تعرضنا لها مما جعل العمل اكثر صعوبة ، ولكن بالرغم من ذلك اصبحنا منظمة معروفة بفضل جهودنا الذاتية وبفضل الموقف العدائي الذي وقفه النظام منا . وبما اننا اصبحنا نمثل نقيض كل ما يمثله النظام اصبح باستطاعتنا العمل في قطاعات معينة من السكان في اسرائيل . منذ تلك الفترة لم يعد نشاط ماتزبن منحصرا في حدود صفوف الطبقة العاملة الاسرائيلية، مع اننا ما زلنا نشارك في نضالات الطبقة العاملة وفي الكفاح من اجل مطالبها الاقتصادية . وعلى الصعيد السياسي وجهنا جهودنا نحو تلك القطاعات من الشعب الاكثر تأثرا من غيرها بسلبيات الوضع السياسي والاقتصادي في البلد . هذا يعني أساسا السكان العرب في اسرائيل وهم الى حد كبير ذوو طبيعة بروليتارية . اما بالنسبة للقطاع اليهودي فان نشاطنا توجه الى اوساط الشباب التي تمر حاليا

بتطورات جديدة عبرت عن نفسها منذ فترة قصيرة بنوع من الانزعاج الشديد من سياسات النظام وبتصاعد الشكوك حول الصهيونية . كانت هذه التطورات واضحة في رد فعل الاوساط الشابة لما يسمى بقضية غولدمان . (المقصود هنا ما تردد في الصحافة الغربية عن عدم موافقة غولدا مائير على الزيارة السرية التي طلب ناحوم غولدمان ان يقوم بها للرئيس عبدالناصر) . غير اننا كنا نشعر بوجود هذه الاتجاهات في صفوف الشباب قبل فترة من الزمن واستطيع ان اقول ان حدوث هذه التطورات جاء الى حد ما بتأثير من نشاطنا بين الشباب . انا لا اقول طبعا بأن مسؤولية حدوثها تقع علينا كليا بالرغم من ان بعض المقالات التي ظهرت في الصحافة الاسرائيلية ألقت باللائمة علينا بالنسبة لكل ما حدث . طبعا هذا مبالغة كبيرة ولكن كان لنا دور وتأثير . لقد تمكنا من تزويد قسم من هؤلاء الشباب ببعض المناهج الفكرية التي تساعدهم على فهم الاوضاع المحيطة بهم بوضوح اكبر . كما اثرنا في رؤوسهم تساؤلات جذرية اخذوا يطرحونها على انفسهم وعلى اساتذتهم . اذ من الضروري ان نعرف اي نوع من الاسئلة علينا ان نطرح اولا . لقد نجحنا في جعل كثيرين من هؤلاء الشباب يفكرون بهذه القضايا على اسس جديدة .

اما المرحلة الثالثة فانها لم تنته بعد بسبب نمو التفاعلات التي تحدث الان في اوساط الشباب اليهودي في اسرائيل والتي لا تزال في بدايتها . طبعا ان عدد من تشملهم هذه التفاعلات قليل نسبيا كما ان الظاهرة ليست منتشرة على نطاق واسع ، غير اننا مقتنعون بأنها ستنتشر وتتسع بدون ريب . وميدان العمل مفتوح أمامنا في اوساطهم . لكن يجب الا نبالغ ، لان الظاهرة ستبقى ضيقة ومحدودة كما ذكرت ، ولان بعض الذين يدخلون هذا الطريق يتوقفون بعد فترة عن العمل ولا يستمرون الى النهاية . هناك ظاهرة اخرى تذكر هي تشكل فئات صغيرة داخل اسرائيل ذات طابع راديكالي وسطي ، بمعنى انها تريد ان تكون يسارية ولكن مع الابقاء على علاقة ما بالصهيونية .

هل بامكانك تسمية بعض هذه الفئات ؟

التجمع الوحيد الذي اكتسب شكلا محددا الى حد ما هو « سياح » الذي يكتسب اسمه من الاحرف الاولى لعبارة « اليسار الاسرائيلي الجديد » . يتألف هذا التجمع من اشخاص كانوا في الحزب الشيوعي الذي يقوده ميكونيس وسنيه ، وحزب المابام . وهو يلعب ، من الناحية الموضوعية ، الدور الذي كان يلعبه حزب المابام في الايام الماضية ، اي نوعا من التجميل اليساري للصهيونية . طبعا هذا يعني انه يقوم بدور رجعي بمعنى انه يشكل عائقا أمام تطور عناصر كثيرة في اسرائيل وخارجها بسبب نشرهم دعاية من النوع الذي يخلق وهما معينا يقول انه بامكان الصهيونية ان توصف باليسارية . من ناحية اخرى يقوم هذا التجمع بدور ايجابي بمعنى انه يشكل مرحلة من مراحل النمو ، في حياة الكثيرين ، باتجاه الموقع اليساري الثوري ، اذ ان معظم الناس غير قادرين على القفز مرة واحدة من الصهيونية الى الموقف الثوري ، وعليهم الانتقال الى الموقع الثاني تدريجيا وعبر مراحل تتصاعد في راديكاليتها .

توجد كذلك بعض جماعات اخرى ولكن ليس لها اية صفة تنظيمية ولا تطرح اي برنامج سياسي . جماعات من طلاب المدارس الثانوية مثلا الذين ينظمون اجتماعات فيما بينهم ويوزعون منشوراتهم (غير المرخصة رسميا) مما يعرضهم للملاحقة من قبل البوليس في بعض الاحيان .

تطالبون في منشوراتكم بانسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ، وهذا موقف ينادي به الحزب الشيوعي ايضا . لكن من الواضح ان هذا المطلب لا يخدم الحل الثوري للقضية علما بان منظمتكم تريد حلا ثوريا . لذلك لا بد من الاستفسار عن دوافع طرحكم لمثل هذا المطلب خاصة انه قد يقع ، كما يبدو لي ، في شراك الخط الرسمي للحزب الشيوعي وما يسمى بالحل الدبلوماسي للمشكلة .

اولا نحن لا نعتقد ان الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ سيؤدي الى حل اية مشكلات حقيقية . ان كل ما نقوله بهذا الصدد هو ان مثل هذه الخطوة هي شرط ضروري للعمل السياسي ولكنها غير كافية على الاطلاق . نحن لا نعتقد انه بالامكان حل المشكلة على اساس الوضع القائم كما كان قبل حرب ١٩٦٧ . بينما يرى الحزب الشيوعي ان الوضع السابق يمكن ان يكون اساسا لتسوية النزاع . ان مطلب انسحاب القوات الاسرائيلية يعني شيئا مختلفا بالنسبة للحزب الشيوعي عما يعنيه بالنسبة لنا .

فيما يتعلق بما ذكرتيه عن احتمال وقوعنا في شراك

موقف الحزب الشيوعي اقول انـــه لا يمكن لاي انسان يقوم بالعمل السياسي في اسرائيل ان يستغني عن مطلب الانسحاب . بالنسبة لاي اسرائيلي يعتبر نفسه ثوريا ان رفع شعار الانسحاب كمطلب حد ادنى وليس كمطلب نهائي هـــو أمر ضروري وملح للغاية . انا لا أوهم نفسي بأن تحقيق هذا المطلب سوف يحل المشكلة التاريخية ولكن علينا ان نعلن ، على اقل تعديل ، موقفنـــا المناوىء للاحتـــلال العسكري . ان اي اسرائيلي لا يعلن موقفه ضد الاحتلال يصبح مشاركا فيه . اما بالنسبة لكيفية مقاومة الاحتلال فقد اعلنا موقفنا بهذا الصدد اكثر من مرة .

هل استنتج مما قلته بان الطاقات الثورية الكامنة للطبقة العاملة الاسرائيلية لن تتحقق على صعيد الواقع الا تحت تاثير عوامل خارجية (مثل حدوث ازمة في اسرائيل مصدرها خارجي) ستكون نابعة على الارجح مـــن نمو القوى العربيـــة الثورية وتطورها ؟

نعم ، اوافق مع اني قد لا اعبر عن الاستنتاج بنفس كلماتك ، اذ انني لا اعتقد بوجود مؤثرات « خارجية » بحت لان نمو الاشياء يتم دوما بأسلوب ديالكتيكي . اعني ان تحـــول الطبقة العاملـــة الاسرائيلية على النحو الذي ذكرناه سياتي نتيجة نمو يشمل عوامل خارجية وداخلية مجتمعة معا وليس بالامكان فصلها عن بعضها ميكانيكيا . لكن في الاساس اعتقد ان العنصر الرئيسي سيكون تطور القوى العربية الثورية بالاضافة الى الوضع العالمي وظروفه ايضا .

على ضوء ما ذكرت كيف يكون موقف منظمة الماتزبن من الطبقة العاملة اليهوديـــة في اسرائيل ؟ هـــل تفضلون ايديكم منها في الوقت الحاضر وتنتظرون الى ان تاتي ظروف افضل واكثر ملاءمة لايقاظها ثوريا ام ينبغي ان يستمر العمل في صفوفها مهما كانت الظروف ؟

أولا ينبغي ان يكون واضحا اننـــا لسنا جماعة تكرس نفسها لمسالة النـــزاع العربي الاسرائيلي فحسب . هذا ليس اهتمامنا الوحيد . نحن حزب اشتراكي ولذلك تقضي الضرورة الحيوية ان تكون لنا جذور في الطبقة العاملة . كما اننا نعتقد ان الطبقة العاملة هي طبقة ثورية على المدى البعيد. المهم في نظرنا هو ان ندرك في الوقت الحاضر ان العمل في صفوف الطبقة العاملـــة الاسرائيلية لا ينبغي ان ترافقه بالضرورة التوقعات الطبيعية التي ترافق العمـــل في اي دولة رأسمالية عادية في زماننا . وبدهي علينا ان نتدخل في الصراع الطبقي داخل اسرائيل ولكننا لا نتوقع في الظروف الحاضرة ان ننجح في رفع مستوى النضال العمالي مـــن الصعيد الاقتصادي البحت الى الصعيد السياسي لان ذلك سوف يعني ضرب الصهيونية ، اي حدوث ثورة في اسرائيل ، او بعبارة ادق اكتمال الوجه السياسي للثـــورة في اسرائيـــل واعني سقـــوط الصهيونية . طبعـــا انا لا اعني مجـــرد الثورة السياسية ، ستكون ثورة اجتماعية ولكن الناحية السياسية من الثورة ستعني في جوهرها اسقاط الصهيونية . الطبقـــة العاملة في اسرائيل ليست مستعدة في الوقت الحـــاضر للاضطلاع بمثل هذه المهمة ، ليس لانها غير ناضجة بما فيه الكفاية بل لانها مستفيدة من الصهيونية . سوف يتغير هذا الوضع اذا دبت عوامـــل الضعف في الصهيونية ومؤسساتها بسبب عدد مـــن العوامل الخارجية والداخلية ، مثل تطور القوى الثورية في كافة انحاء الشـــرق الاوسط ، وضعف سيطرة الامبرياليـــة الاميركية علـــى العالم العربي . وواضـــح ان الامبريالية الاميركية تؤيد الصهيونية وتدعمها ليس بسبب الارباح التي تجنيها في اسرائيل ، ولكن لانها تستخدم اسرائيل في حماية مصالحها في منطقـــة الشرق الاوسط ، ومصالح النفط اشهر من ان تذكر . لذلك نرى انه لاضعاف الصهيونية لا بد من ضرب المصالح الاميركية في الشرق الاوسط . مع تبدل الظروف بالاتجاهات التي ذكرتها سيكـــون باستطاعة الطبقة العاملة الاسرائيلية ان تختـــار اختيارا جديدا ، سيتم ذلك عندما تفقد اسرائيل وظيفتها كحارس امبريالي في الشرق الاوسط لانه لا لزوم للحارس في المناطق التي ليس فيها مصالح . طبعا ان مثل هذه التطـــورات لا تاتي لوحدهـــا وبصورة آلية . انها مرهونة ايضا بالعمل الذي نقوم به ويقوم به كافة الثوريين في المنطقة .

هناك نقطة يجدر بنا ايضاحها . في اية ظروف تعتقد انه يمكن للصهيونية ان تنهـــزم ؟ مثلا ، بما ان السيطرة الصهيونية قائمة على قوة داخلية هي المؤسسة العسكرية الاسرائيلية هل يمكن اسقـــاط الصهيونية بدون هزيمة عسكرية يصاب بها الجيش الاسرائيلي ؟

اعتقد ان الهزائم العسكرية في الواقع ستكون من اعـــراض الضعف الـــذي سيصيب المؤسســـة الصهيونية . وليس صحيحا ان الهزيمة العسكرية

هي التي ستضعف تلك المؤسسة . كما اني لم اقصد في كلامي السابق القول بأن الطبقة العاملة الاسرائيلية ستصبح ثورية بعد اسقاط الصهيونية بالتمام والكمال . الصورة التي حاولت رسمها اكثر تعقيدا من ذلك ، ان الاضعاف المستمر لقوة الصهيونية قد يعبر عن نفسه خارجيا عن طريق الهزائم العسكرية ، غير ان مصدر الضعف سيكون مجموعة عوامل خارجية وداخلية كما ذكرت في السابق . سأبين ما اعنيه : انت تقولين ان الاداة الاساسية التي تسيطر عليها الصهيونية سيطرة كاملة هي الجيش الاسرائيلي (بينما هي لا تسيطر على هذا النحو على قوى اخرى مثل الامبريالية الاميركية او التطورات في الدول العربية) . لا بأس . غير ان الجيش ليس شيئا ساكنا وثابتا . يعني الجيش شيئين اساسيين : الاسلحة والرجال . كما هو معروف اسرائيل لا تنتج الاسلحة المهمة اذ ليس لديها الحديد ولا الفولاذ الضروريان لذلك . كما ان استطاعتها المحافظة على مستوى تسليحها هو تعبير واضح عن مستوى الدعم الامبريالي لها . لا يجوز طرح الموضوع اذن من زاوية هزيمة الجيش الاسرائيلي كما هو قائم حاليا لانه سيكون من اعراض ضعف الصهيونية وتدهورها في المستقبل الضعف العام للامبريالية في الشرق الاوسط مما سيؤثر على مستوى تسليح الجيش الاسرائيلي. اما بالنسبة للرجال اعتقد ان ما يسمى بتمرد الشباب في اسرائيل هو على درجة كبيرة من الاهمية ، لان هؤلاء الشباب هم الذين يقاتلون في الجيش الاسرائيلي ويشكلون عموده الفقري ، باعتبار ان الجيش الاسرائيلي جيش مواطنين وليس جيشا محترفا . لذلك ان ما يفكر به هؤلاء الشباب له اهميته . لا أدري اذا كنت مطلعة على المقال الذي نشره دايان منذ فترة قصيرة في صحيفة **التايمز** اللندنية . بامكاننا ان نستشف من المقال بعض الهموم التي تقلق هذا الرجل . قبل صدور المقال بيوم او يومين شاهدت اعلانا مسبقا في التايمز يبشر بصدور المقال المعني فقلت لنفسي لن اجد فيه طبعا الا الدعاية الصهيونية المادية الموجهة الى القراء في الغرب . ولكن اتضح لي من المقال ان هناك اشياء تقلق دايان وهي على جانب من الاهمية ضمن الوضع الاسرائيلي الداخلي . يتذمر دايان في مقاله من واقع جديد يقلقه هو ان الشباب في اسرائيل لم يعد كما كان

مؤلفات

ليلى سليم القاضي

الصادرة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

الهستدروت (بالعربية)	**٢ ل.ل.**
عرض للعلاقات الاميركية الاسرائيلية (بالانجليزية)	**٢**
مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية (بالانجليزية)	**٦**
الوثائق الاساسية لحركة المقاومة الفلسطينية المسلحة (بالانجليزية)	**٨**

تحت الطباعة

المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية : ماتزبن (بالعربية)	**٢**

أطلبها من مركز الابحاث شارع كولمباني المتفرع من شارع السادات ــ بناية الدكتور راجي نصر ــ بيروت أو من المكتبات

في السابق ، اي كما عهده دايان دوما . اي لم يعد الشباب يتقبلون الدعاية الصهيونية وتبريراتها ومغالطاتها كما كانوا يفعلون سابقا . كانت كل هذه الهموم واضحة في مقال دايان ، عبر عنها حتى في مقال موجه الى القارىء الانكليزي الذي لا علاقة له بها . يقول دايان يجب علينا ان نبين للشباب في اسرائيل ان هذه الحرب التي نخوضها هي حربهم وعليهم المشاركة فيها لهذا السبب وليس لمجرد اننا نطلب منهم ذلك . هموم دايان تبين ان شيئا ما يحدث في اسرائيل وهو يتعلق بتطورات جديدة في صفوف قطاع معين من الشعب بالرغم من كونه قطاعا صغيرا نسبيا من الشباب الاسرائيلي. لا شك انه سيكون لمثل هذه التطورات نتائجها الهامة حتما على الصعيد العسكري البحت . لذلك لا اعتقد انه من الضروري ان تصاب اسرائيل بهزيمة عسكرية شاملة كي تتحول الطبقة العاملة فيها الى وضع ثوري . طبعا انا لا اقول ان مثل هذه الهزيمة غير ذات صلة بوضع الطبقة العاملة . الذي اقوله هو ان الهزيمة العسكرية لا يمكن ان تكون الا احد الاعراض الهامة للضعف الذي سيدب في الصهيونية ويؤدي الى تدهورها . اعتقد ان سقوط الصهيونية سوف يكون نتيجة لازمة مركبة على الصعيدين العسكري والاقتصادي . اعني بالناحية العسكرية من الازمة ان اسرائيل ستجد طاقاتها العسكرية غير قادرة على تحقيق ما كانت قادرة على تحقيقه في السابق (بسبب نمو القوى الثورية العربية وانحسار المصالح الامبريالية في المنطقة مثلا) . الاوضاع التي ستؤدي الى تحول داخلي في اسرائيل سوف تاتي نتيجة لمثل هذه الازمة المركبة اقتصاديا وعسكريا . وكما هو معروف هذا النوع من الازمات يشكل الوضع الكلاسيكي لاشعال الثورات وانتاجها . على سبيل المثال ثورة اكتوبر ، بالرغم من الفوارق ، جاءت نتيجة لازمة عسكرية واقتصادية .

ذكرت ان الامبريالية الاميركية سوف تتخلى عن حارسها في الشرق الاوسط مع ذهاب مصالحها من المنطقة ، ولكننا نجد انه في مناطق اخرى من آسيا حدث العكس مثل استمرار الدعم الامبريالي الاميركي لنظام تشان كاي شيك في فورموزا (الذي ما زال يدعي تمثيل شعب الصين ويحاول استعادة سيطرته على البر الصيني) . بعبارة اخرى ان خروج منطقة ما من مجال نفوذ الامبريالية لا يؤدي بالضرورة الى جعل الحارس عاطلا عن العمل ، بل قد يؤدي الى رد فعل معاكس كان يصبح هذا الحارس (اسرائيل) القاعدة الوحيدة الباقية في يد الامبريالية لشن عدوان ضد الانظمة المعادية للاستعمار او اية انظمة اشتراكية قد تنشأ في الجوار . هذا يعني ان اسرائيل قد تصبح اكثر شراسة وعدوانية كلما ابتعد العرب عن مجال نفوذ الامبريالية ، كما قد يعني انه ما لم يتحول توازن القوى في المنطقة لصالح الدول العربية المحيطة باسرائيل لا نستطيع ان نتكلم عن اسقاط الصهيونية .

يبدو لي ان مثال فورموزا يبين انه لو كانت المسألة هي مجرد اعادة الصين الى حظيرة الامبريالية لما قامت الامبريالية الاميركية بدعم فورموزا الى هذا الحد على اقل تعديل . بعبارة اخرى امريكا تدعم فورموزا ليس لاستعادة الصين وانما لحماية مصالحها في الشرق الاقصى وجنوبي شرقي آسيا . لذلك تكون المقارنة التي ينبغي ان نركز عليها هي هل ستستمر الامبريالية الاميركية بدعم اسرائيل الى هذا الحد لو فقدت امريكا مصالحها في الشرق الاوسط كله ؟ اعتقد ان الجواب المرجح هو النفي. طبعا اني موافق انه مع حدوث اي تحول ثوري في المنطقة اي في العالم العربي ستستخدم اسرائيل في أول الامر والى اقصى حد من قبل الامبريالية . ان توازن القوى العسكرية هو موضوع هام لا شك ومن النتائج التي ستفرزها ثورة اجتماعية في العالم العربي هو بالضبط تغيير ميزان القوى العسكري لصالح الجانب العربي واعتقد أن هذا من الدروس التي اوضحتها حرب ١٩٦٧ بمعنى فضحها لضعف الانظمة العربية الحاضرة علما بأن هذا الضعف لا يقاس بمقاييس تقنية فقط ، اذ أن الضعف في الاساس هو تعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي العربي . من النتائج الهامة التي نتوقع ان تؤدي اليها ثورة شعبية في الشرق الاوسط تحرير تلك الطاقات العربية الكامنة ، بما فيها الطاقات على الصعيد العسكري ، التي ستغير ميزان القوى لصالح الثورة. بطبيعة الحال ستضطر الطبقة العاملة الاسرائيلية لاتخاذ قرار جديد وذلك في ظروف لا تكون فيها الصهيونية في الوضع الممتاز الذي تحتله حاليا . لا شك أن هذا التحول سيكون احد النتائج المباشرة للثورة العربية ، واشدد هنا على قولي الثورة العربية وليس الثورة الفلسطينية وحدها لانه من الواضح تعذر تحقيق مثل هذه النتائج الكبيرة عن طريق تفاعلات تبقى محدودة

ضمن اطار الشعب الفلسطيني . لا يمكن تحويل ميزان القوى في المنطقة الا عن هذا الطريق . لذلك نحن نشدد دوما بانه ليس بالامكان حل المشكلة الفلسطينية ضمن نطاق الوضع الفلسطيني البحت. المطلوب هو اطار ثورة اوسع تشمل الشرق الاوسط كله : اي ثورة عربية . في الواقع هذا استنتاج بدهي بالنسبة لنا . اذا نظرنا الى الموضوع من زاوية اخرى يبدو لنا ان تطور الثورة العربية سيؤدي الى نتيجة مزدوجة: ضرب المصالح الاميركية في المنطقة وطرد السيطرة الاجنبية مما سيجعل الامبريالية الاميركية مضطرة الى استخدام اسرائيل ضد الثورة . ولكن بالمقابل ستولد هذه الثورة القوى الكافية ، كما نأمل ، لمواجهة هذا التدخل ، ونتيجة لمثل هذه التطورات قد تتولد ازمة عسكرية واقتصادية في اسرائيل نفسها خاصة اذا تمكنت قوى الثورة العربية من مواجهة التدخل بنجاح ، مما قد يبين لقطاعات من الجماهير الاسرائيلية بأن الدولة تسير في طريق مسدودة . طبعا هناك احتمالات التدخل الامريكي المباشر ولكن هناكايضا امثلة على تراجعات امبريالية فرضت فرضا على امريكا من قبل القوى الثورية. باختصار ان اهم عامل في المجموعة المعقدة من العوامل المؤثرة على تطور الصراع مع الصهيونية هو تطور الثورة العربية ونمو طاقتها على مواجهة اعدائها في الداخل والخارج بما في ذلك التدخل الصهيوني.

اريد ان انتقل الى الكلام عن حركة المقاومة الفلسطينية وبروزها كقوة فاعلة بعد حرب ١٩٦٧ . هل من الممكن ان تبدأ باعطاء رايك بالمقاومة عامة وتاثيرها على منظمة ماتزبن نفسها ؟

لا اعتقد ان بروز المقاومة قد اثر كثيرا على منظمتنا بحد ذاتها . طبعا لا اعني اننا لا نعتبر المقاومة ظاهرة في غاية الاهمية . ما اعنيه هو اننا كنا على يقين بأنها ستبرز . كان لا بد للمقاومة من ان تأتي . واذكر هنا انه عندما اجتمعنا في خريف عام ١٩٦٧ بأحمد خليفة ، ذكرنا له اننا نتوقع بروز حركة مقاومة ولم نفاجأ بها عندما اتسعت وكبرت . من ناحية اخرى لقد أعلنا موقفنا حول موضوع المقاومة يتلخص بأن الكفاح المسلح ضرورة حيوية واداة مشروعة في مواجهة الاحتلال. ويختلف موقفنا هذا عن وجهة نظر الحزب الشيوعي باعتباره يرفض مبدأ الكفاح المسلح . نحن لنا موقف مبدئي عام وواضح في ما يتعلق بالكفاح المسلح . نعتبره أداة مشروعة وضرورية في النضال . ولكن هذا لا يعني اننا نجعل منه « فيتيشا » كأن نعتبره الاسلوب الوحيد للكفاح . ان نضال القوى الثورية الفلسطينية سوف يشمل بالضرورة الكفاح المسلح ونحن واعون تماما لهذه الحقيقة ، في الواقع ادركناها قبل انتشار حركة المقاومة على نطاق واسع .

مع أن الاحتلال هو الذي اعطى المقاومة دفعتها الرئيسية باعتبار انها نمت بسرعة في ظله ، غير أن حركة المقاومة لا تنظر الى وظيفتها ضمن حدود انهاء الاحتلال والا وقعت في شراك مواقف الحزب الشيوعي الذي تعارضونه . تعتبر المقاومة نفسها حركة تحرير وطنية تكافح ضد المؤسسة الصهيونية ودولتها على أرض فلسطين . السؤال اذن ذو شقين : ١) ما هو موقفكم من موضوع الكفاح المسلح في المنطقة العربية الذي يهدف الى تدمير الدولة الصهيونية (يقول الماركسيون: تدمير الدولة البرجوازية المضطهدة (بكسر الهاء) هناك) . ٢) هل تتصورون ان منظمة ماتزبن (او اليسار الثوري الذي قد ينمو داخل اسرائيل) قد تتطور الى مستوى حمل السلاح والمشاركة في تطوير الثورة في المنطقة عن طريق القتال ضد المؤسسة الصهيونية في اسرائيل وكل من يدعمها ؟

سأجيب على الشق الثاني من السؤال لان الاجابة بسيطة وواضحة : نعم ، وبدون اي تردد . نحن لسنا ثوريين برلمانيين كما أوضحت سابقا . ان الدافع الكامن خلف تأسيس ماتزبن كان شعورنا بأن الحزب الشيوعي تبنى النظرية القائلة بالطريقة السلمية الى الاشتراكية مما يشكل بالنسبة لنا تحولا في الحزب يعطيه جوهره غير الثوري . لذلك اقول بوضوح اننا نضع ضمن الوسائل الضرورية لاسقاط اي نظام بورجوازي ، وبالتخصيص النظام البورجوازي في اسرائيل ، اسلوب الكفاح المسلح. اما بالنسبة للشق الاول من السؤال فان اجابتي مستمدة مما ذكرت . نحن لا نعترض ، من حيث المبدأ ، على القول بأن اسقاط الصهيونية سوف يتطلب الكفاح المسلح ولا شك في ضرورة ذلك على ارض الواقع . الذي أريد أن أبينه بالنسبة للكفاح الفلسطيني المسلح هو انه لن يكون قادرا بحد ذاته على تحقيق هذه النتيجة وحده . السؤال لا يطرح نفسه ، بالنسبة لنا ، فيما اذ كان استخدام الكفاح المسلح ضد الصهيونية مشروعا لان الجواب هو بالايجاب ولان العنف الثوري مشروع في مواجهة اي نظام قمعي . السؤال الذي نحن بصدده هو اذا

كان الكفاح الفلسطيني المسلح وحده يكفي للوصول الى النتائج المطلوبة ، ولا اعتقد انه يكفي ، لان توازن القوى قائم على صورة مستدفع بالكفاح المسلح الفلسطيني بالضرورة كي يتحول الى مجرد مقاومة ضد الاحتلال . اي ما لم يصبح الكفاح المسلح الفلسطيني جزءا من حركة اوسع هي الثورة العربية فانه لن يحقق اكثر مما ذكرت . ولقد اوضحنا هذه الحقيقة في المقال الذي نشر في مجلة « الحرية » حيث ذكرنا ان الاتجاه الذي يفصل القضية الفلسطينية ويعزلها عن حركة الثورة العربية هو بالضرورة اتجاه اصلاحي لانه سينتهي، تحت ضغط الظروف ، الى موقف يحاول تسوية النزاع على أساس الانظمة القائمة . علينا ان ندرك بهذا الصدد ان التحرك الفلسطيني حتى لو تمت تعبئته الى أقصى ما يمكن لن يتمكن من ضرب الصهيونية حتى ضمن حدود اسرائيل كما كانت قبل حزيران ١٩٦٧ . أما اسباب ذلك فيمكن تلخيصها كما يلي: اولا، الحجم الذي يمكن ان تصل اليه الحركة الفلسطينية حتى في احسن ظروف التعبئة يبقى صغيرا نسبيا . ثانيا، نحن نعلم من تجارب حروب العصابات ان من ضرورات نجاحها كسب تأييد السكان حيث يعمل مقاتلو العصابات . هذا الشرط متحقق من حيث المبدأ في الضفة الغربية بالنسبة لحركة المقاومة (بمعنى ان التأييد للمقاومة كامن في الضفة الغربية مع انه لم يتحول كليا الى حيز الفعل) . أما في اسرائيل فان قضية حرب العصابات تطرح نفسها على صعيد آخر تماما باعتبار ان السكان هناك ليسوا عربا او فلسطينيين . فاذا حصرنا انفسنا ضمن حدود حركة الكفاح الفلسطيني المسلح وحده لا بد وان يكون النشاط الذي يمكن ان تقوم به مثل هذه الحركة في تل ابيب مثلا محصورا ضمن اطار الاعمال « الارهابية » . وانا لا استعمل عبارة « ارهابية » بأي معنى أخلاقي او قدحي وانما بالمعنى التقني فقط . كما اني لا اقول بأن الارهاب غير مشروع في كل الحالات . اني اتساءل عن النتائج التي يمكن ان يحققها هذا النوع من الارهاب في مثل الظروف المذكورة وبالنسبة لحركة تحرير هدفها شن حرب عصابات ناجحة ، اذ لا يمكن اسقاط الصهيونية في تل ابيب وحيفا (أي في اسرائيل كما كانت قبل حرب ١٩٦٧) عن طريق الاعمال الارهابية بالمعنى الذي حددت . بعبارة أخرى السؤال المطروح بالنسبة لنا ليس استخدام الكفاح المسلح او عدم استخدامه لاننا كثوريين نعتقد بأن الكفاح المسلح هو جزء من الكفاح لاسقاط الانظمة القمعية بما فيها النظام الصهيوني في اسرائيل واسقاط الامبريالية في الشرق الاوسط . السؤال الذي نركز اهتمامنا عليه هو اذا كان بالامكان تحقيق مثل هذه النتائج ضمن الاطار الفلسطيني المحض . كذلك ينبغي الا نقع فريسة الاعتقاد الخاطىء بأن كل ما يمكن ان يقدمه العمل الفلسطيني الى الثورة العربية هو استخدام السلاح في الكفاح ليس الا . الكفاح المسلح هو جزء من عملية النضال او الكفاح السياسي الشاملة ، والعمل الفلسطيني ينبغي الا يشذ عن هذه القاعدة . من النتائج السلبية التي ظهرت للنزعة التي لا ترى في الكفاح الفلسطيني الا تعقعة السلاح اضمحلال النضال الذي تصاعد في فترة سابقة في الضفة الغربية ضد الاحتلال الاسرائيلي . ان السبب في ضمور هذا النضال واضمحلاله لا يرجع الى القمع الاسرائيلي وحده ، بل يرجع ايضا الى الجو الذي خلقته حركة المقاومة الفلسطينية في التشديد الكلي على حمل السلاح والتخفيف الشديد (حتى حدود الازدراء) من شأن النضال السياسي واهميته الجماهيرية .

لقد وصف البعض منظمتكم بانها تروتسكية وقالوا ان لها روابط بالاممية الرابعة . ما هو رايك في ذلك ؟

ان مصدر هذا التصنيف هو انتماء بعض اعضاء المنظمة الى خط الاممية الرابعة وذلك قبل انتسابهم الى الماتزبن . ولا يشكل هؤلاء جماعة كبيرة داخل المنظمة . منظمة ماتزبن ككل ليست تروتسكية ، والاتجاه العام لمعظم اعضائها ليس اتجاها تروتسكيا بالمعنى السياسي ، واعتقد ان اغلبية الاعضاء سوف يرفضون تصنيفهم كتروتسكيين . وينطبق هذا علي شخصيا بالتأكيد . توجد وجهات نظر اوافق عليها في الخط التروتسكي ولكن هناك أمورا أخرى كثيرة اختلف فيها معهم تماما . على سبيل المثال اذكر ان أحد أعضائنا ، سعيد ، كانت له صلات قديمة بالاممية الرابعة . وبما ان منظمتنا هي التنظيم الثوري الوحيد في اسرائيل لا بد وان تتمثل فيها عدة اتجاهات . في الواقع كان في المنظمة اتجاهان تروتسكيان صغيران جدا ، وقد انفصل احدهما وهو الاتجاه « اللومباردييست » علما بأنه ليس لهذه الجماعة اي ارتباط بالاممية الرابعة . أما المجموعة الاخرى المؤيدة للاممية الرابعة فما زالت داخل المنظمة ولكن عدد افرادها قليل . ولم

نعان من اية متاعب كبيرة داخل المنظمة بسبب هذه المسالة لان الخلافات بين التروتسكيين وغير التروتسكيين حول قضايا الشرق الاوسط قليلة . اما بالنسبة لقضايا عالمية اخرى مثل الطبيعة الطبقية للمجتمع في الاتحاد السوفياتي فهناك خلافات ولا تلتزم منظمة ماتزبن ككل بالاجتهاد التروتسكي في هذه القضايا .

لقد طرحتم فكرة « حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي » ضمن سياق انتصار الثورة الاشتراكية على المدى البعيد في منطقتنا . وقد اثيرت بعض التساؤلات حول مضمون هذا الموقف من جانبكم . لذلك اريد المزيد من الايضاح حول النقطة التالية : معروف ان مطلب حق تقرير المصير يخص الشعوب المضطهدة (بفتح الهاء) ، كما انه واضح ان الشعب الفلسطيني هو الشعب المضطهد في ظل الظروف السائدة في الشرق الاوسط والشعب الاسرائيلي ، بقيادة طبقته الحاكمة ، هو الشعب المضطهد (بكسر الهاء) . فما هو معنى مطالبتكم بحق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي ؟

يجب أن يكون واضحا ان مسالة حق تقرير المصير في الشرق الاوسط لا يمكن ان تعني في الوقت الحاضر الا تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني الواقع تحت الاضطهاد الاسرائيلي والسيطرة الاسرائيلية كما تقولين . هذا هو المحتوى الواقعي حاليا لمسالة حق تقرير المصير . في الواقع كانت هذه القضية من العوامل الهامة التي ادت الى ابتعادنا عن التعاون مع يوري افنيري ومجموعته في عام ١٩٦٦ . طرحنا يومها قضية مهمة تتلخص بتثبيت مطلب حق تقرير المصير للعرب ، اي كنا واعين لهذا الحق حتى قبل حرب ١٩٦٧ . بالاضافة الى ذلك كنا نعتبر ان التنفيذ الصحيح لمضمون الشعار لا يعني خلق دولة فلسطينية منفصلة او دمج الشعب الفلسطيني في المجتمع العربي على اساس الوضع الراهن وتوازن قواه ، بل يعني قيام دولة اتحادية اشتراكية في الشرق الاوسط . في الواقع هذا هو الاطار الذي ننظر من خلاله الى مستقبل الشعب الاسرائيلي نفسه . بعبارة اخرى نحن نؤيد حق تقرير المصير لعرب فلسطين ولا خلاف بيننا حول هذا الموضوع على الاطلاق . اما بالنسبة لما نعنيه بحق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي فان نقطة البدء في تفكيرنا هي اننا لا نرى اي حل تاريخي ممكن للقضية الفلسطينية الا من خلال قيام جمهورية اشتراكية في الشرق الاوسط تضم بالضرورة تقسيمات داخلية وفرعية لاسباب عديدة منها وجود اقليات قومية غير عربية في الشرق الاوسط . حتى لو لم تكن هذه الاقليات موجودة ستضم الدولة المذكورة بالضرورة تقسيمات داخلية تتناسب مع السمات الخاصة لاجزاء الامة العربية وتاخذ تنوعها بعين الاعتبار . ولا شك ان الفلسطينيين هم مجموعة معينة داخل الامة العربية. لكن بالاضافة الى ذلك توجد القوميات غير العربية التي نعتقد بانه يجب ان تكون جزءا من هذه الجمهورية الاشتراكية التي ستكون جمهورية عربية بمعنى ان الاكثرية الساحقة من سكانها هم من العرب . ان الفكرة التي حملناها ولا نزال نحملها تتلخص بالقول ان الحل الصحيح للقضية الفلسطينية هو الاقرار بوجود عنصر يتكلم العبرية داخل هذه الجمهورية الاشتراكية الموحدة في الشرق الاوسط . ويفترض هذا الحل منذ البداية سقوط الصهيونية . لذلك ان الكلام عن حق تقرير المصير لليهود الاسرائيليين لا يشكل مطلبا آنيا ولا معنى له في الوقت الحاضر وفي ظل الظروف القائمة . مع ذلك ينبغي اثارة الموضوع على المدى البعيد وكجزء من تخطيط عملنا السياسي للمستقبل ، لان اثارة قضية حق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي هي وسيلة اخرى لطرح السؤال التالي والحصول على جواب واضح له : هل نريد الوصول الى وضع يصبح فيه الشعب الاسرائيلي مضطهدا (بفتح الهاء) بدلا من أن يكون مضطهدا (بكسر الهاء) بعد سقوط الصهيونية وانتصار العرب عليها مثلا ؟ اي ان طرح قضية حق تقرير المصير هنا هي وسيلة لاستخلاص الجواب الثوري السليم على هذا السؤال . في الواقع بامكاننا طرح المسالة بصيغة لا تاتي على ذكر حق تقرير المصير ابدا وذلك على النحو التالي : اولا ، هل نعترف بأن الشعب الاسرائيلي يتمتع بكيان قومي بدلا من ان ننظر اليه كجماعة دينية ؟ ثانيا ، اذا اقررنا ايجابا بمضمون السؤال الاول هل نريد أن نحول الشعب الاسرائيلي في المستقبل الى قومية مضطهدة (بفتح الهاء) ؟ اذا قلنا باننا سوف نمنع من هذه القومية حقها في تقرير المصير في المستقبل نكون كمن يقول باننا سنجعل منها قومية مضطهدة .

اردت ان احصل على ايضاح لهذه المسالة لانه اسيء تفسيرها واستخدامها في بعض الاوساط . على سبيل المثال حدث منذ فترة قصيرة ان استغل بعض الفرنسيين ممن يدّعون اليسارية ، وهم في

الحقيقة مناصرون للصهيونية ، بعض الاقوال المنسوبة الى الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين حول حق تقرير المصير ليتوصلوا الى الاستنتاج التالي : الموافقة على مبدأ حق تقرير المصير تعني الموافقة على دولة اسرائيل كما كانت قبل حرب ١٩٦٧ لان الشعب الاسرائيلي اختار دولته ومصيره على هذا الاساس وعلى تلك الصورة .

الارجح ان الكتاب الفرنسيين المشار اليهم هم من انصار المابام . وبطبيعة الحال نحن لا نقبل هذه الفكرة على الاطلاق لما فيها من تشويه واضح لمبدأ حق تقرير المصير . لا شك ان «اليسار» الصهيوني يستخدم فكرة حق تقرير المصير كي يبرر وجود دولة اسرائيل على حالها . ولكن نحن بعيدون كثيرا عن هذه المواقف . في راينا ، عند نشوء وضع ثوري في المنطقة كلها قادر على اسقاط الصهيونية ينبغي ان يكون حل القضية الفلسطينية على اساس الاعتراف بأن الشعب الاسرائيلي يشكل مجموعة قومية وليس مجرد جماعة دينية كما ترى منظمة فتح مثلا . اذا نظرنا الى الاسرائيليين كجماعة دينية فقط يمكن تسوية المشكلة عندئذ على اساس اقامة دولة علمانية ، قد تكون دولة فلسطينية او دولة شرق اوسطية او دولة اتحاد اشتراكي عربي. ويكون المطلب الوحيد عندئذ هو ضمان الحريات الدينية وينتهي كل شيء عند هذا الحد . لكن هذه المشاريع والحلول لا تنطبق على الواقع لان الشعب الاسرائيلي ، اي الشعب الذي يتكلم العبرية في المنطقة ، ليس جماعة دينية ، وانه لمن السذاجة الاعتقاد بأن هذه القضايا المعقدة تنحل بمجرد اعتبار الاسرائيليين جماعة تعتنق دينا معينا . ان اي حل واقعي للمسألة لا يريد ان يغرق بالاوهام عليه ان يأخذ بعين الاعتبار حقيقة معينة هي ان الشعب الاسرائيلي يتصف بالخصائص المشتركة للقومية وروابطها .

هل يمكن القول ان الاسرائيليين هم قومية في طور التكوين اي ان الخصائص المشتركة والمتعارف عليها في تحديد الامة او القومية لم تكتمل بعد عندهم ؟

نعم . هذا صحيح الى حد كبير كما انه ينطبق ايضا على الامة العربية التي لا تشكل بعد امة مكتملة كليا .

الا ترى انه مع استمرار الكفاح والصراع في المنطقة سوف تنضج عمليات التكوين هذه اكثر فاكثر ؟

طبعا وبكل تاكيد . هنا اريد ان اعود لايضاح نقطة مهمة : نحن لا ندعو الى فكرة الوجود المنفصل او الدولة المنفصلة للشعب الاسرائيلي كما اننا لا نؤيد اي من هذه الاتجاهات . على العكس من ذلك ، نحن نعتقد انه ينبغي على الاسرائيليين الاندماج في جمهورية اشتراكية كبيرة في الشرق الاوسط . وقد توصلت منظمة ماتزبن الى هذا الاستنتاج عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ وقبل اندلاع الحرب الاخيرة . اضيف الى ذلك ان تحقيق هذا الحل لا يمكن ان يأتي من طريق فرضه بالقوة او بالقسر على الشعب الاسرائيلي ، بل يأتي عن طريق دعوته للمشاركة فيه طوعيا وللمشاركة في بناء الاشتراكية في المنطقة مع الطبقات العربية صاحبة المصلحة الجذرية في بناء الاشتراكية هنا . بعبارة اخرى نعتقد ان الوسيلة العقيمة لتحقيق هذه الاهداف هي فرضها بالقوة على الشعب الاسرائيلي، ومع اننا نعتقد ان اسقاط الصهيونية هو واجب ضروري مفروض على القوى الثورية (وهذا يعني استخدام العنف بطبيعة الحال) لكننا لا نعتقد ان دمج الشعب الاسرائيلي في الجمهورية الاشتراكية للشرق الاوسط يجب ان يتم عن طريق فرضه بعنف مماثل لعنف اسقاط الصهيونية . لو كانت الظروف الثورية افضل في منطقتنا لما اضطررنا لمناقشة هذا الموضوع بل لاكتفينا بنشر الدعاية والتثقيف في صفوف الجماهير الاسرائيلية لصالح الاندماج في العالم العربي . ولكن العامل الذي يضطرنا لفتح هذا الموضوع ومناقشته هو ان قطاعات واسعة جدا من حركة الثورة العربية غير واعية لهذه المسألة وابعادها . بالاضافة الى ان جزءا هاما من الحركة الفلسطينية نفسها يشعر انه لا يوجد ثمة شيء اسمه الكيان القومي العبراني مثلا او ان الاسرائيليين لا يشكلون اي تجمع قومي على الاطلاق بل هم مجرد تجمع ديني . ونحن نعتقد ان هذا التقدير خاطىء تماما وكل ثوري يعمل على غير هذه الاسس سيصدمه الواقع بحقائقه في يوم من الايام . لاكون واضحا اقول انني لا اتكلم الان عن المسألة القومية للفلسطينيين العرب لانه لا خلاف حولها اصلا كما بينت ، اني اتكلم عن مستقبل الشعب الاسرائيلي لابين ان هذه القضية هي مسألة قومية ايضا . وبما ان الوعي لهذه الحقيقة مفقود او ضعيف جدا في الاوساط الثورية العربية نجد انفسنا مضطرين للتشديد عليها في مخاطبتنا لرفاقنا الثوريين في العالم العربي ولفت انتباههم الى وجود مشكلة عليهم ان يفكروا بها .

هذا هو تفسير اثارتنا لموضوع حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي لا اكثر . لنفترض الان ان الصهيونية قد سقطت . ماذا سيحدث للشعب الاسرائيلي ؟ هنا اعتقد ان الجواب الثوري الصحيح هو ان يندمج الشعب الاسرائيلي في العالم العربي على النحو المذكور وان يقبل الشعب العربي بهذا الاندماج ويطالب به بدون ممارسة اي ارغام او قهر على الاسرائيليين .

يعني منح حق تقرير المصير ، من ضمن ما يعنيه ، حق الانفصال وليس الاندماج فقط وكلامك يركز على الاندماج وكأنك تريد الغاء الاحتمال الاخر . ماذا يحدث مثلا لو ان اكثرية اليهود الاسرائيليين اختاروا الاستقلال الذاتي او الدولة المنفصلة ؟

ان استخدام العنف كوسيلة لاسقاط الصهيونية مشروع ومبرر تماما ولكن استخدامه كوسيلة لفرض اي حل ، حتى لو كان الحل الصحيح، على الشعب الاسرائيلي بعد اسقاط الصهيونية هو غير مبرر بالتأكيد . لنفترض الان ان تبدلا جذريا طرأ على ميزان القوى في الشرق الاوسط واصيبت اسرائيل بهزيمة عسكرية وبأزمة داخلية طاحنة جاءت بحكام جدد قاموا بتنفيذ ما يلي : الغاء الطابع الصهيوني للدولة ، الغاء كافة القوانين الصهيونية بما فيها قانون العودة ، التوقف عن كل دعاية او عمل من شأنه ان يشجع على هجرة اليهود ، رفع كل اضطهاد لاحق بالعرب ، اعادة كافة اللاجئين الذين يريدون العودة والتعويض على الذين لا يريدون العودة ، التنازل عن كافة الاراضي التي يشكل العرب فيها اكثرية السكان اذا اختاروا الانفصال، تنفيذ سياسة معادية للامبريالية بالتحالف مع القوى التقدمية في العالم العربي . كل ذلك ولكن مع الاصرار على المحافظة على سيادة منفصلة لدولة اسرائيل . هل نعتبر هذا حلا مرضيا . الجواب هو بالنفي وانا ضد مثل هذا الحل وساشترك في كل نضال سياسي لكسب الجماهير الاسرائيلية لصالح فكرة التنازل الطوعي عن السيادة المنفصلة . ولكنني سأكافح بقوة ايضا ضد اية محاولة لفرض ذلك على الجماهير الاسرائيلية بالقوة والقهر الخارجي . سأفسر وجهة نظري كما يلي : عندما نقرأ كتابات لينين حول المسألة القومية نجد انه يقول بوضوح بوجود خط مختلف للدعاية الثورية في صفوف الاقلية وخط آخر للعمل في صفوف الاكثرية. عندما نقوم بالعمل السياسي ضمن صفوف الاكثرية علينا ان نشدد على الناحية الطوعية في الاندماج ، اي على الاعتراف بحق الاقلية في الاختيار . عندما نعمل داخل صفوف الاقلية علينا ان نشدد ، في كثير من الحالات وان لم يكن في مجموعها ، على قضية الاندماج . طبعا لا يوجد اي تناقض بين هذين الخطين . انه بكل بساطة الفارق في أسلوب الدعاية بين الجماهير الاسرائيلية والجماهير العربية حول الموضوع المطروح .

اي انك تريد تطبيق تقسيم العمل كما اقترحه لينين.

طبعا ، وهذا يعني وجود فارق صغير بين الدعاية الموجهة الى الجماهير العربية وبين الدعاية الموجهة الى الجماهير الاسرائيلية . اسرائيليا ينبغي على الثوري أن يشدد في عمله وتثقيفه على مسألة الدمج الذي يفترض انه سيأتي طوعيا وليس قهرا وارغاما . عربيا يكون التشديد على فكرة منح حرية الاختيار للاقلية القومية المعنية . لذلك نعتقد ان الاساس الوحيد للاندماج هو التأكيد على امكانية الاختيار الحر من حيث المبدأ ، علما بأن مبدأ حق تقرير المصير لا يعني دوما وبالضرورة الانفصال لان نتائجه على ارض الواقع وفي المستقبل تعتمد الى حد كبير على طبيعة العمل السياسي الذي نقوم به الان . وظيفتنا في العمل بين الجماهير الاسرائيلية لا تتطلب منا التشديد على مسألة حق تقرير المصير . ان دورنا الاساسي هو التشديد على الرغبة في الاندماج في العالم العربي على النحو المذكور . هنا اريد ان اضرب مثلا بالموقف الذي وقفه الحكم الوطني الجديد في السودان من قضية جنوبي السودان ونزعته الانفصالية . واضح ان النظام الوطني لا يريد انفصال الجنوب ولكنه يدرك ايضا ان الوسيلة السليمة الوحيدة لمنع ذلك من الحدوث هي دعوة سكان الجنوب الى الانضمام طوعيا الى بقية البلاد وعلى اساس الاختيار الحر. لقد قال النظام السوداني للجنوبيين نحن نعترف بكيانكم الخاص وندعوكم للاشتراك في الكفاح معنا. نحن نعتقد ان هذا هو الموقف السليم تجاه قضية الاقلية القومية الاسرائيلية وهذا ما نعنيه بكلامنا عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي. مرة اخرى اقول ان عملية الدمج ينبغي ان تتم عن طريق دعوة عربية توجه للشعب الاسرائيلي للمشاركة في دولة اشتراكية واسعة وليس عن طريق الارغام، ويبدو لنا ان الانموذج السوداني يشكل ، من حيث المبدأ ، مثلا يحتذى لانه يريد على ما يبدو بناء سياسته على مثل هذه الدعوة الحرة الموجهة لسكان الجنوب والعمل على انجاحها .

مشروع انشاء المستعمرة اليهودية في يوغاندة

خالد القشطيني

عرضت الحكومة البريطانية في سنة ١٩٠٣ على المنظمة الصهيونية مستعمرة ذات حكم ذاتي لليهود في افريقيا الشرقية . وتلقي قصة هذا العرض اضواء مفيدة على تفكير الصهاينة وخاصة بالنظر لتجرد هذه القصة من التحزب والعاطفية التي ترتبط عادة بالقضية الفلسطينية ، وبالرغم من أن القصة بذاتها قد أصبحت في حكم النسيان الان . أما خلفية ومقدمات ذلك العرض فتدور حول الهجرة اليهودية الكثيفة من اوروبا الشرقية الى غربيها في اوائل هذا القرن . وادت معاداة السامية التي اخرجت اليهود من الشرق الاوربي الى ايقافهم عند مشارف العواصم الغربية ووصد الابواب امامهم . واضطرت الحكومة البريطانية في غمرة الاحتجاجات والمجادلات الى تشريع لائحة الاجانب التي استهدفت منع المهاجرين اليهود من دخول الجزر البريطانية . وحدث ان قامت لجنة تحقيق بدراسة الموضوع قبل اصدار القانون واستمعت الى كثير من الشهود والخبراء بمن فيهم الدكتور ثيودور هرتزل ، مؤسس المنظمة الصهيونية ورئيسها . واشار الزعيم الصهيوني في شهادته الى ان دخول اليهود الى بريطانيا سيؤدي الى تدهور احوالهم وتفاقم مشكلتهم وان الجواب الوحيد المعقول الذي ينبغي اعطاؤه للمهاجر اليهودي هو في ارساله الى مكان اخر(١). وقام هرتزل بشرح نصيحته خلال مقابلته مع جوزيف شمبرلن الذي كان قلقا حول خطر تدفق اليهود عبر القنال الانكليزي.وكان شمبرلن انئذ وزيرا للمستعمرات في حكومة ارثر بلفور فنظر الىالموضوع من زاوية اختصاصه وفي نطاق المفاهيم الاستعمارية الاستيطانية (الكولونيالية) . لم لا يعطى اليهود رقعة من الارض من الامبراطورية البريطانية الواسعة ويسكنون فيها بعد اخراج المواطنين الاصليين ؟ واتجه التفكير اولا الى قبرص وسيناء ، ولكن الحكومة البريطانية سرعان ما وجدت هاتين المنطقتين خارج الامكانية واجدر من أن تعطيا لليهود . وحظي هرتزل بمقابلة اخرى مع شمبرلن في ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٣ فقال له وزير المستعمرات ، حسب رواية هرتزل التي سجلها في مذكراته مباشرة في اليوم التالي ، « لقد وجدت لك ارضا خلال سفراتي وهذه الارض هي يوغندة . انها حارة عند الساحل ولكن المناخ يصبح ممتازا في الداخل ، حتى بالنسبة للاوروبيين . ويمكنكم فيها ان تزرعوا السكر والقطن . وقد قلت لنفسي ، هذه ارض مناسبة للدكتور هرتزل »(٢). وكان جواب هرتزل جوابا طماعا فقال ان اليهود سيأخذون اولا العريش ثم يوغندة ايضا . بيد أن حكاية العريش لم تثمر شيئا وابلغت وزارة الخارجية في ٦ تموز (يوليو) المنظمة الصهيونية رسميا بأن الحكومة المصرية (تحت هيمنة اللورد كرومر) لم

تكن مستعدة « لتشجيع المشروع »(٣). والحقيقة هي أن هرتزل قد سبق له أن وصل الى النتيجة بأن مشروع سيناء قد « خرب » بعد مقابلته لوزير المستعمرات بقليل(٤).
ومن الجلي ان شمبرلن قد وقع في سوء فهم فان الارض التي كان يفكر فيهـا لم تكن في الحقيقة يوغندة وانما هضبة غوس نغيشو في محمية افريقيـة الشرقية . واتضح ذلك لمثل هرتزل في انكلترا ، ليوبولد ج. غرينبرغ ، في ٢٠ أيار (مايو) . وقام غرينبرغ باعلام هرتزل فورا بالحقيقة(٥). ولكن القصة ظلت تعرف بشكل عام بقصة يوغندة رغم مناقضة ذلك للواقع . والتأم المؤتمر السادس للمنظمة الصهيونية في اغسطس وطرحت القضية على المندوبين بكاملها . وبذلك رفع الستار عن اصخب مشادة وفتنة تركت جروحا عميقة على وجه الحركة الصهيونية لسنوات طويلة ، على حد قول ليونارد شتاين(٦).
ونشأ الصراع عندما اصر الصهاينة من روسيا بشكل عام على فلسطين بينما استحسن المندوبون من اوربا الغربية اجمالا قبول فكرة افريقيا الشرقية . وكانت نقطـة الخلاف تدور حول القبول بقرار يخول القيادة الصهيونية ارسال لجنة دراسية الى المنطقة لتحري الموضوع وتقديم تقرير بذلك . وقرر المؤتمر بعد جلسة عنيفة قبول القرار بأكثرية ٢٩٥ صوتا ضد ١٧٧ صوتا وبلغت حدة المناقشة درجة هاجمت فيها احدى المندوبات المنصة ومزقت خريطة يوغندة التي وضعت لاول مرة وراء المتكلمين بدلا من خريطة فلسطين . وتصف المصادر الصهيونية تلك الجلسة بعبارات مفعمة بالعواطف فتقول مثلا ان أولئك الذين صوتوا ضد القرار وفشلوا تركوا القاعة وانسحبوا الى غرف جانبية حيث القوا بأنفسهم الى الارض وراحوا يبكون الما .
وبقيت الحركة الصهيونية لسنوات عديدة منقسمة الى معسكرين ، الاول منهمـا اولئك الذين صوتوا مع القرار (وسموهم بالالمانية اليا ساكر ، او قائلي نعم) والثاني منهما اولئك الذين صوتوا ضد القرار (وسموهم بالناين ساكر ، او قائلي كلا) . وقد كال كل منهما للاخر بكل ما يوجع من سب وشتيمة على مر الزمن وحيثما التقوا ، فاتهموا مثلا زعيمهم ثيودور هرتزل بالخيانة وعدم الامانة والتزوير . وقال بعضهم ان هرتزل قد طرح القرار على المؤتمر بدون موافقة لجنة الفعاليات الكبرى (ما يقابل اللجنة التنفيذية)(٧).
واضطر مؤسس مدرسة الصهيونية السياسية الى قضاء الاشهر الباقية من حياته يشرح ويفسر ، يدافع ويحاجج ، حتى عجز قلبه المعتل عن مواصلة الصراع ومهادنة اتباعـه فلفظ آخر انفاسه في ٣ تموز (يوليو) ١٩٠٤ . وفي السنة التالية ، اجتمع المؤتمر السابع للمنظمة الصهيونية فقرر في ٣٠ تموز نقض القرار السابق وقصر الجهود الصهيونية على فلسطين فقط .

وعنت قضية يوغندة بالنسبة لدعاة الحركة الصهيونية واعلامييها مسائل مختلفة ، اولها ان اليهود يكوّنون شعبا تعامله الدول الكبرى وتتفاوض معه بهذه الصفة ، وثانيها ان اليهود لم يكونوا ليقبلوا اي شيء يقل عن كيان دولة مستقلة كاملة السيادة ، وثالثها انهم اعتبروا فلسطين وطنهم الأوحد الذي لا يمكن أن يحل محله وطن اخر . وهكذا كتب برل لوكر ، الزعيم العمالي الصهيوني معلقا على قصة يوغندة « ... ولا بد من الاعتراف بأنه لا يوجد مشروع كهذا يمكن له ماديا او معنويا ان يأخذ مكان فلسطين . » واضاف مؤكدا فقال «فلسطين بالنسبة للشعب اليهودي وطن لا يمكن استبداله»(٨). والواقع ان معظم الصهاينة قد وجهوا انظارهم حقا صوب فلسطين، ولكن ما الذي جعلهم يغيرون اتجاههم في عام ١٩٠٣ ويعودون فيديرون الدفة كرّة اخرى في عـام ١٩٠٥ ؟ ان الفترة الجديرة بالدراسة للجواب على هذا السؤال هي فترة الـ ٢٢ شهرا التي تخللت ما بين المؤتمر السادس والمؤتمر السابع. والدرس المهم الذي تتمخض عنه هذه الدراسة هو انه حيثما وكلما اقتضى على الصهاينة الاصغاء الى راي الاغيار (غـير اليهود او الغوييم) اعاروا سمعهم الى معادي السامية . وسرعان ما نكتشف ان قصة يوغندة قدر لها ان تصبح

اول مناسبة استخدم فيها معادو السامية الصهاينة كادوات طيعة في تنفيذ سياساتهم الرجعية والعنصرية . وكما ذكرنا آنفا ، لم تكن معرفة جوزيف شمبرلن عن يوغندة عندما تقدم بعرضه الى هرتزل تزيد في شيء عن معرفة بلفور عن فلسطين عندما أصدر وعده . بيد أن فرقا جوهريا قد ميز بين الحالتين وهو ان فلسطين لم تحتو على مستعمرين بيض بينما احتوت يوغندة على مستعمرين من الانكلوسكسون ممن لم يكونوا مستعدين لتحمل اليهود قرب منازلهم. وبمجرد ان قرأ غرينبرغ رسالة اللورد لانسداون، وزير الخارجية، الى المؤتمر الصهيوني السادس في ٢٦ آب (اغسطس) هبت عاصفة من الاحتجاج من افريقيا الشرقية . ونشرت صحيفة التايمس اللندنية برقية من اللورد دلامير في ٢٨ منه بعنوان نيروبي ، يوغندة. ونورد النص الكامل للبرقية لما يتضمنه من المفاهيم الاستعمارية والمعادية لليهود مما كان سائدا في أذهان الاستعمار الغربي آنئذ : « المشاعر هنا عنيفة ضد ادخال اليهود الاجانب . جانب سكة الحديد يصلح لاستيطان بريطاني ٢٦٠ ميلا . وزارة الخارجية تقترح اعطاء احسن ٢٠٠ ميل لاجانب غير مرغوب فيهم . الهذا الغرض بنيت السكة الباهظة الثمن وانفقت المبالغ الجسيمة على البلد ؟ فيض من اناس بهذه الشاكلة يؤدي حتما الى مشاكل مع المواطنين نصف المتوحشين الحريصين على حقوقهم ويعني مزيدا من الرجال للسيطرة عليهم . هل يرضى دافع الضريبة البريطاني المالك لافريقيا الشرقية ان يعطي بلدا جميلا وغنيا الى أجانب ؟ أما عندنا من مستعمرين استيطانيين من جنسنا ؟ البلاد يجري استصلاحها وايطانها تدريجيا وباحكام بواسطة مستعمرين بريطانيين . الانكليز هنا يهيبون بالرأي العام ولا سيما رأي من يعرف هذه البلاد ضد هذا التصرف الاعتباطي واغراق البلاد ومستقبلها الباسم . »(٩)

وسرعان ما تبع ذلك سيل من الاحتجاجات بما فيها برقية من اتحاد المزارعين وملاك البساتين وأخرى من لجنة المستوطنين في نيروبي تهدد « بمقاومة المشروع بكل ما اوتيت من قوة »(١٠) وبعث اسقف مباسا بعريضة في ٨ ايلول (سبتمبر) الى حاكم افريقية الشرقية ، السر شارلس اليوت ، يمزج فيها الدين والاستعمار مزجا طريفا . بدأ الاسقف عريضته بالاشارة الى الاراضي الثمينة الممتدة على طول سكة الحديد والتي ينبغي عدم التفريط بها بتسليمها الى بعض « اليهود المنحطي المنزلة » ، ممن سيصبحون « أثرا سيئا على القبائل الافريقية سياسيا وأخلاقيا ودينيا » . وقام الحاكم البريطاني بتحويل العريضة المسهبة الى وزارة الخارجية طي كتاب منه يتعاطف مع العريضة ويعرب عن شكوك الحاكم حول المشروع وعن مخاوفه من اندلاع النزاع بين اليهود والمستوطنين البيض .

وفي لندن ، أثار نداء اللورد دلامير الموجه الى من عرفوا البلاد من الانكليز همة الخبراء في الشؤون الافريقية وعلى رأسهم السر هاري جونستن، الرحالة الكبير والخبير في افريقيا، فشن حملة ضد المشروع في سلسلة من المقالات والرسائل التي نشرها في التايمس والديلي غرافك . وعمد في احدى رسائله الى اخافة اليهود بالكركدن الذي فتك بالمستوطنين البيض.(١١) ويتضح اثر حملته في اليهود من الحيز الذي أعطته له صحيفة الجويش كرونكل ، صحيفة الطائفة اليهودية في بريطانيا . ونشرت الجويش كرونكل مقابلة صحفية معه نصح اليهود فيها بترك افريقيا جانبا . وقد بدأ تصريحاته بنفي صفة معاداة السامية عن نفسه وبحبه لليهود (وهو ما يعني عادة نقيض ذلك) ثم نقل الحديث الى الثروة الامبراطورية التي تكمن في يوغندة فتساءل عن العدالة التي عنت بالنسبة له آمال المستوطنين الانكليز . أمن العدل ، مضى السر هاري مستغربا ، ان تعطى ارض كسبتها انكلترا بأموالها ودمائها الى شلة من الاجانب ؟ وقدر جونستن مساحة المنطقة المعنية بـ ٢٣،٠٠٠ ميل مربع لا يصلح منها للاستثمار غير ١٨،٠٠٠ ميل مربع ، وهو ما لا يكاد يكفي للاستيطان الاوربي (أي غير اليهودي) . وفي ختام حديثه أشار على اليهود بالتوجه الى فلسطين فذكر مدعيا : « لقد كان من مشاريعي المحببة الى نفسي وما زال

ان ارى دولة يهودية في فلسطين وارى مجد اليهود يرتفع عاليا فيها . » ولفت جونستن الانظار الى مطامع الدول الاخرى في فلسطين فذكر ان اعطاءها لليهود سيكون احسن وسيلة لقطع دابر تلك المطامع.(١٢)

واستمرت الصحافة البريطانيـــة طوال ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) بنشر رسائل ومقالات تعارض توطين اليهود غير المرغوب فيهم قرب المستوطنين الانكليز . واعرب الكثير من النواب عن آراء مشابهة في عدة مناقشات في البرلمان البريطاني.(١٣) وقد ظهرت النزعات المعادية للسامية بدون تستر او حياء في كثير مـــن التصريحات التي صدرت حول المشروع ، ولكن معاداة السامية بحـــد ذاتها تحتاج الـــى علل لوجودها وتفاقمها ، ونحن نجد هذه العلل في التطورات الاقتصادية التي اصبحت حقيقة واقعة منذ أن تحدث شمبرلن الى هرتزل حول مشروع يوغنـــدة . نشرت الجويش كرونكل في ١٨ ايلول ملخصا مقتضبا لتقرير سكك حديد يوغنـــدة الذي ذكر ان ٥،٢٣٨،٠١٩ جنيهـــا استرلينيا قد سبق ان انفقت حتى ذلك التاريخ على السكة موضوع النقاش . وليس من تعليق على المسالة خير او اجدر بالصدد من تعليق الصحيفة على التقرير عندما ذكرت « ان من الممكن الاعتماد على هذا التقرير بثقة اكثر من الملاسنة البديعـــة التي دونت وكتبت حول الموضوع»(١٤).

واصبح مشروع السكة والاراضي التي ارتفع ثمنها نتيجة للسكة العمود الفقري لحملة السر هاري جونستن ضد المستعمرة اليهودية . واحتجت احدى الرسائل المنشورة في التايمس ضد اعطاء « احسن واخصب البقع في الامبراطورية البريطانية الى صنف من البشر لا يحتملهم الناس في جميع الدول الاجنبية ويعتبرونهم عنصرا غير مرغوب فيه في نفس مملكتنا »(١٥) وجنحت كفة الميزان ضد اليهود بدرجة اكبر عنـــد اكتشاف خامات معدنية في المنطقة المعروضة لليهود . واضافت صحيفـــة التايمس ثقل رأيها ضد الكفة الصهيونية في مقال افتتاحي في عمودين كتب في الاسلوب المميز للتايمس . قال محررها ان المشروع سيؤدي الى تقويض اتجاه التلاحم والاندماج الذي يكفل لليهود فرصة المساواة مع غيرهم ومعاملتهم كمواطنين مخلصين والى تعميق انعزاليتهم كشعب منفصل مختلف. والطريق الصحيح لليهود هـــو ان يتركوا افريقيا جانبا ويوجهـــوا مساعيهم الى وطنهم الحقيقي والثابت فلسطين(١٦) . وحدث ان انبرى لوسيان وولف، البحاثة اليهودي المتضلع والخصم اللدود للصهيونية ، فدافع بقوة عن اهمية فكرة الاندمـــاج اليهودي وهـــاجم اي مشروع لمعاملتهم معاملة خاصة . وفي رسالته التي نشرتها التايمس وضمتها وزارة الخارجية الى ملفها المذكور اكد وولف ان اعطاء اليهود حكما ذاتيا في مكان ما يؤدي الى اضعاف مكانتهم المتساوية في كل مكان، ثم هاجم اية اشارة الى ما يسمى بالتقاليد القومية اليهودية وذكر أنه اذا تم تأسيس هذه المستعمرة اليهودية فستكون هذه التقاليد فيها هي « العادات السيئة للحياة التي نمت مع الاسف بين يهود اوربا الشرقية »(١٧).

ويبرز من المعلومات الآنفة رأي قوي ذو تأثير واضح ظهر في بريطانيا ووقف معارضا لاي وجود يهودي في محمية افريقيا الشرقية الغنية . وقضي على المشروع تدريجيا لا بارادة اليهود وتعلقهم العاطفي بفلسطين وانما بسلسلة من الحركات التكتيكية التي اجرتهـــا المصالح المالية والاستعمارية العظيمة النفوذ في الامبراطورية البريطانية . وقد راينا كيف صحح شمبرلن نفسه سراعا فاستثنى يوغندة من المشروع . وكانت الرقعة التي تركت في الاخير لليهود عبارة عن هضبة وعرة مساحتها ١٨،٠٠٠ ميل مربع لا تكاد تكفي لاعاشة مليون شخص(١٨). وسلكت وزارة الخارجية ، في مفاوضاتها مع المنظمة الصهيونية ، سلوكا صعبا ايضا وخيبت آمال الصهاينة في كثير من النقاط ، كما سنذكر توا .

وجاءت ضربة الختام من لجنة التحقيق التي بعثت بهـــا المنظمة الصهيونية الى المنطقة فرجعت بتقرير سلبي غير مشجع . ولا بد أن نترك لحدس القارىء مسالة تفكير اعضاء اللجنة وتأثره بالشعور المعـــادي للسامية وضغطه ضـــد المشروع ولا سيما في المنطقة

نفسها، بيد ان من المعروف ان لويد جورج مثلا الذي تولى الجوانب القانونية من المشروع كمحام للمنظمة الصهيونية (عندما كان في شركة لويد جورج ، روبرت وشركاهما) كان شخصيا معاديا للسامية(١٩) . وعليه فلم يكن اليهود هم الذين غيروا فكرهم ايمانا وتعلقا بفلسطين ، بل وزارة الخارجية التي وقعت تحت ضغط عنيف من الاستعماريين المعادين للسامية واذعن الصهاينة لهذا التغير في الاتجاه . ولعل من احسن الامثلة هنا مثال الدكتور وايزمان . لقد صور وايزمان نفسه في مذكراته كصهيوني مؤمن بقضية فلسطين كليا ودون اي تارجح في التفكير والقى كلمات مثيرة كسب فيها كثيرا من المندوبين الى التصويت ضد قرار يوغندة . وقد درس اوسكار رابينويز، الباحث الصهيوني المتطرف ، هذه القصة دراسة مستفيضة وتتبع مجريات المؤتمر السادس بامعان ، دون أن يخلص الى اي دلائل تثبت حقيقة موقف وايزمان هذا ، اللهم باستثناء تصويته السلبي على القرار . وفي خلاف ذلك نجد وايزمان وقد تحدث في المؤتمر مرحبا « بمشاريع سيناء وافريقيا الشرقية كذلك»(٢٠) . والواقع ان قارىء مذكرات الزعيم الصهيوني لا يملك الا ان يشعر بروح مضطربة وآثار تارجح في التفكير ما زالت ماثلة في كلمات وايزمان حول القصة بعد ما يقرب من نصف قرن من وقوعها .

وتوجه وايزمان حالما انفض المؤتمر الى انكلترا ليكتشف ما في مشروع يوغندة من الحقائق ، كما كتب في مذكراته وبما يفضح ذهنه المتشوش . وكان اول سياسي التقى به هو اللورد برسي الذي اصبح مساعدا لوزير الخارجية . واعرب اللورد برسي الى وايزمان عن « دهشة لا حد لها في ان يفكر اليهود بقبول مشروع يوغندة ولو بمجرد التفكير . » وكرجل « عميق الايمان بالدين » لم يستطع ان يفكر هو بتاتا في اي قطر يناسب اليهود غير فلسطين . وتلت هذه المقابلة زيارة لنفس الخبير الافريقي السر هاري جونستن فحذر هذا ضيفه الصهيوني من المستوطنين البيض الذين عقدوا العزم على مقاتلة اليهود في اللحظة التي يطأون فيها باقدامهم تربة افريقيا الشرقية . وكانت الزيارة الثالثة التي قام بها وايزمان قد خصصت الى السر وليم غوردن، النائب البريطاني المغالي في عدائه للسامية والذي قاد الحملة ضد السماح لليهود بدخول انكلترا(٢١) . ووجد وايزمان في السر وليم رجلا متفهما لمشكلة اليهود . وبعد هذه الجولة الاستطلاعية للحقائق ، انصبت انظار وايزمان على فلسطين وفلسطين فقط .

وكثيرا ما يشير المؤرخون الصهيونيون الى تبني المؤتمر السادس لمشروع يوغندة على اعتباره قرارا باغلبية ضئيلة . ومن الجلي أن تصويتا بأكثرية ٢٩٥ صوتا ضد ١٧٧ صوتا لا يمكن ان يعتبر بأكثرية ضئيلة . ومع ذلك فان الحقيقة الحسابية ليست هي كل شيء بل من الضروري ايضا تقدير حقيقة مشاعر الجماهير اليهودية ككل . ان معظم من صوتوا ضد القرار جاءوا من روسيا . وكتب مراسل الجويش كرونكل في ذلك البلد ان المندوبين الروس الى المؤتمر السادس لم يعبروا حقيقة عن آراء ناخبيهم في روسيا . « على وجه العموم ، الرأي في روسيا هو بشكل قاطع الى جانب المشروع وقد وجد الناس هنا ان من الصعب عليهم ان يفهموا تصرف الاقلية في المؤتمر »(٢٢) . ويؤيد استنتاج المراسل ما ذكره وايزمان في مذكراته من تحليل للاصوات التي اعطيت في جانب المشروع . وشملت هذه الاصوات صوت والده وصوت اخيه وجاءت عموما من الطبقة البرجوازية الصغيرة والاشخاص العمليين والمهنيين العاديين . ومن الغريب ايضا ان نجد ان الحزب الديني ، المزراحي ، قد صوت ايضا في جانب مشروع يوغندة ولم يجد حراجة دينية او عاطفية في صرف ذهنه عن فلسطين وارضها المقدسة . اننا هنا نواجه ذلك الموقف المعتاد الذي يتكرر في تاريخ الانسان السياسي وتداس فيه آراء الاكثرية الجماهيرية تحت اقدام محترفي السياسة الذين يتفننون في مؤامراتهم وفذلكاتهم لدعم مراكزهم على حساب جماهيرهم . وهكذا نكتشف ان اعنف معارضة للمشروع جاءت من زعماء حركة احباء صهيون (حوفيفي تسيون) ، ولا سيما من اوسشكين واحد

هاعام ، الذين سبق لهم ان صرفوا جهودا كبيرة في اقامة مستعمرات يهودية في فلسطين وراوا في مشروع يوغندة منافسا كبيرا لمشروعهم .

والنقطة الاخرى التي تجدر بالبحث هي مسألة الدولة الكاملة السيادة . وقد وصل اوسكار رابينويز الى النتيجة التالية بعد الحجج الوثائقية التي تحيز في انتقائها « وهكذا يظهر بدون أي شك : الصهيونية عنت دولة يهودية . لم يفكر هرتزل ولا غرينبرغ قط ان يتفاوضا مطلقا على اساس استبدال فلسطين بافريقيا الشرقية»(٢٣). بيد اننا بالرغم من منحى رابينويز في انتقاء وثائقه بل وحتى في نطاق شواهده ، نجد رسالة من غرينبرغ الى اللورد لانسداون تذكر ان مشروع يوغندة « سيضيف الى الامبراطورية البريطانية مستعمرة ستصبح بعد قليل من المستعمرات العظيمة الثروة » . وفي رسالة اخرى من وزارة الخارجية تحمل توقيع كلمنت هل نرى الحكومة البريطانية تحدد شكل الحكم الذاتي الداخلي الذي كانت بريطانيا تفترضه .

وعولجت هذه النقطة باسهاب خلال المفاوضات التي جرت حول مسودة اتفاقية مشروع الاستعمار الكولونيالي اليهودي . وقد كتب المسودة الجانب الصهيوني وظهر عليها نفس الغموض المتقصد الذي استطاع اليهود الصهاينة اضفاءه بحذق ومكر على تصريح بلفور فيما بعد (ولا سيما ما يتعلق باصطلاح الوطن القومي اليهودي) . وجاء منطوق المادة الخامسة من الاتفاقية بهذا الشكل : « لاصحاب الامتياز أن يقدموا لحكومة صاحب الجلالة ولموافقتها في أي وقت كان بعد الموافقة على الاراضي المذكورة وقبل التاريخ المذكور ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٩ مواد دستور يبين انظمة المستعمرة وادارتها وحكمها الصحيح وبحيث تنص احكام تلك المواد فيما تنص عليه ما يلزم لمعالجة الامور التالية. . . »

وقد كان كاتب الاتفاقية يحاول تضليل انظار وزارة الخارجية ولكن خبراء الوزارة لم يكونوا من السذاجة بحيث يفوت عليهم المدلول، فكتبوا على هامش المادة المقترحة التعليق التالي : « القوانين الحالية تعطي حاكم المحمية السلطة لاعلان منطقة ما مدينة واصدار الانظمة الخاصة لأمنها وشؤونها الصحية وحكومتها الصحيحة وبما يشمل سلطة جباية الضرائب للاغراض المحلية . ولا مانع من توسيع ذلك بمرور الزمن فتمنح المدينة عهدا بلديا تستطيع البلدية بمقتضاه ان تصدر تعليماتها الخاصة بها . واذا تملك اليهود جميع المنطقة **فسيعني ذلك عمليا اعطاءهم حكما ذاتيا محليا كاملا بشرط ان يبقى تحت سيطرة التاج البريطاني العامة** . ويبدو ان أي شيء اكثر من ذلك هو شيء غير معقول وغير ضروري » .

واشار وزير الخارجية بالحبر الاحمر فوضع خطا تحت الكلمات التي طبعناها بالحرف الاسود في ترجمتنا اعلاه . ثم اضاف بنفس القلم على الهامش ملاحظتين اثنتين : « يجب ان يفي هذا حقا بأمانيهم » . والملاحظة الثانية : « يبدو لي ان انتخاب رئيس بلدية يهودي لكل مدينة هو اقصى ما يمكن اجراؤه » . وتذكر الفقرة (د) من المادة الواردة الذكر ان الدستور المذكور سيحدد شكل العلاقات بين مواطني المستعمرة اليهودية ومواطني مستعمرات التاج على ان يصبح المواطنون اليهود رعية بريطانية . ومن الواضح ان الصهاينة كانوا يحاولون في هذه الفقرة ان يجمعوا رمانتين في يد واحدة ، وهو أمر طالما نجحوا فعلا في تحقيقه في معاملاتهم مع الغير . والامر الذي كانوا يريدون تحقيقه هو الجمع بين جنسيتين ، او ازدواج الجنسية ، الشعار الصهيوني المفعم بالانتهازية والمكر.

اما تعليق وزارة الخارجية فقد جاء مقتضبا قصيرا وقاطعا : « مستحيل تماما » . ولا بد من الاعتراف هنا ان وزارة الخارجية نفسها كانت هي ايضا تحاول مسك رمانتين في يد واحدة . فبينما ذكرت في تعليقها على الهامش ان العلاقات الخارجية للمستعمرة يجب ان تبقى بيد التاج ، نراها تصر في عين الوقت على استثناء الرعايا اليهود من الجنسية البريطانية. ويظهر ان وزارة الخارجية كانت قلقة من استعمال اليهود الروس للمستعمرة كنقطة انطلاق يقفزون منها وبواسطتها الى بريطانيا بجوازات سفر بريطانية يحصلون

عليها في المستعمرة .
ولم يأت ذكر لكلمة دولة على لسان اي من الطرفين في كافة مراحل المفاوضات . وتكلم ثيودور هرتزل في خطابه الى المؤتمر السادس فأشار الى « مستعمرة يهودية ذات حكم ذاتي في افريقيا الشرقية تديرها ادارة يهودية وحكومة يهودية محلية على رأسها حاكم يهودي على ان يخضع الجميع بالطبع للسيطرة البريطانية وسيادتها »(٢٤). وينطبق هذا على موقف هرتزل السابق فيما تعلق بمشروع سيناء ، فهناك في كتابه الى اللورد لانسداون عبارتان اثر عليهما وزير الخارجية بالقلم الازرق بخط وضعه تحتهما ، الاولى تقول « ضمان الحقوق الاستعمارية الكولونيالية » ، والثانية تقول « في ارض يستطيع عليها اليهود ان يتأكدوا من التمتع بثمرات عملهم »(٢٥). ومن المحتمل ان رابينويز وسواه من المؤرخين الصهيونيين ممن ادعوا بما يناقض ذلك قد وقعوا في الخطأ الذهني الشائع الذي يخلط فيه الانسان بين ما فكر به في الماضي وما قاله بالفعل ، وهو خطأ شائع في الادب السياسي الصهيوني نتيجة ذلك الازدواج الذي عاشه اليهود قرونا طويلة .
ويكاد يجمع كافة المؤرخين والناطقين الصهاينة على انكار تحول هرتزل وتغيير انظاره من فلسطين طوال فترة نشاطه السياسي . وهذا بالضبط ما أصر عليه باين ، كاتب قصة حياة هرتزل ، عند معالجته لمشروع يوغندة(٢٦). والحقيقة هي ان الرائد الصهيوني استطاع بما أوتي به من خيال خصب وبلاغة ادبية ان يخترع عدداً من الفذلكات البارعة اللغوية لتهدئة مناوئيه ومعارضيه ، فقال لهم مثلا ان الغرض من يوغندة هو استخدامها كملجأ ليلي (ناختسيل) يأوي اليه اليهود للاستراحة حتى تفتتح أبواب فلسطين لهم . وفي مناسبة اخرى تحدث عن يوغندة بشكل « انكلترا معكوسة » ، فبينما تقوم انكلترا بمهمة قاعدة يخرج منها المهاجرون الانكليز الى ارجاء العالم ، يجب ان يستخدم اليهود يوغندة قاعدة يهرع اليها اليهود من كافة ارجاء العالم قبل ضخهم ثانية منها الى فلسطين . وفي مناسبات اخرى أكد هرتزل لاعوانه ان قصة يوغندة ليست سوى خدعة ومناورة دبلوماسية لارغام السلطان العثماني والدول الكبرى على التحرك ومنح اليهود فلسطين قبل فوات الفرصة وانصراف اليهود الى يوغندة . والسؤال الآن هو ما الذي قصده هرتزل فعلا من المشروع ؟ هل كان يقوم بمناورة التفافية وراء الخطوط الدبلوماسية للاغيار ام كان يحاول ببساطة الالتفاف وراء المعارضة الصهيونية ومداراة نفوس انصاره من اليهود الذين طالما شقي وعانى منها .
ان فكرة استخدام مستعمرة بمساحة ١٨٠٠٠ ميل مربع واعمارها وتوطين مليون شخص فيها كمجرد ملجأ ليلي سرعان ما يطلب فيه من المستوطنين جمع متاعهم ثانية للهجرة مرة اخرى ، هي بدون شك فكرة رقيعة ولا يتقبلها العقل . والملاحظ ان المفاوضات التي جرت مع الحكومة البريطانية على النحو الوارد شرحه اعلاه وارسال لجنة التحقيق الصهيونية لمسح المنطقة كلها تشير الى استيطان ثابت ونهائي . ونحن نستطيع فهم تفكير هرتزل في هذا المقام فهما اصدق واقرب للحقيقة عن طريق شخصيته وليس عن طريق كلماته ومحاججاته . ومن المعروف ان انصاره المعجبين به يدافعون عنه بالقول بأنه قبل عرض انكلترا بعد ما رأى من الحالة التعيسة التي كان عليها يهود اوربا الشرقية ومدى حاجتهم الفورية الى حل انساني وملجأ يأوون اليه. وينطوي هذا التعليل بالطبع على حسن ظن فظيع في محترفي السياسة وعواطفهم الانسانية الرقيقة . ما يجب على الباحث ان يضعه امام عينيه في هذا المجال هو صفتان رئيسيتان في شخصية هرتزل، الاولى براغماتيته والثانية ميغلوميته . لقد كان هرتزل لا دينيا وبعيدا عن التقاليد الحياتية اليهودية ، ومن ثم فلم تكن فلسطين تعني كثيرا بالنسبة له . وعندما كتب كراسته الشهيرة « دولة اليهود » كان يفكر في دولة يهودية في اي مكان صالح في العالم بغض النظر عن فلسطين . بيد انه اتصل فيما بعد بحركة احباء صهيون الذين كانوا يشكلون العمود الفقري لطلائع الحركة الصهيونية ويتشبثون بفلسطين تشبثا عاطفيا كبيرا .

واضطر هرتزل غداة هذا الاتصال ان يبرم اتفاقا مع احباء صهيون يقيد بموجبه نفسه بالعمل لفلسطين فقط مقابل تأييد الحركة له . ومن الواضح طبعا ان هذا الاتفاق ينطوي على مساومة برغماتيـــة . وحدث ان نصح الزعيم الصهيوني اليهود بضرورة « اتبـــاع سياسات حسب ما تمليه الظروف »(٢٧) . ولربما كانت هذه النصيحة من النصائح النادرة في العالم التي جاد بها ناصح وسار عليها بالفعل في عين الوقت . لقد كان هرتزل يحاول عندئذ التملص من تعهده لاحباء صهيون باللجوء الى بهلوانيات سياسية جديدة أملتهـــا مقتضيات الساعة . ومن الخلافات الرئيسية التي حصلت بينه وبين احباء صهيون واتباع مدرسة الصهيونية العملية (امثال وايزمان) هـــو اصراره على رفض وايقـــاف كافة النشاطات المرحلية والرامية الى بناء الوطن القومي بشكل تدريجي عضوي . فما الذي حمله على قبول فكرة (الملجأ الليلي) وفكرة المرحلة التطورية التدرجية ليوغندة ؟

الاحتمال الاكبر هو ان صحته التي اخذت بالتدهور السريع اثرت على عملياته الذهنية وقراراته السياسية وجعلت ضيق الصبر والاندفاع العصابي (اللذين يشكلان عرضين مهمين للميغلومنيا) قوة ضاربة في تصرفات هرتزل . وكما يحدث باستمرار لكثـــير مـــن ساسة العالم ، كانت الازمة التي هزت هرتزل ازمته الخاصة بالذات وليس ازمة الملايين المعذبة من اليهود . لقد اصبحت ايام الملك الذي أراد ان يسير على رأس قافلة اليهود الى وطنهم القومي اياما معدودة على الارض . وعليه فلم يكن هرتزل يحاول ، حسب رأينا ، المناورة وراء وزارة الخارجية البريطانية وانما وراء صفوف اليهود من اتباعه ، ولكن وزارة الخارجية وكوادر منظمته اضرمت النـــار في مركبته وتخلصت من احراجاته بانهاء حياته هما وكمدا .

وانشق اتباع مدرسته من مؤيدي يوغنـــدة عن المنظمة الصهيونية وأسسوا منظمتهم الخاصة واطلقوا على أنفسهم اسم الاقليميين كناية عن بحثهم عن أي اقليم مناسب خارج فلسطين . واستمر بعض هؤلاء بالبحث عبثا عن اقليم ومواجهة الخيبة دائما برفض الدول لهم ، بينما استمر اخرون بالضغط على الحكومة البريطانية بمواصلة العمل على مشروع يوغندة . وكان بين هؤلاء الامـــير غولدرايخ الذي استشهد بحجج مـــن التلمود في دعم قدسية مشروع يوغندة وكتب الى الحكومة البريطانية يحثها على المضي بعرضها دون ان يتلقى منها غير رسالـــة مؤدبة تذكره بأنها قد قدمت عرضهـــا لليهود ولكنهم مع الاسف رفضوه (!) ولم يبق لها سوى ان تعتبر الموضوع مغلوقا(٢٨) . وبهذا كان الصهاينـــة قد قاموا بأول خدمة مشينة قذرة لوزارة الخارجية البريطانية والاستعمار الغربي .

وعلى كل فان الادعاء بوجود تعلق عاطفي يهودي عام بفلسطين ومما لا يمكن فصمه او تحويله هو من الخطأ على درجة لا تقل بكثير عن الخطأ الاخر الذي قد يخرج اليه القارىء من هذا المقال عندما يتصور ان فلسطين لم تعن اي شيء لليهود بتاتا . اذا كان لا بد لنا من تقرير الحقيقة بشكلها الموضوعي فعلينا ان نقول ان قسما معينا مـــن اليهود كانوا يشعرون بعلاقة عاطفية نحو فلسطين قابلة للتأثير شمالا او يمينا حسب الموقف العالمي واتجاهات الدول الكبرى . وكان المعادون للسامية والاستعماريون يتحكمون في شؤون هذه الدول وغيرها من الدول ووجدوا ان من الانجع لهم ابعاد اليهود من اوربا وافريقيا وتوجيههم الى فلسطين . وقام زعماء الحركة الصهيونية بدور الادوات المطيعة في هـــذه السياسة العالمية الارجاء .

ولا ضير من الاعتراف في هذا الصدد بأن سياسات هرتزل الديناميكية قد جادت بأكملها على المدى البعيد بالنسبة للحركة الصهيونية . فبالرغم من فشل مشروع يوغنـــدة فان قصته قد ساهمت في نجاح الحركة ايما مساهمة . ومن ذلك انها قد ساعدت على تثقيف عدد من الساسة الانكليز باتجاه موال للقومية اليهودية . ونذكر منهم بهذه المناسبة لويد جورج الذي عمل كمستشار قانوني ومحام للمنظمة الصهيونية في مشروع يوغندة واصبح رئيسا للوزراء في الحرب العظمى عندما اصدرت حكومته وعد بلفور . ومنهم ايضا ارثر

بلفور نفسه الذي كان رئيسا للوزراء عندما عرض شمبرلن مشروع يوغندة على هرتزل. ويقال مثل ذلك عن السر برسي الذي اصبح مساعدا لوزير الخارجية اللورد لانسداون. ولعب كل هؤلاء دورا رئيسيا في اصدار تصريح بلفور والدعوة للقضية الصهيونية لسنين طويلة في بريطانيا. ولعل هذا يعطينا مثالا حيا على الاختلاف الجوهري بين السياسة العربية والسياسة الصهيونية، بين الستاتيكية المتزمتة السلبية والديناميكية التي تقوم على المرونة وتعشيق التكتيك بالستراتيجية وبرمجة شعارات المدى القريب ضمن منظور المدى البعيد مما سيحتاج العرب لاتقانه الى سنين من التجربة والخطأ.

---

١ ــ افادة هرتزل موجودة بالنص في محضر اللجنة الملكية للتحقيق في هجرة الاجانب، ملحق تقرير اللجنة، ١٩٠٣، كوماند ١٧٤١.
٢ ــ مذكرات ثيودور هرتزل الكاملة، نيويورك، ١٩٦٠، ج ٤ ص ١٤٧٣.
٣ ــ وزارة الخارجية الى هرتزل، ١٩٠٣/٧/٦، ف.و/٥٤٧٩/٧٢، تركيا، ١٨٩١ ــ ١٩٠٥. الملف في دائرة الوثائق العامة، لندن.
٤ ــ هرتزل الى روتشيلد، ١٩٠٣/٥/٣٠، مذكرات ج ٤ ص ١٥٠١.
٥ ــ نفس المصدر، ص ١٤٩٨.
٦ ــ شتاين، ل، تصريح بلفور، لندن، ١٩٦٤، ص ٣٣.
٧ ــ باين، آ، ثيودور هرتزل، لندن، ١٩٥٦، ص ٤٥٣.
٨ ــ فلسطين والمستقبل اليهودي، كراسة بقلم برل لوكر، ١٩٤٢، ص ٢٥ و٢٧.
٩ ــ تايمس ١٩٠٣/٨/٢٩.
١٠ ــ هذا الاحتجاج وغيره من الاوراق المتعلقة بالموضوع محفوظة في دائرة الوثائق العامة، لندن، تحت رقم ف.و/٧٨٥/٢ افريقيا، ١٩٠٣.
١١ ــ تايمس ١٩٠٣/٩/١.
١٢ ــ جويش كرونكل ١٩٠٣/٩/٤.
١٣ ــ هانسارد، مناقشات مجلس العموم، ١٩٠٤/٦/٢٠.
١٤ ــ جويش كرونكل ١٩٠٣/٩/١٨.
١٥ ــ تايمس ١٩٠٣/٩/٥.
١٦ ــ تايمس ١٩٠٣/٩/٧.
١٧ ــ تايمس ١٩٠٣/٨/٢٨.
١٨ ــ خطاب اسرائيل زنكويل في مؤتمر الاتحاد الصهيوني الانكليزي، ١٩٠٣/٩/٧، كذلك مذكرات هرتزل، ج ٤ ص ١٤٩٨.
١٩ ــ انظر رأي شتاين عنه، ص ٢٤٣.
٢٠ ــ رابينويز، آ، خمسون سنة من الصهيونية، لندن، ١٩٥٠، ص ٥٦.
٢١ ــ وايزمان، سي، التجربة والخطأ، لندن، ١٩٥٠، ص ١١٨ ــ ١١٩.
٢٢ ــ جويش كرونكل، ١٩٠٣/١٠/٩.
٢٣ ــ رابينويز، آ، ضوء جديد على مشروع افريقيا الشرقية، تقرير، ١٩٥٢.
٢٤ ــ اقتباسات من خطبته في الجويش كرونكل، ١٩٠٣/٨/٢٨.
٢٥ ــ رسالة بتاريخ ١٩٠٢/١١/١٢، ف.و /٥٤٧٩/٧٢.
٢٦ ــ باين، ص ٤٤٣ ــ ٤٤٦.
٢٧ ــ باين، ص ٤٤٤.
٢٨ ــ غولدرايخ، ئي، سحر الصهيونية، لندن، ١٩٠٥.

المؤرخون الفلسطينيون العرب خلال فترة الانتداب البريطاني

الدكتور عدنان ابو غزالة

اصبحت التقاليد التاريخية قوية بين المسلمين بشكل عام والعرب بشكل خاص منذ القرن التاسع عشر عندما بدأوا ينتجون عددا كبيرا من الاعمال التاريخية . ويجب ان يعزى قيام الاهتمام التاريخي بين المثقفين العرب والمكان الهام الذي افسحوه للتاريخ بشكل عام لدرجة كبيرة من اليقظة القومية . وبالتالي فلقد اصبح التاريخ اداة بين القوميين العرب المعاصرين . لقد حاول المؤرخون العرب أن ينشروا وعيا قوميا من خلال احياء الماضي وتمجيد ابطاله وانجازاته .

ان اهتمام الكتاب الفلسطينيين العرب بالتاريخ وبشكل خاص بالتاريخ المحلي والقومي قد نما في العقود الثلاثة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى . وتغطي اعمالهم سلسلة كبيرة من المواضيع التي تبحث في الاسلام والمؤسسات والحضارة الاسلامية وسير العرب البارزين وعلم الآثار والتاريخ الوطني والقومية العربية والتاريخ الاوروبي. واحد الملامح البارزة في هذا الادب هو بحثه الدؤوب عن ايحاءات تهدف الى تنمية شعور بالاعتزاز بالماضي العربي العظيم .

هناك نزعتان رئيسيتان فيما يختص بدراسة وتأويل التاريخ تظهران بوضوح في التاريخ الفلسطيني : النزعة التقليدية والاسلامية الصرفة لتأكيد الجانب المضيء في التاريخ الاسلامي ولتغرس ايمانا راسخا بالقوى التجديدية في الاسلام ، والنزعة العروبية التي تنظر الى تاريخ العالم العربي كشيء واحد لا يتجزأ عبر العصور والتي تعامل مرحلة ما قبل الاسلام ومرحلة الاسلام كمرحلتين متساويتين في الاهمية تكملان بعضهما بعضا وذلك من أجل فهم سليم لاهمية العرب التاريخية . وبحسب وجهة النظر الثانية فان الاسلام مجرد حدث ، ولكنه مهم جدا ، في تاريخ العرب الطويل .

ان كلا النهجين ، الاسلامي والعروبي ، يظهران بوضوح في كتابات محمد عزة دروزة ، وهو واحد من أهم المؤرخين الفلسطينيين العرب . لقد بدأ دروزة كممثل للاتجاه الاول ثم تحول الى الاتجاه الثاني تحت تأثير القومية العربية النامية . ان آراءه الاولى معروضة في كتابه **سيرة الرسول عليه السلام مقتبسة من القرآن الكريم** الذي نشر في آخر عام من الانتداب وان كان قد كتب في أواخر الثلاثينات وأوائل الاربعينات.(١)

بعد أن يستعرض أهم الاحداث في حياة محمد يبحث دروزة في تأثير الدين الجديد على المجتمع العربي وهو لذلك يقارن بين أوضاع العرب الاجتماعية والسياسية قبل ظهور الاسلام وبعده ويشدد على تفكك العرب في فترة ما قبل الاسلام وافتقادهم لهدف والنزاع

المستمر بين القبائل وعاداتهم الاجتماعيـــة المتخلفة ــ مثل احتقار النساء ووأد البنات والتعلق الشديد بالثأر والتبجح الفارغ.(٢) ويقارن كل ذلك بأوضاع العرب بعد اعتناقهم الدين الاسلامي . ولم يكن تحويل العرب الى كيان سياسي متماسك هو أقـــل التأثيرات النافعة للدين الجديد . وبالنسبة الى دروزة فان العوامل الرئيسيـــة التي ساهمت في تحويل العرب الى كيان سياسي متماسك تستمد جذورها من الدين الاسلامي . والعرب مدينون للقرآن في حفظ لغتهم بشكل سليم اذ لولاه لكانت اللغة العربية انقسمت الى عدة لغات محلية كما هو الحال بالنسبة للغات الرومانسية (المشتقة من اللاتينية) .
وللاسلام يدين العرب بحضارة بارزة في العصور الوسطى كان للاعتزاز بها مكان هام بين القوى التي توحد العرب في الحاضر وتشدهم الى بعضهم بعضا.(٣)
كان التسامح الديني نحو المسيحيين واليهود قسما هاما من التعاليم الاسلامية ، كما يرى دروزة. فقد ميز الرسول محمد بين الديانات السماوية والديانات غير السماوية، وقصد بالاولى تلك الديانات التي كان لها كتاب مقدس اي المسيحية واليهودية. ودعا المسيحيين واليهود بأهل الكتاب وتركهم أحرارا ليمارسوا اعتقاداتهم وقوانينهم الخاصة . اما غير المؤمنين الاخرين فكان عليهم ان يقبلوا الدين الاسلامي أو يتعرضون للهلاك . ان مثل هذا الموقف ، بحسب دروزة ، يفسر علاقات الصداقة التي تطورت بين العرب المسلمين وغير المسلمين والذي مكن العرب المسيحيين واليهود من أن يلعبوا دورا هامـــا في الحضارة العربية وان يصبحوا بالتالي جزءا لا يتجزأ من الامة العربية .
وأخيرا فان الدين الجديد قد منح العرب احساسا بالغاية والتزاما بالواجب. ولقد دفعهم ايمانهم بضرورة نشر الدعوة الجديدة الى ان يبدأوا حركـــة توسعية ادت الى اقـــامة امبراطورية شاسعة . وكذلك رأوا مـــن واجبهم ان يقووا تعاليم الاسلام وان يظهروا تساوي جميع المسلمين بنظر الحكام . ولقد تجلى مثل هذا الموقف عند النبـــي والخلفاء الراشدين الذين خلفوه في ادارة شئون المسلمين .
ان القوة النامية للقومية العربية وتكوين جامعـــة الدول العربية والاتصال المتزايد بين دروزة والمؤرخين العرب قد أدى به الى تغيير آرائه حول التاريخ العربي . فأصبح داعية لوحدة التاريخ العربي واعتبر الاسلام كنتاج لعبقرية العرب يمثل أحد الأطوار في تاريخهم الطويل . وهذا التغيير في النهج يظهر جيدا في كتابه **حول الحركـــة العربية الحديثة**(٤). ولكي يثبت الرسالة التاريخية للعرب ارجع دروزة في كتابه هذا اصلهم الى المدى الذي استطاعه في الماضي البعيد . وأسهم في آراء مدرسة جديدة من المفكريـــن العرب الذين ادعوا ان كلمتي عرب وساميين تعنيان الشيء ذاته. وكان سامي شوكت الذي كان مديرا للتعليم في العراق في أواخر الثلاثينات هو أول من أدخل هذا الرأي . وقد ذهب شوكت الى القول بأن كل الشعوب التـــي حملت علم الحضـــارة في الشرق الاوسط القـــديم ــ كلدانيين واشوريين واسرائيليين وحتى فراعنة مصر الحاميين ــ كانت عربية . لم يذهب دروزة الى ذلك المدى : فبالنسبة اليه هناك ثلاث مجموعات عرقية احتلت صورة الشرق الاوسط القديم هـــي العرب الساميون والحاميون والهنـــود ــ الاوروبيون.(٥) وبحسب هذه النظرية ، فقد مثل الاسلام الحلقة الاخيرة ، الاكثر اهمية ودواما في رسالة العرب التاريخية . ورافق نشر الدين الجديد انتشار ثقافة جديدة . ان هذين العاملين قد أوجدا وعيا عرقيا لم يختف من الاماكن التي كان لهما فيها جذور عميقة .
لقد خصص دروزة معظم الجزء الثاني من تأريخه للحركة القومية للتحري عـــن تطـــور هذا الوعي العرقي عبر مراحل التاريخ العربي الاسلامي المختلفة . فوته أيام الامويين وانحساره أيام العباسيين ثم يقظته من جديد أيام الصليبيين . أما فترة الحكم العثماني فان دروزة لا يرى شيئا سوى الركود السياسي والهجوع الثقافي .
وكمعظم المؤرخين العرب فان دروزة يعتقد ان وعي العرب القومي ، بالمعنى الحديـــث

للكلمة ، يعود الى بداية القرن التاسع عشر وكنتيجة لاحتكاك العرب بالفرنسيين . ان ممثلي هذا الوعي كانوا قلة اقتصرت على المسيحيين المتعلمين في البداية . ثم يبحث دروزة في اثر البعثات التبشيرية المسيحية على احياء اللغة العربية وقيام حركة الجامعة الاسلامية والدور الذي لعبته الجمعيات الادبية والسياسية في الاثارة الوطنية وانتشار الوعي القومي بين المسلمين العرب .

دافع دروزة عن الرأي القائل بأن الحركة الوطنية المصرية والسورية في القرن التاسع عشر كانتا متصلتين مع بعضهمابقوة لان القومية العربية في النصف الثاني من القرن تدين بالشيء الكثير الى اللاجئين السياسيين السوريين . والفترة الوحيدة التي اظهرت فيها الحركة الوطنية المصرية لامبالاة نحو المشاعر العروبية كانت في العقد الذي سبق الحرب العالمية الاولى والعقد الذي تلاها .

اكد دروزة على الاثر الكبير الذي تركته الثورة العربية اثناء الحرب العالمية الاولى على الحركة القومية . ورأى بصدق انها كانت اول محاولة كبيرة من جانب العرب لتحقيق طموحهم القومي ورأى في قادتها وبشكل خاص فيصل رمزا للقومية العربية . ويعتقد ان الثورة كانت مهمة للحركة وذلك بسبب ما حققته وما عجزت عن تحقيقه على السواء. فهي قد قوت الوعي القومي بين العرب من ناحية، ومن ناحية اخرى كشفت ضعفهم الذي ادى الى تجزئة العالم العربي السياسية بعد الحرب العالمية الاولى . وهو لذلك دعا الى بعث المجتمع العربي وذلك بأخذ افضل ما عند الغرب دون أن تترك التقاليد العربية الاسلامية . ولكي ينجح العرب يجب ان يكون لهم كيان سياسي مستقل يعيش فيه كل العرب ، من مسلمين ومسيحيين ويهود بشكل متساو(٦).

بالنسبة الى فلسطين يتفق دروزه مع اراء كل المؤرخين العرب : ان الوحدة العربية هي افضل جواب للتهديد الصهيوني . ان دولة عربية كبيرة موحدة ستصون الشخصية العربية لفلسطين : سيصبح اليهود اقلية ليست ذي شأن في الدولة الجديدة ويمكن امتصاصهم مع الزمن(٧). ولم يغير من موقفه حتى بعد قيام اسرائيل ، ان الوحدة العربية ستساعد على احتواء اليهود في المكان الذي احتلوه ويمكن ان تؤدي الى امتصاص الدولة اليهودية نهائيا في كيان عربي اكبر(٨).

وبينما شدد دروزه على الاتجاهين الاسلامي والعروبي في التاريخ فان معظم المؤرخين الفلسطينيين كانوا عروبيين وحاولوا أن يغرسوا في الشباب العربي حبالاجيال السالفة وان يثيروا فيهم الرغبة لبناء عالم عربي جديد على غرار الصورة الماضية . ان ذلك لا يصح الى فلسطين وحدها وانما كان مظهرا عاما للنهضة الثقافية في كل البلاد العربية . فساطع الحصري وهو من أشهر المؤرخين العرب ، يؤكد بحق ان كل المؤرخين العرب كانوا مدفوعين بوعي قومي للمشاركة بالافتخار بأمجاد الماضي والاحزان المشتركة التي تسببها بحق الحاضر(٩). وحاول بعض المؤرخين الفلسطينيين أن يثيروا ذلك الاعتزاز من خلال تقدم العرب في مجال العلوم وحاول اخرون ان يبحثوا في مساهماتهم في حقل الهندسة والبناء .

عكس قدري طوقان في كتاباته العزة التي شعر بها العرب بفضل اسهام اسلافهم الكبير في المعرفة العلمية التي تتمتع بها أوروبة في الوقت الحاضر. وشكل هذا الاسهام موضوع كتابه **تراث العرب العلمي**(١٠). ودفعت جودة الكتاب الدائرة الثقافية في جامعة الدول العربية الى ان تعيد نشر الكتاب على نفقتها في عامي ١٩٥٤ و١٩٦٣ . يبدأ طوقان بدراسة العوامل الكامنة وراء النهضة الثقافية العربية في القرنين التاسع والعاشر . وبرأيه فان أول هذه العوامل كان الاهمية التي يعطيها الاسلام للثقافة والمعرفة ، اذ أن القرآن والسنة يؤكدان على ضرورة الثقافة ويطلبان من المسلم أن يبحث عن المعرفة في اي مصدر ممكن. وبينما كانت الرغبة في المعرفة والبحث عن التحسن الثقافي علامة تقوى

بالنسبة للمسلم العادي فان رعاية المثقفين اصبحت واجبا دينيا بالنسبة للحاكم . كان هنالك ايضا الظروف الجديدة : الاحتكاك بين العرب والشعوب الاخرى ــ البيزنطيين والفرس والسوريين والاقباط ــ التي كانت اكثر ثقافة وحضارة . وكانت مضاعفة المؤسسات الاكاديمية عاملا اخر . فلقد اسس عدد من المسلمين الاغنياء ، عرب وغير عرب ، المدارس املين الحصول على ثواب ديني من جهة ومن جهة اخرى راوا ان هذا العمل اكثر ملاءمة لحفظ الثروة التي كانت معرضة ان تذهب الى المسؤولين الجشعين. وعندما كانت تؤسس مدرسة كان يخصص لها نوع من الاستثمار الانتاجي لضمان استمرارها . ولقد حدثت معظم الاكتشافات العلمية العربية في مثل هذه المؤسسات التي كان من اشهرها بيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة .

ويرى طوقان ان العلم كان يعني بالنسبة للعرب الدراسات الرياضية والعقلية . وكان العلم الاول يشمل الهندسة والفلك والحساب والجبر والموسيقى والسياسة والاخلاق والاقتصاد المنزلي . وشمل الثاني كلا من المنطق والجدل والميتافيزيقا وعلم الطبيعة والطب والكيمياء . اعتمد العرب في كلا الحقلين في البداية على الترجمة التي غطت ثمانية كتب لافلاطون وتسعة عشر كتابا لارسطو وعشرة لابقراط وعشرين لجالينوس بالاضافة الى المؤلفات الكاملة لاقليدس وارخميدس وبطليموس . ولا تنحصر قيمة هذه الترجمات في الدور الذي لعبته في تقدم المعرفة العلمية بين العرب حيث ان معظم النصوص الاصلية لهذه الترجمات قد فقد وكثير مما يعرفه الاوروبيون عن علوم اليونان قد جاء من خلال الترجمات العربية(١١).

شدد طوقان على المعرفة الشمولية للعلماء العرب الذين اظهر معظمهم سيطرة على عدد كبير من المواضيع المختلفة . فابن سينا الذي عاش في بخاري في اخر القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشر ، كان طبيبا وفيلسوفا وعالم لغة وشاعرا ، والكندي الذي عاش في بغداد في القرن العاشر كان فيلسوفا ومنجما وكيمائيا وطبيبا للعيون وموسيقيا. اختتم طوقان كتابه بدراسة اثر المعرفة العربية على النهضة الاوروبية في أواخر العصور الوسطى . فيشير الى أن هذه الاكتشافات العربية قد وجدت طريقها الى اوروبة عبر المراكز التي كانت ملتقى للحضارتين : المؤسسات الاكاديمية في اسبانية وصقلية وجنوب ايطالية .

هناك مساهمة اخرى لطوقان في تاريخ المعرفة العلمية عند العرب وهي دراسته للاسلوب العلمي كما تطور على ايدي العرب في العصور الوسطى . ان الكتاب ملىء بالوثائق ويكشف عن معرفة المؤلف العميقة بالسجلات التاريخية الاسلامية في العصور الوسطى. وبرأيه فان العرب قد اتقنوا الاساليب العلمية المستعملة في اوروبة في القرن السابع عشر وبذلك تفوقوا على الاغريق في هذا المضمار(٢١). لقد نسج الكتاب حول حياة واعمال الخوارزمي ، الصورة البارزة في تاريخ الرياضيات العربية . وبالاضافة الى دراسة الاسلوب العلمي الذي استعمله هذا العالم فان طوقان يؤكد على مساهمته في تاليف اقدم الجداول الفلكية واقدم الاعمال في الحساب والجبر . لقد فقدت النسخة العربية لكتابه **حساب الجبر والمعادلة** الذي يحتوي على ما يزيد عن ٨٠٠ مقال ، ولكن ترجمة جيرار الكريموني التي ظهرت لهذا الكتاب في القرن الثاني عشر ظلت تستعمل في الجامعات الاوروبية ككتاب مدرسي للرياضيات حتى القرن السادس عشر . وساعد الكتاب ايضا على نقل الاعداد العربية الى الغرب .

ان معظم كتب طوقان عبارة عن دعوة الى المثقفين العرب لكي يجعلوا من التراث الثقافي العربي قوة دافعة نحو التقدم ووسيلة لتحسين الاوضاع الحالية وبناء مستقبل افضل . ولا يبدو على طوقان انه مهتم بالتاريخ والسير لذاتها ولكنه يشدد دائما على الحوادث والمعلومات التي تساعد في تشكيل دلالة معنوية للعصر الذي يبحث به . واحيانا يضيف

بعض اللمسات ليزيد من جاذبية ابطاله في عين القارىء .
وبينما ركز طوقان في كتاباته على العلم العربي لكي يقوي الوعي القومي بين الفلسطينيين العرب ، حاول محمود العابدي ان يوجد الشعور ذاته لدى قرائه وذلك بالتأكيد على فن العمارة العربي . وكان مؤهلا لذلك بسبب معرفته الواسعة بالموضوع ولانه زار المواقع حيث لا تزال تقوم الاثار القديمة .
يؤكد العابدي على ندرة البقايا الاثرية لفترة ما قبل الاسلام في فلسطين(١٣) . ان اثار ما قبل الاسلام والتي بنيت ايام الحكم الروماني كانت كثيرة في البلاد المجاورة مثل شرق الاردن وسورية ولبنان ولكن معظمها قد بناه العرب : فالاقباط بنوا البتراء عند جبل صخري في جنوب شرقي الاردن . واقام التدمريون تدمر على حافة الصحراء السورية . وقد عملت المدينتان كمركزين حساسين على الطريق التجاري بين الجزيرة العربية والهلال الخصيب .
وبالنسبة الى العابدي فان معظم البقايا الاثرية في فلسطين تعود الى العصر الاسلامي وخاصة عهد الامويين(١٤) . فلقد فكر معاوية، اول خليفة في هذه الاسرة، ان يقيم مسجدا كبيرا في القدس لان الاماكن المقدسة في المدينة ومكة كانت خاضعة لخصمه علي آخر الخلفاء الراشدين وابن عم الرسول . اهملت هذه الخطة عندما احتلت المدينتان ولكن مسجد القدس بناه اخيرا خليفة اموي اخر . كذلك اظهر الامويون اهتماما حادا في بناء القصور في منطقة الغور في فلسطين ، وهو الاسم الذي أطلقه الامويون على وادي الاردن .
ان لقصور الامويين الشتوية جاذبية خاصة للعابدي . وبما ان غالبية هذه القصور قد انهارت فقد فتش السجلات المتوافرة ليؤكد عدد هذه القصور وطبيعة بنائها ومواقعها واحصاءات حول التكاليف . ونشر موجزا لما وصل اليه في كتابه **القصور الاموية**(١٥) .
وبالنسبة اليه فان احد القصور الذي يعتبر نموذجا لتلك القصور هو قصر بناه هشام بن عبد الملك ، الخليفة الاموي السادس ، على بعد ثلاثة اميال الى الشمال من جرش وهذا القصر هو أحد القصور التي لا زالت بقاياها موجودة .
يظهر قصر هشام ، كما يقول العابدي ، امتزاج الاساليب الفنية البيزنطية والاسلامية . ان عدد الاشخاص الذين شاركوا في بنائه والمبالغ التي صرفت عليه وعظمة خطته وروعة زخرفه تشهد على عظمة الثروة والقوة التي كان يتمتع بها الخلفاء الامويون وعلى المستوى الرفيع الذي وصل اليه فن العمارة الاسلامي .
كان العابدي يهدف من خلال دراسته للبقايا الاثرية في فلسطين ان يحقق هدفين : فمن جهة اولى اراد ان يؤكد علاقات العرب التاريخية بفلسطين ، كجواب على مزاعم اليهود التاريخية ، واراد من جهة اخرى ان يذكر قراءه بالانجازات الرائعة التي حققها اجدادهم وليغرس فيهم شعور الاعتزاز بهذه الانجازات . وكان يأمل ان يؤدي ذلك الى تقوية ارتباطهم بوطنهم وتعزيز شعورهم القومي(١٦) .
لقد اعتقد كثير من المؤرخين الفلسطينيين انه لا شيء يمكن ان يؤثر في الجمهور العربي ويرضيه اكثر من رواية قصة التوسع العربي والوحدة العربية في وجه الهجمات الاجنبية .
ومع ان تاريخ العرب مليء بالحروب المحلية والمنازعات الداخلية فان المؤرخين الفلسطينيين اظهروا ميلا لاهمال هذه المنازعات والانقسامات على أساس انها ليست مهمة . وحاولوا ان يصبغوا تاريخ العرب العسكري بالوان جذابة وعرضها بطريقة تثير الاعجاب والاعتزاز . ومثل هذه الطريقة في التاريخ العربي واضحة في كتابات نقولا زيادة ومحمد رفيق التميمي .
صور كتاب زيادة **وثبة العرب**(١٧) الاعتزاز الذي شعر به الفلسطينيون العرب مسيحيين ومسلمين على السواء في وثبة العرب تحت راية الاسلام للوصول الى مرتبة عالية من

القوة . وفي شرحه للاسباب التي تكمن وراء التوسع السريع للعرب يؤكد زيادة على المساعدة التي قدمتها قبائل الغساسنة العربية المسيحية لاخوانهم العرب ضد المسيحيين البيزنطيين . الا انه كان متنبها الى أن هناك عوامل اخرى ساهمت في الانتصار بعضها يعود الى البلاد التي فتحت وبعضها يتعلق بالمسلمين العرب أنفسهم . وبالنسبة للامر الاول فان أحد الاسباب الرئيسية كان ضعف اعداء العرب ، الفرس والبيزنطيين على السواء : جيوشهم لم تكن قوية وحكمهم كان جائرا كما ان الشعوب التي كانت خاضعة لهم سواء في سورية او مصر او بلاد الرافدين رحبت بالفرصة التي سنحت للتخلص من حكمهم . لكن العوامل الداخلية كانت اكثر اهمية . كان الجنود المسلمون يؤمنون ان الموت في سبيل نشر الدعوة كان طريقا مؤكدا الى الجنة وبالتالي فقد اظهروا شجاعة واخلاصا لم يكونا متوافرين لدى اعدائهم . كذلك اظهر القادة العرب مهارة تفوق مهارة اعدائهم بدرجة كبيرة ، والانتصارات المبكرة في العراق وسورية مدينة بالشيء الكثير لنوعية القيادة التي أظهرها خالد بن الوليد الذي قاد الجيوش العربية في العراق . وكان عمله الباهر هو في اجتيازه الصحراء السورية ـ العراقية بكامل جيشه في اقل من اسبوعين وذلك لنجدة الجيش العربي الذي كان يتعرض لضغط قوي في سورية . واظهر طارق بن زياد مهارة مماثلة اذ استطاع بقوة صغيرة ان يجتاز المضيق الذي يفصل افريقية عن اسبانية والذي حمل اسمه فيما بعد وقهر قوة اسبانية متفوقة وقد احرق طارق القوارب التي حملت جنوده الى الشاطىء الاسباني كدليل على ثقته الكاملة بقدرة اتباعه الحربية وبتحقيق النصر النهائي .

وصف زيادة مشاريع العرب لخلق قوة بحرية والتي ساهم جزء منها بقوة صغيرة في الحملة على القسطنطينية. وتعود سيطرة العرب على البحر المتوسط الى ضعف اعدائهم لا الى قوتهم البحرية .

في تناوله للطبقات الاجتماعية في بداية الامبراطورية العربية يمر زيادة بشكل عابر على موضوع الرق . واشار الى ان الاسلام ، مع انه تغاضى عن الرق ، فقد نظر بشكل غير مستحب لمالكي العبيد وشجع مشاعر العبيد ، واكد ايضا على أن هؤلاء العبيد كانوا يلقون معاملة حسنة وان بعضهم ، خاصة ممن كانوا في حوزة الاسر الحاكمة ، اصبحوا موسيقيين واطباء وقادة ناجحين . ورأى ان ثلاث طبقات اجتماعية وجدت في المجتمع العربي في العصور الوسطى وهذه الطبقات تبعا لاهميتها هي : الفئة العربية المسلحة الحاكمة والتي كانت مقصورة على عدد محدود للغاية ، وجموع المسلمين والمسيحيين العرب ثم المسلمون غير العرب . ان عجز الفئة الاخيرة والتي كانت الاكثر عددا ادى الى ردود فعل معاكسة وخاصة بين الفرس ، مما كان عاملا في النهاية على الاطاحة بالاسرة الاموية وظهور العباسيين في بغداد .

في الوقت الذي يبحث زيادة في الناحية الهجومية للحروب العربية عالج رفيق التميمي الحروب الدفاعية، واكد على أوضاع العرب غير المستقرة في القرن الحادي عشر بالمقارنة باوضاعهم في القرن السابع والثامن(١٨) . وقد تزعزعت وحدتهم السياسية ، وبدلا من خليفة واحد اصبح لديهم ثلاثة : خليفة عباسي في بغداد وفاطمي في القاهرة واموي في قرطبة . كان الخليفة العباسي اضعفهم بالرغم من ان سلطته الاسمية كانت تشمل العراق وسورية ومعظم بلاد الفرس . وفي هذه الخلافات الثلاث كانت الثورة تتركز في ايدي عدد من الحكام المحليين : عرب وفرس واتراك ومغاربة . رافق التفكك السياسي فقر اقتصادي وعدم استقرار اجتماعي. وكنتيجة لذلك اجتاح الصليبيون سورية واقاموا مملكة لاتينية في القدس(١٩). ونتيجة للصدمة التي اصيب بها العرب بفعل الهزيمة التي منوا بها فقد بدأ العرب حركة للنهضة وصلت اوجها تحت قيادة صلاح الدين الذي تحقق من أن الامل الوحيد انما هو في اعادة الوحدة المفقودة في منطقة شرقي البحر المتوسط .

اتخذ صلاح الدين من المفاوضات بين الفاطميين في مصر والصليبيين في القدس عذرا لمهاجمة القاهرة والاطاحة بخليفتها . وارغم الحاكم العباسي في بغداد على الاعتراف بسلطته على مصر وشمال العراق والمناطق الداخلية في سورية ثم توج انجازاته باحتلال القدس نفسها . يعزو التميمي هذا الانتصار الى ثلاثة عوامل : عبقرية صلاح الدين ووعي الفرد العربي والفرقة والمنافسة بين الحكام الصليبيين(٢٠). وفي تناوله للمراحل الاخيرة من الحرب ضد الصليبيين شدد التميمي على الدور الذي لعبته مصر في النصر النهائي . فبحكم مصادرها الغنية وعدد سكانها الكبير مكنت مصر حكامها ان يسيروا بالحرب الى نتائجها المرجوة . وفي نهاية كتابه طرح التميمي رأيه بأن الصليبيين قد علموا العرب ان الوحدة برهنت على أنها حل لاية محنة حلت بالعرب وبأنه كان على مصر ان تلعب دورا هاما في مثل هذه الوحدة(٢١).

ان الاساس الفكري للكتاب المذكورين يظهر ايضا في الكتابات عن تاريخ البلدان والمدن الفلسطينية . واعتقد المؤرخون الفلسطينيون انه يجب اظهار الطابع العربي لهذه البلدان من أجل تعزيز المشاعر القومية والعواطف الوطنية . يوجز عارف العارف في مقدمة كتابه **تاريخ القدس**(٢٢) هدفه بقوله ان معرفته بالخط الذي سلكه الكتاب اليهود لتأكيد الصلات التاريخية لليهود بفلسطين جعلته يشعر ان من واجبه دحض مزاعمهم من خلال دراسة تاريخ القدس والصلات التي شدد عليها اليهود وليوضح بالتالي ان تاريخ المدينة المقدسة يكشف عن شخصيتها العربية وعن تسامح اهلها تجاه المسيحيين واليهود والعلاقات السلمية التي طبعت حياة سكانها خلال القرون الاخيرة(٢٣) .ارجع العارف اصل القدس الى ما استطاع في القدم مشيرا الى انها بنيت قبل ان يصل بنو اسرائيل القدماء الى فلسطين بقرون . الا انه ركز على تاريخ المدينة منذ العصور الوسطى حيث اصبحت السجلات اكمل ويمكن الاعتماد عليها . واظهر معرفة تفصيلية بالمصادر الاسلامية مما مكنه من اعادة صوغ تطور تاريخ المدينة ونشاطات اهلها .

اكد العارف في دراسته لتاريخ القدس السياسي على الموقف النبيل للفاتحين العرب في المرتين اللتين احتلوا بها المدينة . ففي القرن السابع جاء الخليفة نفسه من المدينة حيث مقر حكمه في الحجاز ليشرف على عملية الاستيلاء . واعطى امانا عاما وسمح لسكانها المسيحيين واليهود ان يمارسوا معتقداتهم بحرية . لقد لاقى المسيحيون معاملة خاصة من الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك الذي جهز المدينة بكثير من المباني العامة التي استخدمها المسلمون وغير المسلمين . وقد أنعم الوليد بن عبدالملك على المدينة بقبة الصخرة التي تعتبر آية من آيات فن العمارة الاسلامي والتي اقيمت في المكان الذي عرج الرسول منه الى السماء . وتطورت المدينة بسلام الى ان صدمت بمجيء الصليبيين في اواخر القرن الحادي عشر . ولم يكتف الصليبيون باحتلالها بل فتكوا بجميع اهلها على الرغم من الوعد بالامان الذي اعطوه للمدافعين عنها . قورنت هذه المعاملة بتلك التي ابداها صلاح الدين الذي اظهر بعد قرنين من الزمن عندما اعاد احتلال المدينة مثالا للتسامح الاسلامي . وفي ايام العثمانيين تمتعت المدينة بحرية خاصة حيث اعطيت شكلا من الحكم الذاتي وربطت اداريا بالباب العالي . الا ان هذه الحياة الامنة عطلت مرة اخرى بعد اقامة الانتداب البريطاني حيث حل الشك والكراهية مكان المحبة والثقة التي كانت تسود العلاقات بين اهلها .

اظهر العارف اهتماما كبيرا بمساجد المدينة وكنائسها . فلقد زارها جميعها وعرف الكثير عن تاريخ المهم منها . فهذه الاماكن المقدسة كانت بالنسبة اليه ذكريات التاريخ ومستودعات للسجلات القيمة وحاول أن يتعرف الى اسماء الرجال المحليين الذين دفنوا في مختلف المساجد والكنائس وان يعرف المساهمات التي أدوها لتطور المدينة والدور الذي لعبوه في تاريخها.(٢٤)

درس العارف ايضا نواحي معينة في تطور المدينة الاقتصـــادي . واشار في الكتاب الى عادات مهنية واسعار وصدقات ودلائل اخرى على التغير الاقتصادي. وبالاضافة لذلك كان مهتما بمشاكل السكان وحاول ان يقدم احصائيات سكانية . واعترف بحقائق معينة مناسبة لهدفه كمؤرخ . وكانت حقائق توضح كيف عمل المجتمع عبـــر القرون وكيف حل مشاكل السكن والتموين وماذا فعل ليؤمن حاجات الفقراء ومـــا هي عاداته الخاصـــة ووسائل لهوه وذكرياته . وتساعد قائمة اسماء مانحي المباني والمحسنين الاخرين التي أعدها العارف ووصفه للتغير المستمر في وظيفة الديوان علـــى توضيح الانماط المتغيرة للعلاقات الاجتماعية .

فهم العارف ان التثبت من الحقائق هو ما تتطلبه كل معرفة تاريخية. ومن الصعب تجاوز القيمة التي أعطاها لاهمية غربلة الحقائق . وتحوي هوامش كتابه مواد تاريخية متنوعة متضمنة نسخا من الرسائل والبلاغات ومختارات من مصادر اسلامية وقوائم بالاسماء واحصاءات مجموعة من عدة مصادر ومشاهدات طوبغرافية. وعلى العموم فان العارف كان حريصا دائما على أن يذكر من اين حصل على معلوماته .

لم ينحصر اهتمام العارف كمؤرخ محلـــي بتاريخ المـــدن . في **كتـــاب تاريخ بئر السبع وقبائلها**(٢٥) وصف تاريخ القبائل العربية التي اقامت في جنوب فلسطين . لقد عاشت بئر السبع لفترة طويلة كمدينة صغيرة تعمل كمركز تجاري للقبائل التـــي عاشت في المنطقة الصحراوية المحيطة بها . ولم يجهل العارف اهمية الموقع ، فقد شدد على اثر موقعها على الطرق التجارية التقليدية التي تربط الجزيرة العربية وسورية ومصر ، واكد على توفر المياه التي تعتبر عاملا اساسيا في نمو مدينة بمنطقة صحراوية .

وكما هو الحال في كتابه عن تاريخ القدس فان رغبة العارف بدحض المزاعم اليهوديةحول صلاتهم التاريخية بفلسطين تلمس ايضا في تناوله للقبائل . فأكد ان لفلسطين من النسب العربي الصـــافي اكثر مما لاي بلـــد مجاور . وقد دعم دفاعـــه باقتباس رأي للويس ماسينيون ، المستشرق الفرنسي الذي ذهب في مقـــالة نشرت عام ١٩٢٤ في مجلة العالم الاسلامي (الفرنسية) الى ان سبعين بالمئة من مسلمي فلسطين وشرق الاردن هم من أصل عربي.(٢٦) وبحسب العارف ، فان هذه القبائل قد شجعت لكي تحافظ على طريقة حياتها التقليدية من اجل استمـــرار الثقافة العربية الصافيـــة وصيانة الفنون الشعبية العربية . ثم قدم العارف امورا غنية بالتفاصيل : العادات الاجتماعيـــة لهذه القبائل ، العلاقات الفردية ضمن القبيلة الواحدة والعلاقات بين القبائل وعادات الزواج والابتهاج بالاعياد والمناسبات الدينيـــة الاخرى . ووصفت كل هـــذه الامور بطريقة اظهرت ان الخصائص الرئيسية لهؤلاء البدو قد حفظت نقية خلال الاجيال .

واذا كان العارف مدفوعا في كتاباته بالرغبـــة لدحض المزاعم اليهودية وليغذي الشعور الوطني في نفوس قرائه ولم يأل جهـــدا في تعظيم الدور الذي لعبه العرب في تاريخ المدن والجماعات الفلسطينية ، فان مؤرخا محليا آخر هو احسان النمر قد فعل من غير قصد ما فعله العارف عمدا .

اختلف احسان النمر (النابلسي) عن عارف العارف في عدة نواح . فهو لم يعمـــل في الحكومة ولم يلعب دورا نشيطا في الحركة القوميـــة العربية مع انه اكد انه كان مهتما بتطور الاحداث في فلسطين قبل الانتداب البريطاني وبعده ، ولم تمكنه ثقافته من معرفة الاساليب الحديثة في الكتابة التاريخية : فهو لم يدخل اية مؤسسة علمية غربية وبالتالي لم يتعلم اية لغة اجنبية الى جانب اللغة التركية . كذلك كان اقل انتاجا من العارف بكثير اذ ان مؤلفه الوحيد عبارة عن دراسة لتاريخ مدينته .

ان مؤلف النمر **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**(٢٧) مهم بسبب القيادة الثقافية التي كانت تتمتع بها نابلس في تلك الفترة . في عام ١٩٢٧ تعرضت نابلس لهزة ارضية عنيفة دمرت حوالي

نصف المدينة . وخوفا من ان يذهب اي حادث سيىء آخر بسجلات العائلـــة فقد صمم النمر (وهو ينتمي الى عائلة كبيرة) ان يدون تاريخا للمدينة وسجلا لعائلاتها المهمة وعكف حوالي عشر سنوات حتى أنهى الجزء الاول من المؤلف .

على ضوء الغرض الذي أراد النمر لمؤلفه ان يؤديـــه فان الاسلوب الذي استعمل كان محددا سلفا . فكان المؤلف ملزما ان يستعمل الاسلوب العربي التقليدي : اتبع الكتاب الاسلوب القصصي سواء في عرضه للمادة او للادلةالوثائقية. وجمع الكثير من المعلومات اما من خلال محادثات شفهية مع اشخاص مسنين من العائلات او من جداول نسبية . بدأ المؤلف بأن سجل عائلات نابلس الرئيسية في ذلك الوقت . ثم ذكر أسلاف كل عائلة ووصف الدور الذي لعبه أفراد كل عائلة في تاريخ المدينة .

وخلص الى انه مع بداية القرن الثامن عشر أقام أسلاف هذه العائلات في تلك المنطقة من وسط فلسطين التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم منطقة السامرية في فلسطين ومنطقة البلقاء في شرق الاردن . وفي أيام الحكم العثماني شكلت هاتان المنطقتان سنجق نابلس الذي كان يتبع ولاية دمشق . ثم اكد النمر على العطف الذي أبداه عبدالحميد تجاه هذه العائلات والدور الذي لعبه افرادها في الادارة العثمانية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . كذلك اكد على الوعي القومي الذي أظهره النابلسيون بعد اقامة الانتداب وأشار الى الحقيقة بأنه على الرغم من الاسعار العالية التي عرضتهـــا المنظمات اليهودية على هذه العائلات لشراء بعض الاراضي منها فان شبرا واحدا من الاراضي العربية في منطقة نابلس لم يبع الى اليهود .

بتناوله تاريخ نابلس والبلقاء معا اظهر النمر عنصر الوحدة بين فلسطين وشرق الاردن وبين ان التجزئة السياسية التي حلت بالبلاد العربية بعد الحرب العالمية الاولى كانت مصطنعة ولا يمكن ان تدوم . وبتشديده على الوطنية التي أظهـــرتها هذه العائلات في مناسبات مختلفة ، وبتأكيده علـــى الدور الذي لعبته في محـــاربة الخطط الصهيونية والبريطانية ساهم النمر كثيرا في نمو الشعور القومي لدى قرائه .

خاتمة

يتبين من البحث ان المؤرخين الفلسطينيين العرب :

١ ـــ نزعوا بقوة نحو نظرة علمانية لم تكن العناصر الاسلامية ابدا اهم ما فيها وان كانت لا زالت قوية .

٢ ـــ اعتبروا التاريخ العمود الهام في القومية العربية .

٣ ـــ كان الاسلام بالنسبة اليهم دلالة على العبقرية العربية .

٤ ـــ اكدوا على فكرة الوحدة التاريخية التـــي لاصقت المجتمع العربي الموحد والذي لم يقبل التجزئة عبر الاجيال .

٥ ـــ اعتقدوا ان هذه الفكرة تخدم كأساس نظري وتبرير للاتجاهات العروبية في العالم العربي وتساعد على تشكيل مجرى حاضره ومستقبله .

٦ ـــ تأثر مفهوم الفلسطينيين العـــرب للتاريخ الى درجـــة كبيرة بالمفكرين الاوروبيين وخاصة الالمان في القرن التاسع عشر .

٧ ـــ سار المؤرخون الفلسطينيون بالرغم من عدم وجود برهان على أثر الالمان المباشر عليهم ـــ على طريق هردر ونتشه واردندت ونيبور في تغنيهم بالامجاد السالفة وندائهم لقرائهم لاسترداد روح الماضي وبعثه .

واخيرا يجب أن نذكر انه بالرغم من المواضيع المتنوعة التي تناولها المؤرخونالفلسطينيون العرب فانهم تركوا مجالات عديدة في التاريخ ولم يقتربوا منها . فلم يحاول واحد منهم أن يبحث في الجانب الاجتماعـــي والاقتصادي للتاريخ العربي . ولم يقدم أي منهم دراسة

جغرافية تاريخية . كذلك اهملوا النظرية السياسية . ومهما كانت وجهات نظرهم حول شكل الحكومة التي سيقيمها العـرب او حول العلاقات بين الحكـام والمحكومين فان وجهات النظر هذه كانت مبعثرة في الكتب التي كتبوها ولم يبحثوها مطلقا في التفاصيل .

---

١ ــ سيرة الرسول عليه السلام مستقاة من القرآن (القاهرة ، ١٩٤٨) .
٢ ــ المصدر السابق ص ٦٠ ــ ٦٥ .
٣ ــ المصدر السابق ، ص ١٣٥ و١٣٦ .
٤ ــ حول الحركة العربية الحديثة ، صيدا (لبنان) ، ١٩٤٨ ــ ١٩٥٢ .
٥ ــ المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ١١٢ ــ ١١٥ .
٦ ــ المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٢٠ ــ ٣٢٢ .
٧ ــ المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص ٢٨٥ ــ ٢٨٧ .
٨ ــ المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص ٢٦٨ ــ ٢٧١ .
٩ ــ آراء واحاديث في الوطنية والعروبة (القاهرة ، ١٩٤٤) ص ٢٠ .
١٠ ــ تراث العرب العلمي ، القاهرة ، ١٩٤١ .
١١ ــ المصدر السابق ، ص ٧٥ .
١٢ ــ الاسلوب العلمي عند العرب (القاهرة ، ١٩٤٥) ، ص ٢٦ و٢٧ .
١٣ ــ تاريخ فلسطين القديم والمتوسط (القاهرة ، ١٩٤٣) ، ص ٢٠ و٢١ .
١٤ ــ المصدر السابق ، ص ٤٥ .
١٥ ــ القصور الاموية ، عمان ١٩٥٧ .
١٦ ــ المصدر السابق ، ص ii و iii.
١٧ ــ وثبة العرب ، القدس ، ١٩٤٥ .
١٨ ــ الاقطاع واول اقطاع في الاسلام (القدس ، ١٩٤٥) ص ٣٤ ــ ٣٦ .
١٩ ــ الحروب الصليبية (القدس ، ١٩٤٥) ص ٦٠ .
٢٠ ــ المصدر السابق ، ص ١٦١ .
٢١ ــ المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .
٢٢ ــ تاريخ القدس ، (القاهرة) ١٩٤٧ .
٢٣ ــ المصدر السابق ، ص i و ii.
٢٤ ــ المصدر السابق ، ص ١٧٦ ــ ١٧٧ .
٢٥ ــ تاريخ بئر السبع وقبائلها ، القدس ، ١٩٣٤ .
٢٦ ــ المصدر السابق ، ص ٦.
٢٧ ــ تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، الجزء الثاني ، نابلس ، ١٩٣٨ و١٩٦١ .

هل حوّل الصهيونيون الصحراء الى جنة ؟

الدكتور رتشرد بيفز

الانسة زينب اليافي

لم يكن من بين الخرافات التي استندت اليها الصهيونية منذ نشأتها الاولى أكثر انتشارا من خرافة « جعل الصحراء تزدهر » . لقد تكلم عدد لا يحصى من المدافعين الصهيونيين عن تخريب العرب لفلسطين ثم اصلاحها على أيدي اليهود الصهيونيين والاسرائيليين . ومن الامثلة الحديثة على ذلك مقالة بعنوان « حق اليهود في اسرائيل » للحاخام ا. كاهن نشرت في مجلة **الاميركي الصهيوني** ، عدد كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨ ثم اعادت المنظمة الصهيونية الاميركية طباعتها من جديد . يجزم الحاخام كاهن في استعراضه ما يلي : « لقد بدأ ازدهار الاراضي المقدسة يضمحل عندما جاء اليها الاتراك العثمانيون في القرن السابع . كان الباشا التركي يزور البلد مرة في العام ليجمع الضرائب ، واذا ما تأخرت الضرائب قطعت الاشجار ودمرت القرى وأخذت البلاد في الانحطاط(١) . وبدأ البدو العرب يتسربون الى البلاد من الجنوب فخربت قطعان ماعزهم الاشجار والغابات ، وهكذا عندما جاء نابليون كانت الاراضي المزدهرة باللبن والعسل قد تحولت الى تلال قاحلة وأودية من المستنقعات . وأصبحت في أسوأ حالة لها خلال تلك القرون . ولاول مرة في كل تلك القرون وجد في هذه الفترة القصيرة عدد كبير من السكان العرب في البلاد ولكنهم لم يحكموها وانما حولوها الى ارض جرداء » . (ص ٢) . ويتابع الحاخام كاهن قوله : « أخذ الطلائعيون اليهود تلك الارض وازالوا منها الصخور وجففوا مستنقعاتها وأوجدوا الرياض الجميلة والمزارع وحسنوا الزراعة وشارك العرب في التقدم فأصبح العربي العادي في فلسطين أفضل حالا من نظيره في الاجزاء الاخرى من الامبراطورية التركية » . (ص ٣) .

ان الحاخام كاهن مبتسر نوعا ما مع اتراكه العثمانيين كما انه لا يوضح ماذا يقصد بقوله « هذه الفترة القصيرة » (من القرن السابع ــ القرن التاسع ؟) ، ولكن دعك من ذلك ، فهو يطرح الخرافة بشكل واضح ونموذجي . وهناك عرض لهـا أسهل منالا وأوسع انتشارا موجود في رواية جيمس ميكنرز واسعة الانتشار ، **المصدر** . فهو يصف كيف « ان المماليك أرسلوا عبيدهم يجوبون الارياف ويجتثون كل الاشجار ما عدا الزيتون ،

---

١ ــ ان هذا يثير نقطة مهمة . فقد لاحظ كثير من الرحالة السلب الذي كان يقوم به الاتراك في فلسطين دون ان يميزوا بوضوح بين الاتراك والعرب وتبعهم الكتاب فيما بعد في اخفاء هـذه الفروقات . بالطبع فان الاتراك كانوا بالنسبة للعرب قوة احتلالية (مثل الاسرائيليين) ويجب بالتالي ان لا يتحمل العرب مسئولية سوء ادارتها . بكلام آخر ، كان العرب ضحية كل من الامبراطورية العثمانية واسرائيل ، ومن السخرية ان يلقي الاسرائيليون بخطايا العثمانيين على العرب .

يعرون الجذوع ويكدسون الاعمدة الخشبية والاغصان المحطمة في مستودعات خاصة» . (طبعة فوسيت ، جرينتش ، ١٩٦٧ ، ص ٧٤٧) .
ويذهب الى أبعد من ذلك فيقول « صارت الحقول التي كانت جميلة يوما ما قاحلة وبقيت على حالها ، أهمل الزيتون القديم ولم يعد يعيش انسان حيث وجدت المدنية لزمن بعيد ... كانت هناك أفاع وحشرات تأتي من مستنقعات الملاريا التي حلت محل الحقول المروية التي أطعمت شعب ماكور لاثني عشر ألف عام » . (المصدر السابق، ص ٧٥٨).
وبالنسبة للحالة العامة للبلاد ، « كيف كانت متناقضة : فبينما كانت تذهب مياه المستنقعات سدى كانت الاراضي تتحول الى صحراء لحاجتها الى الماء . واذا ما صادف ومرت قبيلة بدوية في المنطقة فانها كانت وبدون احساس تقتل المزارعين الذين يحاولون احياء التربة وتستمر في سيرها » . (المصدر السابق ، ص ٧٦٠) .
ولكن كل هذا كان قبل الصهيونية: «لقد سمح القيمون الاخرون على الارض التي كانت حلوة أن تفسد وان تردم الآبار وتختفي الغابات ، لقد أعاد اليهود الارض الى انتاجيتها » . (المصدر السابق ، ص ٩١٤) .
لقد كانت لدينا شكوك حول هذه الخرافة لبعض الوقت . نحن نعرف عن التجفيف في وادي الحولة في الشمال وعن ري الصحراء في النقب في الجنوب وعن بعض المشاريع الاخرى ، ولكن التعبير العام « جعل الارض صحراء » هو موضع شك ، لشيء واحد هو ان ليس لذلك معنى من ناحية الارض .
ان لبنان ، جيولوجيا ونباتيا ، هو امتداد لشمال فلسطين وكثير من اراضيه منتجة وخصبة بدون فوائد الزراعة الصهيونية(٢). كما ان كثيرا من السياح طبقوا تلك الخرافة بسذاجة على كل اسرائيل بما فيها المناطق المزدهرة منذ اقدم الحقب مثل حيفا وسهل مرج بن عامر . وأدلاؤهم لا ينهونهم عن ذلك دوما . ولا يحتاج عالم النبات لمن يبرهن له ان كثيرا من اجزاء اسرائيل خصبة بطبيعتها وانها على هذه الحال منذ زمن بعيد . ولكن اين يكمن البرهان على ما نزعم ؟ منذ مدة وجيزة واثناء قراءتنا لكتب رحلات انجليزية واميركية اكتشفنا ان كثيرا من الرحالة الاول — وعددهم كبير جدا — قد سجلوا مشاهدات تفصيلية للمناظر البرية حيثما ساروا او ركبوا عبر المناطق الخالية . خطر لنا انه اذا استخلصت مشاهداتهم عن البلاد التي نحن بصددها ووضعت على خريطة مجسمة فانها ستحسم الخلاف بشكل موثوق . لذلك قمنا بالبحث والتجميع الضروريين ، وهذه هي النتائج :
كان جورج ساندیز الشاعر والمترجم الانجليزي احد الرحالة الاول الذين وصفوا البلاد بالتفصيل ، ففي عام ١٦١٠ قال عن البلاد بشكل عام : « البلاد التي تفيض باللبن والعسل ، في وسط عالم صالح للسكن وذات مناخ معتدل ، مزدانة بالجبال الجميلة والوديان الرغدة : تتفجر المياه العذبة من قلب الصخور وليس هناك من مكان يخلو من البهجة والمنفعة » . (ج. ساندیز ، **قصة رحلة بدأت عام ١٦١٠ بعد الميلاد** طبعة ثانية ، (لندن) ١٦٢١ ص ١٤١) .
ولاحظ لدى وصوله الى بحيرة طبرية ان « التربة المحيطة بها ذات طبيعة مدهشة اذ ان الفواكه التي تعيش في المناطق الباردة والتي تعيش في المناطق الحارة وتلك التي تعيش في المناطق المعتدلة ، تزدهر هناك كلها وكأنها في سعادة عظيمة » (المصدر السابق ، ص

---

٢ — ان وادي لبنان الاوسط ، البقاع ، كان في منتصف القرن التاسع عشر ، كما يقول مارك توين « صحراء مقفرة ليس فيها الا الحشائش وتغطيها طبقة كثيفة من الحجارة الواحد منها بحجم قبضة اليد. وكان السكان يحفرون في بعض الاماكن ليزرعوا محصولا ضعيفا من الذرة ، ولكن القسم الاكبر من الوادي كان متروكا للرعاة ... » (**البسطاء في الخارج** ، فصل ٤٣ ، تحرير سجنت ، ص ٣٢٩) . واذا كان توين دقيقا هنا، فان البقاع قد حقق انتعاشا ملحوظا منذ ايام العثمانيين — على أيدي الفلاحين اللبنانيين العرب .

١٤١). وفي تجواله نحو الغرب عبر ساندیز سهل مرج ابن عامر الذي وصفه على النحو الآتي : « أمضينا هذا اليوم في أخصب وأروع واد يمكن أن تشاهده العين : على يدك اليمنى سلسلة جبال عالية (الجليل) وعلى اليسرى البحر المتوسط ، محاطة بتلال متصلة ومرصعة بالثمار المتنوعة : فكما كانت معظم هذا اليوم ... مليئة بالتلال المزهرة والتي لا تعلو كثيرا على وديانها المغطاة بكروم الزيتون والمزدانة بالفاكهة هنا وهناك ». (المصدر السابق ، ص ١٥١) .

ووصف ساندیز الطريق الى القدس بأنها « معتدلة حتى على جانبيها تلال مستديرة مع بقايا آثار على قممها والاودية مشجرة في أجمل بقعة من الارض. ومع ان الارض صخرية الا أنها ليست قاحلة فهناك القمح والزيتون حول الاماكن المأهولة » . (المصدر السابق ص ١٥٤) .

وجد بيت لحم « تقع على أعلى قمة في سلسلة التلال ، تمتد الى الشرق والغرب في ارض جيدة وموقع ممتع » (المصدر السابق ص ١٧٧) . اتجه ساندیز بعد ذلك شمالا حتى وصل جبل الكرمل الذي كان « غنيا بالزيتون وكروم العنب وبعدة أنواع من الفواكه والبقول التي تستخدم للتطبيب ولروائحها العطرة » . (المصدر السابق ص ٢٠٣)

وزار هنري موندرل ، القس الانجليكاني الملحق بشركة الشرق الانجليزية في حلب ، الاراضي المقدسة عام ١٦٩٧ . وكان اول ما رآه في فلسطين هو سهل عكا الذي « كانت فيه جداول المياه تجري لمسافات قريبة وكل شيء آخر يمكن أن يزيد من بهجته وخصوبته» [هنري موندرل ، **رحلة من حلب الى القدس** (خياط : بيروت ١٩٦٣) ص ٧٠] . وبالنسبة الى عكا نفسها ذكر انها « تتمتع بكل ميزات المدن البحرية والبرية . وهي محاطة من الشمال والشرق بسهل فسيح خصب . » (المصدر السابق ، ص ٧٢) . وفي سبسطية في السامرة لاحظ موندرل انها « تقع على جبل طويل ذي شكل بيضاوي يبدأ بواد خصيب ثم بحلقة من التلال التي تمتد حواليه. » (المصدر السابق ، ص ٧٨). والحقل الذي يقع الى الجنوب من آبار يعقوب قرب نابلس « يرويه نهر عذب ينبع في مكان بينه وبين نابلس مما يزيده خضرة وخصوبة ... ومن بئر يعقوب اخذنا طريقنا الى الجنوب عبر واد فسيح وخصيب جدا » . (المصدر السابق ص ٨٤) .

وعندما اقترب موندرل من جرش ذكر وجود « عدة أنهار صغيرة تروي كل الحقل الواقع بين هذا وأريحا وتزيده خصوبة » (المصدر السابق ، ص ١٠٨) . وأخيرا وصل موندرل الى برية سانت جون غربي القدس ، « تسمى برية لانها صخرية وجبلية ولكنها مزروعة وتنتج الكثير من القمح والكروم وشجر الزيتون . » (المصدر السابق ، ص ٨٤) .

وزار فلسطين في القرن الثامن عشر رحالة انجليز آخرون كان منهم ريتشارد بوكوك وبك ويلي . وقام بوكوك برحلته في ١٧٣٧ — ١٧٣٨ وذكر ان الرملة « تقع في سهل غني .. » (ر. بوكوك ، **وصف للشرق وبعض البلدان الاخرى**، الجزء الثاني (لندن ١٧٤٠ ، ص٤)

وقرب اللد شاهد ان « كل هذه البلاد ذات تربة خصبة وفيها كميات كبيرة من الحشائش . » (المصدر السابق ، ص ٥) وعندما اقترب من سهل مرج ابن عامر رأى « واحدة من اجمل التلال » التي شاهدها في حياته اذ انها « ذات تربة خصبة تنتج نباتا ممتازا وتزينها مجموعات الاشجار فتجعلها في منتهى الجمال . » (المصدر السابق ، ص ٦٤) . وعن عكا قال بوكوك انها « تقع في سهل واسع جدا وخصيب تحيطها على مسافة ١٢ ميلا الى الشمال جبال كانت تسمى قديما بجبال لبنان الشرقية ، والى الشرق تلال الجليل الجميلة الخصبة . » (المصدر السابق ، ص ٥٢) . ثم ذهب الى الشرق حيث وجد ان « منطقة صفد ... سهل واسع غني ... مزروع بالقمح والقطن . » (المصدر السابق ، ص ٦١) . والى الجنوب من صفد قرب شاطىء طبرية تقع مدينة حطين التي « تشتهر ببيارات الليمون والبرتقال الجميلة . » (المصدر السابق ص ٦٧) وفي تجوله حول القدس روى بوكوك « نزلت الى الوادي الشرقي وتسلقت جبل الزيتون الذي يمكن

ارتقاؤه بسهولة عبر حقول القمح المزروعة بشجر الزيتون ... » (المصدر السابق ، ص ٢٩) وفي الطريق جنوبا الى بيت لحم « سرنا حوالي ميلين في هذا الوادي المزروع بالزيتون والتين والمشمش واللوز . » (المصدر السابق ، ص ٤٧) .

في أواخر القرن الثامن عشر جاء ويلي الايرلندي الذي وصل الى الاراضي المقدسة في ١٧٨٩ . انحصرت مشاهداته في القسم الشمالي من فلسطين وبالتحديد في المنطقة الواقعة بين عكا وجبل الكرمل غربا والناصرة شرقا. ذكر ويلي ان جوار حيفا وبالتحديد شفاعمرو « مشهورة بقطنها الذي يعتبر افضل قطن في الجليل . » [ت. ويلي ، **مذكرات بك ويلي** ، (لندن : ا. مورنينج المحدودة ١٩٦٠) ص ١٧٥] ثم سافر شرقا الى الناصرة ، و« عندما غادرنا الناصرة سرنا في سهل فسيح كان اهم ما ينتجه القمح والقطن . » (المصدر السابق ، ص ١٨٥) .

في القرن التاسع عشر جاء الى فلسطين مزيد من الرحالة ، بعضهم لاسباب دينية وبعضهم جاء حبا بالتجوال او لمجرد السياحة . رويت رحلات الليدي هستر ستانهوب ، ابنة أخت السير ويليام بت ، في القرن التاسع عشر على لسان طبيبها الدكتور مريون الذي شاهد ان « المنطقة الواقعة بين يافا والرملة متموجة وذات تربة غنية كما يتبين ذلك من محاصيل الشعير الرائعة . » [**رحلات الليدي هستر ستانهوب** ، رواها طبيبها الدكتور مريون ، (لندن ، كولبرن ، ١٨٤٦) ص ٢٠١] وعندما أطل على مرج ابن عامر أصيب بالدهشة ، « لم يسبق لنا ان رأينا تربة غنية كسهل مرج ابن عامر ، ان امتداده الشاسع يكفي ليطبع في الذهن صور الانتاج الهائل الذي يعطيه وكان التراب الغني تحت اقدامنا دليلا على خصوبته . » (المصدر السابق ، ص ٢٧٢) .

واخيرا أعطى مريون صورة عامة لفلسطين : « تعرض فلسطين كل التنوعات المختلفة من سهل وجبل وتل ووادٍ ونهر وبحيرة ، كما تمتاز بمناخ بديع . لا داعي لوصف وفرة الخضار اما الفاكهة فتكثر جميع انواعها من الموز حتى العليق وضفاف الانهار مكسوة بالدفلى والريحان والقطلب والشجيرات المزهرة الاخرى . » (المصدر السابق ، ص ٣١٩) .

وكتب القس ارثر ستانلي في ١٨٥٦ ان فلسطين لا تتميز لمجرد كونها « بلد الحنطة والشعير والكروم وشجر التين والرمان وزيت الزيتون والعسل ولكن هي بالتأكيد كبلد جيد ، بلد جداول الماء والينابيع والاودية التي تروي السهول والجبال » . (**سيناء وفلسطين** ، لندن : هازل وواتسون ، ١٩١٠ ، ص ٩٨) .

وكان استنتاجه حازما جدا : « لذا فان فلسطين بسبب خصوبتها القياسية وليس لمجرد موقعها يمكن ان تعتبر هدية العالم الشرقي التي كانت ملكيتها دليل فضل خاص من الله والموقع الذي تتنافس عليه الامم » . (المصدر السابق ص ٩٩) .

قدم المبشر الاميركي ويليام ثومسون وصفا اكمل وادق لفلسطين في القرن التاسع عشر وقام بين العامين ١٨٣٢ و١٨٧٦ بزيارة كل مكان في الاراضي المقدسة ورد ذكره في الانجيل . بدأ بالمنطقة الواقعة بين القدس وبيت لحم : « في الربيع تكسو خضرة الحنطة والشعير قسما كبيرا من هذا السهل ، وفي الوقت الحاضر فان هذا المنظر نادر في هذا الجزء من فلسطين ... » [**الارض والكتاب** ، (نيويورك الاخوة هاربر ، ١٨٨٢) ص ٢٤] ولاحظ ايضا ان « هذا الحوض قطعة ارض خصبة تنتج الاجاص والعنب والتين واللوز .. الخ بالاضافة الى المحاصيل العادية والزيتون ... » (المصدر السابق ، ص ٧٠) . (الموقع بالضبط غير محدد) وعندما اقترب ثومسون من رام الله وجد ان « الكروم تغطي التلال المحيطة المليئة بالتين والزيتون بينما يكثر قرب القرية تفاح واجاص ورمان وفاكهة اخرى . » (المصدر السابق ، ص ١٠٠) وفي نابلس شاهد ان « الطريق يؤدي الى سهل خصيب في الشمال ، » (المصدر السابق ، ص ١٠٧) وشرقي نابلس في وادي الفارعة شاهد انه « يمر عبر منطقة متنوعة وبهيجة وتقطع وهاد خصيبة على

الجانبين وتنحدر بوهاد مماثلة تكثر تحتها الاشجار من كل الاصناف . » (المصدر السابق ، ص ١٥٤) من هناك ذهب شمالا الى جنين حيث « تجف البحيرة في وقت مبكر من الصيف وتزرع تربتها المفرطة في غناها وخصوبتها بالخيار والبطيخ والذرة ومحاصيل صيفية اخرى . » (المصدر السابق ، ص ١٦٦) .

وباتجاهه غربا دخل ثومسون مرج ابن عامر ، حيث « التربة شديدة الخصوبة مقسمة الى مربعات من الحنطة والشعير والذرة الصفراء او القمح الهندي والذرة البيضاء والسمسم وحتى القطن ، وتتخللها شرائح داكنة من الارض البور ، وعلى امتداد التلال وفوق السطح تنحدر بساتين التين والزيتون الى السهل » (المصدر السابق ، ص٢٠٩).

وباتجاهه الى عكا اكتشف ثومسون ان سهلها كان « مزروعا وخصبا جدا كما يحكم على ذلك هذه الحقول الخضراء الواسعة.» (المصدر السابق ، ص ٢٥١).وكان الجليل يمتاز بكروم الزيتون والتلال الخضراء وذلك بسبب وفرة المياه وخاصة في سهل البطوف حيث « التربة فائقة الغنى . » (المصدر السابق ص ٣٠٣) . واخيرا وجد ان المنطقة الواقعة بين الناصرة وطبرية كانت خصبة ، « وهادها الخضراء وكروم الزيتون والحقول المتموجة بالحنطة تنطق بالسلام والخصب . » (المصدر السابق ، ص ٣١١) .

زار مارك توين فلسطين كسائح في العام ١٨٦٧ . وبجوار بحيرة طبرية قرب دان وجد نفسه « في واد اخضر عرضه خمسة او ستة أميال وطوله ١٥ ميلا . وتجري عبره الانهار التي تسمى منابع الاردن الى بحيرة الحولة ... تحيط بالبحيرة سبخة ينبت فيها القصب . بين السبخة والجبال التي تشكل جدارا للوادي من ناحية دان ، نصف الارض خصبة وترتوي من منابع الاردن » (**البسطاء في الخارج** ، تحرير سيجنت ص ٣٤٥ .) وقد قصد بالارض السبخة هنا تلك التي جففها واستصلحها المستوطنون الصهيونيون الاوائل .

سافر توين فيما بعد الى مرج ابن عامر حيث جبل طابور « يرتفع حوالي ١٤٠٠ قدم عن الغابة المخروطية الجميلة التي تحيط به ــ علامة الارض الشهيرة والتي تفرح العيون المجهدة بالنظر الوحيد الممل للصحراء السورية . تسلقنا الممر المنحدر الى قمته خلال فجوات الشوك والبلوط المهواة . ان المنظر يبدو من قمته جميل ففي الاسفل مرج ابن عامر الفسيح والمقسم الى حقول مربعة كلوحة شطرنج ، وتبدو القرى البيضاء المتلاصقة كنقط ناعمة على حدوده وتبدو الطرق والممرات البعيدة والقريبة كأنها خطوط قلم رصاص رفيعة . » (المصدر السابق ، ص ٣٧٥) .

غادر الجليل وركب جنوبا حتى دخل نابلس ، « بعد مرورنا بعدة قمم مكسوة بكروم التين والزيتون ... » (المصدر السابق ، ص ٣٩٦) وجد ايضا ان « الوادي الضيق الذي تقع فيه نابلس محروث والتربة سوداء وخصبة . انها مروية بشكل جيد وتكتسب خضارها بالمقارنة مع التلال القاحلة التي ترتفع على الجانبين . » (المصدر السابق ، ص ٣٩٨) وعن وادي القدس : « ... في الوادي وصلنا الى رياض غزيرة بالتين والمشمش والرمان واشياء شبيهة ولكن بعد ذلك اصبح المنظر فظا جبليا قاحلا.» (المصدر السابق ، ص ٤٣٩) .

نشر كلود كوندور في « التقرير الفصلي » (تموز يوليو ١٨٧٦) لصندوق استكشاف فلسطين مقالة بعنوان « خصوبة فلسطين القديمة » شرح فيها خصائص الارض الفيزيقية والطبيعية في تلك الفترة محاولا ان يقارن المواقع التي كانت موجودة آنذاك مع ما ورد في الانجيل ليستخرج اية تغيرات اساسية . « لم تتغير الوديان او السهول الصغيرة او التلال ، ولا زالت الحنطة والشعير والكروم والزيتون والتين والرمان هي المحاصيل الرئيسية للتربة ... ليس هناك تقريبا اية غلة طبيعية ذكرها الانجيل الا وهي موجودة في فلسطين الحديثة . » (ص ١٢٠) .

قسم كوندور فلسطين بعد ذلك الى مناطق جغرافية ــ فيزيقية ودرس كلا منها على

حدة . وهكذا « فان الاراضي المنخفضة ، ينطبق وصفها على كل المساحة الواقعة بين سلسلة الجبال الغنية بالمياه والسهل ، وتتألف بشكل رئيسي من حجر جيري ناعم وهي اغنى جزء في البلاد ، مليئة بالزيتون والقمح ، يهب عليها نسيم البحر وتغذيهـا ينابيع كثيرة ... » (المصدر السابق ، ص ١٢٣) . ويمكـن تقسيم التلال ايضا الى ثلاثة أقسام : ١ ــ الخليل المشهورة بكرومها ، ٢ ــ القدس المميزة بقمحها وزيتونها وتينها ، ٣ ــ نابلس او جبل افرايم الوعر والتين أهم منتوجاته .

وجد كوندور ان نابلس « ... هي الآن أغنى جزء في البلاد والقرى مبنية بشكل جيد من الحجر . وكروم الزيتون الطويلة فيها افضل منها في اليهودية . والقمح في وادي الشعير كثير وجيد . » (المصدر السابق ، ص ١٢٦) وفي سهول المنطقة الساحلية « التربة غنية جدا ويمكن الحصول على محاصيل جيدة قرب غزة بمجرد خدش الارض ... ان بيارات عسقلان ويافا حيث يزدهر البرتقال والليمون والموز شهيرة . » (المصدر السابق ، ص ١٢٧) وفي مرج ابن عامر « تربة السهل العظيم فائقة الغنى ... وغلاتها الرئيسية هي القمح والقطن والتبغ والسمسم والذرة البيضاء والصفراء والعدس وكل ما يؤكل من الخضار . » (المصدر السابق ص ١٢٨) .

كانت المنطقة الاخيرة التي درسها كوندور هي الجليل ، « الجـزء الاجمل وربما الاكثر صحية في فلسطين . الكروم لا زالت تزرع ... ويظهر ان خصوبتها زادت على خصوبة اليهودية . » (المصدر السابق ، ص ١٣٠) .

اذا كانت هذه الكمية من الادلة اصبحت مملة فيجب ان نأخذ بعين الاعتبار انها مجرد جزء مما يمكن استخلاصه ، سواء في الفترة حتى ١٨٧٥ او ما بعدها : وبالاجمال فانها ادلة تدعم بقوة وجهة النظر القائلة بأن الاجزاء الرئيسية في فلسطين كانت خصبة ومنتجة منذ زمن بعيد . ليست كلها طبعا على هذا الشكل وبدون انكار التخسينات الصهيونيـة ولكن المسألة ببساطة هي اعادة توازن . يسلم السير جون ريتشموند في رسالة بعث بها الى **الاوبزرفر** (٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩) بأن « استخـدام اسرائيل للرساميل والطرق العلمية قد حسن بالفعل الانتاجية الزراعية في فلسطين ، ولكن تفسير ذلك بأن فلسطين كانت صحراء قبل مجيء الصهيونيين هو بدون معنى . لقد رأيت فلسطين لاول مرة عام ١٩٢٣ واستطيع ان اشهد بكثرة الاراضي العربية الخضراء . لقد زرع العرب البرتقال في السهول الساحلية قبل ان تصبح الصهيونية مفهومة : وحتى في منطقة وادي الرفت فان عربيا هو موسى العلمي كان اول من جعل قسما منها اخضر منتجا » .

نتوقف عند هذه النقطة لانه في أيام كوندور او بعد ذلك بقليل ، ظهرت في فلسطين اول المستوطنات الصهيونية . وبذلك فبالامكان الزعم (وقد زعم فعلا) ان اية بقعة خضراء وجدت في «الصحراء» منذ نهاية القرن هي حصيلة جهودهم . ومثال على ذلك ان الرحالة الاميركية ادنا براون وصفت يافا في ١٨٩٥ على انهـا محاطة « بمئات الافدنة » مـن « بساتين البرتقال والليمون » ، وسهول الشارون القريبة على انها « منطقة جميلة تنتشر فيها الورود والازهار على مدى البصر . » [**من فيرمونت الى دمشق** ، (بوستن، ١٨٩٥) ، ص ٦٩ ــ ٧٠] ولكنها ذكرت في الجملة التاليـة « على يميننا كلية زراعية يهودية » مما يفسر بدون شك تفجر هذه الخصوبة المفاجئة . وتسجل الكاتبة نفسها ان عالم نبات اميركيا ، « يتجول هنا أعلمنا ان هناك مئات الانواع من الازهار البرية . ان سهول فلسطين مليئة بها وفي أماكن كثيرة سوف تشاهدون السجاد الاخضر الجميل مليئا بالازهار . يمكن ان تسمى المنطقة المملكة المزهرة ... » (المصدر السابق ، ص ٩٢ ــ ٩٣) . نعترف بأن لدينا شكوكا بأن « كلية الزراعة اليهودية » او بعض العمال القريبين زرعوهـا كلها ولكن بما اننا لا نملك برهانا على انهم لم يفعلـوا ذلك فيجب ان لا ندخل هذه ضمن القائمة بكل طيبة خاطر .

واخيرا نود ان نعبر عن شعورنا نحو أولئك الذين يجب ان يدعموا الخرافة الشائعة

مهما كلف أمر تصديقها .

يخبرنا الاستاذ روبن ولنرود في **ادب اسرائيل الحديثة** ان قصص جوشوا بارزيلاي « احد كتاب القصة الاوائل في اسرائيل » تحتوي على تعابير مثل « ليس في مقدوري ان اصف الشجر في ارض اسرائيل ... كيف أستطيع أن أصف جمـــال اشجار الزيتون والتين المتآخية ... اذ كانت الجنة مثل أريحا فيجب ان تكون جميلة ... كم هي جميلة زقزقة العصافير في بساتين البرتقال ! » يبدو الاستاذ ولنرود محيرا ـــ « نحن نعلم كم كانت الارض قاحلة في وقته وهكذا فنحن محتارون بمبالغته في الوصف » ـــ ولكن ليس لمدة طويلة : « **الان عرف بارزيلاي حقائق البلاد** ... فقرها وضعف أهلها ، ولكن قليلا من هذا موجود في قصصه . لقد كان يصف الارض على زمـــن الانجيل وليس الارض التي عاش فيها » . **ادب اسرائيل الحديثة** (نيويورك : ابيلارد ـــ سكومان ١٩٥٦) ص ١٠ . ان هذا التفسير فعلا حل بارع للمشكلة ولكنه ليس صحيحا بالضرورة حيث ان المعضلة هي من خلق ولنرود . فهو لا يتوقف عن سؤال نفسه اذا كان يعرف « حقائق البلاد » مع ان كتابا صهيونيين مضجرين آخرين مثل زئيف يافيث وابراهيم مابي يخبرونه بالقصة ذاتها : « ان كل النتاج الاول للادب الاسرائيلي هو على هـــذا الطراز . » (المصـــدر السابق ، ص ١١) وسواء كان ولنرود مشوشـــا بقصائدهم الرعوية ام لا فانه يقـــدم توضيحا جيدا : كانت الصورة في اذهانه هي صورة الايام في زمن الانجيل . ومن الممتع ان نسجل تعليقه على شهادة كوندور او على مقطع من كتاب الرحالة الاميركية المذكورة منذ قليل : « ... توقفنا عند بئر يعقوب لتناول الغداء . هنا تحدث المخلص مع امراة من السامرة وحدث تلاميذه عن الحقول الناضجة للحصاد ، وتخيلنا كيف رأى الحقول كما يمكن ان نراها اليوم . فاذا وقفت على البئر ونظرت نحو الشرق فانك ترى آلاف الافدنة من الارض السهلية الجميلة مغطاة بالسنابل المتموجة بانتظـــار المنجل . » (براون ، **من فيرمونت الى دمشق** ص ٩٣) .

ولكن طبعا ، هناك تفسير : انه التفسير نفسه : كلية الزراعة تلك من جديد .

صدر حديثا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

علاقات اسرائيل مع دول العالم (١٩٦٧ ـــ ١٩٧٠)

بقلـــم شحـــادة موســـى

استعراض كامل للعلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والفنية بين اسرائيـــل ومختلف دول العالـــم في فترة ثلاثـــين شهرا بعـــد العدوان

٥١٦ صفحة من الحجم الكبير ١٠ ل.ل.

ضغوط النار والجوهر الصلب :
توفيق صايغ ، كما عرفته

جبرا ابراهيم جبرا

لا ، لم يكن ليخطر لي ببال قط ، طوال هذه السنين الكثار ، أنني سأكتب عنه بعد موته . بل — ويا للسخرية — كنت أغذيه دوما بتفاصيل عن حياتي ، واطلعه على كتاباتي التي لا أنشرها واحدثه بما لا احدث أحدا عن دواخل ما اكتب وما أفعل ، جاعلا منه نجيا كما لم أجعل احدا ، لانني كنت اعتقد انه هو الذي سيحيا بعدي ليكتب عني ، وليس لي أحد مثله من حيث عمق المودة والتجاوب ، فكانه شق آخر لنفسي ، ولن يفهمني أحد مثلما يفهمني — بذلك الذكاء المفرط ، وذلك القلب الكبير. ولكن قوة ما خدعتنا ، خدعتنا كلينا . أخذتنا كلينا على حين غرة ، واختطفته الى حيث قلبت لنا الميزان ، وضحكت من الجميع .

لا ، ما كنت اظن اني سأكتب عنه بعد موته . كنت اتمنى ان اكتب عنه وهو حي . كنت — ولاكن مغرضا غرض الحب والاعجاب — اتمنى لو أحدد له بعضا من عبقريته في كل ما يكتب ، اكثر بكثير مما فعلت في مقالتين او ثلاث ورسائل كثيرة . بل كنت اشتهي ، مثله ، لو أننا يوما ننشر رسائلنا معا على رؤوس الاشهاد ، كما فعل ادباء كثيرون في العالم قبلنا ، لعلنا نوضح الكثير من تلك الفكر التي لم يتح لنا ان نجلوها كلها في ما كتبنا ونشرنا. غير ان ذلك بقي قيد التمني ، قيد المماطلة التي تضحى على مر السنين عادة يصعب قهرها . وكنت ، في السنوات الاخيرة ، في قلق متزايد عليه . كنت أراه يكتب أقل فأقل ، وأعرف السبب. حتى رسائله باتت أقل وأوجز . جعلت أعاتبه ، اذ يجعل الرسالة في صفحة واحدة ، كأنها « سونتة » لا يمكن ان تتجاوز قواعدها وتتخطى الحد المفروض عليها ، وهو الذي كسر ألف قاعدة، وتخطى ألف حد . ولكن العتاب صعب عندما تعرف السبب . هنا رجل أعطى الناس حبا ، فالبسوه اكليلا من الشوك . مد لهم يده ، فدقوا فيها المسامير . ولكن لا . لم يمد يده للناس . لقد مدها لله ، للمسيح — غير ان اناسا غفل عنهم اخذوها بأنيابهم . « الجمهور — الكلب »، تلك عبارة خطها في احدى رسائله الي ، يوم رأى كم من هذا الجمهور « اقبل » على « القصيدة ك » (بعد ان « أقبل » على ديوانه « ثلاثون قصيدة ») ، وأدرك ان لا صلة له بالجمهور . ولئن كان له ان يرضى بملاحقة سلوقي السماء له ، ويجد كبرياء ماسوكية في ان يضحى طريد اله يعشقه ويقارعه ويراوغه ، فانه ما كان يدري ان سلوقي الارض ، والزبد على شدقيه ، سيحاول ملاحقته ايضا ، ولا عشق بينهما . ولما تحقق من ذلك ، في سنواته الاخيرة ، اراد ان يضع نفسه في معزل عن الناس . ذهب بعيدا يشغل نفسه بالتعليم في امريكا — بالمحاضرة الى صفوف صغيرة من أفراد يستطيع ان يريهم ما يرى هو في التاريخ ، في اللغة ، في الادب ، في الخلق الجديد . لعله يجد عزاء عن نفي نفسه من جديد .

لم اعرف رجلا كتوفيق صايغ أحاط بعلم كثير كما أحاط وأصغى الى الناس كما أصغى — ومع ذلك لم يؤمن الا بما كان يحس انه نابع من أعماقه هو . كانت المعرفة لديه ، وهو لا يمل مطالعة كل ما ندر من كتب ومجلات ، من شعر ونثر في العربية والانكليزية ، وسيلة لطمأنة نفسه انه ، بما يؤمن به ، على حق . أما الشك فكان لديه تجربة دينية محضا . كان شكه بحرانا صوفيا ، واثخانا لجراحات قلبه . انه شك العاشق في من يحب : مقاساة داخلية ، تفردية ، تزيد في النهاية من ولعه ووجده . ولكنه لم يكن شكا في صحة موقفه من

الناس . لتقم قيامتهم ، اذا كانوا ، فيما يرى هو ، على خطأ ، ما دام هو قانعا بسلامة دخيلته . ودخيلته كانت في صفاء الجوهر ، وصلابته . دخيلة لم تعرف الحقد على أحد . الجمهور ؟ انه يرى انيابه ، ولكنه لا يفعل الا ان يدير ظهره اليه ، وليكن ما يكون . ما نطق لسانه — فيما أعلم — بقذف في أحد ، وما اكثر من قذفوه . وما انشق قلمه يوما عن كلمة حقد على أحد ، وما اكثر الاقلام التي حقدت عليه .

اما أنه رفض ، فذلك كل شيء . وهو لم يرفض — كما يفعل الكثيرون ممن يركبون موجة الرفض — كعملية ميسرة ، مريحة . انه رفض ، مع مقارعة مستمرة مع النفس . ال « لا » كانت لديه غيمة مشحونة . ولكنه عرف من اجلها الزمهرير ، والبلل ، والعراء . قصائده سجل لذلك كله . قصائده تفصيل لذلك العذاب الذي يتخطى اسطح العاطفة الى تضاعيف الذهن . العذاب الذهني هو الاعتى والامض . أراد الحرية ، وأراد الحب ، وأراد الوطن ، وفي سبيلها رفض كل ما هو غير ذلك — ولما لم يحقق واحدا منها ، وجد نفسه منفيا الى تلك البراري القصية ضمن أبعاد الذات، حيث تتقضى الليالي فوق رأسه في مبارزات سيوف من نار . لا سيف الام وحدها ، ولا سيف الحبيبة وحدها ، بل سيوف كثيرة هي سيوف الارادات العميقة التي تلوحها في وجهه دواخله أنى توجه . أراد أن يعبر الارض البوار ، ولكن أرض البوار امتدت تحت قدميه الى ما لا نهاية . وجب الاسود، ذلك الذي ذكره في نهاية قصائده الثلاثين ، وهو في اواخر عشريناته ، هل كان الا الجب الذي حمله دوما معه ، مؤملا ان يغلق دونه الافواه الضارية يوما — في قصيدة أخرى ، في ترحال ، في عشق امرأة ، في مجابهة للانتحار ، في تحرير مجلة ، في رسالة الى صديق او عزيز — ولكن الاسود بقيت على ضراوتها تطالب بالفريسة .

لم يكن غريبا اذن ان توفيق صايغ هو الذي كتب أغرب وأعجب قصيدة في اللغة العربية ، عندما كتب قصيدته «بضعة أسئلة لأطرحها على الكركدن». لقد وجد توفيق في الاسطورة الوسيطة الموازي الوحيد لقضيته الفكرية . فهو وحيد قرن — حيوان أبيض جميل ، وحشي ، يعيش في أعماق الآجام ، وحيد كالاله ، يبحث مثله عن العذراء « المتعذرة الوجود » ، يستحيل صيده الا بالخديعة ، ولقرنه الماجي فوائد يشتهيها المطاردون ، ليس أقلها انه اذ غمس في السم أزال عن السم صفته القاتلة، وانه « يسهل على النسوة مخاضهن / ويشدد في رجالهن العصير . » أما الايقاع به ، فلن يكون الا عن طريق عذراء تبعث اليه ، وتغويه ، فيضع رأسه ذا القرن في حضنها ، وعندها يكون موته على ايدي الصيادين الذين في انتظاره :

يكون موته الاخير في حبه ، وعفته :

ابدا يطاردونك .
وحوش الغاب ليست
أشدّ عليك من
القانصين الرشاق .
يطاردونك ، وتطاردها ، معا
ليحملوا الموت لك
لتحمل لها المحبة والعبادة
لتحمل الموت لك .

الاسئلة التي يطرحها كثيرة ، ومهمة . وهو بالطبع يطرحها على نفسه . العذراء قضيته ، وهي الوحيدة التي سيطلبها ، عازفا عن النساء كلهن : يطلبها ظنا منه ، كما يقول ، انه كفارس في العهد الوسيط سينقذ عذراء قيدت على صخرة « من عدو يرى واعداء في الخيال . » ولكن العذراء تطلب عشقا جسديا ، تطلب ان تفتض ، وتدمى ، وهو يريدها دونما جسده ، يضع قرنه السحري في حضنها لا ليستنزف دمها — بل دمه هو . فتجد العذراء انه « اسطورة معكوسة » ، انه

البطل الضحية ،
يطلب ، لا
يخلص ، الخلاص ،
ضحية ، اتقرن ذاتها بضحية ؟

ويرتاح هو بها ، فيما هي تضطرب ، ويفهم هو اضطرابها ، ولكنها لا تفهم ارتياحه .

وهذا ما جرى لتوفيق . طلب الخلاص ووجده بطلا ضحية ، كما تنبأ . كما أراد .

* * *

في صباح يوم من خريف عام ١٩٥٢ كنت أسير في باحة جامعة هارفرد، غريبا لا يعرفني أحد ولا أعرف أحدا، عندما سمعت صوتا يناديني باسمي ، بلهجة لا أخطىء فلسطينيتها . تلفت ، واذا بشاب ملحى، أصلع الرأس ، يعيد مناداتي . ولما اقتربت منه ، أحسست فجأة بالبريق العجيب الذي في عينيه الصغيرتين الذكيتين ، الباسمتين . وقد ادرك انني لم أعرفه ، فقال : « ألا تذكرني ؟ أنا توفيق صايغ . » فقلت : «ليس الاسم غريبا ، ولكن...»

قال : « لا بأس . لقد مرت اربع عشرة سنة منذ ان التقينا. الا تذكرني في الكلية العربية ، بالقدس؟ كنت انت عريفنا في ردهة النوم لسنة كاملة . الا تذكر ؟ » يعلم الله انني لم اذكر يوما طيلة تلك السنوات انني كنت « عريفا » في ردهة للنوم — وكانت اكبر ردهة في القسم الداخلي — في الكلية العربية . قلت : « ذاكرتي للاسماء ضعيفة ، ولكنني نادرا ما انسى وجها عرفته..» فضحك ، والتمعت أسنانه البيضاء النضيدة فوق لحيته السوداء القصيرة ، وقال : « طبعا كنت بلا لحية. وكان لي شعر كثيف .. » وفجأة تذكرت . تذكرت طالبا كان يصغرني بثلاث سنوات ، يلبس بنطلونا قصيرا ... يقف احيانا جانبا ، في رواق تهب فيه الريح وهو يكاد يرجف من البرد ، جامعا ركبة الى ركبة ، ويتكلم بصوت خافت ، وهو يبتسم ... توفيق .. طبعا تذكرت . فتى رقيق ، ضائع ، كأنه لا ينتمي الى أولئك الطلبة الكثيرين الصاخبين في الاروقة . يحمل كتابا ما ، دائما . (ولكننا كنا دائما نحمل الكتب .) تذكرته ، صغيرا ، ولكن حادا . مبتسما ، ولكن عينيه تتساءلان . يسأل ولا يقنع دائما بما يسمع من جواب . كانت تلك سنتي الاخيرة في الكلية ، أما هو فكان عليه ان يقضي فيها ثلاث سنوات أخريات . وحدثني فيما بعد انها كانت سنوات مرة ، انتهت الى خلاف بينه وبين العميد ، ومغادرة للكلية دون وفاق مع المسؤولين . وعندما توثقت صداقتنا بعد ذلك اللقاء ، لم اعجب ان ذلك الصبي الهش ، الذي تطفر البسمة الى عينيه قبل شفتيه ، لم يكن في دخيلته من الهشاشة شيء . كان ايمانه ، المترع حتى في ذلك الوقت بنزعة دينية مسيحية قوية ، يكفي لان يدفعه الى مقاومة كل من يختلف معه مقاومة عنيدة ، ولكن دون ان تبدر منه كلمة نابية، كأنه مسيح ازاء الفريسيين . كان ملجاه ذلك الابتسام الذي يوحي بالسخرية ، وحس المفارقة ، دون ان يبلغ يوما حد الشماتة — الا ، اللهم ، من نفسه أحيانا .

في هارفرد عرفته جيدا . لم يكن قد مر على زواجي الا شهران او اقل ، وكانت زوجتي معي. فأحبيناه جدا . وكان لنا هناك صحب من الطلبة العرب الآخرين — منح خوري ، بسيم حنوش ، حسن زكريا ، وغيرهم (كلهم اليوم دكاترة) — نلتقي في شقتنا الصغيرة ، نتكلم بحرارة ، ولا نكف عن النقاش . وكان توفيق أعلمنا بشؤون البلد ، وأدبائه ، ومفكريه . لعله كان اكثرنا مطالعة ، وحركة . كان كل يوم يقوم بمغامرة غريبة او يأتينا بحديث عن مغامرة : يتجول في أزقة بوسطن القديمة ، يتعرف بأناس مدهشين ، بعضهم من الزنوج ، ويتعرض احيانا لمخاطر يذهلنا انه لا يخشاها . كان يريد ان يعرف كل شيء . ولكنني كنت الحظ ان في ركن ما من نفسه ثمة وحشة يغالبها وتغالبه . كثيرا ما يذرع الطرقات ، وحيدا. ومع ذلك فانه يحضر المحاضرات ، يمشي الى ما لا نهاية ، يقرأ كثيرا ويقول لنا ما الذي يحسن بنا ان نقرأ . كل ذلك مع نكتة متواصلة . كان يركب الاحداث ، اذا رواها ، لينتهي دائما الى فكاهة وضحك . ننظر احيانا من النافذة ، فنراه يسير على الرصيف متأرجح الذراعين ، يدق يدا بيد ، فنناديه ونملأ الشارع بصوتنا المردد اسمه. فيصعد الينا .. وكان يصف نفسه بالشاعر ، ولكنه على غير عادة الشعراء ، لا يقرأ لنا شيئا من شعره — حياء ، او كبرياء . ولو لم يطلعني على القليل مما نشره قبل ذلك (وبخاصة في مجلة حررها لمدة في بيروت تدعى « صوت المرأة ») لحسبت ان شعره انما هو جزء من مغامرة مزعومة . ولكن معرفته بالشعر والشعراء ، عربا واجانب ، كان هائلا . وجعلت ادرك ايامئذ ان توفيق لم يكن شخصا عاديا . ولما قرأت شعره اخيرا ، بعد ذلك بزهاء السنتين ، في كتابه الاول « ثلاثون قصيدة » ، تحقق ظني به : متمرد فذ ، مجدد فذ ، فلسطيني فذ (راجع دراستي لهذا الديوان في كتابي « الحرية والطوفان » (١٩٦٠) ص ٤٣ — ٥٧) . والصفة الاخيرة كانت مهمة بالنسبة اليه ، والى فهمه ، اهمية الصفتين الاخريين ، لان في المنبع من شعره الذي أراده مغايرا لكل شعر آخر يعرفه ، كان حسه الفلسطيني المبرح بالنفي . ولما كانت نزعته الدينية تتغذى بتشبهه ، عن وعي او دون وعي ، بالمسيح ، لانه ايضا ابن طبريا وابن الجليل ، فقد كان النفي لديه مأساة مزدوجة : بعدا عن وطنه ، وصراعا متواصلا مع المسيح الذي لم يعرف نفيا مثله ولم يهون عليه بلية النفي .

* * *

في أواسط الخمسينات ذهب توفيق الى إكسفورد لمدة ، ثم عين مدرسا للادب العربي في جامعة كمبردج . وعدت انا الى بغداد لاجعل اقامتي الدائمة فيها . ولكن الصلة بيننا لم تنقطع قط : كانت الرسائل تغدو وتروح بيننا ، وفي الصيف قد

نلتقي في لبنان ، وقد نلتقي في لندن . كان من حسن الحظ ان عملي يقتضي مني كل سنة تقريبا سفرة الى لندن تدوم خمسة اسابيع أو ستة . وحال وصولي اليها ، يأتي توفيق من كمبردج ، ويبقى في المدينة الكبيرة بقدر ما يستطيع التغيب عن عمله ، ذاهبا الى كمبردج عائدا الى لندن ، طيلة اقامتي هناك . كنا نقضي الامسي الطويلة في حديث لا ينقطع ، في مقاهي المدينة ومطاعمها . وكان لنا بالطبع اماكننا المحببة الخاصة ، غير ان احب مطعم الينا كان مطعم « البوليفار » في شارع «وغمور» ، القريب من « اكسفورد ستريت » .

كنت احثه على الكتابة ، ويحثني عليها وان كان هو يعتقد انني لست بحاجة الى حث . اما هو فكان بحاجة الى الدفع مستمرة . (كنت ، حتى في لندن، اذ خلوت الى نفسي ، اكتب ، فيكاد هو لا يصدق ذلك !) وهكذا كان ان استخلصت منه وعدا بكتابة دراسة عن اقاصيصي التي أزمعت اخراجها مجموعة في كتاب عام ١٩٥٦ . وقد كان قبل ذلك قد كتب دراسة نقدية لشعر عمر ابي ريشة ، نشرت في مجلة « الآداب » ، جعلتني أجزم انها وقتئذ خير ما قرات من نقد في العربية في موضوع معاصر . ولما صدر كتابي « عرق وقصص اخرى » وقرات مقدمته لاول مرة — اذ انني سلمته القصص ، وطلبت اليه ان يكتب ما يشاء وينشره كمقدمة قبل ان يريني اياه — طفرت الدموع الى عيني مرات عديدة . « عبر الارض البوار » كانت شهادة مسهبة معقدة، عميقة الابعاد ، نافذة الرؤيا ، لا على محاولتي القصصية فحسب ، بل على محاولة توفيق نفسه في فكره وفنه . وانا ما زلت اعتقد ، بعد خمسة عشر عاما من نشرها ، انها ربما كانت ابرع دراسة نقدية ظهرت في جيلنا الادبي . وقد اعترفت له انني بعد ذلك ادركت ان من السخف ان اتصدى لعملية نقدية الا اذا استطعت ان اجاري ما كتب . كانت امتحانا لي ، وحافزا ، لم اعرف مظلمها حتى اليوم. ورغم انه كان يكتب الشعر — ولكن بقلة غريبة — جعلت اطالبه بكتابة نقد جديد . كنت اطالبه ، فيعد ، ويختار ، ويخطط ، ثم يرفع يديه يائسا قائلا انه « عاجز » عن التنفيذ .

بيد ان الشعر لم يكن يفارقه ، رغم حرصه على الا يطلع احدا عليه قبل ان ينضج ويختمر على هواه . فطيلة السنوات الواقعة بين ١٩٥٤ و١٩٦٠ كان يكتب القصائد ، ولكن دائما بالم . كان يتحدث عن الالم الذي يسبق الكتابة ، والذي يرافقها ، والذي يليها . لان القصيدة لم تكن يوما لديه الهية، او ازجاء لساعة فراغ . كانت القصيدة لديه تفجيرا عاتيا لتجربة عاتية ، وكان عليه ان يكون في كل سطر منها صاحب صورة جديدة ، يحاسب عليها نفسه حسابا واعيا ، صارما . وكان في النصف الثاني من هذه الفترة الهامة من حياته الشعرية ان تعرف بفتاة تدعى « كاي » كانت له ، بعد المسيح وفلسطين ، الملهم الاكبر سنوات عدة . ليس لنا ، على هذا القرب ان نستقصي علاقات توفيق بعدد من النساء اللواتي كان لهن أثر في شعره ، ولو ان ذلك سيغدو مع الزمن ضروريا لاستيضاح الكثير من غوامض شخصيته وشعره . ولكن لا مفر من القول ان توفيق ، بعد « ثلاثون قصيدة » ، لم يجد في المرأة ذلك الالهام الرومانسي الذي يحلو للناس ان يتخيلوه . كانت المرأة مصدرا للكثير مما يقول ، ولكنه مصدر متفجر ، خطر ، جارح ، محطم .

كانت كاي تغويه وتعذبه معا ، وتتقن كلا الفنين وتتمتع بهما . ما رايته في لندن في اواخر الخمسينات ، الا وهو في تباريح غريبة من هذه الفتاة — وهي فنانة تقيم في لندن ، تتشبث به وتغار عليه ، وتعقد عليه لذة الحب بلذائذ من قسوتها السادية لا يستطيع منها فكاكا . تغار عليه حتى من اصدقائه ، فلا تريده ان يراهم ، ولا تريد هي أن تراهم . أسماء صحبه لديها تعاويذ شريرة. يأتيني منهكا ، شاحب الوجه ، محروم النوم ، مهووسا برعب هذا الحب اللذيذ المرير . ولا انكر انني ، في احدى الفترات ، جعلت اشك في وجود امراة كالتي يصف ، والتي لم أرها قط . ومرة اخرى قلت له ايامئذ انني جعلت اظن انه انما يروي لي عن مغامرة راعبة من خلق خياله . غير ان امره معها تعدى كل حد ، وكانت العقابيل واضحة . كان يحاول ان يخلص نفسه بكتابة الشعر ، وهو الذي يأتيه بالالم المحض ايضا . كان يداوي الالم بالالم . الى ان جاءني يوما في ربيع عام ١٩٦٠ واعترف ، وهو يخشى الاعتراف ، بأنه يفكر بالانتحار . افزعني تلك الليلة .كان في ذهول لم ار أحدا في مثله : يصحب ذهوله اصفرار في الوجه ، ورجفة في الشفتين الجافتين ، ورعشة في الرأس اذ ينتفض فجأة وهو يتكلم ، فأرى ان المسألة قد تجاوزت حدود العقل . وكان لي معه في تلك الليلة عراك : الحياة اهم من كل امرأة ، الشعر اهم من كل تجربة ، وتوفيق صايغ اهم من

الف كاي . كنا (ما زلت اذكر) جالسين في كرسيين كبيرين في « فندق بيرنرز » على مقربة من «اكسفورد ستريت » . طلبت له شرابا كثيرا ، وهو لم يكن كثير الشرب . وقلت له انني ضقت ذرعا بزهده وتقشفه . كل أجود الاكل ، قلت له . لا تقبل الا بأفخر الطعام وافخر الشراب . تحدث عن الموت كأنه ليس من معارفك . تق اليه ان شئت ، ولكن لا تسع اليه . بقينا في جدل ، وعتاب ، والحاح . واستطعت في تلك الليلة ان اقنعه بضرورة عشاء فاخر . وتعشينا عشاء فاخرا . وغادرني في ساعة متأخرة وهو يعدني بالا يفعل شيئا «شاذا» قبل أن يتصل بي . ولم انم تلك الليلة ، ولم ادر كيف اقضي النهار التالي الى ان جاءني عصرا ، يضحك ضحكته الساخرة . كم مرة بعد ذلك راودته فكرة الانتحار ، لست ادري . غير انني شعرت انه يومئذ عبر الازمة بنجاح ، او ، على الاقل ، عبر ذروتها القاتلة . لان الازمة نفسها لاحقته لبضع سنوات أخر . داراها اولا لمدة سنتين بكتابة ديوان « القصيدة ك » ، وهو معها بين هازم ومهزوم ، وكأنه انسان عاد للتو من عالم الموتى ، الى ان خيل اليه انه حقق لنفسه توازنا ما ، يستمده من الكتابة من ناحية ، ومن اصراره على حياة جديدة من ناحية اخرى ، حياة راح يعلل نفسه بها طيلة اشهر الصيف التالي الذي قضاه في لبنان .

وفي ذلك الصيف بالذات ، من تلك السنة الحاسمة في حياته ، ذهبت انا ايضا الى لبنان مع عائلتي لقضاء قرابة الشهرين في سوق الغرب . هناك في فندق كامل ، كان يأتي الينا توفيق واصدقاء كثيرون. ولكن اذا جاء توفيق بمفرده، جاء حاملا مخطوطة «القصيدة ك». ولاول مرة راح توفيق يقرأ، اجل يقرأ، قصائده علىواحدةواحدة.كثيرا ما كنا نسيرفي ذلك الطريق الجميل بين الفندق وقرية كيفون ، وهو يقرأ شعره الصعب ، المكهرب ، الناتىء . ثم ننتهي الى مقهى في كيفون يشرف على وديان ورواب نحبها (تذكرني بوديان وروابي طفولتي في بيت لحم) ، ونعيد قراءة القصائد من جديد . كنت اشعر ان هذا الشاعر الذي لا يقراه الا القلة العارفون ، يحاول في وحشته ان يصهر اللغة ، قديمها وحديثها ، اليفها ووحشيها ، في بوتقة صنعها بنفسه ، ليعيد سبكها في قوالب من خلقه. لم يتوقع اعترافا بعبقريته من احد ، ولم يرد ذلك. فبقدر ما كان يصارع رؤياه، الملأى بالحب والجراح والنفي ، الملأى بأصوات تتقارع جيئة وذهابا بين الله والشيطان ، هكذا كان يصارع كلماته نفسها في عزلة يضربها على نفسه ، غير مستهد الا بذلك الاشعاع الذي يحسه في جوهر دخيلته . وكان في تجربته الذوبان في ذات الله او المسيح ، شق يناقضها هو التمرد على كلما نشأ عليه من ايمان. وعلى غرار ذلك ، كانت تجربته مع اللغة : ايمانا بها وتمردا عليها . ولم يكن تمرده الا الوجه الآخر لايمانه ، وكلاهما مشحون بالغضب ، والنزق ، والشهوة ، والسخرية . لم يكن غريبا على من حملق بوجه الموت مدة طويلة ، الا يخشى حكما من اناس اقاموا انفسهم سدنة مزعومين للغة .

صبيحة يوم أحد ، في ذلك الصيف ، خرجنا انا وزوجتي وتوفيق ورياض نجيب الريس ، في سيارة كبيرة يسوقها رياض ، للصعود الى جبل صنين . وبعد مسيرة طويلة في فجاج ملتوية ، يمتد بعضها بمحاذاة وادي الجماجم ، جئنا الى ممر شديد الضيق ، متهافت الصخر ، على يسارنا جدار الجبل ، وعلى يميننا واد سحيق الانحدار . على كتفه ، في ذلك الممر الخطر ، قابلتنا سيارة فولكسواغن صغيرة ، وكان على رياض ان يحيد قليلا الى اليمين ليسمح لها بالعبور عن يساره . وما ان فعل ذلك ، وقد أبطأ السير جدا بالطبع ، حتى شعرنا ان الدولاب الامامي على اليمين ، قد اصبح في الفضاء او كاد — فوق الشفير المتداعي . فأوقف رياض السيارة ، وخرجنا جميعا قبل أن تنقلب بنا . خرجنا جميعا ، الا توفيق . وحده بقي قابعا في زاويته في المقعد الخلفي . لم يتزحزح . لم يعن له الموت شيئا ، فلم يخف الانهيار . رفض النزول ، بل انه سخر منا ، لاننا أسرعنا بالنزول من السيارة . وظل مكانه بقميصه الابيض ، مكتوف الذراعين الى ان تعاونا مع سائق الفولكسواغن على تحريك السيارة بعيدا عن حافة الهاوية .. وعبرنا الخطر .

غير ان المزيد من الالم كان في انتظار توفيق عند عودته الى انكلتره ، وكان عليه بعد صدور « القصيدة ك » ان يداري امتداد محنته ردحا آخر في لندن كيفما استطاع . لقد حسب انه بهجره كاي وكتابة ما كتب فيها ، قد انتهى منها ، غير انه كان عليه بعد بضعة اشهر ان يفرغ دمه منها بكفارات جارحة جديدة ، وكتابة قصيدة اخرى دعاها، عندما نشرها أولا في مجلة «شعر» ، «القصيدة الاخيرة»، ظنا منه انه لن يجد بعدها ما يحرك فيه شهوة الشعر ثانية قط .

تلك القصيدة كانت « معلقة توفيق صايغ » . ففي الاشهر التي مرت بين الكتاب السابق وبين كتابة « المعلقة » ، وجد توفيق انه ما زال في قبضة تلك الهواجس التي يلذها ويخشاها معا ، والتي ما انفكت تمثل حبه العنيف النازف ، مهما حاول ان يداجي او يتهرب . كانت وفاة والدة الشاعر قبل ذلك بعشر سنوات هزة كبـرى في حياته . وكان انصرافه عن هذه المرأة التي أراد أن يرى فيها ، ولكن عبثا، تعويضا عن فقدان امه ، هزة اخرى . وكلتاهما لديه عملية موت وميلاد معا .

وقد قال ذلك بالنص تقريبا في الرابع من تشرين الاول عام ١٩٦٠ ، بعيد صدور « القصيدة ك » : « مرتين في ١٩٥٠ وفي ١٩٦٠ ، كنت على وشك الانتحار دفعة واحدة . آنذاك اجتزت احدى ازمتين في حياتي (لا تضاهيهما الا ازمة الولادة) . في احداهما اقصيت عن النعيم ، وفي الاخرى عن الجحيم . يتحدثون عن فاجعة الفردوس المفقود : الفاجعة لا في انه الفردوس الذي فقد ، بل في الفقدان ذاته ، لفردوس كان او لنار . في ١٩٥٠ وفي ١٩٦٠ لم يكن الجبن الذي صدني ، اخيرا ، عن الانتحار . ولماذا لا انتحر مرة واحدة ؟... الم تكتشف ان في من (من مـاذا ؟ أجل قلها : من النرطقة ، من الماسوكية ، من الانحراف ؟) ما يجعلني استمرىء الانتحـار التدريجي البطيء ، اتلذذ ، اتمتع به ، ارتمي عليه ارتماء الرضيع على ثدي ماردة ، والمحب على حبيبة — أمعى ، فلا أود أن أستعجل الشبع الكافي ، ولا اللذعة ، المرهقة — المريحة ، الحاسمـة ؟ » (راجع : « أنا ... توفيق صايغ » ، جريدة النهار البيروتية ٤/١٠/١٩٦٠) .

بعد نشر هذا الاعتراف في جريدة « النهار » بأسابيع ثلاثة ، كتب الي من لندن يقول : « انا في هذا العام اقل تعاسة مني في العام الماضي . (ك) حاولت مرة واحدة، لكن بشراسة وعنف واستماتة، ان تعود الي كما كنا : ذلك الجزء مني الذي ما زال يذكر الآلام الماضية ، وامكانية العيش بدون (ك) ، وضرورة الانصراف الى الانتاج ، تغلب ليلتها على ذلك الجزء مني الذي ما زال يذكـر المباهج الماضية ، واستحالة العيش بدون (ك)، وعبث كل انتاج اذا لم تكن هي الى جانبي . تغلب ليلتها ، لكن الى متى سيظل متغلبا ، وهل سيظل متغلبا اذا (وعندما) كررت المحاولة ، أو اذا نفذت تهديدها الذي كررته ست مرات ، بقتلي او بتشويهي ؟ ! لست ادري لست ادري . » لم يتغلب طويلا ، الى ان جاءت « المعلقة » تجسد ، على اروع وارعب ما يستطيع ، تجربة حياته كلها ، فيهيىء له الشعر ثانية منفذا الى بعض من ضياء في نهاية النفق المظلم الطويل .

* * *

ليس من السهل دخول عالم توفيق صايغ الشعري. انه عالم حاول توفيق ان يرسمه بصور من الحياة في المدينة المعاصرة — المدينة الجميلة ، الفاجرة ، المشتهـاة ، التي يراهـا تخبىء « الاشباح في الزوايا » وتحتضن تحت المصابيح « عجائز يتمتمن جذلات مفجعات » الملأى بكهوف كما يؤوي الفـم « فراغات وسوسا » . عالم يتحدث بصور من السفر ، والباسبورت والتأشير ، والوشاية ، و« الكلابيج » في المعاصم ، والجماهير المزدحمة، والبغـاء ، وضرب السياط ، وسـير العـربات والقطارات ، والوحـول ، ومشردي الليالي ، وينابيع الدم ، والفراش البارد . والى ذلك كله فانه عالم كثيرا ما يراه الشاعر ايضا بلغة المزامير، بلغة الاناجيل وصورهـا — تلك الصور المقرونة بحياة المسيح وأمثاله ومواعظه . انه عالم جائر ، جائع ، خائن . فاذا كان المسيح قد خانه « واحد من اثني عشر — واحد من بين الالوف » على حد قول توفيق ، فان الشاعر قد عرف فيه من الخيانة ما هو أشد وأدهى بكثير . وحتى قبل ان نجيء الى « المعلقة » فاننا نحس ان الشاعـر في ديوانيـه الاولين قد اقام الصلة وهـو لا يدري بينه وبين تديسين قدامى — ولا سيما جيروم وأوغسطين . والفارق بينه وبينهما هو ان الواحد كتب رسائله والآخر اعترافاته بعد التجربة ، بعد أن مخر البحار المغتلمة من العشق والضياع وبلغ ميناء الراحة عند قدمي المسيح ، في حين أن الشاعر ضرب عليه ان يمخر بحاره نأيا عن ميناء الراحة عند قدمي ذلك الذي تشبه به ، نحو مدن العشق والضياع. ولذا ، بينما كان جيروم وأوغسطين يذكران ايام الخطيئة واللوعة والرعب وهما في حماية المسيح، فان توفيق كتب اعترافاته وهو يكتوي بحسه انه يفقد حماية المسيح، فلا يبقى له ما يصد عنه غوائل العشق والضياع . ولذا فانه في عودة مستمرة الى المسيح ، الى البحث عنه ، الى معاتبته ، الى مقارعته ، الى الصراخ به ذلك الصراخ الايوبي الحائر ، لان الشاعر تعذب من اجله ، ومع هذا لم يلتفت اليه ، بل هرب منه . هكذا يخاطبه :

بدد السكون صراخي
فأقفلت في الليالي النوافذ ،
وعلا فوق جلبة المنادين
فتسللت بين العربات .
الاحقك ابدا بدعائي ،
اكرره بدون رتابة :
وماذا علي ان خرقت طبلتيك
ولم تبق ما لم تخرقه فيّ ؟

(القصيدة ك ، رقم ١١)

هذه في الواقع هي خلاصة كتاب « القصيدة ك ». في احدى عشرة قصيدة من قصائده الخمس والعشرين ، نجد الشاعر يخاطب المسيح . أما الحبيبة ، والمفروض انها هي محور الكتاب ، فلا يخاطبها مباشرة الا بقصائد ثلاث . وهناك ثلاث اخرى يتحدث فيها عنها وهي أمور تتعلق بها ، كما ان هناك ثلاث قصائد يتحدث فيها ، على نحو مباشر ، عن الوطن والنفي والتشريد . غير ان المواضيع هذه كلها ، في باطن القصائد جميعا ، متداخلة متواشجة ، يلخصها في النهاية بتلك القصيدة المدهشة « من الاعماق صرخت اليك يا موت » ، التي هي ذروة هائلة للكتاب كله ، بل « ذروة شامخة في شعرنا المعاصر باجمعه » كما تقول سلمى الخضراء الجيوسي .

ليس المجال هنا للمقارنة بين تشبه توفيق الشاعر بالمسيح ، وبين تشبه بعض زملائه الشعراء ، وبخاصة بدر شاكر السياب ، بالمسيح ايضا. ولكن لا بد من القول هنا ان ما رآه السياب من « مسيحية » الشاعر بالتضحية والفداء ، جاعلا من الشاعر مصلوبا آخر من اجل خلاص البشرية واخصاب الارض ، ليس هو بالضبط ما نراه في توفيق . فالمسيح لم يكن لتوفيق مجرد رمز تموزي للخلاص . كان المسيح له الها فاديا على الانسان ان يتبعه ، ويعشقه هو وحده ، ويتوحد به ، فيجد الخلاص . المسيح له هو القوة التي على الانسان ان يجعلها قوته لكي تجد البشرية خلاصها . (يقول في احدى رسائله الي (٢٢ / ١٩٦٠/١١) : « ان من يحمل الصليب ولكن يحب ابا او اخا او زوجة اكثر من المسيح فانه لا يحب المسيح . ولا مجال للمساومة . »)

توفيق ، هنا ، بالطبع ، مؤمن بالمعنى المسيحي المحض ، وايمانه هو الذي يبرحه ويضنيه ويشعره بالمرارة عندما يجد انه لا يهيىء له الخلاص . فيعارك الهه باستمرار ، بل ويحاسبه ، كما في القصيدة الثالثة من « القصيدة ك » ، حسابا دقيقا مذهلا ، حيث يقول :

وفتحنا افواهنا
واكتوت السنتنا باللهيب ،
وتبعناك حتى في غيابك
واغتربنا حيث شئت
وتناثرت اجسامنا اشتاتا ،
وانصلبنا مشقلبين .
لأجلك .

ونجده في القصيدة العشرين يجاهر بعزمه على القطيعة النهائية بينه وبين المسيح ، وان يقذف به الى حيث يتلاطم الموج وتنفجر الرعود ، وفي نهاية القصيدة ، وقد تصاعد غضبه تصاعد الفجيعة والقنوط (وهل آلم من غضب المحب على الحبيب !) يقول ، واصفا موقفه يوم الدينونة امام العرش :

وتجتاحك والعرش
قهقهة متواصلة هادرة
ملأى بفصم العرى
الازدراء فيها والعويل اضطربا ،
عبثا يخفتها سوق صحبك لنا لبعيد
عبثا يطغى عليها
تلاطم موجك ، انفجار الرعود
عبثا يصمك عنها
صخر ضمير
وتهليل المخنثين لدنك الهزالى .

تهليل المخنثين ! انه يرفض ان يكون خصيا من اجل من يحب. وستكون قهقهته الاخيرة داوية هادرة... انها منتهى يأس المؤمن من رحمة ربه ، الذي يشبه النزوع الى الانتحار . غير ان توفيق كان يعلم ان هذا الغضب سيدفعه في النهاية رجوعا الى الحياة، على ذلك النحو الذي بلغ به حافة الموت ثم قذف به عودة الى الايمان ، ربما لكي يتجدد لديه العذاب . فهو حتى هنا لم يستنفد عذاب العاشق المنفي ، مما سنراه بعد ذلك في « المعلقة » . ولعل بعض السر في هذا المنحى هو ذلك الدمج الخفي ، الذي يبرز على حين غرة هنا وهناك ، بين التجربة الدينية العنيفة والتجربة الجنسية العنيفة . فتوفيق صايغ كثيرا ما يستعمل الكنايات الجنسية للدلالة على العلاقة الايمانية ، كما فعل من قبل عديد من المتصوفين ، وكما فعل شاعر أحبه توفيق حبا خاصا : جون دن ، الشاعر الانكليزي الميتافيزيقي الذي عاش في القرن السابع عشر . فهذا الشاعر ، عندما انقلب من عاشق عنيف

للنساء الى عاشق لله ، نقل الصور الجنسية الحسية التي تمتع بها في شبابه الى تجربة عشق الله التي عاشها في كهولته . غير ان توفيق زاوج ما بين التجربتين على طريقته الخاصة . فكان في تجدد الشهوة الجنسية كل مرة بعد انقضائها ، موازٍ له لتجدد الشهوة الالهية كلما تبددت عند ذرى اليأس .

قد يقال ان هذه التجربة الصوفية، الملأى بالجراح، تعود في الاصل الى نشأة الشاعر الدينية . ولكن لنا ان نقول ايضا انها تعود في الاصل الى كون الشاعر فلسطينيا ، نشأ في الجليل والقدس ، مما جعل توحده بالمسيح سهلا وعميقا .

وفي خروجه من ارضه كان بؤسه لا بؤس الاقتلاع من الارض وحسب ، بل الاقتلاع من المسيح ايضا. والفتاة ك ، بعد عشر سنوات من هذا الاقتلاع ، تصبح ضربا من عنصر اضافي في كيميائية هذا الالم المعقد ، بحيث يقول لها :

أجئت تعيدين عليّ
مأساة بلادي ؟

ولذا فان بؤسه في من يحب ، هو بؤسه في الله والوطن . تجربة فذة للايمان والقطيعة ، للتوق والرعب — تجربة تتجدد ولا تنتهي . ولكن في القلب منها جوهرا صلبا يتحمل الضغوط المتزايدة ، يبلغ حافة التهشم ، ولا يتهشم .

* * *

عالم توفيق صايغ الشعري ، اذا ما دخلناه ، ولو بعد لأي ، لا بد لنا من ان نسلم برموزه ، ونرضى بلغته ، لندرك فداحة العبء الذي حمله ، لندرك أن شعره ، بعبارة كافكا ، انما هو « غناء من الجحيم » ، وانه وثيقة نفسية مظلمة ، مدهشة. فلئن يفترض في الشاعر ان يمجد الحياة فان هنا شاعرا يمجدها سلبا : يمجدها بالتأكيد على ما جردته منه ، بالتأكيد على ما رفض به من عذاب وعبث من اجل الحياة نفسها .

لم يمض وقت طويل بين «القصيدة ك» و«المعلقة». سنة واحدة ، ربما، لا اكثر . واذا التجربة العاتية التي افترض الخلاص منها في « القصيدة » ، ما زالت عقابيلها فراشا له من الشوك . كل ما قاله لم يف بحاجته ، وكان عليه ان يعيد الكرة ، على نحو آخر ، في « المعلقة » ، ليضع حياته نفسها في منظور معين عساه ان يفهمه هو . ربما كان المتوقع ان يجعل موضوعه مرة اخرى الحبيبة والوطن والله : ولكن العنصر الجديد هنا كان مهما : الام . كان متوقعا ان تقذفه تجربة الغضب على المسيح لهجره اياه الى العودة الى المسيح من جديد ، ولكن اعترافه الآن بات كاملا ، فكشف عن حبيبة اخرى — أمه . واذا وجوده انما هو قائم بين مريمين ، كلتاهما مريم الاحزان ولكن احداهما «مريم الهدوء» والاخرى «مريم الصخب»، الواحدة « مريم البذل والوقاية » والاخرى « مريم تطلب كل يوم ضحية » ، انهما « مريم القلب ومريم الجسد » ، وكلتاهما مريم الحب : أمه وكاي . وبعد وفاة أمه ، فانه ما فتىء يراها رافعة سيفا من نار كالذي كانت تقيه به ابان حياتها ، بيد ان الحبيبة تقابلها الان بسيف مثله من نار ، استحواذا عليه :

والتقى السيفان في
شبه صليب
رفعت عليه ،
ولا باكيات
ولا محنطات
ولا من يدحرج الحجر .

وهو لا يرى حياته بين هذين القطبين كمسيح مصلوب وحسب ، دون الباكيات على المسيح ، بل يراها دائما ، « تلاحق نار ونار ، زماني أورخه بالنار. » وذكر النار يسري في ثنايا القصيدة كلها. والتهاويل الانجيلية التي يصور بها تجربته تجعله مدوما في دوامة عيسوية لا يعرف لها ما يستطيع وقفها .

كل ليل من جديد
أطارد أحاكم
أعذب أقاد للمقصلة ،
كل صبح من جديد
أطارد ولا هارب
أسعى ولا كأس
أتعكز ولا محجة .
أدوّم في فراغ
لا أهدأ أو أشل .
مقعد ، ولا
أهل ولا
بيت حسدا ،*

---

* المقعد الذي شفاه المسيح عند بركة بيت حسدا في القدس (انجيل يوحنا ، الفصل الخامس) كان « سقيما » منذ ٣٨ سنة . والذي يلفت النظر ان الشاعر ، عندما كتب هذه الكلمات ، كان عمره أيضا ٣٨ سنة .

كسيح ولا مسيح .
....
كل ليل كل صبح
أرمل من جديد أيتم .
أفجع من ردى
لا قيامة بعده
ردى فقيامة فردى .

هذا الردى المتكرر لن نجد ، مهما بحثنا في الكتب ، من استطاع الخوض فيه بهذه التفاصيل المذهلة الراعبة كما فعل توفيق ، ساردا اياها في صور تشع بالفعل والرمز معا، سوى قلة من الشخصيات التاريخية . فلكي نجد له مقارنة في عالم التجربة او عالم الكتابة، لا بد من عودة الى ما خطه القديسون القدامى . ويبدو ان الشاعر كان يحس ذلك ولو حسا مبهما ، فأدخل رسالة من القديس جيروم الى جوليا في صلب معلقته ، تأكيدا على بعض تجربته : رؤى الجسد الفاحش تنهك الناسك في صحرائه ، حتى لتنقلب « خشتي الخالية / مرقصا فاحشا بروما » . فيرتمي على قدمي المسيح يسقيهما بدموعه ، محاولا اخضاع ثورته بالصلاة والصوم . (ولنذكر ايضا رواية فلوبير عن القديس انطون ، وهو نهب غواياته الشهوانية ، ورؤاه تنهمر متلذذة ، جاهشة ، عاصية ، مستغفرة ، وهو يعيش في القفر على كسرة من خبز وابريق من ماء مج ، والغوايات الشرسة تتواتر بين اسطر العبادة .) غير ان توفيق صايغ يضيف الى ذلك كله تنسكا هو تنسك مجرد ، بحت ، خلا حتى من سلوة الايمان . فهو يتخلى عن « تلته الخضراء » بكل ما فيها من لذائذ الحس ومحفزاته ، لينصب له « جبلا شامخا قاحلا هالكا مهلكا » يأوي الى قمته ، ملتفعا بالغبار ، حيث لا اله يناجيه ، حيث، كما يقول : « نجو ، ولا نجاة ، ولا نجي . »

وما هذا الا جزء من مضمون « المعلقة » . انها صراخ ايوبي صادر لا عن آلام الجسد (كما في سفر أيوب ، او في أيوبيات السياب الاخيرة) ، بل عن تحرق ذهني حممي يتفجر في الاعماق ، ويبعث الشروخ والصدوع عاليا وسافلا في الجوهر من كيان الانسان ، حيث الكسح يهدد سويداء القلب من هذا المتمرد العاشق الجائع العطش المطارد في أزقة المدن الكبرى . انها قصيدة تتناثر لظى ، في اربعة مقاطع ، كحركات اربع ، مواضيعها على التوالي : المبارزة بسيفي نار بين الام والحبيبة فوق رأس الشاعر الطريح في الفراش نصف مشلول ، الام (في ارتدادة زمنية مسلسلة) وهي تنقذ الشاعر من نار بعد نار ، من ارض لماء ، من وطن "نمى ، الى ان تموت ، « فيستهل عهد التيه » ، الحبيبة المرفوضة المشتهاة وهي تمعن في الطعن حتى في غيابها ، والشاعر « الناسك » يخبط في تيه الحاضرة الكبيرة وحيدا ، والحب يخترقه وينساب فيه « أنهرا من البواليع » ، والصراخ في النهاية عند قدمي المصلوب ان«اعنّي. اعنّي . »

كل ذلك في شعر حاد ، صلب كالسكاكين ، يعتمد ترديد الموضوعات وتركيبها كما في الموسيقى ، متوترا صاعدا نحو ذروة مرة كالموت ، وان تكن ايضا ذروة أخيرة من الايمان .

لقد كانت هذه القصيدة ، بالنسبة الى توفيق ، طقسا شعائريا ، طهر به نفسه . كانت ضرورية له ضرورة تلك الكفارات والصلوات التي يذكرها في اشعاره . غير انّ ذلك لم يكن كافيا له . فقد كان توفيق يريد ان يحقق لا الخلاص وحده ، بل الشعر ايضا . وكان يعلم في قرارة ذهنه ، انه لن يحقق الخلاص اذ لم يحقق الشعر ، لشدة ما قرن بين الاثنين . وذلك بالضبط هو ما استطاع ان يحقق : لقد خلق شعرا جديدا ، عظيما . كان هو يعلم ذلك — وثقته بما يعلم لا يزعزعها رأي من احد — وكان بعض عارفي فنه يعلمون ذلك . غير ان خيبته كانت أليمة ، لان شعره لم يقرأ . كان يحس كأن حجابا من دخان يطلق من حيث لا يدري لمنع رؤيته ، ورؤية شعره . ومهما كانت فترة الخمسينات والستينات فترة التجديد الثائر ، فانه كان لا بد للشاعر فيها ، لكي يقرأه الناس ، ان يبرع في الاعلان عن نفسه باستمرار ، ان يفتعل المناظرات والمهاترات ، ان ينضوي تحت الوية يتبناها وتتبناه . وهذا ما رفض توفيق ان يفعله . رفض ان يعلن عن نفسه او ان يفتعل مهاترة او ان يتبناه أحد . بقي شعره للقلة ، وبقي شعره ذا نفوذ صامت ، قلما تحدث عنه حتى المتأثرون به — ولو ان التأثر به ظل هو ايضا أمرا نادرا ، لتميزه وفذاذته وصعوبته . غير انه بقي شعرا أكاد اقول رهيبا ، موضوعا على الرف كقنابل موقوتة لا بد يوما ان تنفجر .

من المأساة الا بد للشاعر احيانا من ان يموت قبل ان تتضح معائبه ، وتتجلى أهميته . من المأساة ان نكتشف بعد وفاة توفيق ان « معلقته » من اعظم قصائد العصر . لو أنفق على شرحها عشر الجهد

الذي يتطلبه شرح اية من معلقات الجاهلية السبع لبانت خطورتها وعمق مواكبتها لزمن الغربة والفجيعة . لقد أطلقت حجب الدخان ايضا حول صديق لتوفيق ، هو بدر شاكر السياب ، ولكن شعره بعد موته اخذ يتكشف عن روعته واهميته ، وانتصف للشاعر أخيرا. والغريب ان السياب ربما اضحى منذ الآن على شيء من « الكلاسيكية » بالنسبة الى المجددين الآخرين واللاحقين . اما توفيق فيبقى مجددا مستقبليا للمجددين انفسهم . كان بدر شاكر السياب صوتا هادرا لعصره لا محيد من سماعه . غير ان توفيق صايغ كان صوتا ذا امواج لم يعرفها او يألفها عصره ، فلم تسمعه الا آذان حساسة خاصة . وككل المبدعين الكبار ، كان توفيق صوتا زامن عصره وسبقه معا : تنبأ به، وصفه ، وتخطاه . ثم صمت. وكان صمته الشعري تجربة أخرى من تجارب العذاب ، تجتاح هذا الجوهر الصلب ، وتحاول تهشيمه .

* * *

في هذه الاثناء كان توفيق قد ترك جامعة كمبردج ، وعين استاذا للادب العربي في جامعة لندن . بقيت اللقاء في لندن وبيروت ، والرسائل بيننا متواصلة. كان يعترف بكسله ، لانه لا يكتب بالقدر الذي يتمناه هو ، أو أتمناه أنا له . غير انه جعل يحس بانكشاف الغمة عنه ، ولو تدريجيا . كان له اصدقاء وصديقات معجبون به يبادلونه الود والعشرة الطيبة . منهم من يقيم في انكلتره او يدرس فيها ، أو يزورها بين الحين والحين . وكان بحديثه معهم ، ولا ريب ، يعوض عن الكثير مما لا يكتبه ، فضلا عن مطالعاته النهمة التي لم يكن ليجاريه فيها أحد . وقد لفت نظري انه في بيروت (واحيانا في لندن) ، اذ يتجول في الشوارع او يخرج للقاء الصحب في الليل او النهار ، يحمل بيده كتابا يضع فيه دائما جواز سفره . لم يكن يحمل هذا الجواز في جيبه ، بل بيده ! فلما سألته عن ذلك قال : لكي يبرزه بسرعة اثباتا لهويته كلما طلب اليه ذلك! كان دائم الخشية من أن يسأله أحد من هو ، ولا يستطيع أن يقنع السائل بهويته — لا سيما اذا كان شرطيا ! هذه صورة نجدها في اكثر من قصيدة لديه ... الرمز والواقع ! وأي واقع !

في الفترة التي أنجز فيها « المعلقة » وبعدها ببضعة اشهر (أي بين عامي ١٩٦١ و١٩٦٢) ، شغل نفسه ايضا بعمل صعب ربما لم يكن غيره ليستطيع الاقدام عليه . وهو ترجمة « رباعيات اربع » لـ تي . اس . اليوت . كانت هذه الرباعيات قمة اليوت الشعرية ، وقد كتبها في غضون سنوات عدة ، وضع فيها تجربته الفنية والدينية والفلسفية على نحو لا ريب ان توفيق كان يتوق لو يحققه هو ايضا في شعره . فجاءت ترجمته للرباعيات ، مع الدراسة الطويلة التي استقصى فيها ببراعته النقدية جوانبها ورموزها المعقدة ، اتماما لعملية الشفاء او التكامل النفسي الذي كان ينشده عن طريق الكلمة . وقد نشر الرباعيات تباعا ، ثم الدراسة عنها ، في مجلة « أصوات » التي كان يحررها الاستاذ دنيس جونسون ديفز ، والذي كنت اعلم بما يلقى وهو يلاحق توفيق ، طالبا منه ان ينجزه ما يعد ، وتوفيق لا يبخل بالوعود !

بيد ان توفيق كان قد سئم الحياة في الخارج لحد الكراهية ، وطفق يبحث عن نهاية للنفي وعودة الى الوطن . سئم التدريس ، وسئم الترجمة ، وأراد الاستمرار بالكتابة ، واحس بأن الغربة استنزفت طاقته . فلما عرض عليه يومئذ ان يراس تحرير مجلة جديدة تصدر في بيروت ويقولبها على الشكل الذي يشتهيه ، اقبل على الفكرة بحماس ولهفة . وهنا ايضا كانت قناعته الداخلية بسلامة ما يفعل هي المتكأ الوحيد الذي يطمئن اليه . وهكذا اتفق مع منظمة حرية الثقافة على اصدار مجلة اختار لها اسمها « حوار » ، وقرر ان يجعل منها افضل مجلة عربية على الاطلاق ، تستقطب خيرة المجددين من الادباء والمفكرين والفنانين . وعاد الى بيروت مشحوذ الهمة والعزيمة كما لم يكن لسنوات ، متفائلا بامكانيات الخلق في الطاقات العربية الجديدة ، مستعدا للبحث عنها والسعي اليها اينما كانت ، لاعطائها حيزها المشروع .

انصرف عن كتابة الشعر ، وجعل المجلة قصيدته المتوالية مرة كل شهرين ، بل راح ينفق عليها من الجهد والحب ما لم يكن ينفقه حتى على شعره . غير انه اندهش ثم انصدم حين رأى رد الفعل العدائي تجاه ما اقدم عليه . ولم يكن التحدي ليخيفه ، وهو الذي ثبت عينيه بوجه الموت مرات ولم يخف . غير انه شعر من جديد انه طريد صيادين لا يعرفهم . وفي غمرة من هذا الشعور العنيف كتب عام ١٩٦٣ قصيدته « بضعة اسئلة لاطرحها على الكركدن » . كتبها (وكان يحسب انه لن يكتب شعرا بعد « المعلقة ») ، ومرة اخرى وجد في رموزها مخرجا شافيا لما يعتمل في نفسه . فلئن يوقع الصيادون بالكركدن ورأسه في حضن

عذرائه ، فانه لن يرفض الموت ما دام هو قد امتلك العذراء بعفته ، رغم علمه بأنها تريد منه ما لم يخلق هو له . هكذا ، يخيل الي ، كان توفيق يمازج بين الواقع والرمز ، ويجد الخلاص فيما يفعل . طارده سلوقي السماء ، وعضعضه سلوقي الحب ، وتناوشه اخيرا سلوقي الارض . كان ربما يتلذذ بأن يكون الطريد ، والضحية . فهو لا يمل الحديث عن ماسوكيته هذه . غير ان ذلك لم يكن الا قناعا لصلابته الهائلة من الداخل ، لترفعه الواثق ، لنقائه الفكري .

واستمر في اصدار « حوار » على الشكل الذي أراده لها . وباتت رسائله الي مثلا لا تتحدث الا عن حاجات المجلة ، وتخطيطه لها ، هذا المقال ، وتلك الصورة ، وذلك الكاتب ... أفنى شخصيته في شخصية هذه الجنية النهمة التي راحت تطالب بوقته ، بعصبه كله ، بعبقريته كلها . حتى ما عاد يعيش ، لسنوات اربع ونيف ، الا لها . (ولو انه كتب عام ١٩٦٦ كتابه الوثائقي البارع « أضواء جديدة على جبران خليل جبران » ، وهو من أهم ما نشر عن جبران في اكثر من ربع قرن) غير ان المجلة لعبت معه ذلك الدور نفسه الذي لعبته كاي : متعته ، وعذبته ، واخيرا هددت بتشويهه . ولما اصدر بيانه في ايار ١٩٦٧ عن اغلاقها، وطالب الامة العربية بمن يتبرع لتمويلها ليصدرها من جديد ، فقد كان انما يفعل ما فعله في سنيه السوابق ، يوم رفع يديه وعينيه صائحا : «أعنّي. أعنّي . » وهذه المرة لم يعنه أحد . لا نعلم ان كان قد انصرف نحو المصلوب آنئذ من جديد يستصرخه . ولكننا نعلم أنه في العدد الاخير من المجلة نشر خاتمة قصائده — بعد صمته الطويل — بعنوان « أيضا وأيضا » . انها ثماني « قصائد حب » موجهة الى امراة عن عذاب نهائي مريع ، في القصيدة الاخيرة منها نرى الحبيبة تأتي جثته الصريعة الدفينة ، كجثة المسيح في القبر ، فتكسر الختم وتدحرج الصخر ، وتغسلها بالدموع ، بل لتبحث عن « موضع في يد او قدم لم يثقبه مسمار » لتغرز فيه مسمارا وأظفارا :

تتيقنين ان قطرة
من دم لم تتبق
او نسمة من حياة ،
تفقئين المقلتين
تشقفين الجثة
ينعشك النتن ،

تخرجين بالرمم
تنثرينها : فلا بعث
ولا وقاية قبر أو كفن .

اذكر انني كتبت اليه حالما قراتها ، لاحدثه عن قوتها وروعة مأساتها ، عالما بالطبع بأنها اكثر من قصائد حب ، بأنها تصور محنته ، وغضبه ، وقرفه من جديد . فكتب الي بتاريخ ١٥ أيار ١٩٦٧ : « شكرا جزيلا لرسالتك . ولكل الكلمات المنعشة المؤثرة التي قلتها فيها عن «ايضا وأيضا». والواقع انها احزنتني في الوقت ذاته : لانها جاءت « كصدمة » — صدمة ان اسمع كلمة جيدة عن اي شيء يتعلق بي ، وسط خضم من الاقوال والاعمال والمناورات الدنيئة الواطئة التي أحاصر بها من كل جانب ، ومن جانب الاصدقاء قبل الجميع . »

لقد عاودته بعنف تجربة الكركدن والعذراء : انه محاصر من كل جانب . وحتى الحبيبة لن تكتفي بصلبه ، ولا بد من « تشقيف » للجثة ايضا . المجلة ، الاصدقاء ، المحبون ، الجمهور : لقد احس انه ضحيتهم جميعا . وجاءت بعد ايام نكسة حزيران ، لتضع وقرها الساحق على قلبه ، مع الاوقار الاخرى .

* * *

السنوات الثلاث الاخيرة من حياة توفيق صايغ، التي قضى معظمها في التدريس في منفاه الجديد ، كانت فيما يخيل الي سنوات مطهر له . بل ان فترة قصيرة ، في اواخر ١٩٦٨ واوائل ١٩٦٩ ، قياسا على رسائله ، اوحت الي بانه ربما عاد اخيرا الى ضرب من الهناء اخذ يذكره لاول مرة منذ سنوات. كنت أشعر انه يحاول ان يخلص الى حياة جديدة، ورؤيا جديدة ، كلتاهما تتصل بذلك الجوهر الذي رغم كل شيء بقي صلبا نقيا في قرارة نفسه . غير انني فوجئت به في الصيف الماضي في بيروت ، وهو يجهد نفسه في اخراج ترجمته لرباعيات اليوت الاربع في كتاب أنيق ، وفي تهيئة محاضراته للعام الدراسي الجديد ، اذ وجدته قليل الكلام ، منطويا على مرارة لا حيلة له بها . كان كالمحزون الذي يرفض كل عزاء . وقبل سفره بيوم واحد قال انه ذاهب الى عمله في جامعة بيركلي دونما رضى عن سعيه مرة اخرى الى تلك الآفاق البعيدة . كان مصمما ، حال انتهاء السنة الدراسية ، على العودة الى بيروت والبقاء فيها ، مهما كلفه الامر. كان كمن يريد ان ينضو عنه ثوبا عتيقا ، والثوب

لاصق بجلده . وقد رجوته ان يعود ، ان يعود الينا ، الى ترابنا ومياهنـــا ، يستريح من هذه الوعثاء التي لا يرى لها من آخر . وكنت واثقا من انه سيعود ، رغم اللاي المرتسم علـــى وجهه السكوت. ولم اكن اعلم ان الضغوط الجائرة التي عاناها في اعوام طويلة من الالم ستمد الى قلبه تلك اليد الشرسة ، يد ذلك الذي حدق في وجهه طويلا ، ومازحه ، ولم يخف من سطوته . ولم يعد توفيق .

غير ان توفيق صايغ في واقع الامر سيعود ، ولن يغادرنا ، اذا اعطيناه حقه . وحقه علينا قائم في كتبه ، هذه التي سيعود فيها الينا ، فتبقى انفاسه حية ، متقدة ، جزءا من كياننا ، وتفكيرنا . هنا ، معنا، بيننا، يجب أن ينتهي تطوافه.منذ سنوات قال « النفي من الوطن ليس أشق منه الا النفي الى الوطن . كنت أحلم ببلدي ، فأفيق أرتجف . كنت اتصور ذاتي عدت ، مخطرا مسافـــا ، واحطت بمواطني (الذين رجعت اليهم، وأحببتهم ، واتركهم غدا بحسرة ودمعة لم تعرفها العين منذ زمن) ، فاصرخ بوجههم : « لان رفاقي القدامى ، مخصبي التيه ، عادوا اليكم ، يهدهم اثم اثقل منه الشعور به ، لان الذين باعوا الدنا معي عينتوهم موظفين، ومتمـــردي الشعر يعلمـــون الفرزدق في المدارس الثانوية ، ظننتموني رجعت ، وانسقت مع من لم يكونوا ينساقون لاحد ؟ » وكنت أشرئب في القلاع الهوائية ، اتحداهـــا برمح صداه : « لاني لا استطيع ان احيا بغير جذور ، ظننتموني سأحيـــا كالجذور ، في خمول وظلام وصقيع ؟... »

« ان خوفي من الرجوع ، المتجلي في هذه الصرخة، انما كان الخوف من ان يكون الرجوع انتهاء ، من ان اعود الى الاهل والصحب والوطن ، لا كما تعود البذرة الى تربتها الام ، لتعطي وتحيي وتحيا، بل كما تعود الورقة لتوسخ وتذوي ... »

هذا الذي باع الدنا من غير ما تردد ، يجب ان يكون رجوعه الينا رجوع البذرة الى تربتها الام ، كما تمنى . ولئن تعصف بنا الفجيعة بموته ، فانه بموته يحيي قضية شعره ، وشعره سيمنع الرجوع من ان يكون انتهاء ، بل انه سيبدأ دورة جديدة من الحياة ، تعطي وتحيي وتحيا ـــ دائما . فليكن لنا بهذا بعض عزاء .

صدر حديثا

هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل

بقلم الدكتور الياس زين

نتكلم دوما عن الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة .

وهذه اول دراسة عن الهجرة اليهودية من فلسطين المحتلة ، وعودة اليهود الى مواطنهم الاصلية .

بحث تحليلي مدعم بالاحصاءات والجداول .

بالعربية (٢٠٠ صفحة) ٢ ل.ل

منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

شارع كولمباني المتفرع من شارع السادات

بناية الدكتور راجي نصر ـــ ص.ب ١٦٩١ ـــ بيروت

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

لم تزل معركة أيلول (١٩٧٠/٩/١٧) تفرز نتائجها على حركة المقاومة الفلسطينية في الاردن . ويبدو ان ذلك سيستمر لفترة قادمة ايضا . فقد كان العمل الفدائي الفلسطيني حتى أيلول عملا شرعيا علنيا ، بينما تفرض الظروف الجديدة على حركة المقاومة القيام بسلسلة من الخطوات التراجعية ، ستنتهي موضوعيا الى تحويل العمل الفدائي الى عمل سري ، يستمد شرعيته من حقه النضالي ، وليس من اعتراف السلطة الاردنية به . وحين يستطيع العمل الفدائي ان ينتقل الى السرية (كأسلوب في العمل الجماهيري ، السياسي والمسلح ، وليس كاجراء تنظيمي فقط) تكون افرازات معركة أيلول قد انتهت ، لتبدأ مرحلة جديدة كليا من مراحل النضال الوطني الفلسطيني ، الدرس الرئيسي فيها ان معركة فلسطين كمعركة تحرر وطني لا يمكن فصلها عن الارتباطات والتوجهات السياسية للحكومات العربية ، وأن أي مخطط فلسطيني للتحرير سيصطدم بهذه العقبة ، وتكمن كفاءته التاريخية في مقدار فهمه لها وقدرته على نسج تحالفات مع القوى الجماهيرية العربية للالتفاف حولها وتخطيها . وحين نقول ان معركة أيلول لا تزال تفرز نتائجها على حركة المقاومة فاننا نلمس آثار ذلك بشكل واضح جدا على كافة مناحي العمل الفلسطيني. فمن علاقات التوتر اليومية بين السلطة والمقاومة ، الى الخلافات العلنية بين بعض المنظمات ، الى مناقشات المجلس الوطني الحادة ، الى كثافة العمل العسكري على الحدود ، نستطيع ان نلحظ بوضوح ، خيطا واضحا يجمع هذه القضايا كلها ، ويفرض عليها نمطا واحدا من النقاش والحوار والعمل . ولتوضيح ذلك سنبحث في كل قضية من هذه القضايا على حدة، في الفترة الواقعة بين ١٠/١ و ١٩٧١/٣/٢٠ .

١ ــ العلاقات بين المقاومة والنظام : في العلاقة بين المقاومة والسلطة الاردنية نقطة واحدة وأكيدة ، وهي ان هذه السلطة مصممة تماما على العمل لانهاء الوجود الفدائي في الاردن . واذا كانت قد نفذت هذا المخطط في أيلول على أساس القيام بمعركة واحدة واسعة وعنيفة ، فان تنفيذه بعد أيلول يقوم على اساس المعارك الصغيرة ، والمتباعدة زمنيا . ويمكن على سبيل التذكير فقط ايجاز محاولات الابادة المدروسة على الشكل التالي : (١) معركة ايلول في ٧٠/٩/١٧ . (٢) معركة جرش في ٧٠/١٢/٦ . (٣) معركة السلط في ٧٠/١٢/٢٥ . (٤) معركة الرصيفة في ٧١/١/٨ . (٥) معركة هملان في ٧١/٢/١١ . (٦) معركة اربد في ٧١/٣/٢٦ . وهذه السلسلة من المعارك هي تتويج لخط سياسي يومي يبرز بوضوح لا حد له في تصريحات واجراءات السلطه الاردنية . ففي ١/٢٣ قامت بشكل مفاجيء تظاهرات مدبرة من قبل اجهزة المخابرات ، في مدينتي السلط والمفرق ، رفعت شعارات اقليمية، وهاجمت مكتب اللجنة المركزية في السلط ، واحرقت ٤ سيارات للمقاومة . وقالت الاذاعة الاردنية في ذلك اليوم ان هذه المظاهرات قامت ابتهاجا بعودة الملك حسين من لندن . وبعد فترة وجيزة ، وعلى اثر مفاوضات متصلة بين المقاومة والنظام ولجنة المتابعة العربية ، صرح السيد وصفي التل رئيس الوزراء أنه قد جرى اعتقال بعض المتظاهرين للتحقيق معهم . ولكن هذا التراجع الشكلي لم يدم طويلا فبعد يومين فقط هاجمت الاذاعة الاردنية لاول مرة ، وبصورة شخصية ، الاخ ياسر عرفات واتهمته « بالانجراف في تيار الالاعيب السياسية والغوغاء الدعائية الزائفة » ، هذا في الوقت الذي كان فيه الاعلام الاردني يركز طوال الاشهر الماضية ، انه ليس ضد « الفداء الشريف » بل ضد « المخربين » في العمل الفدائي فقط . ويكفي موقف من هذا النوع ليكشف لعبة الاعلام الاردني ، وليبرز التناقض المبدأي بين العمل الفدائي ككل واهداف النظام الاردني وغاياته . هذه الغايات التي يتسع نطاقها يوما بعد يوم . ففي اليوم التالي للهجوم الاذاعي على ياسر

عرفات ، اعلن وصفي التل في مقابلة مع تلفزيون الاذاعة البريطانية (١/٢٦) انه لن يسمح في المستقبل للفدائيين بالقيام بأعمالهم ضد اسرائيل الا من داخل الاراضي المحتلة ، وعلق ياسر عرفات على تصريح التل قائلا « لقد اصبح وضعنا أصعب ولكننا لن ننهزم » . وعلى أثر اذاعة تصريح التل اصدر ناطق اردني رسمي توضيحا له نفى فيه ان يكون قصد التل منع العمل الفدائي من استعمال الاراضي الاردنية ، واكد بالمقابل ان هدف التصريح هو تطوير العمل الفدائي ليصبح أكثر فعالية داخل الاراضي المحتلة . ولكن وصفي التل لم يعبأ بهذا التوضيح، ومضى الى ما هو ابعد من تصريحه الاول حين قال في ندوة عقدها يوم ١/٢٧ في نادي الاردن بعمان « ان الاردن سيعترف باسرائيل اذا انسحبت من كل الاراضي المحتلة » .

وقد انعكس هذا الموقف السياسي الاردني ، الذي يشكل كشفا حقيقيا لاهداف معركة أيلول ، على وضع اللجنة العربية العليا للمتابعة . ففي نهاية شهر ك٢ بدأ الحديث يتوافر عن منع لجنة المتابعة من اداء مهمتها ، وعزمها نتيجة لذلك على التوقف، وقد ساد هذا الانطباع بعد تصريح للطيب السحباني (١/٣١) سفير تونس في الاردن قال فيه ان لجنة المتابعة « انتهت من مناقشة كل النقاط المدرجة على جدول الاعمال » ، وأوحى هذا التصريح للمراقبين ان اللجنة على وشك انهاء مهمتها . وبعد ذلك بأسبوعين (٢/١٥) اعلن ان العميد احمد حلمي رئيس فريق المراقبة سوف يغادر عمان الى تونس لرفع تقرير الى الباهي الادغم ، وكان ذلك بمثابة اعلان غير رسمي عن عزمه على التخلي عن مهمة لا يستطيع اداءها بسبب عرقلة السلطات الاردنية. وقد عبر العميد حلمي عن ادانته للسلطة الاردنية بتصريح قال فيه (٢/١٨) : ان فرص الصدام بين المقاومة والسلطة الاردنية لا تزال قائمة لان الاتفاقات المبرمة لحل الازمة نهائيا لم تنفذ كاملا ، وحدد المشاكل على الشكل التالي : ١ — المخافر التي تنشئها السلطة في الاحياء ، ولم تكن موجودة قبل أيلول . ٢ — رفض السلطة الاردنية اعتماد اوراق اللجنة المركزية كما ينص على ذلك بروتوكول عمان . ٣ — رفض السلطة الاردنية الافراج عن بقية المعتقلين لديها منذ معارك أيلول . ٤ — رفض السلطة الاردنية تسليم أسلحة المقاومة الثقيلة التي استولت عليها اثناء معارك أيلول . ٥ — رفض تسليم مناطق هامة للفدائيين اتفق على تسليمها مثل منطقة (أم الرمانة) .

ومن جهة اخرى كان الموقف السياسي الاردني يعكس نفسه في سلسلة من التحديات للجماهير ولحركة المقاومة . ففي ٤ شباط داهمت السلطات الاردنية مخيم « سوف » قرب جرش ، وقامت بالاستيلاء على معسكر لاشبال فتح ، ونهب محتويات احد مراكز الجبهة الشعبية الديمقراطية ،وعلى اثر ذلك قام الالاف من سكان المخيم بتظاهرة ضخمة باتجاه جرش تصدى لها الجيش بالرصاص فسقط قتيلان من المتظاهرين واربعة جرحى ، واحدثت التظاهرة رد فعل عنيف في اوساط الجماهير ، وتوترا واضحا في اوساط السلطة ، لانها كانت بمثابة تحد واضح لها. وقد تكرر هذا التحدي الجماهيري للنظام في عيد الاضحى (٧ شباط) حين ترأس ياسر عرفات مظاهرة شعبية ضخمة توجهت نحو مقبرة الشهداء في جبل الاشرفية بعمان ، وضمت حوالي عشرة آلاف متظاهر . وقد جاء رد فعل السلطة الاردنية على هذا التحدي الجماهيري سريعا ، من خلال معركة جبل « هملان » في عمان التي استمرت ستة ايام كاملة ، بدأت يوم (١١ شباط) حين اعلن بيان للجنة المركزية ان قوة من الجيش الاردني تضم ٦٠٠ رجل تساندها الدبابات هاجمت مواقع الفدائيين عند اطراف عمان الشرقية ، وذكرت اللجنة انها وزعت السلاح على الميليشيا واصدرت اوامر بالمقاومة . وفي اليوم التالي (١٢ شباط) امتد الاشتباك الى جبل النصر والتاج والهاشمي الجنوبي، ووجه ياسر عرفات نداء الى الحكام العرب للتدخل، وتوقف هذا الاشتباك صباح يوم ١٧ شباط .

٢ — **العلاقات الداخلية بين المنظمات** : لم يتوقف لحظة واحدة الحوار الذي فجرته معركة أيلول داخل العمل الفدائي حول أسلوب مواجهة حملات الابادة التي يشنها النظام الاردني ، وحول بنود البرنامج المرحلي الذي تفرضه مرحلة ما بعد أيلول . وهذا الحوار الذي يسير في اتجاهات مختلفة ، كان ولا يزال حوارا داخليا غير معلن بين المنظمات، باعتبار أن موضوع الحوار يستحق اعطاءه الوقت الكافي من البحث ، ولا يجوز الاعلان عنه (في مهاترات اعلامية) قبل أن يكتمل وينضج . ومع ذلك فقد حدث خروج على هذا الخط العام المتفق عليه ضمنا ، وذلك حين فاجأ السيد كمال عدوان احد قادة فتح وعضو أمانة سر اللجنة المركزية الجميع

بمؤتمر صحفي عقده في بيروت (١٦ ك٢) هاجم فيه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قائلا « لدينا علامة استفهام كبيرة على الجبهة الشعبية ، انا اعتقد ان هناك ارتباطا بين الجبهة والسلطة الاردنية ، ان لم اقل اكثر » وهدد باستعمال القوة ضدها اذا لم تلتزم بقرارات اللجنة المركزية . وهذه هي المرة الاولى التي يتجرأ فيها فصيل فدائي على اتهام فصيل آخر بهذه الصورة ، ولذلك كان رد الفعل على المؤتمر الاستغراب والدهشة . وقد فسرت اسباب عقد المؤتمر بما يلي: ١ ــ ان الجبهة الشعبية رفضت التقيد باتفاقية (١/١٣) التي تنص على جمع اسلحة الميليشيا في أماكن محددة . وقدمت تحفظاتها على الاتفاقية الى اللجنة المركزية . ٢ ــ قامت الجبهة الشعبية بعمليات عسكرية ضد القوات الاردنية في جرش خلافا لخطة الامن العسكرية التي اقرتها أمانة سر اللجنة المركزية بحضور وبموافقة الجبهة الشعبية . ٣ ــ كان هناك انطباع بأن الجبهة الشعبية تدعو لشن حرب عصابات ضد النظام الاردني . وقد ذكر كمال عدوان ذلك في مؤتمره الصحفي. وقد نشرت جريدة «النهار» البيروتية في نفس اليوم الذي نشرت فيه تفاصيل المؤتمر مقابلة مع الدكتور جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية ، توحي بذلك ، دعا فيها الى « ضرورة حسم الموقف السياسي للمقاومة ، اي النضال مع الجماهير لاقامة حكم شعبي تقدمي ، وحسم الموقف العسكري اي التخلي عن المعارك الكبيرة والمكشوفة مع النظام **والرد بضربات تكتيكية تقوم على اساس المبادىء المعروفة لدى الشعوب في مواجهة تفوق الامبريالية العسكري والتكنولوجي».**

وسواء كانت هذه الاسباب هي الدافع الرئيسي للمؤتمر ام لا ، فانها لا تتيح الفرصة لاحد ان يتهم فصيلا فدائيا بالخيانة . خاصة وان موقفا من هذا النوع كان من شأنه ان يؤدي الى اصطدامات دموية بين الفدائيين . ولكن رد فعل الجبهة الشعبية كان ايجابيا وهادئا ولم يخضع للانفعالات المؤقتة ، ففي بيان رسمي (١/١٧) قالت الجبهة الشعبية ردا على تهديد كمال عدوان باستعمال القوة ان سلاح مقاتليها لن يرتفع في وجه اي فدائي . وبهذا الموقف ساعدت الجبهة على تهدئة الوضع ، لينتقل النقاش حوله الى اللجنة المركزية .

كان رد الفعل الاولي للجنة المركزية « ان حركة المقاومة لن تسمح للجبهة بالقيام بأي عمل يسيء للمقاومة » وذلك تعليقا على تصريح لوزير الاعلام الاردني (١/١٧) قال فيه « تحتفظ الحكومة لنفسها بحق الرد على اي محاولة لتخريب الاتفاق الاخير ــ اتفاق الميليشيا » . ولكن رد الفعل هذا اختلف تماما حين أعلنت الجبهة الشعبية التزامها بقرارات اللجنة المركزية واتفاقاتها مع السلطة الاردنية (٢١ ك٢) ، فردت اللجنة المركزية على هذا الاعلان ببيان اكدت فيه « ان الجبهة الشعبية فصيل اساسي ، تسير صفا واحدا مع فصائل الثورة الاخرى » وكان هذا البيان بمثابة الغاء لمؤتمر كمال عدوان الصحفي .

الخروج الثاني على الخط المتفق عليه بابقاء الحوار داخليا بين المنظمات تم حين نشرت مذكرات جيش التحرير الفلسطيني التي وجهها الى رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، في الصحف اللبنانية يوم ٢/٢٠ . وهذه المذكرات هي : ١ ــ مذكرة مقدمة من قيادة الجيش الى رئيس المجلس الوطني بتاريخ ٧١/١/٣ طالبت فيها بدعوة المجلس الوطني للانعقاد ، وباعادة تشكيل المجلس ، لتنبثق عنه « قيادة جماعية تنهي الازدواجية القائمة الان » (لم تنشر) . ٢ ــ مذكرة مقدمة من قيادة الجيش الى رئيس المجلس الوطني بتاريخ ٧١/٢/٨ تطالب بأن يدرج موضوع تشكيل مجلس وطني جديد على جدول اعمال الدورة الثامنة للمجلس . ٣ ــ مذكرة مقدمة من قيادة الجيش الى رئيس المجلس الوطني بتاريخ ٧١/٢/٨ تدعو الى تشكيل لجنة خاصة للتحقيق في الاخطاء « التي صدرت عن حركة المقاومة وتحديد المسؤوليات فيها » . وقد ادى نشر هذه الوثائق الى أزمة بارزة بين الجيش واللجنة المركزية عبرت عن نفسها بمقاطعة كل من السيد ياسر عرفات والعميد الركن عبدالرزاق اليحيى لجلسات اليوم الاول لدورة اللجنة المركزية المنعقدة في دمشق بتاريخ ٧١/٢/٢٠ ، حيث بذلت خلال ذلك جهود أدت الى تفاهم فيما بينهما، عكس نفسه على جلسات المجلس الوطني الفلسطيني الثامن .

٣ ــ مواقف سياسية للمقاومة : نشرت جريدة الاهرام القاهرية في عددها الصادر بتاريخ ١/٢٠ خبرا ولد ردود فعل عديدة في الاوساط الفلسطينية والعربية . قالت الاهرام ان حركة المقاومة الفلسطينية قررت بالاجماع بناء على اقتراح من الجبهة الشعبية الديمقراطية تأييد التحرك السياسي الذي تقوم به الدول العربية لازالة آثار العدوان

الاسرائيلي ، والتراجع عن الموقف الذي اتخذته المقاومة سابقا حين عارضت قبول مصر لمقترحات روجرز الاميركية . ونشرت الجريدة على لسان ابراهيم بكر قوله « ان المقاومة ستعود لتتبنى موقف الرئيس عبدالناصر وهو لا تناقض في قبول القاهرة لقرار مجلس الامن ، وفي حق المقاومة بالكفاح المسلح » ، ونشرت على لسان ياسر عرفات قوله « موقف القاهرة الحازم في تنفيذ قرار مجلس الامن اكد ثبات الخط القومي للمتحدة » ، كما نشرت على لسان جورج حبش قوله «زادت قناعتنا بضرورة أن نفرق ما بين استمرار العمل الفدائي ، وقبول القاهرة قرار مجلس الامن » .

وبنظرة سريعة على هذه المواقف تتوضح أسباب ردود الفعل السريعة لها . اذ ان هذه المواقف كما نشرتها الاهرام ، تعني احداث تغيير جذري في المواقف الاساسية لحركة المقاومة ، توافق فيها على الاستراتيجية العربية الرسمية التي طالما رفضتها ، واكدت رفضها لها . ولكن ما حدث ان كافة الجهات التي ذكرها خبر الاهرام أصدرت بيانات مناقضة . فقد نفت فتح في بيان علني ان يكون ما ورد في الاهرام صحيحا ، ونفت الجبهة الشعبية ما نشر على لسان جورج حبش ، كما نفت الجبهة الديمقراطية انها تقدمت باقتراح للجنة المركزية حول الموضوع ، وكذبت كل ما ورد في الاهرام . ولكن الامر الملفت للنظر هو ان البيان الذي صدر في عمان باسم اللجنة المركزية تعليقا على خبر الاهرام صيغ بطريقة خاصة ، هي الاولى من نوعها في تاريخ تعامل حركة المقاومة مع الموافقة العربية على قرار مجلس الامن . قال بيان اللجنة المركزية الذي أذاعه الناطق الرسمي السيد ابراهيم بكر « ان الثورة ليست ضد ازالة آثار عدوان حرب حزيران وليست ضد استرجاع الدول العربية المعنية لما احتل من اراضيها ، على ان لا يمس هذا حقوق شعب فلسطين أو الثورة الفلسطينية من قريب او بعيد » ، ان هذه الصيغة تتجاهل ان السعي العربي لازالة آثار العدوان يتم على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي ترفضه حركة المقاومة لانه يعطي لاسرائيل حدودا آمنة ومعترفا بها ، بالاضافة الى مكاسب اقتصادية وجغرافية ، ولذلك ليس هناك ازالة (مجردة) لآثار العدوان لا تمس « حقوق شعب فلسطين او الثورة الفلسطينية من قريب أو بعيد » . وبالرغم من ذلك لم يصدر حتى الان توضيح رسمي باسم اللجنة المركزية لهذه النقطة الهامة والخطيرة .

الموقف السياسي الثاني البارز لحركة المقاومة خلال هذه الفترة كان موضوع الدولة الفلسطينية . فقد نشرت صحف لبنانية (الانوار — الاسبوع العربي)، وصحف مصرية (الاهرام) معلومات تتحدث عن حوار يدور منذ مدة داخل اللجنة المركزية حول الموقف من موضوع الدولة الفلسطينية ، كذلك معلومات عن اجتماعات تمت بين مسؤولين في حركة المقاومة ومندوبين من الضفة الغربية لبحث الموضوع . وتعليقا على هذه الانباء أدلى السيد يحيى حمودة رئيس المجلس الوطني بتصريحين صحفيين (٢٠ و٢/٢٢) هاجم فيهما بعنف فكرة الدولة الفلسطينية ، واعلن تمسك كافة المنظمات بالميثاق الوطني الذي يرفض كل الحلول الاستسلامية للقضية الفلسطينية . كذلك اصدرت اللجنة المركزية (٢١ شباط) بيانا خاصا ردت فيه على اخبار الصحف ، اعلنت فيه رفضها لاي بحث في موضوع الدولة الفلسطينية .

٤ — المجلس الوطني الفلسطيني الثامن : عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الثامنة في القاهرة من ٢/٢٨ — ٣/٦ واحيطت هذه الدورة باهتمام جماهيري ورسمي خاص ، لان كثيرا من الاوساط كانت تنتظر منها قرارات تجيب على الاسئلة المطروحة بعد معركة ايلول . ومن المفيد حتى نفهم مناقشات المجلس الوطني على حقيقتها ان نتوقف قليلا عند مناقشات اللجنة المركزية التي سبقت انعقاد المجلس ، لان مناقشات المجلس كانت في الحقيقة امتدادا لها .

عقدت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير ثلاثة اجتماعات لها قبل المجلس الوطني ، عقد الاجتماع الاول في دمشق يوم ١٩٧١/٢/٨ ، ودار البحث في هذا الاجتماع حول تقييم الوضع السياسي على ضوء تمديد وقف اطلاق النار على قناة السويس وتجدد مهمة يارينغ ، كذلك تقييم الوضع الداخلي في الاردن ، والاجراءات الفلسطينية اللازمة لمواجهته . ومع تطور النقاش حصر الموضوع بشكل أساسي في موضوع الوحدة الوطنية . وفي التصدي لموضوع الوحدة الوطنية ، برز من جديد نفس الحوار الذي سبق ودار في اجتماعات اللجنة المركزية التي عقدت في عمان بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٥. هذا الحوار الذي يدور حول موقفين : موقف اول

يعتبر التوحيد التنظيمي ، توحيد القيادة السياسية، والقيادة العسكرية والمالية والاعلام ، هو التعبير العملي عن الوحدة الوطنية . والموقف الاخر الذي يرى اولا ضرورة تحديد الدروس السياسية التي برزت اثناء معركة أيلول ، وفي مقدمتها الانقسام الاقليمي الحاصل في الاردن وما يترتب على ذلك من ضرورة التحالف الوثيق مع الحركة الوطنية الاردنية لمواجهة هذا الانقسام بمخطط لا يركز على قضية التحرير فقط ، بل يتسع ليشمل أيضا القضايا الوطنية الديمقراطية للضفة الشرقية .

وفي هذا الاجتماع قدم مركز التخطيط ، التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، تصوره لخطة العمل بعد أيلول ، وكان قد مهد لها بمناقشات ثنائية مع فتح والجبهة الشعبية اللتين اعلنتا موافقتهما على الخطة الموضوعة من قبل المركز . وفي الاجتماع المذكور اعلنت الجبهة الديمقراطية والصاعقة استعدادهما لاعتماد مشروع مركز التخطيط كاساس للبحث . وفي نهاية الاجتماع ، وبسبب تشعب النقاش ، اتفق على تشكيل لجنة خاصة تتولى استمزاج موقف كل منظمة على حدة ، تجاه القضايا الاساسية المطروحة للنقاش ، ومن ضمنها مشروع مركز التخطيط ، على أن تعتبر حصيلة الاجوبة المقدمة ، موضوع البحث في صيغة الوحدة الوطنية ، في جلسة اخرى للجنة المركزية تعقد في ٧١/٢/٢٠ في دمشق . وقد عقدت الجلسة في موعدها المحدد ، في نفس اليوم الذي نشرت فيه مذكرات جيش التحرير الفلسطيني في الصحف اللبنانية . ودار في هذا الاجتماع حوار كرر نفس الحوار الذي دار في الاجتماع السابق ، وبرز فيه بوضوح أن الاتفاق بين وجهتي النظر المعروضتين حول الوحدة الوطنية أمر غير متوفر . وازاء هذا التصادم بين الموقفين ، اقترح ان تقدم فتح مشروعا للوحدة الوطنية ، وسقط هذا الاقتراح بالتصويت، بينما نجح اقتراح اخر يكلف السيد ياسر عرفات بأن يقدم بصفته الشخصية مشروعا للوحدة الوطنية ، كمخرج من المأزق الذي دخل به الحوار . ولوحظ على هامش هذا الاجتماع ان العميد اليحيى قد أدلى بتصريح أكد فيه ان الجيش لا يفكر ابدا بأن تكون مواقفه محاولة لابراز مجموعة سياسية جديدة ، لانه منضبط لمصلحة منظمة التحرير ويعتبر اللجنة التنفيذية قيادته السياسية فازال بذلك اللبس الذي احاط بمذكرات الجيش .

عقدت اللجنة المركزية الدورة الثالثة من اجتماعاتها في القاهرة يوم ٧١/٢/٢٦ حيث تلي في الاجتماع الاول بيان سياسي قدم على أنه المشروع الذي كلف السيد ياسر عرفات باعداده كمشروع للوحدة الوطنية، ولكن تبين فيما بعد ان لدى ياسر عرفات مشروعا آخر غير الذي قرىء على اللجنة المركزية ، ولذلك سحب المشروع الاول واعتبر غير مطروح للنقاش ، بينما تركز النقاش على المشروع الثاني الذي قدمه ياسر عرفات شخصيا ، وكان يتضمن تصورا للصيغ التنظيمية اللازمة لتحقيق الوحدة الوطنية ، بدون أي خوض في البرنامج المرحلي لحركة المقاومة ، لذلك دار جدل طويل حول ضرورة البدء بمناقشة البرنامج السياسي المرحلي ، قبل مناقشة الصيغة التنظيمية للوحدة، باعتبار ان هذا هو الموضوع الرئيسي الذي كان مطروحا للنقاش في جلسات اللجنة المركزية السابقة ، ولا يجوز أن تكون اجتماعات اللجنة المركزية الحالية ، مقطوعة الصلة عنها . ومرة اخرى عاد النقاش ليدور في نفس الاتجاهين السابقين اللذين ذكرناهما ، ومرة اخرى بقي التعارض بينهما قائما ، فتقرر ترك الموضوع للمجلس الوطني حتى يبت فيه ، مع اصرار من فتح على أن يكون مشروع ياسر عرفات هو وحده المطروح للنقاش ، وكان ذلك يعني سحب مشروع مركز التخطيط .

يوم ٧١/٢/٢٨ افتتح المجلس الوطني الفلسطيني دورته الثامنة ، وتكرر فيه نفس الحوار الذي دار في اللجنة المركزية ، وتبلور هذه المرة بالصيغ التالية : الصيغة الاولى تدعو الى اعتبار الميثاق الوطني وقرارات المجالس الوطنية هي وحدها الاساس السياسي للعلاقات التنظيمية المقترحة . والصيغة الثانية ترى انه بالاضافة الى الميثاق الوطني الذي يحدد الاهداف الاستراتيجية، ضرورة وضع برنامج مرحلي للعمل الوطني الفلسطيني في الاردن يكون شرطا للتقيد بالعلاقات التنظيمية المقترحة .

كانت هناك اذن نقطتان في الحوار . النقطة الاولى تركز على ضرورة البدء بالبحث السياسي اولا ثم الانتقال للبحث التنظيمي . والنقطة الثانية تركز على ضرورة ان يتناول البرنامج السياسي

قضايا المرحلة الحالية ، وليس القضايا الاستراتيجية التي يتناولها ميثاق المنظمة . وفي موضوع البرنامج المرحلي تركز الخلاف حول نقطة اساسية هي العلاقة مع العمل الوطني الاردني بين موقفين : موقف يدعو فقط للتعاون بين عمل وطني فلسطيني مستقل ، وعمل وطني اردني مستقل . وموقف ثان يدعو لانشاء عمل وطني فلسطيني — اردني موحد .

وبهذا يكون موضوع الوحدة الوطنية قد شكل الاطار الاول لمناقشات المجلس الوطني . أما الاطار الثاني للمناقشات فقد كان تقييم مواقف وممارسات حركة المقاومة في المرحلة التي سبقت معركة ايلول . والذي أثار هذا الموضوع وولد حوله نقاشا حادا ، التقرير الشفهي الذي قدمه السيد ابراهيم بكر سكرتير أمانة سر اللجنة المركزية . ويمكن تلخيص وجهة نظره بما يلي :

١ — ضرورة تركيز الحديث على سياسة حركة المقاومة ، وعدم الخوض مطولا في مواقف النظام الاردني لان هذه المواقف معروفة ومتفق عليها .

٢ — ضعف موقف المقاومة قبل ايلول بسبب بعض الخلافات الداخلية فيما بينها . وخاصة الخلاف الذي نشأ عقب أزمة حزيران ١٩٧٠ والاتفاقية التي وقعت مع السلطة برعاية اللجنة العربية الرباعية . حيث قامت لجان المليشيا المركزية باتتقاد هذه الاتفاقية علنيا . ٣ — ضعف موقف المقاومة قبل أيلول ايضا بسبب الموقف «المتشنج» من الموافقة العربية على مشروع روجرز ، لان ذلك اتاح الفرصة للنظام الاردني ليوجه ضربته .

٤ — رفع شعارات متطرفة مثل شعار (كل السلطة للمقاومة) ، والقيام بأعمال متطرفة مثل خطف الطائرات ونسفها ، حيث أتاحت هذه المواقف للنظام أن يعبىء الجيش ضد حركة المقاومة .

٥ — الاجراءات المسلكية مثل اعتقال جنود وضباط الجيش التي خلقت جوا من العداء بين الجنود والفدائيين .

وكان منطلق الردود التي قدمت على هذا الموقف (من الجبهة الشعبية والديمقراطية والصاعقة) أن هذا التحليل يلغي مسؤولية النظام الاردني عن تدبير معركة أيلول ، ويؤدي الى نتيجة تضع اللوم على عاتق حركة المقاومة . وفي مجال تحديد ظواهر الضعف في الموقف الفلسطيني يركز على التفاصيل اليومية ، دون أن يحدد أسبابها الاساسية . ولذلك تلخصت الردود التي قدمت بالنقاط التالية : ١ — انه لا يجوز الغاء الحديث عن دور النظام الاردني ومواقفه ، لان هذا يضعنا امام تحليل غير متوازن ، تضيع فيه حجوم مسؤولية كل طرف . ٢ — ان الضعف في حركة المقاومة له سبب اساسي هو غياب التصور السياسي الموحد ، الذي يقود منطقيا الى وجود أكثر من موقف . ٣ — ان تطبيق سياسات متناقضة ، في علاقة المقاومة مع النظام الاردني (الاشتباك المسلح ثم العودة للتعايش) هو الذي أدى الى نوع من البلبلة في الوعي السياسي الجماهيري ، وافقد حركة المقاومة القدرة على تنمية هذا الوعي وتكثيفه ليكون في خدمة المقاومة . ٤ — اهمال المشكلات الحياتية لسكان الضفة الشرقية ، وما أدى اليه من ابتعاد تدريجي لسكان الضفة الشرقية عن المقاومة ، كان سببا من أسباب الضعف الاساسية .

٥ — ان الموقف من مشروع روجرز كان موقفا سليما ، ولم يكن على الاطلاق موقفا متشنجا ، وهو موقف منسجم تماما مع ميثاق منظمة التحرير وقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية . واذا كان هناك خطأ في هذا الموضوع ، فهو ليس التشنج ، بل التردد وعدم الحسم بسرعة في ما يجب عمله ازاء تطور موقف السلطة الاردنية واجراءاتها بعد مشروع روجرز . ٦ — من الخطأ تقسيم العمل الفلسطيني الى فريق متطرف واخر معتدل . لان الفريقين كانا عمليا في موقع واحد ، اذ أن شعار كل السلطة للمقاومة الذي رفعته الجبهة الديمقراطية يتساوى مع شعار السلطة الوطنية الذي رفعته فتح ، وأقرته اللجنة المركزية . ضمن هذين الاطارين دارت مناقشات المجلس الوطني الفلسطيني ، وعلى اثرهما تلا السيد ياسر عرفات مشروعه للوحدة الوطنية أمام المجلس الوطني . ولوحظ ان مشروعه أمام المجلس تضمن المشروع الاول (السياسي) الذي كان قد قدم الى اللجنة المركزية في اجتماع ٧٠/٢/٢٦ ثم سحب ، بالاضافة الى المشروع الثاني (التنظيمي) . وكان هذا التطوير لمشروع عرفات يسبب اصرار أكثر من قوة في المجلس (٧ منظمات) على أهمية الاتفاق على برنامج سياسي قبل الاتفاق على الصيغة التنظيمية ، وتشكلت لمناقشة المشروع لجنة خاصة من عشرين شخصا ، أقرت القسم السياسي من المشروع بعد احداث تعديلات طفيفة عليه . وقد أقر هذا

القسم بسرعة لانه عبارة عن مواقف عامة تضمن اغلبها الميثاق الوطني الفلسطيني. واقرت كذلك القسم التنظيمي من المشروع مع وقفة أمام ثلاث قضايا : ١ ــ قضية الدمج العسكري الفوري . ٢ ــ تشكيل اللجنة المركزية . ٣ ــ طريقة انتخاب المكتب السياسي . واعتبرت هذه القضايا بحاجة الى مزيد من الحوار بين المنظمات لذلك اجل البت فيها الى المجلس الوطني القادم . واتخذ المجلس بالاضافة الى ذلك قرارين : القرار الاول : تشكيل مجلس وطني جديد من ١٥٠ عضوا يجتمع بعد ثلاثة أشهر اي في بداية الشهر السادس من عام ١٩٧١ . وكلفت اللجنة التنفيذية بالاضافة الى رئيس المجلس الوطني وقائد جيش التحرير بتولي هذه المهمة . القرار الثاني : ابقاء المؤسسات الحالية لمنظمة التحرير قائمة كما هي ، مع التأكيد على ضرورة أن تمارس اللجنة التنفيذية مسؤولياتها كاملة باعتبارها الجهة القيادية الاولى في المنظمة، وان لا يتكرر طغيان اللجنة المركزية او امانة سر اللجنة المركزية عليها .

وبالاضافة الى هذه القضايا الاساسية كانت هناك قضايا اخرى تستحق التسجيل اهمها : ١ ــ ان جيش التحرير لم يطرح مذكراته للنقاش . ويعود السبب في ذلك الى المصالحة التي جرت بين قيادة الجيش والسيد ياسر عرفات في دمشق . ٢ ــ قام في كواليس المجلس تكتلان . تشكل الاول من فتح وجيش التحرير وبعض المستقلين يدعو لتشكيل مؤسسات منظمة التحرير من هذه القوى الثلاث فقط ، وابعاد المنظمات الاخرى . وتشكل التكتل الثاني من سبع منظمات (الصاعقة ــ الشعبية ــ الديمقراطية ــ جبهة التحرير ــ القيادة العامة ــ جبهة النضال ــ المنظمة الشعبية) وأصر هذا التكتل على تمثيل الجميع في أي مشروع للوحدة الوطنية . وكان صراع هذين التكتلين في الكواليس وراء قرار التجديد للجنة التنفيذية وبقاء كل شيء على حاله ثلاثة أشهر اخرى . ٣ ــ تقدم اربعة اعضاء من اللجنة التنفيذية باستقالاتهم ، وهم زهير العلمي رئيس الصندوق القومي ، ياسر عمرو أمين سر اللجنة التنفيذية ، حامد ابو ستة رئيس دائرة شؤون الوطن المحتل ، حسام الخطيب رئيس الدائرة الثقافية . وقد سحب ثلاثة منهم استقالاتهم في الجلسة الاخيرة للمجلس ، بينما بقي الدكتور زهير العلمي مصرا عليها . (بعد انتهاء المجلس الوطني من اعماله عقدت اللجنة التنفيذية جلستها الاولى في دمشق بتاريخ ١٤/٣/ ٧١ . وفي هذه الجلسة استقال من عضوية اللجنة كمال ناصر وبلال الحسن) . ٤ ــ في الجلسة الاولى للمجلس الوطني ، واثناء مناقشة البند الاول في جدول الاعمال (العضوية) اقترح السيد ياسر عرفات اضافة السيد فائق وراد (الانصار) الى عضوية المجلس بصفته الشخصية، وقد وافق المجلس على ذلك ، ولكن هذا الموقف احدث ازمة داخل فتح ، قاطع على اثره اكثر من عضو من اعضاء فتح جلسات المجلس ، وذلك لان منظمة الانصار المنبثقة عن الحزب الشيوعي الاردني ، توافق على قرار مجلس الامن ، وترفض اعلان التزامها بميثاق منظمة التحرير . وفي هذه الجلسة ايضا ووفق على ضم كل من حبيب قهوجي وصبري جريس ومحمود درويش الى عضوية المجلس ، كممثلين لعرب فلسطين الذين يعيشون تحت الاحتلال منذ عام ١٩٤٨ . وهذه هي المرة الاولى التي يمثل فيها عرب الارض المحتلة في المجلس الوطني . ٥ ــ كانت اللجنة المركزية قد وجهت الدعوة الى مائة شخصية وطنية (٥٠ فلسطينيا و٥٠ اردنيا) ليشكلوا مع اعضاء المجلس الوطني مؤتمرا شعبيا . وقد عقد المؤتمر الشعبي جلساته فيما بين اجتماعات المجلس الوطني الرسمية ،واتخذ قرارات واضحة بدعم حركة المقاومة ، واستنكار محاولات التفرقة الاقليمية في الاردن ، بينما رفض ادانة النظام الاردني بصيغ واضحة صريحة ، ويعود السبب في ذلك الى أن عددا لا بأس به من الشخصيات المدعوة ، مرتبطة بشكل او بآخر بالنظام الاردني، ومنهم بشكل خاص اعضاء وزارة عبد المنعم الرفاعي التي اعلنت موافقتها على مشروع روجرز. واذا اردنا في نهاية هذا العرض ان نقدم تقييما لنتائج المجلس ، فان تصريحات اربعة مسؤولين في المقاومة تفي بهذا الغرض ، ففي ٧/٣/٧١ نشرت جريدة النهار البيروتية مقابلة مع ثلاثة مسؤولين من فتح والجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية . قال ابو يوسف من فتح « نعتبر أن مجموع ما اتخذ من قرارات يعتبر لمصلحة المقاومة الفلسطينية » . وقال نايف حواتمه من الديمقراطية « كان واضحا امام الجبهة ان دورة المجلس الحالية لن تأتي بجديد » . وقال احمد اليماني

من الجبهة الشعبية « ان الانجاز الوحيد كان البيان السياسي ... والذي يصح اعتباره ارضية للقاء على تصور مشترك نسبيا ، وعدا ذلك فان المجلس لم يحقق شيئا » . وفي ٧١/٣/١١ عقد السيد كمال ناصر الناطق الرسمي باسم اللجنة التنفيذية مؤتمرا صحفيا في بيروت اكد فيه ان المجلس نجح تماما في اداء مهمته . وهكذا نرى ان الخلاف لم ينحصر فقط في مناقشة القضايا المدرجة على جدول الاعمال ، بل تناول ايضا تقييم النتائج التي خرج بها المجلس .

٥ ـ **العمل العسكري** : كان التهاب الوضع في غزة خلال فترة الشهرين الماضيين من أبرز الاحداث على صعيد النشاط الفدائي العسكري . وقد تطور الوضع في غزة حتى وصلت اصداؤه الى الامم المتحدة . ويمكن اعتبار احداث الشهرين الماضيين في غزة استمرارا للجو المتوتر الذي بدأ منذ أن عزل رئيس البلدية عن منصبه . ففي ١/١١ اضربت غزة ثلاثة ايام احتجاجا على قرار العزل وعلى الاجراءات الارهابية التي اتخذتها السلطات الاسرائيلية في القطاع،وسيرت السلطات الاسرائيلية دوريات عسكرية لضبط الامن . وفي ١/٢٧ لم تستطع اسرائيل أن تتجاهل الاصداء الدولية لاعمالها الارهابية في غزة فقامت بالاعلان عن تعيين ضابط اسرائيلي للتحقيق في الشكاوى ضد اعمال الارهاب . وفي ١/٢٩ اذاع السيد ياسر عرفات نداء للرأي العام العالمي ناشد فيه القوى الوطنية في العالم ان تتحرك لانقاذ سكان القطاع . وفي ٢/٧ ذكرت صحيفة الاهرام القاهرية ان مصر تعد رسالة حول الوضع في غزة ستقدمها الى الامين العام للامم المتحدة ، وذكرت ايضا ان المجموعة العربية في الامم المتحدة سوف تتقدم بمذكرة مماثلة . وفي اليوم التالي (٨ شباط) قام موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي بزيارة لقطاع غزة لمراقبة الوضع المتوتر الذي تصاعد فيه نشاط الفدائيين بشكل ملحوظ ، بينما ازدادت الاجراءات الارهابية الاسرائيلية عنفا . وفي ١٠ شباط وجهت جمعية الهلال الاحمر والجمعيات النسائية في الاردن نداءات الى الصليب الاحمر الدولي ، والى الامين العام للامم المتحدة « يو ثانت » حول الوضع في غزة ، ورد يو ثانت على هذه النداءات ببرقية جوابية قال فيها انه « مهتم بأوضاع مخيمات اللاجئين في غزة » . وفي هذا اليوم قدمت المجموعة العربية الى يو ثانت المعلومات المتوفرة لديها عن الوضع في القطاع ، بينما اعترف ناطق عسكري في تل أبيب بحدوث عمليات ارهابية ضد المواطنين في غزة ، وقال ان ضابطا وبعض الجنود سيمثلون أمام محكمة عسكرية. وفي ١١ شباط منعت اسرائيل شاحنات اسعاف وتموين تابعة للهلال الاحمر أن تتوجه الى قطاع غزة بحجة انها منظمة غير معترف بها .

وفي اثناء ذلك كله كانت عمليات الفدائيين تتوالى بصورة يومية في القطاع ، ويمكن تلخيص ما نشر عن هذا النشاط في الفترة الواقعة بين ١/١٠ و٣/٢٠ كما يلي : قام الفدائيون بـ ١٨ عملية عسكرية ، قتل من الفدائيين ٤ وجرح ٣ واعتقل ٢٦ وابعد ٨ ، اسر من الاسرائيليين ثلاثة ، ضابط وجنديان (الجبهة الشعبية) ، ادت عمليات الفدائيين الى وقوع ٣ قتلى و٦٢ جريحا .

اما في ميادين النشاط الاخرى ، فقد استمر الوضع على حالته السابقة ، اي استمرار العمل من حدود لبنان وحدود سوريا ، مع توقفه تقريبا من حدود الاردن بسبب حالة الاستنفار الدائمة لمواجهة حملات النظام . وكانت صورة الوضع العسكري في هذه الميادين، حسب بيانات المنظمات الفلسطينية وبلاغات اسرائيل المنشورة، كما يلي : **لبنان** : ١٢ عملية فدائية، ٦ قتلى من الفدائيين، قتيل وجريح اسرائيلي ، ٣ اعتداءات اسرائيلية على لبنان (هجوم واسع على الجنوب في ١ شباط . هجوم على قاعدة للفدائيين في الصرفند شمال صيدا في ١٥ ك٢ . قصف قرية شبعا في ٢ آذار) . **الجولان** : ١٢ عملية فدائية ، ١٢ قتيلا من الفدائيين و٢ جرحى ، جريح اسرائيلي . **الاغوار** : عملية واحدة للفدائيين ، ٢ قتلى من الفدائيين . **داخل الضفة الغربية** : ٣ عمليات فدائية ، ٤ قتلى من الفدائيين . **داخل اسرائيل** : ٩ عمليات فدائية . وعلى صعيد مقاومة نشاط الفدائيين قامت السلطات الاسرائيلية في نفس الفترة باعتقال ٦١ شخصا ، وبابعاد ٢٤ ، وباصدار احكام بالسجن على ٧ اشخاص تراوحت بين ٣ سنوات والمؤبد .

بلال الحسن

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

بدات المرحلة الاخيرة من مهمة غونار يارينغ لايجاد تسوية سياسية لازمة الشرق الاوسط ، يوم الخامس من كانون الثاني . اي قبل شهر واحد من موعد انتهاء وقف اطلاق النار بين المتحدة واسرائيل. وقد تميزت المرحلة الجديدة من مهمة يارينغ في لحظة بدئها بحملة تعبئة مصرية عسكرية وجماهيرية وديبلوماسية من جهة ، وباختلاف واضح في وجهات النظر بين المتحدة واسرائيل حول الاجراءات القانونية العملية ، لتنفيذ قرار مجلس الامن . ولذلك نستطيع ان نقول ان البداية ، منظورا اليها من زاوية الوقائع المعلنة ، لم تكن توحي بجديد . ولكن هذا الواقع ما لبث ان تبدل قليلا وباتجاهات تثير الدهشة، حين بدا دولاب مهمة يارينغ بالدوران. وقد يكون الدخول في تفاصيل ، الاخذ والرد ، والمشاريع والمشاريع المضادة ، متاهة نضيع فيها عن الامساك بالخيوط الاساسية للتطورات ، لذلك سنحاول قدر ما نستطيع ، ايضاح القضايا الاساسية في مواقف الاطراف المعنية ، مع التركيز على موقف الجانب العربي ، على امتداد فترة زمنية تقع بين ١٠ ك٢ و٢٠ آذار ١٩٧١ .

خطة جديدة لعمل يارينغ

منذ أن قام يارينغ بزيارته الاولى لاسرائيل في ٨ ك٢ ، ساد انطباع بأن يارينغ سوف يتخلى عن دوره كساع للبريد بين وجهات النظر ، لينتقل الى مرحلة تقديم الاقتراحات ، وأخذ الاجابات النهائية على أسئلة محددة يطرحها هو بنفسه . لذلك قيل ان يارينغ يحمل معه اقتراحات وأفكارا ، تشكل نوعا من جدول الاعمال لمحادثات السلام . وبعد ذلك بأيام قليلة كان الاعتقاد السائد في الامم المتحدة « ان مهمة يارينغ قد انطلقت بصورة فعلية الان ». كانت المشكلة الاولى التي واجهت يارينغ مشكلة اقتراب يوم الخامس من شباط والموقف المصري المتشدد آنذاك ، الذي أعلن في جو من التعبئة ، أنه لن يمدد وقف اطلاق النار الا اذا كانت هناك بوادر جدية لتنفيذ قرار مجلس الامن . لذلك كان على يارينغ أن يبرهن أولا عن وجود هذه البوادر الجدية ، ليضمن للمرحلة الجديدة من مهمته أن تأخذ مداها الزمني الكافي ، وان لا تتوقف عند حدود الخامس من شباط . أي أن يخطو خطوة للامام تقنع مصر بضرورة تمديد وقف اطلاق النار . ومع ان وقف اطلاق النار قد مدد فورا الا اننا لا نستطيع القول ان ذلك يعود الى جهود يارينغ ، بل الى جهود الاطراف الدولية ، وخاصة الولايات المتحدة . وهذا ما أتاح لمهمته أن تستمر وأن تتخطى العقبة الاولى التي واجهتها .

حتى يوم الخامس من شباط ماذا أنجز يارينغ ؟ يجيب على هذا السؤال تقرير يو ثانت الذي رفعه الى مجلس الامن الدولي يوم ٢ شباط . ناشد يو ثانت في تقريره اطراف النزاع في الشرق الاوسط أن تمدد وقف اطلاق النار ، لان « ضبط النفس العسكري ضروري في هذه المرحلة من محادثات السلام » وحتى يجيب على شرط مصر الاساسي قال ان هناك « أساسا للتفاؤل المشوب بالحذر نتيجة لاستئناف الطرفين المباحثات بواسطة يارينغ بشكل جدي ، ولانه تم احراز بعض التقدم في تحديد المواقف » . واوضح يارينغ « ان الدول التي تجري المحادثات الان تصف بتفصيل دقيق وجهات نظرها». فليس هناك اذا حتى الان اكثر من « تفاؤل مشوب بالحذر » و« تقدم في تحديد المواقف » .

وقد نجحت مناشدة يو ثانت ، مع تطمينات الولايات المتحدة لمصر ، أن تصل الى تمديد وقف اطلاق النار ، وان تفسح المجال ليارينغ ليأخذ مداه الزمني الكافي . لذلك أعلن بعد فترة وجيزة (معاريف — ١١ شباط) أن يارينغ قدم الى مصر واسرائيل مشروعا خاصا به لتسوية النزاع بين البلدين . ان النص الرسمي لهذا المشروع لم ينشر بعد ، ونجد حوله مقتطفات ليس غير لا نستطيع الجزم بمدى صحتها ، بالاضافة الى تناقضات فيما بينها . فصحيفة معاريف (١١ شباط) تقول ان المشروع يدعو الى : ١ — انسحاب اسرائيل من سيناء وشرم الشيخ . ٢ — يبقى قطاع غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي . ٣ — تؤمن قوة دولية في شرم الشيخ حرية الملاحة . ٤ — عقد اتفاق سلام بين مصر واسرائيل . ولكن رئيس الوفد المصري في الامم المتحدة نفى في ١٣ شباط « أن يكون يارينغ قد اقترح ضم قطاع غزه الى اسرائيل في أية تسوية للازمة » بينما قالت الاهرام في اليوم التالي (١٤ شباط) ان مذكرة يارينغ لمصر تدعو الى : ١ — الانسحاب

من كل الاراضي المصريه حتى حدود مصر الدولية مع فلسطين عـام ١٩٤٨ (أي بدون غزة) . ٢ ـ الانسحاب من شرم الشيخ ووضع قوة دولية فيه .

وفي ٢٠ شباط أضافت مصادر مطلعـة في الامم المتحدة معلومات جديدة عن مشروع يارينغ فقالت انه قدم لاسرائيل السؤالين التاليين : ١ ـ هل انتم مستعدون للانسحاب تماما من الاراضي المحتلة؟ ٢ ـ هل أنتم مستعدون للبحث في مشكلة اللاجئين؟ وقالت نفس المصادر انه طرح على مصر السؤالين التاليين : ١ ـ هل أنتم مستعدون لضمان حرية الملاحة وانهاء حالة الحرب والقبول بحق كل دولة في المنطقة بالعيش في سلام ؟ ٢ـ هل أنتم مستعدون لضمان عدم استخدام أراضيكم كقاعدة لعمليات عسكرية او شبه عسكرية ضد الدول المجاورة ؟

هذه الاقوال هي كل ما يمكن العثور عليه حول مشروع يارينغ . واذا كانت لا تكفي لتكوين صورة واضحة ، فان مجرى الاحداث يسمح بتلخيص موقف يارينغ في نقطتين : النقطـة الاولى الطلب الى اسرائيل الموافقة على الانسحاب حتى حدود مصر الدولية عام ١٩٤٨ . والنقطة الثانية الطلب الى مصر أن توافق على عقـد اتفاق سلام موقع مع اسرائيل . فماذا كانت اجابات الاطراف على هاتين المسألتين ؟

في ١٥ شباط قال صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية المصرية ان مصر أرسلت ردها على مشروع يارينغ وأن الرد يعتبر ايجـابيا . وفي اليوم التالي (١٦ شباط) أطلعت مصر ممثلي الدول الاربع الكبرى على ردها الايجابي على مقترحات يارينغ . وفي نفس الوقت تقريبا كان الزيات يسلم الرد ليارينغ في الامم المتحدة قائلا «ان اللحظة الراهنة تاريخية». والنقط المراقبون هذا التعليق باهتمام ، واستنتجوا منه ان مصر وافقت على توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل . ثم لم تلبث الصحف ووكالات الانباء ان اكدت موافقة مصر في ردها على يارينغ على عقد معاهدة سلام مع اسرائيل . ذكرت ذلك صحيفـة « نيويورك تايمس » ووكالة الصحافة الفرنسية ، ومصادر مقربة من الحكومة الاسرائيلية في القدس (١٩ شباط) .

في مقابل هـذا الموقف المصري مـاذا كان موقف اسرائيل ؟ في ١٤ شباط قال المراقبون السياسيون ، ان اسرائيل قررت عدم الرد على مذكرة يارينغ ، لانها تعتبر مشروع يارينغ تجاوزا لمهمته . وفي ١٦ شباط نقلت وكالات الانباء ان هناك انقساما في الحكومة الاسرائيلية حول ما اذا كان يجب الاستمرار في تجاهل اقتراحات يارينغ او رفضها او الرد عليها. وكان هذا الموقف يعنـي رفض اسرائيل لفكـرة الانسحاب الكامل من سيناء ، وشرم الشيخ خاصة. واعلن يو ثانت هذا الموقف رسميا في تقريره الى مجلس الامن (٥ آذار) حيث أوضح ان مصر ردت ايجابيا على مقترحات يارينغ ، وان اسرائيل لم ترد حتى الان على ما طلبه منها (الانسحاب الى حدود ٤٨) ، واستنتج يو ثانت ان محاولة يارينغ لاخراج الوضع مـن الطريق المسـدود لم تكلل بالنجاح . وحين جاء ايبان الى الولايات المتحدة في جولة هدفهـا شرح مبررات الموقف الاسرائيلـي المتصلب ، عقد جلسة خاصة مع يو ثانت ويارينغ، علقت عليها مصادر مطلعة في الامم المتحدة قائلة « ان يو ثانت ويارينغ أخفقا في العثور على أية اشارة الى مرونة في موقف اسرائيل في محادثاتهما مع ايبان . وأن القضية التي تحول دون احراز تقدم تنحصر في رفض اسرائيل الالتزام بالانسحاب كليا من سيناء (١٩ آذار) . »

وفي الوقت الذي كان فيه يارينغ يبذل هذه المحاولة الاساسية في مهمته كان يعمل على توسيع نطاقها. ففي ٢٠ شباط اعلن ان (جون ريدمان) أحد كبار المسؤولين البريطانيين الذين ساهموا في اتفاقات هدنة ١٩٤٩ قد استدعي الى التعاقد للعمل مـع يارينغ في الامم المتحدة . وفي ١٢ آذار ذكرت الاهرام ان يارينغ يعد حاليا مقترحات لحل مشكلة الشعب الفلسطيني ، ليضعها بين أوراقه ، لانه لا ينوي استخدامها في الوقت الحاضر .

ماذا تريد اسرائيل ؟

لقد بدأت المرحلة الجديدة من مهمة يارينغ بتفاؤل شديد ، وانتهت الى طريق مسدود بسرعة كبيرة . والسبب الاساسي وراء ذلك هو التصلب الاسرائيلي حول قضية الحدود التي ستنسحب اليها . فما هو موقف اسرائيل من هذه النقطة ؟ ان عبارة « الحدود الآمنة » الواردة في قرار مجلس الامن كانت منذ عام ١٩٦٧ نقطة أساسية في الخلاف حول تفسيرات القرار المذكور . كان الجانب العربي يعتبر « انهاء حالة الحرب واحترام حق كل دولة في الاستقلال السياسي » يؤمن لاسرائيل الحدود الآمنة . بينما كانت اسرائيل تفسر ذلك بضرورة امتلاك أراض ذات قيمة استراتيجية تضمن لها الامن العسكري .

ولم يتنازل الجانب العربي عن موقفه هذا الا عند موافقته على مشروع روجرز الذي دعا الى احداث « تعديلات طفيفة » في الحدود . وهو أيضا الموقف الذي رفضته اسرائيل رغم اعلان موافقتها على مشروع روجرز لفظيا . ولكن بالرغم من هذا الخلاف الدائم حول مسالة الحدود فان اسرائيل لم تعلن ابدا خريطة الحدود التي تريدها . أما في المرحلة الجديدة من مهمة يارينغ فكان لا بد لاسرائيل من أن تجيب على هذا السؤال . وقد أثارت هذه القضية قبل الاعلان الرسمي عنها جدلا طويلا في اسرائيل . ففي ١٥ ك٢ قالت جولدا مئير ان اسرائيل لم ترسم ابدا خريطة للحدود التي تريدها ، لكنها متأكدة من انه عندما يحين الوقت لوضع مثل هذه الخريطة ستقوم خلافات في الراي مع الولايات المتحدة . وفي ١١ شباط أعلن في اسرائيل انه تم تاليف ثلاث لجان حكومية لدرس ١ ــ خريطة الحدود ٢ ــ القدس ٣ ــ الاتفاقات التي يمكن ان تعقد بين العرب واسرائيل . وبالرغم من بدء اللجان في رسم خريطة الحدود استمر الحوار في الحكومة الاسرائيلية حول ذلك ، بين اتجاه يدعو الى الاعلان عن الخريطة لان الولايات المتحدة تنتظر خطوة كهذه ، واتجاه آخر يرفض الاعلان عنها لان ذلك سينتج ازمة داخلية مع الحزب الديني ، وأزمة خارجية مع الولايات المتحدة التي توافق على مطالب اسرائيل الاقليمية . وقد بقيت خريطة الحدود التي تريدها اسرائيل نوعا من اللغز ، حتى قامت غولدا مئير بتحديد ملامح هذه الخريطة في حديث صحفي مع جريدة « التايمز » نشر يوم ١٣ آذار . وكانت مجلة « تايم » قد نشرت قبل ذلك تفاصيل الخريطة الاسرائيلية يوم ٢٢ شباط . وهناك تطابق كبير بين ما نشرته التايم وما اعلنته جولدا مئير . ويمكن تلخيص الخريطة الاسرائيلية على الشكل التالي : ١ ــ الانسحاب من سيناء على أن تكون مجردة من السلاح . تضمن ذلك قوة دولية تشارك فيها مصر واسرائيل . ٢ ــ قطاع غزة لا يعاد الى مصر . مع معارضتها لفكرة الدولة الفلسطينية ، والقول ان غزة يمكن ان تصبح مرفأ اردنيا. ٣ ــ الاحتفاظ بشرم الشيخ. ٤ ــ الضفة الغربية: الانسحاب مع وجود لاسرائيل على نهر الاردن ، وربما في المرتفعات المشرفة على النهر . وشرحت التايم الوجود الاسرائيلي على نهر الاردن على أنه تطبيق لمشروع آلون الذي يدعو الى انشاء شريط من المستعمرات شبه العسكرية على النهر . ٥ ــ القدس تبقى موحدة مع حرية المرور للجميع الى الاماكن المقدسة. ٦ ــ الجولان : الاحتفاظ بالمرتفعات . بهذه الخريطة تكرس اسرائيل رسميا ما أعلنته أكثر من مرة في تصريحات مسؤوليها السياسيين بأنها لن تتخلى في أية تسوية عن غزة وشرم الشيخ والقدس ومرتفعات الجولان .

والسؤال الهام هنا لماذا أعلن عن هذه الخارطة في هذا الوقت بالذات ؟ ان المماطلة الاسرائيلية في اعلان الحدود الآمنة التي تريدها ، كانت مرتبطة دائما بالاصرار على توقيع معاهدة سلام بدلا من الاتفاق التعاقدي الذي يوقعه كل طرف على حدة ليودع في مجلس الامن كوثيقة رسمية كما كانت تريد القاهرة . أما حين وافقت مصر على توقيع معاهدة السلام فان الوقت قد حان للاعلان عن التمسك بشرم الشيخ مقترنا بمطلب سياسي جديد هو الاصرار على المفاوضات المباشرة . ويكشف هذا الموقف عن التكتيك الاسرائيلي الدائم الذي يصر على موقف معين حتى يرضخ الجانب العربي ، وحين يعلن الجانب العربي قبوله يندفع لتحديد مطلب آخر ، وهكذا وصولا الى التفسير الاسرائيلي لقرار مجلس الامن . وفي ٢١ شباط كشف ايبان صراحة عن اوراقه التكتيكية حين قال « ليس هناك ما يدعونا الى الاسف على الخط السياسي الذي اتبعناه حتى الان ، ونحن نذكر ان عددا كبيرا من السياسيين الاجانب كانوا يقولون منذ فترة غير بعيدة ان اتفاق سلام بين العرب واسرائيل أمر لا يمكن التفكير فيه، وكانوا يلوموننا لاننا نتعلق بشيء مثالي ... وها هي مصر تعرب عن الرغبة في سلام تعاقدي » .

وايبان نفسه قال في ١٧ شباط « العقبة الاساسية التي تعترض التسوية تكمن في رفض مصر القول رسميا ما اذا كانت مستعدة لتوقيع معاهدة صلح أم لا ؟ » فما دامت مصر قد وافقت على ذلك فهل زالت العقبة ؟ لا . لان اسرائيل ستندفع الان لتحديد مطلب آخر : المفاوضات المباشرة . ففي ١٩ شباط لخص اسرائيل جاليلي الموقف الاسرائيلي بنقطتين ١ ــ رفض الانسحاب الكامل ٢ ــ طلب مفاوضات مباشرة . وفي ١٥ آذار قال ايبان في تل ابيب قبل سفره الى لندن « ان المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل قد تكون ضرورية في النهاية للوصول الى اتفاق سلام » . ان ايبان يريد المفاوضات المباشرة (في النهاية) وليس الآن . وذلك لانه يقترح على يارينغ « ان ينحصر البحث في

(٢) ندوة فلسطين العالمية الثانية في الكويت : وجهتا نظر

انقسم الراي حول ندوة فلسطين العالمية الثانية (القسم الثاني) ، التي انعقدت في الكويت بين الثالث عشر والسابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٧١ بدعوة من جمعية الخريجين الكويتية والاتحاد العام لطلبة فلسطين ، انقساما كبيرا . وقد سالت « شؤون فلسطينية » الاستاذ منح الصلح عن ملاحظاته على الندوة ، ثم سالت الاستاذ فواز ناجيا عن ملاحظاته ايضا . وقد اشترك كلاهما في الندوة .

قال الاستاذ منح الصلح :

اولا ، الندوة لم تكن ندوة سياسية ولو كانت كذلك لوجب ان تتوفر فيها شروط لم تكن فيها . الندوة السياسية تفترض ان تكون هناك موضوعات معينة مستمدة من واقع حركة المقاومة او العمل الفلسطيني وان يطرح كل موضوع شخص ذو صلة عملية ومباشرة وخاصة بهذا الموضوع ثم يجري اشراك الحضور في التداول حول نظرة المقاومة عن هذا الموضوع بالذات . مثلا موضوع الميلشيا الشعبية ، هل يجوز حلها او لا يجوز ، ما هو موقف المقاومة ، ثم بعد ذلك ما هو التقييم السليم لهذا الموقف . والجانب التقييمي يشترك فيه المدعوون . موضوع آخر مثلا موضوع هل يجوز خطف الطائرات أم لا : تعطي المقاومة رأيها وتبرر هذا الراي ثم يترك للمشتركين امر تناول الموضوع. الموقف من الانظمة العربية يعطى راي المقاومة مع مبرراته وحيثياته ويجري بعد ذلك التقييم من المشتركين . او على اقل تقدير تبحث قضية كمجزرة ايلول ذات علاقة بالحاضر . هكذا تكون الندوة سياسية ويكون المشتركون قد تفاعلوا مع الجانب السياسي منها واصبحوا ذوي مسؤولية تجاه قرارات اشتركوا في مناقشتها . الذي حصل هو غير ذلك تماما . جيء بالمدعوين ثم القيت عليهم محاضرات اكاديمية بحتة تتناول أمورا قد يعرفونها او لا يعرفونها ولا شك ان اغلبهم يعرفها وانتهى الامر . ان المفروض في شخص مسافر من الولايات المتحدة الى الكويت بقصد بحث قضايا العمل الفلسطيني ان لا يفاجأ بأن كل المطلوب منه هو سماع بعض بدهيات القضية . المفروض ان يكون قد عرف كل هذه الامور والا كيف يكون ملتزما بالقضية وبأي معنى يكون ملتزما . اذا كان الامر امر معلومات فان اي نشرة او اي مجلة كافية لان تزوده بمعلومات فوق ما اخذ من الندوة . اذن فان الندوة بسبب لاسياسيتها تحولت الى ندوة اكاديمية ، ولكن بالطبع في مستوى غير عال من الاكاديمية ايضا لان عددا كبيرا من الحاضرين لم يكونوا من الاكاديميين على الاطلاق .

ثانيا ، كان الخطأ الثاني في الندوة هو ان جمهور المدعوين لم يكن منتقى بشكل يجيب عن السؤال التالي : من هم المدعوون ؟ واي نوع من انصار القضية الفلسطينية تريد ان تخاطب من خلالهم ؟ يعني هل جمهورك من اليساريين ؟ اذا كان كذلك فانت تعرض القضية على الصورة التي يفهمها اليساريون . هل جمهورك من اللبراليين ؟ اذا كان كذلك فهناك عرض لبرالي للقضية الفلسطينية تقدم فيه لهم . اما ان يأتي اللبرالي من اصدقاء القضية الفلسطينية ليسمع آراء الماركسيين — اللينينيين والتروتسكيين حول هذه القضية فان ذلك مما ينفره بلا ريب . وان يأتي ، من جهة اخرى ، الماركسي اللينيني والتروتسكي، ليجد امامه يمينيا يطرح عليه الموضوع بشكل مستفز له فذلك مما يسيء للقضية عنده.والذي حصل من هذه الناحية مفجع حقا اذ خرج اليساريون ساخطين لان القضية ، في رايهم ، وضعت في يد اليمين . وخرج اللبراليون ناقمين ايضا لان القضية ، في زعمهم ، اصبحت ملكا لليساريين وحدهم . فمن ارادت هذه الندوة ان ترضي وأي نوع من الاصدقاء كسبت ؟ واي جمهور خاطبت ؟ ذلك كله كان يدعو الى الحيرة بل الى أكثر من الحيرة لانه لا يمكن ان يتم مثل هذا الكمال في الاضرار بالقضية من غير ان تكون هناك نية غير سليمة او بعد كامل عن القضية عند المسؤولين عن هذا الامر .

ثالثا ، الناحية الاعلامية لم تكن موفقة بمعنى ان انعقاد الندوة في الكويت من شأنه ان لا يؤمن الغاية الدعائية المفروضة ان تكون من ندوة من هذا النوع. فالعرب متهمون في العالم اكثر ما هم متهمون

الشعوب العربية والشعب الفلسطيني ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار والاستعمار الجديد » ، بالاضافة الى قرار خاص حول باتريك ارغويللو اذي اعتبره المؤتمر « بطل النضال ضد الامبريالية والصهيونية » .

لقد تميزت قرارات المؤتمر العاشر ، الذي اختتم يوم ٢/١٣ ، بعدد من النقاط التي تعتبر هامة جدا في تطور موقف الحركة الطلابية الدولية تجاه القضية الفلسطينية . فقد أقر المؤتمر اعتبار اسرائيل موجهة ضد وجود الشعب الفلسطيني بالاضافة الى طبيعتها كقاعدة استعمارية امبريالية توسعية منذ ان قامت في عام ١٩٤٨ . ولعل تأكيد المؤتمر العاشر لحقوق الشعب الفلسطيني، وبشكل خاص **حقه في تقرير مصيره على ارض وطنه** ودعم نضاله في تحرير هذا الوطن تشكلان نقطة انطلاق جديدة في العمل الطلابي الاعلامي العربي . كما انه يجب الا يغيب عن ذهن القارىء التأييد الصريح للنضال الفلسطيني المسلح ، (رغم أن أ. ط. ع. كان قد «حيا» النضال المسلح للشعب الفلسطيني في المؤتمر التاسع في منغوليا عام ١٩٦٧) على ضوء التطور الذي حصل في المنطقة بأكملها منذ حزيران ١٩٦٧ . كما ان اتخاذ المؤتمر لقرار خاص حول باتريك ارغويللو ، الشاب النيكاراغوي الذي استشهد وهو يقاتل ضمن صفوف احدى فصائل المقاومة الفلسطينية ، دفاعا عن قضية الجماهير الفلسطينية ، واعتباره « بطل النضال ضد الامبريالية والصهيونية » انما هو تأكيد لارتباط شباب العالم التقدمي بنضال شباب وشعب فلسطين . وما القرارات التي اتخذت الا صورة معبرة عن موقف طلاب العالم من قضيتنا ، وهي صورة لا بد لنا من العمل على نشرها على اوسع نطاق ممكن ، علما بأن مثل هذه القرارات تزداد اهميتها الاعلامية لكونها تتوجه نحو جماهير الطلبة والشباب التقدمي في العالم بأسره ، وبشكل خاص الى جماهير طلبة وشباب البلدان الاشتراكية كافة.

شريف الحسيني

صدر حديثا

عن مركز الابحاث

في منظمة التحرير الفلسطينية

ثلاثة كتب باللغة الانجليزية

القضية الفلسطينية والقانون الدولي

بقلم ف. يحيى

في التوسع الاسرائيلي

بقلم خالد قشطيني

الاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقية والشرق الاوسط

بقلم جورج جبور

وحضره جمهور غفير وعدد من الشخصيات السياسية والجامعية في المدينة . وقد تضمن برنامج الاجتماع كلمات بعض المسؤولين في منظمة الشباب الاشتراكي للمنطقة ، ووفد الاتحاد العام لطلاب ج.ع.م. ، والاتحاد العام لطلبة فلسطين ، ورابطة طلبة الدومينيكان ، وطلبة جامعة برنو . وفي نهاية الاجتماع وجه المجتمعون نداء تضامن الى الشعوب والشباب العرب في نضالهم ضد العدوان الاسرائيلي . وكانت كلمة وفد فلسطين على غرار الكلمة التي ألقيت في المؤتمر ولاقت تصفيقا حادا من قبل الحضور .

وفي اليوم التالي (١٩٧١/٢/٩) بدأت اجتماعات اللجان فتوزع اعضاء الوفد عليها وباشر آخرون بمتابعة اعداد مشاريع القرارات . وعقد اجتماع مطول للوفود العربية ، حضره مندوبون عن المنظمات في الجزائر والعراق والاردن والكويت ولبنان والمغرب والسودان وسورية وتونس واليمن الجنوبي وج ع م واليمن وفلسطين ، وبعد نقاش مطول توصل المجتمعون الى صيغة قرار « حول نضال الشعوب والطلبة العرب ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار والاستعمار الجديد » وقرار آخر « حول نضال شعب وطلبة فلسطين ضد الصهيونية والامبريالية » ليقدما الى اجتماع اللجنة الخاصة بالشؤون العربية والفلسطينية باسم كافة الوفود العربية . وفي اليوم التالي اجتمعت اللجنة « ب » المختصة بالقضية العربية وعرضت أمامها بعض القرارات الخاصة بالمنطقة ومن ضمنها مشروعا القرارين الخاصين بفلسطين والنضال العربي . وقد أقرت اللجنة المشروعين بالاجماع لعرضهما على الجلسة العامة للمؤتمر في اليوم التالي .

وفي الاجتماع المخصص لاتخاذ القرارات والذي ابتدأ مساء يوم ٢/١٠ أقر المؤتمر حوالي ٨٧ قرارا ، كان اثنا عشر قرارا منها يتعلق بالقضية الفلسطينية والعربية والدول العربية عامة بالاضافة الى عدد آخر من القرارات التي تطرقت الى القضية الفلسطينية من ناحية أو أخرى . وقد جرى اقرار هذه القرارات بالاجماع (وقد لوحظ ان الوفد الروماني لم يتخذ اي موقف ولم يصوت سلبا او ايجابا او امتناعا) . وخلال تقديم القرارات ، عرض تقرير اللجنة الخاصة بتعديل الدستور . وكانت هذه اللجنة قد اقترحت تعديلا يقضي باضافة الفقرة التالية الى القسم الثالث المتعلق بالاهداف لتكون النقطة (أ) في هذا القسم : « مشاركة الطلاب، الذين يشكلون جزءا لا يتجزأ من شعوبهم، في النضال من اجل الحرية والاستقلال الوطني الحقيقي والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، والديمقراطية والسيادة القومية، وحق تقرير المصير ومن اجل السلام وأمن الشعوب في العالم بأسره، وضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والرجعية والفاشية وكافة اشكال التمييز ، وبشكل خاص التمييز العنصري » . فاقترح وفد فلسطين هنا ان تضاف كلمتا « الصهيونية والرجعية » بعد كلمة « الفاشية » باعتبارها تمثل خطرا لا يقل عن خطر الفاشية . وقد سجل هذا التعديل لمناقشته بعد استكمال طرح كافة التعديلات . وقد اجرى وفد فلسطين اتصالا واسعا مع الوفود لكسب التأييد اللازم لهذه الاضافة (وهي الثلثان) وبدا واضحا ان الاقتراح يتمتع بالتأييد المطلوب . الا انه بعد تقديم كافة الاقتراحات تقدم مندوب الاردن باقتراح اجرائي يقضي بتأجيل البحث في التقرير المقدم من لجنة تعديل الدستور الى اجتماع قادم للجنة التنفيذية لان كثيرا من الوفود ليس لديها التفويض بالموافقة على اقتراحات معينة ضمن التقرير دون ان تكون اتحاداتها قد درست مجمل الاقتراحات وحددت موقفا منها . وقد لاقى اقتراحه موافقة اغلبية اعضاء المؤتمر — الذين كانوا منهكين في ذلك الوقت وبعد مضي ما يزيد على ٢٤ ساعة من الاجتماعات المتواصلة — وتأجل بذلك البحث في الاقتراح المقدم من وفد فلسطين. ولقد كان الوفد يرى اهمية خاصة لهذه الاضافة لتصبح ضمن مواد دستور اتحاد الطلاب العالمي . ولكن تعذر اضافتها دفعته الى ان يضيفها الى صيغة القرار العام حول نضال الطلاب في العالم (قرار رقم ج/١) وتمت اضافتها في فقرتين رغم المعارضة الشكلية التي أبدتها لجنة من المنظمات المقدمة للاقتراح .

أما بقية القرارات التي عرضت فقد تم اقرارها بدون اية عوائق ، وتمت بعض الاضافات على بعض القرارات — خاصة القرار الخاص بانجولا وموزمبيق — لتشمل اسرائيل كاحدى الدول التي تقدم العون للمستعمرين البرتغاليين في حربهم ضد شعوب هذه البلاد . وتجدر الاشارة الى انه بالاضافة الى القرار العربي العام والقرار الخاص بفلسطين تبنى المؤتمر « برنامج عمل لتأييد نضال

« الوضع الحاضر في فيتنام وكمبوديا ولاوس وتمتين التضامن الدولي مع شعوب هـذه البلدان ضد المعتدين الاميركيين » . وقد قدم هذه التقارير كل من وفود فيتنـام الشماليـة والجنوبيـة ولاوس وكمبوديا . وفي جلسة بعد الظهر ، وقبل الدخول في جدول الاعمال ، رحب رئيس الجلسة (بولندي) بالاخ تيسير قبعة ، وقدم لمحة عن نضاله الطلابي والسياسي ودعاه لالقاء كلمة في المؤتمر . وكانت هذه المناسبة الاولى للمؤتمر ليعبر فيها عن تضامنه مع شعب وطلبة فلسطين ، فوقف اعضاء المؤتمر يصفقون بحرارة لفترة طويلة . والقى الاخ تيسير كلمة قصيرة حيا فيها المؤتمرين ونقل اليهم تحيات رفاقهم المناضلين مـن طلبة وشباب فلسطـين . واستقبلت الكلمة بتصفيق حاد من قبل المؤتمر وعقب عليها رئيس اتحاد الطلاب العالمي بكلمة قصيرة أكد فيها تضامن طلبـة العالم مع نضال شعب وطلبة فلسطين . وعلى الاثر قدم رئيس اتحاد الطلاب العالمي (تشيكوسلوفاكيا) ملخصا عن تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر العاشر حول « تطور وتجارب الحركة الطلابية الدولية منذ المؤتمر التاسع لاتحاد الطلاب العالمي، ودور ومهمات أ. ط. ع. والطلاب في تعزيز النضال ضد الامبريالية ، وبشكل خاص ضد السياسة العدوانية للامبريالية الاميركية » . وتلاه السكرتير العام لاتحـاد الطلاب العالمـي (العراق) ليقدم التقرير الخاص حول « دور اتحاد الطلاب العالمي في تكثيف التضامن الطلابي الدولي مع النضال المعادي للامبريالية للشعوب والطلبة العرب ، وبشكل خـاص مع نضال شعب وطلبة فلسطين » . وتقدم بعد ذلك نائب رئيس اتحاد الطلاب العالمي (السودان) بطرح تقرير السكرتارية حول « الذكرى الخامسة والعشرين لـ أ.ط.ع. واقتراحات الاحتفال بها » . وبعد الانتهاء من قراءة هذه التقارير بدأت مناقشة كافة التقارير المقدمة من خلال كلمات مطولة تعطى للوفود الراغبة في الكلام . وقد استمرت كلمات الوفود ثلاثة ايام وتضمنت تأييدا وتضامنا مع نضال مختلف الشعوب في الهند الصينية وافريقيا وامريكا اللاتينية والبلاد العربية . وتراوحت عبارات التضامن التي وردت في كلمات الوفود بالنسبة للقضية الفلسطينيـة والقضية العربية من عبارات « تأييد الشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي المدعوم من قبل الامبريالية ولازالة آثـار عدوان ١٩٦٧ » وعبارات « تأييد الشعب الفلسطيني في نضاله المسلح من اجل تحقيق اهدافه في تحرير وطنه ». وفي الجلسة الصباحية ليوم ٢/٧ (اليوم الخامس) ألقى الاخ احمد الازهري كلمـة اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية وسط جو من التأييد الحماسي والتضامن ، كما اعطيت الكلمة لوفد الاتحاد العام لطلبـة فلسطين فضجت القاعـة بالتصفيق الحاد المعبر عن التضامن . وتوجهت الى المنصة عضو الوفد الاخت منى خوري والقت الكلمة التي قوبلت بموجة اخرى من التصفيق الحاد من قبل كافة الوفود التي وقف اعضاؤها تحية لوفد فلسطين واستمروا في ترديد صفقة التضامن فترة طويلة من الزمن . وقد ركزت كلمة الوفد على تأكيد تضامن شعب وطلبة فلسطين مع نضال الشعوب في كل مكان من العالم وارتباط النضال الفلسطيني بحركة التحرر العربية والعالمية واعطاء لمحة سريعة عن تطور النضـال الفلسطينـي وموقف الثورة الفلسطينية تجاه الحل العادل للقضية الفلسطينية واقامة الدولة الديمقراطية .

وبعد انتهاء الوفود من القاء كلماتها ، قدمت لجنة الاعتمادات تقريرها الى المؤتمر . وبعد ذلك قدم سكرتير عام ا. ط. ع. تقرير العضوية الجديدة للمؤتمر ليصار الى اقراره بعد ان كانت اللجنـة التنفيذية قد قبلت عضوية عدد من الاتحادات الطلابية في اجتماعاتها السابقة سواء في برلين (آذار/مارس ١٩٦٨) او في فارنا (شباط/فبراير ١٩٦٩) . أقر المؤتمر عضوية ست منظمات ذكرنا اربعا منهـا سابقا . وقد اكد المؤتمر توصية اللجنة التنفيذية حول طلب عضوية ما يسمى بـ « الاتحاد الوطني لطلبة اسرائيل » فرفض الطلب بالاجماع .

وكان يوم ١٩٧١/٢/٨ قد خصص لعدة اجتماعات تضامن مع الشعوب المناضلة . وتضمن البرنامج الاجتماعات التالية : ١ ـ اجتماع تضامـن مع الشعوب والطلبة المناضلين في سبيل الامن الاوروبي وضد الانظمة العسكرية والفاشية في اليونـان والبرتغال واسبانيا . ٢ ـ اجتماع تضامن مع الشعوب والطلبة العرب . ٣ ـ اجتماع تضامن مع شعوب وطلبة امريكا اللاتينية . ٤ ـ اجتماع تضامن مع شعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا . وقد توزع اعضاء الوفد الفلسطيني على هذه الاجتماعات وكان التركيز الاكبر على الاجتماع الخاص بالشعوب والطلبة العرب الذي عقد في مدينة برنو في المساء،

فلسطينيات

(١) اجتماع اللجنة التنفيذية والمؤتمر العاشر لاتحاد الطلاب العالمي في تشكوسلوفاكيا

انعقد في براغ في ٢٨ — ١٩٧١/١/٢٩ اجتماع اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلاب العالمي (أ. ط. ع) لدراسة مشروع جدول اعمال المؤتمر العاشر ، ولمناقشة مشروع تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر الذي اعدته السكرتارية وكذلك التقرير الخاص بطلبات العضوية الجديدة . وتدارست اللجنة التنفيذية هذه التقارير واقرتها بعد اجراء عدد من التعديلات منها التعديل الذي ادخل على اللجنة « ب » ليصبح اسمها « حول التضامن المعادي للامبريالية مع نضال الشعوب والطلبة العرب ، وبشكل خاص نضال شعب وطلبة فلسطين » بدلا من « حول الشرق الاوسط » . وبالنسبة لمشروع تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر فقد الغيت الاشارة الى موقف اسرائيل « المعرقل لتحقيق تسوية سلمية لمشكلة الشرق الاوسط » لكي لا يفهم من ذلك ان اتحاد الطلاب العالمي يدعو الى «تسوية سياسية» او الى ما اصبح معروفا بـ« الحل السلمي » ، بالاضافة الى فقرات اخرى اعطت التقرير مزيدا من الوضوح حول جوانب عديدة تتعلق بالقضية الفلسطينية والعربية . وقد تم في هذا الاجتماع قبول عضوية عدة منظمات طلابية والتصديق على عضوية آخرين كأعضاء في أ. ط. ع. منها الاتحاد العام لطلاب ج. ع. م. واتحاد طلبة الصومال ، واتحاد طلاب باكستان الشرقية والاتحاد الوطني لطلبة سورية . كما ان طلبا مما يسمى بـ «الاتحاد الوطني لطلبة اسرائيل » لعضوية أ. ط. ع. ، والمقدم للمرة الثالثة منذ عام ١٩٦٤ ، قد رفض بالاجماع من قبل اعضاء اللجنة التنفيذية مع التوصية بعدم دعوة هذا « الاتحاد » لحضور مناقشة طلبه كما جرت العادة عند تقديم طلب عضوية من اي منظمة طلابية .

وفي يوم ١٩٧١/٢/٣ افتتح في براتيسلافا ، عاصمة جمهورية سلوفاكيا الاشتراكية ، المؤتمر العاشر لاتحاد الطلاب العالمي والذي ينعقد بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس الاتحاد . ويبلغ عدد المنظمات الاعضاء في اتحاد الطلاب العالمي حتى انعقاد المؤتمر العاشر — بين عضو كامل ومشارك — ٨٧ منظمة طلابية موزعة بين مختلف القارات والمجموعات . فامريكا اللاتينية يمثلها ٢٥ اتحادا ومنظمة طلابية ، وافريقيا ٢٠ ، والدول العربية ١٠ ، والدول الاشتراكية على كافة اتجاهاتها ١٤، والمجموعة الاسيوية ٩ ومجموعة غرب اوروبا وامريكا الشمالية ٩ . وبلغ عدد حضور المؤتمر العاشر ٦٢ وفدا عاملا و٣١ مراقبا بالاضافة الى ١٢ منظمة دولية ومندوبين عن ٨ حركات تحرر وطني وزائر واحد عن رابطة طلبة امريكا اللاتينية في تشيكوسلوفاكيا بالإضافة الى ضيفي شرف هما : نائب رئيس وفد الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام الى محادثات باريس وفتاة نجت من مذبحة سون ماي بفيتنام الجنوبية ، وقد تميزت جلسة الافتتاح بالتضامن مع نضال شعب فيتنام ممثلا بهذه الطفلة .

وبعد الانتهاء من جلسة الافتتاح عقد المؤتمر جلسته الاولى التي ناقش فيها النظام الداخلي والبرنامج الزمني وجدول الاعمال . وهنا ادخل تعديل اضافي على جدول الاعمال وهو يقضي باضافة عبارة « وخاصة مع نضال شعب وطلبة فلسطين » للنقطة الثالثة من جدول الاعمال والمتعلقة بالتقرير الخاص عن « دور أ. ط. ع. في تكثيف التضامن الدولي للطلاب مع النضال المعادي للامبريالية للشعوب والطلبة العرب » . وفي صباح اليوم الثاني ، وفي جلسة خاصة ، استمع المؤتمر الى تقارير عن

التاريخ . ونقطة ضعف هذا الاسلوب أن الوقائع فيه تبدو مفككة ، كما ان هذه الوقائع تبدو وكأنها التاريخ كله ، مع انها ليست الا معالم فيه ، وسياقها أهم منها ، وفي هذا التاريخ يجري التركيز على الوقائع ويكاد ينعدم التركيز على السياق .
ثالثا : لقد قدم لنا الدكتور كيالي فيضا من المعلومات ، ولكنه لم يقدم الا القليل من التحليل . وحتى التقييم الذي قدمه في نهاية الكتاب ، كان تقييما موجزا وعابرا (ص ٣٦١ — ٣٦٦) . مع ان جهدا كالجهد الذي بذله ومعلومات كالمعلومات التي قدمها تعطيه القدرة على التوسع في التحليل والتقييم .

وعلى الرغم من هذا كله يبقى كتاب الدكتور كيالي، بما فيه من معلومات ووثائق (ص ٣٦٧ — ٤٢٥) ومراجع (ص ٤٢٦ — ٤٧١) مرجعا هاما من مراجع القضية الفلسطينية ، ومن أهم كتب التاريخ التي تناولتها حتى الان . ونحن ننتظر الجزء الثاني الذي يعالج الفترة ما بين سنة ١٩٣٩ و١٩٤٩ .

ن. ع.

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

احصائيات الاراضي والملكية في فلسطين ١٩٤٥

بقلم

سامي هداوي

(المسؤول عن الاراضي في حكومة فلسطين)

اول كتاب تفصيلي حول ملكية الاراضي في فلسطين والمساحات المزروعة وعدد السكان فيها من العرب واليهود وملكية كل منهم للارض . ومساحات الاراضي التي اشتراها الصهيونيون (١٩٢٠ — ١٩٤٥) ، واراضي الحكومة . مع جداول كاملة بجميع اسماء المدن والقرى في فلسطين ايام الانتداب البريطاني .

بالانجليزية : ٣٦ صفحة تحليلية ، ١٤٢ صفحة جداول تفصيلية وخارطة ٦٠ x ١٠٠ سنتم بالالوان .

عدد محدود جدا من النسخ ١٠ ل. ل.

د. عبدالوهاب كيالي ، تاريخ فلسطين الحديث
(بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٠)

منذ بداية هذا القرن والشعب العربي في فلسطين يقاتل الاحتلال والصهيونية . ولقد شهد تاريخه في هذا القرن الكثير من الملابسات والمؤامرات والكثير الكثير من الاحداث والوقائع ، ومع ذلك فاننا نستطيع ان نقول بأن هذا التاريخ لم يكتب بعد . فلماذا لم يكتب ...؟ هنالك اسباب عدة اهمها : اولا : الاحداث السياسية المتلاحقة ، واندماج اكثرية الشعب في غمارها . كانت اذهان الشعب كله مركزة على المصير ، ولم تكن مركزة على التاريخ . ثانيا : الهزائم المتوالية التي مرت بها الحركة الوطنية ، وعلى راسها هزيمة (١٩٤٧ — ١٩٤٩) ، وهي الهزيمة التي اصطلح على تسميتها بالنكبة . وما تبع النكبة من تشريد وشتات . ثالثا : عسر الحصول على المعلومات ، بسبب الشتات ، وعدم وجود مركز لجمع المعلومات، ولان جزءا من هذا التاريخ ما زال بحوزة دولة الاحتلال او بريطانيا .

ومع ذلك كانت هنالك محاولات جادة، مثل محاولات محمد عزت دروزة وعارف العارف واحمد طربين . ولكن هذه المحاولات كلها كانت تقدم قدرا من المعلومات ، يعتمد اما على المعلومات الشخصية (محمد عزت دروزة) او على المراجع العربية اساسا (عارف العارف) او على المصادر الاجنبية المنشورة (احمد طربين) ولذلك نجد ان كل مرجع من هذه المراجع يكمل الاخر ، ولكنه لا يغني عنه .

ولقد جاء كتاب الدكتور كيالي اضافة جديدة على كل ما تقدم. ذلك انه يعتمد اساسا على الوثائق البريطانية التي لم يتح لاي مؤلف ان يراها قبله . وكان من حسن حظه ان السلطة البريطانية أخرجت الكثير من وثائقها السرية ، وضمتها الى الوثائق العلنية ، فاتيح له ان يدرسها وهو يعد دراسته هذه . وهذه الوثائق بالطبع هي الوجه الاخر من تاريخنا الذي لم يستطع احد من مؤلفينا ان يستفيد منه من قبل . ولما كانت سلطات الاحتلال أقدر على جمع المعلومات والاحتفاظ بالوثائق ، فان هذا المصدر من أهم مصادر تاريخنا . ولقد استفاد منه الدكتور عبدالوهاب كيالي استفادة مثلى في الحدود التي رسمها لنفسه .

ولا بد من القول بأن المعلومات التي قدمها لنا الكتاب استنادا الى هذا المصدر معلومات هامة تهدينا الى فهم الكثير من الوقائع التاريخية : مثل موقف السلطات من المفتي الحاج امين قبل سنة ١٩٣٧ ، وعلاقة بعض القيادات والوجاهات بالحركة الصهيونية الخ . كما ان الكتاب يقدم معلومات جديدة عن الكثير من القضايا ، ومنها المقاومة العربية في فلسطين . وفي هذا المجال يدخل الكتاب الى تاريخنا اسم منظمتين هما : جمعية الفدائية (ص ١٤٠) وثورة الكف الاخضر (ص ٢٥٢) . كما ان كتاب الدكتور كيالي يهدي الباحثين الى كنز من المعلومات بعودته الى عدد من الصحف الفلسطينية والعربية ، وخاصة جريدة الكرمل . ان هذا المصدر لم تجر الاستفادة منه جيدا حتى كتابة هذا الكتاب . ان محمد عزت دروزة لم يعد الى أية جريدة ، واحمد طربين لم يشر الى اية صحيفة (كنت أنا قد استفدت استفادة جلى من بعض المجلات والجرائد لدى كتابة كتابي : المقاومة العربية في فلسطين ، صدر عن مركز الابحاث في ايار سنة ١٩٦٧ لاول مرة) . ولكن الدكتور كيالي على ما يبدو قد صرف الكثير من الوقت لمراجعة عدد كبير من الجرائد . ويضيف هذا الى كتابه اهمية جديدة .

ان الدكتور كيالي باعتماده على وثائق السلطات البريطانية او الحركة الصهيونية وعلى الصحف ، قد استطاع بما بذل من جهد ان يعرفنا بالكثير من غوامض تاريخنا ، وان يقدم لنا براهين واثباتات على ما كنا نصل اليه بالاستنتاج . ولا بد ، مع اشادتنا بالجهود الكبيرة التي بذلها الدكتور كيالي ، وبدأبه وسعة اطلاعه ، من الملاحظات التالية : اولا : كنا نتمنى لو ركز الدكتور كيالي جهده على تنويرنا بالمزيد من المعلومات حول حركة القسام والاضراب الكبير وثورة سنة (١٩٣٦ — ١٩٣٩). فحركة القسام لا تحتل الا نصف صفحة واحدة من الكتاب (الصفحة ٢٩٥) مثلا . ثانيا : الاسلوب الذي اتبعه الدكتور عبدالوهاب هو الاسلوب الذي اتبعه كل مؤرخي القضية الفلسطينية، وهو أسلوب ايراد الوقائع الهامة وتقديم المعلومات عنها ، وهو ما يمكن ان يسمى الاسلوب التقليدي في كتابة

بمناسبة صدور كتاب جودفري جانسن عن سرحان سرحان ، وبمناسبة قرب صدور قرار المحكمة العليا في كلفورنيا باستئناف محامي سرحان (في مطلع مايو ١٩٧١)، كتب الدكتور عابدين جباره الرسالة التالية لشؤون فلسطينية عن الجديد في قضية سرحان :

في الاسبوع الاول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، تقدم محامو سرحان بشاره سرحان الثلاثة : عابدين جباره وجورج شبلي ولوك ماكيساك ، بطلب استئناف من ٧٣١ صفحة ويقع في اربعة مجلدات ، بالنيابة عن موكلهم سرحان ، طالبين من المحكمة العليا في كلفورنيا صرف النظر عن حكم المحكمة وعقوبة الاعدام الصادرة عن المحكمة ، والسماح بمحاكمة جديدة .

تستطيع المحكمة العليا في كلفورنيا ، من الناحية القانونية ، ان تفعل احد الاشياء الثلاثة التالية : (١) تؤكد حكم المحكمة والعقوبة التي أصدرتها ، وفي هذه الحالة يجب الاستئناف لدى المحكمة العليا للولايات المتحدة ، (٢) تأكيد الحكم الصادر عن المحكمة مع تخفيف العقوبة الى السجن المؤبد ، او (٣) نقض الحكم والعقوبة ومنح المدعى عليه محاكمة جديدة . وتقضي عملية الاستئناف ، في النظام القضائي الاميركي ، بمراجعة الاخطاء التي ارتكبها القاضي في سير المحاكمة او في تفسيره للقانون النافذ . لكن يحق للمحامي ، قبل واثناء المحاكمة ، ان يطرح نقاطا متنوعة تتعلق باجراءات المحاكمة او بالقانون الذي سيطبق في هذه القضية . اذا كان المحامي يحس بأن القاضي قد ارتكب اخطاء في تصريفه لهذه الامور ، عندئذ يكون لاستئنافه لدى محكمة اعلى أساس .

تتضمن مذكرة الاستئناف في قضية سرحان ثمانية عشر اساسا او خطأ يدعي الدفاع بأن القاضي ارتكبها . من هذه الاسس ان اعلانا ظهر في وسائل الاعلام عن امكانية اعتراف سرحان بأنه مذنب بتهمة القتل المتعمد مقابل وعد من النيابة العامة بأنه لن يحكم بالموت . وقد قرىء هذا الاعلان وسمع من قبل المحلفين وهذا حرم سرحان من حقوقه الدستورية في محاكمة عادلة وغير متحيزة . أما الاساس الثاني للاستئناف فهو ان سرحان نهض احدى المرات في قاعة المحكمة وطلب ان يسمح له بأن يقول بأنه يعتبر نفسه متهما بتهمة القتل المتعمد قائلا انه « قتل روبرت كندي بارادته ، عن سابق تعمد ، وامامه عشرون سنة من العذاب » ، لكن القاضي رفض السماح له بذلك ، واستؤنفت المحاكمة . وكانت النقطة الثالثة التي أبرزها الاستئناف ان القاضي أخطأ لما فشل في الطلب الى النيابة العامة ان لا تطلب من المحلفين اصدار حكم الموت بحق سرحان. نقطة رابعة في مذكرة الاستئناف اشارت الى ان الافادة الواردة في القضية اشارت بما لا يقبل الشك ان سرحان لم يكن لديه اي قصد محدد وهذا ما يلغي اعتباره متهما بأقصى درجات القتل ، وهي الدرجة التي يعاقب عليها بالموت . اما الاساس الخامس للاستئناف فكان ان القاضي اخطأ لما حكم بأن مفكرة سرحان كانت مقبولة في المحكمة مع العلم بأن المفكرة اخذت من غرفة سرحان بدون اذنه ، وهذا مخالف لحقوقه بموجب دستور الولايات المتحدة . نقطة اخرى أبرزها الدستور هي ان الاقليات العنصرية والاقتصادية في المجتمع الاميركي مستثناة من محلفي كلفورنيا . ولهذا ادعى الدفاع بأن القاضي اخطأ لما استثنى اشخاصا معينين من الاشتراك في هيئة المحلفين في قضية سرحان لانهم عارضوا على اساس معتقدهم الاخلاقي ، اللجوء الى عقوبة الموت في قضايا الجرائم، وان هذا الاستثناء قد زاد من نسبة تثبيت الاتهام ضد سرحان . لقد أعطيت هيئة المحلفين حقا مطلقا وعشوائيا للاختيار ما بين عقوبات الحياة او الموت دون اعطائها اية ارشادات او مقاييس تساعدها في الاختيار . وهذا مخالف للدستور . وقال الدفاع ان ذلك حرم سرحان من حقه في تطبيق القانون السليم .

لقد سعى الدفاع اثناء مرحلة اصدار العقوبة ان يقدم افادة متخصصة عن الابعاد الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية للصراع الفلسطيني ــ الصهيوني ابان طفولة سرحان في فلسطين وتبيان اثار ذلك على سرحان . لكن القاضي ، كما يدعي الدفاع ، أخطأ في عدم السماح بهذا الاثبات الحيوي من اجل فهم شامل لسرحان وللظروف القاسية التي مر بها . وفي هذا النطاق تحتوي المذكرة القانونية على ملحق من خمسين صفحة يتضمن تلخيصا لما يمكن ان تكون عليه هذه الافادة .

الدكتور عابدين جباره

واذا كنا نذكر هذه التجارب ، فلا نذكرها تأسيا على النفس وابناء الجلدة . ففي كل انحاء العالم ، رأى الاطفال ولا زالوا يرون مناظر مفزعة ، بعضهم يشفى من اثرها والبعض لا يشفى . وقد عاش بعض الاطفال اليهود الذين ظلوا على قيد الحياة بعد المعسكرات النازية ليوقعوا الفظائع ذاتها بشعب اضعف منهم ، أما البعض الاخر فقد تخطى الفزع وتفوق عليه . ولكنهم جميعا حملوا آثار تلك التجربة المريعة طيلة حياتهم .

وفي أيار ١٩٤٨ ، وبعد ٤٨ ساعة من المعاناة في وسط المعركة ، أغلق آل سرحان باب بيتهم الامامي بحرص ، وزحفوا بثياب النوم ليجدوا لانفسهم ملجأ مؤقتا يقضون فيه الليل . واخذوا معهم مفتاح الباب ، ولكنهم لم يعودوا اليه قط ، فقد وضعته خطوط الهدنة في بلد آخر . ولا هم استعادوا أبدا الاحترام الذي كانوا يتمتعون به عندما كانت العائلة وحدة مفيدة في نسيج اجتماعي. وبعد ثماني سنوات من معاناة شظف العيش كلاجئين والبحث عن عمل في ظل الفوضى التي كانت تعم بلدهم المفتت ، هاجر آل سرحان الى الولايات المتحدة . ولم يكن سرحان يرغب في الهجرة . « اردت أن أبقى في وطني بين شعبي . وكنت أعرف أن الولايات المتحدة ضد العرب وصديقة لاسرائيل » . لقد أبدى سرحان وهو لا يزال في الثانية عشرة شرفا وحكمة أكثر بكثير من فلسطينيين يكبرونه .

لم تعرف العائلة الرغد في الولايات المتحدة ، جزئيا لان قيمها العتيقة لم يكن لها محل في تلك البلاد على الاطلاق ، وجزئيا بسبب مشاكل داخلية . كان سرحان جديا وقارئا مثابرا وشابا مطيعا هادئا عميق التدين صموت مترفع . لم تكن كاليفورنيا المكان المناسب له . وعلى الرغم من ان آل سرحان استقروا في الولايات المتحدة ، الا انهم جميعا (عدا استثناء واحد) رفضوا أن يصبحوا مواطنين اميركيين وأصروا على البقاء فلسطينيين ، فلم يكن هذا ليقدم لهم مساعدة عملية . كما أنهم كانوا سمر البشرة وبذلك تعرضوا للتمييز اللوني الغربي . لقد كانوا حساسين وذوي كبرياء ولم يكونوا يشعرون بالانتماء الى أي مكان. لذا تفتت العائلة،

فعاد بشارة سرحان الى الضفة الغربية وسلك الاخوة الكبار سبلا غير مأمونة العواقب للحصول على المال وبدأوا يواجهون مشاكل . ووجد سرحان وظائف مهينة وأصبح بالتدريج يشعر بغربة اكبر عن المجتمع الاميركي . ولربما كان من الافضل له لو غادر .

يقدم لنا كتاب جودفري جانسن ، الذي وضع له مؤلفه عنوانا فرعيا هو « قصة ضحيتين » دراسة جيدة في الدوافع السياسية والانسانية التي تضافرت لتحدد سلوك سرحان . ولا شك في أن الجزء الطويل الذي كرسه المؤلف لسرحان يتخطى التحليل السياسي ، فهو أقرب في نفاذ البصيرة إلتي يتغلغل بها الى جذور الكائن الانساني المتشابكة غير المرئية الى رؤيا الفنان منه الى التحقيق الصحافي . ويتخذ السيد جانسن موقفا دفاعيا نوعا ما لكونه « آسيويا جنوبيا يكتب عن آسيوي غربي » ، ولكن ليست هناك حاجة فعلا للصفحات التي افتتح بها الكتاب. فليست السنوات التي قضاها المؤلف في العالم العربي هي وحدها التي ساعدته على اكتشاف تعقد شخصية سرحان . غير أن الجزء الخاص بروبرت كينيدي ليس الا تحقيقا سياسيا تبرز من بين سطوره كراهية المؤلف ، التي يمكن فهمها ، للموضوع . الاسوأ من ذلك أن ثلاث صفحات فقط مخصصة للمحاكمة ، رغم أن هذا الجزء رئيسي بالتأكيد . بدلا من ذلك ، نواجه فجأة برواية ليلى خالد لأول عملية خطف طائرات قامت بها ، وهي قطعة من الكتابة الممتازة ولكنها غريبة تماما في مفهومها ومزاجها عن مأساة سرحان . وهي تعاكس جوهر كل ما تبقى من الكتاب ، ويجب أن تحذف من الطبعات اللاحقة . واذا أخذنا بالاعتبار الثمن المرتفع الذي وضعه الناشر للكتاب ، فاننا نستطيع القول انه كان يستطيع أن يدفع بعض المال لمصحح يجنب الكتاب مئات الاخطاء الطباعية . كذلك لم يؤد محرر الكتاب خدمة جيدة للمؤلف . ولكن نوعية الكتاب ، لحسن الحظ ، عالية بحيث تتغلب على سوء انتاجه .

ثريا انطونيوس

G. H. Jansen, **Why Robert Kennedy was killed** (N. Y., The Third World Press, 1971).

عندما وصل نبأ اغتيال جون ف. كينيدي القدس ، كان الاولاد الصغار الممتلئون حيوية يملأون شوارع المدينة القديمة بصيحاتهم الناعمة كزقزقة عصافير الدوري . فما أن سمعوا بالنبأ حتى مضغوا صيحاتهم اللامعة وصمتوا ليتناقلوا النبأ بلهجة رزينة قاتمة ، كما لو أن مصرع الرئيس الاميركي كان محنة المت بهم . بعد ذلك بسنوات أربع ، عندما اغتيل كينيدي الثاني ، كان معظم الاولاد قد هداوا الى طيلة حياتهم بفعل الموت او الحرب او مساحات الصمت الشاسعة التي تلف مخيمات اللاجئين أينما كانت . لقد كانوا على خطأ اذ ندبوا موت أحد آل كينيدي ، الذي كان يكفل لهم مصيرهم وهو في الرئاسة ، فهل كان أخوهم الاكبر على خطأ اذ قتل واحدا آخر من آل كينيدي قبل ان يتسلم السلطة فيدمر من الفلسطينيين جيلا آخر ؟ للمرة الاولى ، تخطت ذكرى فلسطين المعذبة حدود العالم العربي والعالم الاسيوي لترتطم برضى النفس الرائق والجهل السهل اللذين يعيش في ظلهما أقوى وأغنى قتلة فلسطين .

قبل ان تقوم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعمليات اختطاف الطائرات ، وقبل أن يقع الكثير من الاعمال الانتحارية اليائسة التي أصبحت شبحا يقض مضجع الغرب ، قام الفدائي المتوحد في وحشته ببادرته التي فقدت كل أثر لها ، أولا لان أحدا لم يدعمها سياسيا ، وثانيا لان اغتيال واحد من ساسة الولايات المتحدة لن يفعل شيئا . فهم جميعا ، حيث تتعلق المسألة بفلسطين ، يختلف الواحد منهم عن الاخر في درجة الظلم والصفاقة والمخاتلة الرخيصة . لقد كان الانطباع الذي أعطوه للمفكرين العرب هو الامتهان الكامل للقيم ، والعجز الكامل عن تحمل تبعات اعمالهم ، والشعوذة الكلامية القميئة المرة والتلاعب بالجمل المعهودة لتبرير انفسهم ، والعرقية التي تستحق قدرا اكبر من الاحتقار لكونها سهلة ومقبولة اجتماعيا . ان قادة « العالم الحر » بحاجة الى « درايدن » او بابا . فليست الطلقة هي التي تستطيع ايقافهم او تعليمهم .

كان سرحان يعيش في الولايات المتحدة خلال وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، حينما كان من الصعب على فلسطيني أن يمنع المشاعر من التغلب على التفكير. لقد قرأت مقتطفات من الصحافة الاميركية بعد شهرين من الحرب وكنت أحتمي بالمجتمع العربي. ورغم ذلك احتجت بعض الوقت لأشفى من تلك التجربة . ولا بد ان العيش حينذاك وسط العرقية الهستيرية والتعصب الذي اجتاح اميركا كان تجربة مؤلمة ، من الواضح انها كسرت شيئا ما في نفس سرحان.

والد سرحان من قرية الطيبة ، ولكن العائلة عاشت في القدس حتى حرب ١٩٤٨ . وكان بشارة سرحان موظفا في دائرة الاشغال العامة التابعة لحكومة الانتداب البريطاني ، وهو مثال جوهري لذلك النوع من الفلسطينيين الذي يخاف الله ويلتزم القانون والذي«كان يبدي تعاطفا خاصا مع...عدالةوانصاف وانتظام ونظام الادارة » والذي لم يكن باستطاعته مجابهة الصراع القاسي على فلسطين . ولا شك ان هناك مفارقة رمزية بين الاب الذي لا يزال يقرأ التوراة وحيدا في البيت الحجري الذي ابتناه لنفسه قبل حرب حزيران والولد الذي دفعته معاناته العذاب لان يصبح قاتلا . فحياتهما تصور على نحو مبسط جدا الشرخ في السلوك الوطني الفلسطيني .

في عام ١٩٤٧ ، كان سرحان لما يبلغ الرابعة بعد ، وحينئذ خاض اول تجربة فلسطينية له عندما القى الصهيونيون بقنبلة خارج باب العامود المزدحم . لم يصب الطفل بأذى . ولكنه ، اذ سار بين الجثث المهروسة وعبر الدم وصيحات الالم ، قال لوالده « لا اريد ان أرى هذا » . فتناول الاب منديله وربطه على عيني الطفل وحمله الى البيت . لكن الطقوس المثيرة لم تنته عند هذا الحد . فقتل أخوه الاكبر عندما كان له من العمر ثماني سنوات بينما كانا يلعبان سوية . وقتل الجيران . ومرة انفجر لغم في صهيوني بينما كان يزرعه ضد البريطانيين فظلت رجله تتدلى من برج جرس الكنيسة المجاورة وعثر على اصبعه في ساحة بيت سرحان . « وعندما رأى سرحان ذلك شحب حقا » . كذلك رأى الطفل مسيرة الفتيات العاريات من دير ياسين اللواتي قطع الصهيونيون اثداءهن قبل ان يضعوهن في شاحنات الاغنام ويجوبوا بهن شوارع القدس لارهاب الفلسطينيين الذين تخلفوا عن النزوح .

الاخير منه . مع ذلك لم اخرج بنتيجة واضحة ، بعد قراءة الكتاب ، حول طبيعة العلاقة بين التلمود والصهيونية كما يراهـا اسعد رزوق بناء علـى دراسته . يشير القسم الاخير من الكتاب الى علاقة من نوع ما بلا شك ، غير ان هذه الصيغة العامة جدا في اقرار العلاقة لا تفيدنا بشيء ولا تزيدنا علما بالموضوع . اي بما ان القسم الاخير من الكتاب لا يتعدى هذا الاطار العام جدا في مناقشة المسألة تظهر العلاقة (مهما كان نوعها) بين التلمـود والصهيونية من خلال نصوص الكتاب بمظاهر واهية وهزيلة وباهتة ، فهي موجودة احيانا ومفقودة في احيان اخرى ، هناك اشياء مضادة للصهيونية في صلب التلمود وهناك اشياء اخـرى تتساوق مع عقائدها السياسية الى آخر ذلك مـن الرجرجة التي لا تصل بنا الى اية نتيجة فيها شيء مـن الوضوح والحسم . يعود هذا الغموض والتردد، على ما يبدو لي ، الى عاملين : اولا ، افتقار الكتاب الى اية محاولة لتحديد طبيعة العلاقة التي نبحث عنها بين التلمود والصهيونية : هل هي علاقة احتواء وانحدار (احتواء التلمود علـى العقائد الصهيونية وانحدار الثانية من الاولى) ام علاقة تأثير افكار سابقة على أفكار انبثقت في وقت لاحق ، أم هي علاقة استخدام واستغلال بمعنى استغلال الصهيونية كحركة سياسية للافكار الدينية التلمودية واستخدامها لتحقيق مآربهـا ومطامعها المعروفة ؟ تبقى هذه التساؤلات معلقة في ذهن القارىء لان الكتاب لا يطرحهـا اصـلا للمناقشة والبحث . ثانيا ، المنهج التجزيئي الذي اتبعه مؤلف الكتاب في اثبات وجود هذه العلاقة او عدم وجودها . على سبيل المثال ينظر اسعد رزوق الى كتابات عدد مـن مفكري الصهيونيـة ومنظريها من امثال كاليشر وموسى هس وآحـاد هاعام وهيرتزل وبنسكر فيجد ان كاليشر وهس مثلا كانا متأثرين بلغة التلمود وتعابيره وافكاره بينما لا يجد اي اثر للتلمود في مؤلفات هيرتزل وبنسكـر وغيرهما من اتباع المدرسة . ان المقارنة الميكانيكية بين نصوص كاليشر من جهة والتلمود من جهة اخرى لا تثبت وجود علاقة عضوية وحقيقية بين الصهيونية والتلمود ، كما أن اية مقابلة مماثلة لمؤلفات هيرتزل مع التلمود لا تثبت وجدها انعدام وجود مثل هذه العلاقة . النقطة الاساسية التي يهملها اسعد رزوق في هذا الموضع هي أن كل حركة سياسية مرتبطة بجذور اجتماعية وطبقية صاعدة تاريخيا (كما كان وضع الصهيونية كحركة قومية مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر) تعبر عن نفسها في بادىء الامر بواسطة أدوات التعبير الشائعة في الاوساط التي تتوجه الحركة اليها والاوساط التي انبثقت الحركة عنها ، الى ان تطور ، بعد فترة من الزمن ، اساليبها الخاصة في التعبير بما في ذلك تصوراتها ومفرداتها وشعاراتها وانفعالاتها المميزة لها . وعلاقة الافكار الصهيونية بالتراث اليهودي عامـة (بما في ذلك التلمود) لا تشذ عن هذه القاعدة العامة .

وبما ان الصهيونية كحركة تعكس وتمثل مصـالح اجتماعية وطبقية حية وراهنة وليس مصالح تلمودية ميتة وماضية ، فقد وجدت في التلمود والتوراة وكتب التاريخ والتراث اليهودي كله الادوات اللازمة لاعطاء نفسها البعـد التاريخي الذي يلزمهـا ، والشرعية الروحية التـي تحتاج اليها في بعض الاوقات والاماكن ، والوسائل الذهنية والعاطفية الضرورية لتعبئة من يهمهـا الحصول على تأييدهم ودعمهم . من هذه الزاوية يبدو لي ان ما توصل اليه اسعد رزوق هو مجرد الاقرار بوجود تأثيرات تلمودية في نصوص بعض مفكري الصهيونية وعدم وجودها عند البعض الاخـر ، وهذا لا يكفي على الاطلاق لاستكمـال البحث حول طبيعـة العلاقة القائمة بين الصهيونيـة والتلمود . المطلـوب في الواقع هو معالجة اكثر جذرية وصرامة للموضوع ودفع للبحث الى نتائج اكثـر وضوحا وصراحـة وحسما بناء علـى الاسس التي وضعهـا الكتاب نفسه . لقد فتح اسعـد رزوق الطريق واضـاء جوانب كثيرة منها بما قدمه من مادة غزيرة ، وأملنا هو ان يسير المزيد من الدارسين العرب التقدميين في الطريق التي فتحها ، واذا تمكن البعض منهم الذهاب الى ابعد مما ذهب هو لا شك ان جزءا كبيرا من الفضل يعود الى جهوده الرائدة .

ص. ج. ع.

اليهود « أي كتاب الاحكام الشرعيـة والمناظرات الفقهية لدى اليهود » . وجدير بالذكر اننا لا نجد عند ابن حزم اية اشارة الى اخبار « المؤامرات التلمودية » او « الكنوز المرصودة فيه » او «اسرار الذبائح التلمودية » التي يفترض بالتلمود ان يحتويها وفقا للحكايات الرائجة . وقد خصص اسعد رزوق فصلا كاملا من كتابـه لمتابعة المصادر الاوليـة الاوروبية التي نقلت عنها الكتابات العربية الحديثة في كل ما ذكرته عن التلمود واسراره وذبائحـه و« كنوزه » المزعومة . كان المصدر الاساسي لهذا الفيض من التأملات العربية التلمودية كتاب للدكتور اوغست روهلنغ عنوانه « اليهودي التلمودي » صدر عام ١٨٧١ في المانيا . كان روهلنغ كاهنـا واستاذا للاهوت بجامعة مونستر . تلقفت الاوساط المحافظة والرجعية في اوروبا كتابه لتجعل منه ركيزة من ركائز حركة العداء للسامية في تلك الفترة. ولكن عندما طلب من الدكتور روهلنغ الموافقة على عرض كتابه على جماعة من العلماء الالمان المرموقين من غير اليهود للادلاء بشهاداتهم حول مدى انطبـاق كتابه على واقع التلمود تراجع كليا ، وتم تجريده من القابه العلمية والاكاديمية . ويبين اسعد رزوق عن طريق مقارنة النصوص ان ما كتب في العربية حديثا عن التلمود ليس الا نقلا حرفيا لما جاء في كتاب روهلنغ المزور وذلك عن طريق الترجمات الفرنسية لكتاب « اليهودي التلمودي». ويبين رزوق من خلال دراسته « كيف تسربت الينا تلك الاراء والمواقف الاوروبية في صميمها ، ثم وجدت تربتها الخصبة عندنا ، وكيف ان بواعث دينية معينة ساعدت في انسياقها (أي النظرة العربية الى التلمود) وراء الموجة الاوروبية لعداء السامية واليهود ، وعلى تعميم النظرة السطحية ، والمنقولة بكل اخطائها وتحاملاتها الى التلمود وتماليمه » .

على الصعيد الايجابي ربما كان القسم الثاني من الكتاب هو اهم ما فيـه باعتباره مدخل القارىء العربي الى التلمود ومحتوياته . بذل اسعد رزوق جهودا مهمة في هذا المجال لتعريف القارىء العربي (تعريفا اوليا بطبيعة الحال) على كتاب التلمود من حيث محتوياته وموضوعاته واقسامه واسفاره وتاريخ وضعه وعلاقته باليهـود وتاريخهم . ان التلمود هو كتـاب الفقـه الشرعي عند اليهود وتفسيرهم للتوراة ويحتوي على شروح مطولة لقوانين التوراة الزراعية من الناحيتين الدينية والاجتماعية، وشروح تتعلق بصلوات اليهود وعباداتهم ، ويناقش الاحكام المتعلقة بالملكية والتجارة والديون والضرائب والرسوم ، واحكام الزواج والطلاق والارث وكل ما يمت الى الاحوال الشخصية بصلة ، بالاضافة الى احكام الطهارة والنجاسة الى آخر ذلك مما هو شائع في كتب الشرع الديني . كذلك يحوي التلمود على مجادلات طويلة واجتهادات واسعة حول شتى المواضيع الدينية والفقهية اليهودية بالاضافة الى القصص والروايات والاساطير ذات الطابع الديني التي تكثر في مثل هذه الكتب . من ناحية اخرى يعرض اسعد رزوق للدور الهام الذي لعبه التلمود في حياة اليهود العامة والتأثير الذي مارسه على حياتهم الفكريـة والروحية والعاطفيـة على مر العصور . بعبارة اخرى يتضح ان دور التلمود في حياة اليهود (من حيث تأثيره الشامل) يشبه دور الانجيل بالنسبـة للمسيحيين والقـرآن بالنسبة للمسلمين . علما بأن اسعد رزوق يتحاشى الاشارة الى أوجه الشبه هذه ، كما انه كثيرا ما يغالي في مماشاته للاتجاه المثالي في تفسير التاريخ اليهودي من خلال تأثير التلمود « كعالم قائم بذاته » على حياة اليهود في حـين ان المطلوب هو البحث عن تفسير « لعالم التلمود » يستند الى عناصر الحياة الحقيقية والواقعية لليهود ، اي الى نمط حياتهم الانتاجية والاقتصادية والاجتماعية في فترات تاريخية مختلفة . بعبارة اخـرى ينبغي الا نقع في الخطأ المثالي الذي يبحث عن تفسير لحياة اليهود الواقعية التاريخية في « عالم قائم بذاته » مـن النصوص والاحكام والمجادلات النظرية اسمه التلمود. الاصح هو ان نبحث عن تفسير لعالم التلمود « غير القائم بذاته » (الا بمعنى نسبي جدا ينبغي ايضاحه وهذا ما لا يفعله اسعد رزوق) ، في حياة اليهود الحقيقية التاريخية كما كانت تعاش في الازمنة المتعاقبة . من هذه الناحية تظل العلاقـة بين التلمـود وتاريخ اليهود كما يعرضها اسعد رزوق واقفة على رأسها وهو لا يبذل اي جهد لايقافها على قدميها .

يخصص اسعـد رزوق القسم الثالث والاخير من كتابه لمناقشة العلاقة بين الصهيونية والتلمود . واعتقد ان هذا الجزء هو اضعف اقسام الكتاب مع انه اكثرها أهمية ، مـن حيث المبدأ ، باعتباره سيوصلنا الى نتيجة البحث «السياسية» والحيوية المتصلة بأوضاعنا المباشرة . من هذه الزاوية ان كل ما تقدم من مادة الكتاب يصبح مقدمة للقسم

وجه الرئيس ترومان الى الكونغرس رسالة قال فيها : « انني اعتقد انه يجب على سياسة الولايات المتحدة ان تستهدف دعم الشعوب الحرة التي تقاوم محاولات اخضاعها من جانب أقليات مسلحة أو ضغوط اجنبية ... » . ومع ان الشعب الفلسطيني هو الذي كان يتعرض ، آنذاك ، لمحاولات اخضاع وسيطرة من جانب الاقلية العنصرية الدخيلة المسلحة في فلسطين ، فان حكومة واشنطن كانت تمارس ضغوطا لا توصف وتقدم معونات لا تقدر لصالح هذه الاقلية التي استطاعت ، بعد أشهر من رسالة ترومان ، ان تحصل على قرار التقسيم ثم على اقامة الدولة الصهيونية . واحتضنت الولايات المتحدة اسرائيل ، فساعدتها وحمتها ودافعت عنها واستعملت حق النقض في مجلس الامن لتمنع عنها الادانة او المطالبة بالانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها . ورغم كل ما يصدر عن حكومة واشنطن من تصريحات فان موقفها من الحرب الفلسطينية لا يمكن الا ان يوصف بأنه موقف منحاز متحيز لاسرائيل . بل ان انحيازها قد حجب عنها كل رؤية سليمة فجعلها تعتبر ان استعمال اسرائيل للقوة هو دفاع عن سلامتها الاقليمية ، وان اية مقاومة للاحتلال الاسرائيلي الراهن هو اعتداء على اسرائيل وتهديد لسلامتها ووجودها .

الدكتور محمد المجذوب

د. اسعد رزوق ، **التلمود والصهيونية**
(بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٠)

يشكل كتاب « التلمود والصهيونية » مساهمة مهمة وجديدة في مجموعة الجهود المبذولة حديثا من قبل عدد من الكتاب العرب التقدميين لتبديد النسيج السائد من النظرات الخرافية الى كل ما يتعلق بالصهيونية ومصادرها التاريخية ومنابعها الفكرية، والى كل ما يتعلق بتاريخ اليهود القديم والحديث وصلاته بالصهيونية نفسها . امتد هذا النسيج الخرافي وساد مع المحاولات العربية لتفسير نجاح الصهيونية المستمر في استعمار الارض العربية ، وتفسير عجز الحركة الوطنية المزمن في مواجهة التحدي عن طريق تضخيم قوة الصهيونية الى حد جعلها عملاقا لا يقهر ، والمبالغة في تقدير النفوذ اليهودي العالمي الى درجة الادعاء بأن اليهود يسيطرون على مجرى التاريخ وعلى مصائر الامم بواسطة « حكومات عالمية سرية » وبروتوكولات منسوبة الى حكمائهم ، وبواسطة قوى « سحرية » خفية ودفينة في الصهيونية مستمدة من التراث اليهودي الغامض ، ومن كتاب التلمود الذي أخذ مجرد ذكره يوحي بالغموض والشرور الخفية والقوى السرية العجيبة .

ان اول ما يكشفه كتاب اسعد رزوق هو انه اول باحث عربي معاصر كتب عن التلمود بعد الرجوع الى التلمود نفسه والتعرف على محتوياته ، كما يكشف بما لا يقبل الشك ان كل عربي كتب عن « اسرار التلمود » و« كنوزه المرصودة » في المئة سنة الاخيرة لم يقرأ حرفا واحدا من التلمود بالتأكيد ، ولم يطلع عليه لا من قريب ولا من بعيد . اكتفى هؤلاء الكتاب بمجرد نقل مجموعة حكايات واساطير نسجها الخيال الاوروبي العنصري المعادي للسامية في القرن التاسع عشر عن التلمود ، وما يحتويه من اهوال وفظائع وعجائب .

يستعرض القسم الاول من « التلمود والصهيونية » صلة الباحثين العرب في فترات تاريخية مختلفة بالشرع اليهودي والدين اليهودي بما في ذلك التلمود. ويستنتج الكاتب ان الباحثين العرب القدماء الذين ذكروا شيئا عن التلمود وتعاليمه لم يتعرفوا عليه مباشرة « بل سمعوا عنه أو قرأوا ، تاركين الردود والمناظرات لنفر ضئيل من علمائهم الاندلسيين الكبار » . من هؤلاء العلماء ابن حزم الاندلسي الذي اهتم بالموضوع من زاوية النقاش والمناظرة مع « اهل الكتاب » ودفاعا عن الاسلام وعقائده. ويتبين من عرض اسعد رزوق ان ابن حزم نظر الى التلمود نظرة واقعية اجمالا ، اذ اعتبره «فقه»

لفكرة الدولة ثنائية القومية الى دعم وجود اسرائيل كأمر واقع نتيجة للظروف الدولية ولظروف الشعب اليهودي بالذات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ويرى ان هذه «الدولة اليهودية الصغيرة» المحاطة بدول عربية والتي تجبرها مصالحها الاقتصادية والسياسية ان تعيش بسلام معها ، قد واجهت منذ نشأتها امتحانا قاسيا امام معارضة عربية في الداخل والخارج ، وان على العرب ان لا يفكروا بمثل الغزو الصليبي لان ليس لاسرائيل الا الخيار بين أن تصبح بروسيا الشرق او ان تمسح نهائيا من الخريطة ؟ وبرأيه ان اي حل للمشكلة لا يمكن ان يفرض بالقوة بل في جو من « الثقة المتبادلة »، و« الحل العادل والمشرف » والذي يضمن « مصالح واماني الشعبين » هو الذي يحقق شيئين : الاعتراف بدولة اسرائيل التي وجدت لتبقى (!) ودمجها في الكيان السياسي للمنطقة ، ومنح العرب الفلسطينيين حقوقهم الفردية والسياسية ضمن حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ مع بعض التعديلات الضرورية ، فيتحقق بذلك الشطر الثاني من قرار الامم المتحدة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، ولم يشر المؤلف باي لمحة عن مدى النجاح الذي يمكن ان تحققه فكرته الاولى عن الدولة ثنائية القومية التي كان من دعاتها قبل صدور هذا القرار . لقد نسي المؤلف في معالجته موضوع العلاقات العربية اليهودية حقيقة واحدة : انه لم يكن هناك سوء تفاهم بين العرب واليهود يمكن ان يحل عن طريق المحادثة او الاساليب الدبلوماسية، انها مسألة المساومة على مصير بلد حق العرب فيه لا يقبل الجدل .

خيرية قاسمية

Elie Kedouri, The Chatam House Version and Other Middle-Eastern Studies (N.Y., Praeger, 1970)

يتألف هذا الكتاب من اثنتي عشرة دراسة حول الشرق الاوسط، كتبها ونشرها المؤلف خلال السبعة عشر عاما الماضية باستثناء الدراسة الاخيرة منها حول « تفسير الشاتام هاوس » التي اعطت اسمها للكتاب بمجموعه . فهذه الدراسة تنشر في الكتاب لاول مرة . والمؤلف ، ايلي خدوري ، معروف جيدا لدارسي الشرق الاوسط ، بصهيونيته العريقة. وهو استاذ في معهد لندن للاقتصاد والسياسة ، ويهتم بشكل خاص بالتاريخ العربي الحديث والمعاصر . وتفصح الدراستان الاولى والاخيرة — خاصة — عن الخط العام المناهض للقومية العربية الذي يعتنقه المؤلف . اما الدراسات العشرة الاخرى التي يحتويها الكتاب فانها تبحث بعض النقاط التفصيلية في نطاق ذلك الخط العام . المؤلف — وهو يهودي ولد بالعراق ويعيش الان في لندن — من دعامة ما يمكن ان نطلق عليه اسم « نظرية التوافق بين المصالح البريطانية والامريكية والمصالح الصهيونية » . لذلك فان توجهه العام هو للانجليز والامريكيين بهدف ان يثبت لهم خطأ دعاة نظرية التوافق بين المصالح البريطانية والامريكية والمصالح العربية . وبهذا المعنى فان من يستهدفهم المؤلف أساسا هم اصحاب مدرسة الصداقة العربية — الانجليزية والصداقة العربية — الامريكية من أمثال لورنس والعائلة الهاشمية ونوري السعيد وغيرهم . ومن اجل ان يهاجم خدوري هؤلاء ، ويقنع القارىء الانجلو — امريكي خاصة بجدوى هجومه ، فهو ، منذ الدراسة الاولى ، يأخذ بانتقاد الصورة التي قدمها تاريخيا المستشرقون والمبشرون وغيرهم عن المنطقة العربية وثقافتها : لورنس توينبي — فيب — جورج انطونيوس الخ .. وفي رأي خدوري ان هؤلاء قد نجحوا في تقديم صورة مخادعة عن المنطقة العربية حين اعتبروا ان اهم قضيتين تشغلان العرب وتسببان لهم الاضطراب السياسي هما قضيتا مناهضة الصهيونية ومناهضة الاستعمار . وعبر سلسلة من المغالطات يحاول خدوري ان يظهر ان هاتين القضيتين لم تعودا بالقضيتين الاساسيتين . قضية الصراع بين الصهاينة والفلسطينيين « انتهت ونسيت » وتحول الصراع كما يقول المؤلف باتجاه صيرورته صراعا بين الدول العربية واسرائيل او حتى الى صراع بين الدول العربية نفسها « على اقتسام الغنائم » في حالة تدمير اسرائيل (ص ٦) . أما زوال الامبريالية فهو براي المؤلف ، قد تم او اوشك ولم يقد ولن يقود بالنهاية الا الى خسارة « دعاة السلم والحداثة » (ص ٨) . وانه لمن بؤس المؤلف ان ينشر هذه المغالطات — او يعيد نشرها —

خارجية ادخلت المنطقة في الصراع الدولي ، وتعمقت بالتالي مخاوف الجانب العربي إزاء التوسع الاسرائيلي وخاصة بعد عام ١٩٦٧ ، واصبح لزاما عليه البحث عن طريقة — قد تكون حرب الفدائيين — لارغام اسرائيل على سحب مكاسبها الاقليمية بدون مفاوضة واعتراف بوجودها ، وتمسكت اسرائيل من جانبها بمكاسبها مما زاد صعوبة التوصل الى حل . يحاول ناشرا الكتاب الخروج من هذه المعضلة باستنتاجات الفصل الاخير والقائمة على ضرورة حل المشاكل المادية المعلقة بين الطرفين — وبمساعدة قوى السلم في الخارج — كوصول اسرائيل الى البحار الجنوبية ، وتوزيع مياه الاردن ومشكلة القدس واللاجئين التي تربط عادة بمشكلة الحدود ، فيضمن العالم بذلك عدم تفجر النزاع في حرب جديدة ويتمكن العرب واليهود من التعايش . ولا يوضح الكتاب لنا حقيقة أساسية : وهي ان النزاع لم ينجم عن مجرد تصادم مصالح بين دولتين او من اعتبارات مادية ضيقة ، كما يحدث عادة بين الدول وانه خلاف جوهري وعميق حول وجود اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط ، بل ان المشكلة اعمق: من له حق السيادة في فلسطين ؟ والكتاب الثاني هو ترجمة انكليزية لكتاب بنفس العنوان بالعبرية (١٩٦٤) بعد تعديل الفصل الاخير لتغطية الاحداث المعاصرة . وبرأي المؤلف ان اول خطوة نحو ايجاد طريق لتسوية النزاع العربي اليهودي هو الكشف عن جذوره وتتبع تطوره بدرجة من النقد الذاتي ، واعتبر ان الكتاب — كما جاء في مقدمته العبرية « حلقة في سلسلة الجهود التي بداها العرب واليهود .. منذ سنوات لتحقيق السلام بين شعبين مصيرهما مرتبط بشكل حتمي ». وعاش المؤلف كشاهد عيان لتجربة فئة يسارية داخل الكيبوتز عملت من اجل التقارب العربي اليهودي فتوفرت له الوثائق العامة والشخصية ، الا ان الكتاب كعمل تاريخي ليس له قيمة اذ استطاع بخطة بارعة ان ينتقي من الحقائق ما يؤكد وجهة نظره الاساسية . ويبرر « مارتن بوبر » ذلك في تقديمه الكتاب « بأن عرض الجانب العربي بنفس الدرجة من الثقة التي عرض بها الجانب اليهودي يقتضي ان يكون الكاتب عربيا تعرف على الحياة العربية بعمق » .

الفكرة الاساسية التي تدور حولها مادة الكتاب الضخمة في قسمه الاول هو : هل كان النزاع العربي اليهودي محتما ؟ وهل ان مصالح وأماني الشعبين غير متفقة ؟ ثم من هو المسئول بصورة رئيسية عن تردي العلاقات العربية اليهودية ؟ يحاول المؤلف بطريقته الخاصة ان يثبت ان مصالح الحركتين غير متناقضة ، وان الارض تكفي لتحقيق أماني الشعبين وتعاونهما في جميع المجالات ، ويستدل بشواهد عديدة — معتمدا في كثير منها على كالفارسكي الشخصية الرئيسية التي استند عليها لدعم وجهة نظره — ان بوادر الشك بين الشعبين تعود الى عدم فهم المهاجرين اليهود البيئة الجديدة واستخفافهم بقوة الحركة العربية كعامل سياسي له خطره في طريق المشاريع الصهيونية ، وحجتهم ان الفوائد الاقتصادية التي تنجم عن الهجرة كفيلة بازالة كل هذه العراقيل ، ولذلك ركز قادة الحركة الصهيونية اهتمامهم على الدولة العثمانية ثم على بريطانية لكسب الدعم والتأييد . ويرى كوهين مع ذلك ان العرب واليهود لو تركوا وحدهم كان باستطاعتهم الوصول الى تفاهم متبادل وان حركة البعث القومي اليهودي كان بامكانها ان تندمج بطريقة سلمية مع الحركة القومية العربية في الشرق الادنى ، وان المصالح العثمانية ثم البريطانية قد وقفت في وجه كل محاولة للتفاهم والتقارب . ويستعرض كوهين كل هذه المحاولات التي كان يتولاها بين حين وآخر بعض قادة الحركة الصهيونية ثم فئة من المثقفين من الجناح اليساري في الحركة الصهيونية التي تبلورت جهودها بايجاد واجهة موحدة هي « عصبة العمل للتقارب والتعاون العربي اليهودي » عام ١٩٣٩ ، ووصفت فكرة الدولة ثنائية القومية على اساس المساواة السياسية للشعبين وعدم سيادة احدهما على الاخر بغض النظر عن نسبتهم العددية ، الا ان هذه الحركة لم تلاق دعما شعبيا او رسميا ، وتأييد برنامج بلتيمور قد احبط كل امكانية للاتفاق ، واضاعت الزعامة الصهيونية بذلك آخر فرصة للوصول الى تفاهم . ولدينا هنا سؤال واحد : ترى لو ان قادة الحركة الصهيونية قد تجنبوا الاخطاء التي آخذهم عليها كوهين هل كان بالامكان تجنب النزاع والحصول على سلام مع العرب ؟

في محاولة المؤلف تلمس حل للمشكلة في الفصول الاخيرة من كتابه متمسكا بحبه « للسلام ومصلحة الشعبين » لان البديل عن «التعاون» هو «الفناء»، نجده لا يوضح اسباب انقلابه المفاجيء من تصير

القومية العربية السائد . جوهر هذه النظرة الصهيونية البديلة هو النظر الى الشرق الاوسط كمنطقة اقليات — عنصرية ودينية معا ، وان كان المؤلف يفضل التركيز على الاقليات الدينية ، لا كمنطقة قومية عربية. وفي تقديم هذه النظرة البديلة لا يغفل خدوري ان يستمر في انتقاد دخول حركة التحديث الى منطقة الشرق الاوسط تلك الحركة التي يحملها خاصة مسؤولية المصير الذي آلت اليه بعض الاقليات في منطقة الشرق الاوسط : الارمن في تركيا ، والاشوريون في العراق والتجمعات اليهودية في بعض اقطار الوطن العربي . يبدو خدوري هنا رائيا لتقاليد الامبراطورية العثمانية متأسفا على ما كان محتما ان تأتي به حركة التحديث في الشرق الاوسط من نتائج قد لا تكون كلها باعثة على السرور . واصرار خدوري على فهم المنطقة العربية عن طريق التصنيف الديني دفعه الى تكريس دراسته عن « الديانة والسياسة » الى مسيحيي المشرق العربي والى دورهم القومي الذي يغالط المؤلف فيفسر حوافزه تفسيرا دينيا . حماسة المسيحيين العرب للعروبة وتقديرهم للاسلام يبدو لخدوري تعبيرا عن شعورهم الداخلي بعدم الاطمئنان وسط مجتمع مسلم . اما حماستهم في مناهضة الصهيونية — ولا سيما الفلسطينيون منهم — فلا يفوت خدوري ان يرى فيها مناهضة للسامية قادمة من الغرب المسيحي .

ودراسة خدوري عن « هربرت صاموئيل وحكومة فلسطين» تمجيد شخصي للمندوب السامي البريطاني الاول في فلسطين الذي أوكلت اليه حكومة لندن كيهودي صهيوني بريطاني مهمة البدء بتنفيذ وعد بلفور في نطاق نظام الانتداب . محور هذا التمجيد الشخصي هو محاولة اظهار صاموئيل في فترة توليه مهمته بمظهر الاداري الحكيم المتعاطف — أبويا تقريبا ! — مع العرب رغم صهيونيته شخصيا ورغم صراحة المهمة التي قدم لتحقيقها ، ورغم الضغوط الممارسة عليه من قبل المنظمة الصهيونية . ولكي يثبت خدوري صفات « المحسن » على صاموئيل يذكر اربع حوادث يدرس فيها مواقف صاموئيل . هذه الحوادث هي انتخاب المفتي امين الحسيني وتشكيل المجلس الاسلامي الاعلى وقضية المجلس التشريعي وقضية تأييد صاموئيل لنوع من الوحدة او الاتحاد بين بعض اقطار المشرق العربي . لن نبحث هنا في تفاصيل هذه الحوادث ومواقف صاموئيل منها . يكفي ان نقول ان ما اثبته خدوري من مواقف صاموئيل لا يثبت احسان ومحاسن صاموئيل بالقدر الذي يثبت به حقيقة كبرى من حقائق القضية الفلسطينية . تلك الحقيقة الكبرى هي انه حتى اشد الصهاينة تطرفا لا بد له حين يتعرف على الوقائع ويتعلم منها الا ان يصبح اكثر تفهما — ولا نقول متفهما — للحق العربي في فلسطين حتى ولو كانت مهمته الرسمية ورغبته الشخصية تكمن في هدر ذلك الحق ، اللهم الا اذا كان تطرفه قد سد عليه حواسه كلها . هذه الحقيقة تفسر ايضا ظاهرة تكرر تذمر الصهاينة المتطرفين من تصرفات كثير من الموظفين البريطانيين اثناء الانتداب ، في الحين الذي كان فيه هؤلاء الموظفون يقدمون بأنفسهم المساعدة للصهاينة لتحقيق اغراضهم — كل ذنب هؤلاء الموظفين كان انهم تعلموا شيئا ما ، عن طريق احتكاكهم اليومي بالعرب ، عن عدالة القضية العربية . هذه الحقيقة لم يدركها خدوري او على الاصح ادركها فتجاهلها .

المؤلف الذي استعرضنا وانتقدنا كتابه فيما سبق صهيوني بحاتة لا شك بكلتا صفتيه . والدراسات التي تجمعها دفتا هذا الكتاب جدية وان كانت لا تخفي غرضا ، ومع ما فيها من دقة وقائعية وتوثيقية الا ان تحيز كاتبها الواضح ينفي كثيرا من قيمتها. وعلى كل حال فان الكتاب تمثيل حذق للنظرة الصهيونية لا سيما حين يتوجه المؤلف خاصة الى قراء انجلو — امريكيين . فمع انتقاده للسياسة البريطانية وبعض اوجه النشاط الامريكي في المنطقة ، ثمة مناشدة توحي ونصح يوجه بحذر وثقة معا . وفي ثنايا الكتاب تتردد انفاس رجعية رهيبة تفضح رجعية الصهيونية، فهي تود لو أغلق أمام الشرق الاوسط باب العصر ليبقى نائما في سديم تقليدي منفعل وتتردد فيه ايضا تمنيات يائسة تود لو ينظر الى الشرق الاوسط كمنطقة اقليات لا تبرز من خلالها الحقيقة العربية برسوخها وشموخها . واذا كان المؤلف يخطىء ويغالط في اكثر ما يقرر او يثبت ، فان ذلك ليس بالسبب الكافي لنمر بالكتاب خفافا ، فخدوري بحاتة يعرف مصادره جيدا ويعرف كيف ينتقي منها ما يناسب غرضه جيدا . وبهذا المعنى فان كتاب خدوري دعوة للباحثين العرب لكي يكتبوا بأنفسهم تاريخهم القومي بشكل موضوعي مقنع .

جورج جبور

في وقت يشعر فيه العالم كله بالشخصية الفلسطينية المتميزة نتيجة تحول الفلسطينيين من لاجئين الى محاربين لهم نصيب هام في تقرير مصير المنطقة بأسرها ، وفي وقت ثبت فيه ان الدعاة الحقيقيين للسلم المستحق لاسمه والحداثة المستحقة لاسمها هم الثوريون التقدميون العرب وفي طليعتهم محاربو الشعب الفلسطيني . وينبغي ان نشير هنا الى ان المؤلف يصدر دائما — ولا سيما في دراستيه الاولى والاخيرة — عن الافكار الرجعية للمركزية — الاوروبية بما تتضمنه هذه الافكار من احتقار للثقافات غير الاوروبية عامة . وهو بذلك يؤكد — من حيث لم يقصد — رجعية الصهيونية والتحامها العضوي بالامبريالية .

الدراسة الاخيرة بعنوان « تفسير الشاتام هاوس » — والشاتام هاوس هو الاسم غير الرسمي للمؤسسة الملكية للشؤون الدولية التي أسست عام ١٩٢٠— تمثل هجوما صريحا ومباشرا على المؤسسة وعلى المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي الذي قاد المؤسسة وعمل فيها مديرا للدراسات لمدة ثلاثين سنة (١٩٢٥ — ١٩٥٥) . يتركز الهجوم خاصة على ما يسميه خدوري نظرية شاتام هاوس فيما يتعلق بالشرق الاوسط وهي بالنتيجة نظرية توينبي — وعلى التأثير الذي يدعي المؤلف ان تلك النظرية قد مارسته على صناعة السياسة البريطانية فيما يتعلق بالمنطقة . يشرح خدوري في هذه الدراسة ، وبشيء من الاسهاب ، نظرية توينبي كما طورها المؤرخ البريطاني في الاجزاء المختلفة من كتابه الانسيكلوبيدي **دراسة في التاريخ** وفي بعض اعماله المستقلة الاخرى ، وكما طورها هو ومعاونوه في سلسلة **مسح العلاقات الدولية** التي نشرتها المؤسسة الملكية وارخت فيها لاحداث العصر منذ الحرب العالمية الاولى ، وفي دراسات اخرى نشرتها المؤسسة حول بعض المشاكل الراهنة . وفي عملية الشرح هذه ينتقد خدوري اسلوب توينبي في التفسير التاريخي ، كما ينتقد النتائج التي خلص اليها والتي تعتمد اساسا — في رأي خدوري — على شك توينبي في الحضارة الغربية واحتقاره لها لتأثيرها السلبي على الحضارات العالمية الاخرى . ويتخلل تحليل خدوري لافكار توينبي وشاتام هاوس اصرار مستمر دائم على ان توينبي ، ومعه المؤسسة الملكية ، قد « انحاز » الى جانب العرب لاسباب شبه غيبية(!) وان هذا « الانحياز التاريخي » قد أدى — بتأثيره على سياسة بريطانيا في المنطقة العربية — الى ضياع ذلك النفوذ البريطاني .

بالاضافة الى الدراستين الاولى والاخيرة في كتاب خدوري ، ثمة ثلاث دراسات اخرى ذات طبيعة عامة ، بمعنى انها تعطي نوعا ما من التنظير العام للمفاهيم التي تدور في اطارها بحوث خدوري في هذا الكتاب وفي غيره على السواء . وبالاضافة الى ذلك ، يشتمل الكتاب على سبع دراسات اخرى حول نقاط تاريخية محددة . اربع من تلك الدراسات تبحث بعض نقاط التاريخ المصري وهي بالتتالي مواقف القاهرة والخرطوم من القضية العربية بين عامي ١٩١٥ و١٩١٨ ، سعد زغلول والبريطانيون (وهي اطول دراسة في الكتاب وتقع في حوالي ثمانين صفحة) ، تكوين الدستور المصري لعام ١٩٢٣ ، ثم مصر والخلافة بين عامي ١٩١٥ و١٩٥٢ . بالاضافة الى هذه الدراسات الاربع عن مصر ثمة دراسة عن سوريا : السيطرة على دمشق ، ١ تشرين اول ١٩١٨ ، ودراسة اخرى عن العراق : مملكة العراق — نظرة الى الوراء . وثمة ايضا دراسة ثالثة واخيرة ، عن فلسطين : السير هربرت صاموئيل وحكومة فلسطين . لن ندخل في اي جدل حول هذه الدراسات المحددة وان كنا فيما بعد سنذكر بعض الملاحظات حول الدراسات المكرسة لهربرت صاموئيل . ولكن ماذا يقول خدوري في الدراسات الثلاث التي وصفناها فيما سبق بأنها تقدم نوعا من التنظير العام للمفاهيم التي تدور في اطارها بحوثه كلها ؟

في دراسته عن « الفكرة العربية والسياسة البريطانية » يحاول خدوري ان يوحي بأن فكرة الوحدة العربية انما استمدت عنصر قوتها الاساسي ليس من الواقع العربي نفسه ومن الاخطار المحدقة به ، بل من التأييد البريطاني لتلك الفكرة ، ذلك التأييد الذي قصد منه سياسيا مناهضة المطامح والمصالح الالمانية ثم الفرنسية في المنطقة ، والذي عبر عنه نظريا وباخلاص، من جهة ثانية، اكاديميون كالبروفيسور غيب وسياسيون كالجنرال سبيرز ، يرى خدوري ان تأييد بريطانيا لفكرة الوحدة العربية أعماها عن الفهم السليم للتنوعات الكثيرة الكامنة في المنطقة . ما هي تلك التنوعات الكثيرة ؟ يقدم خدوري في دراستين متتاليتين عنوانهما « الاقليات » و« الديانة والسياسة » نظرة صهيونية بديلة لمفهوم

فيها الثوار من الاستمرار في القتال مدة طويلة دون الحصول على صفة حربية او كيان سياسي . وحاولت اتفاقات جنيف لعام ١٩٤٩ ان تسد الفراغ باخضاعها الاطراف في الاشتباكات المسلحة لحد أدنى من القواعد التي تطبق في زمن الحرب . ولكن الجمعية العامة للامم المتحدة كانت اكثر جراة عندما أصدرت في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٧٠، قرارا يقضي باعتبار اعضاء حركات المقاومة والمناضلين من اجل الحرية اسرى حرب ، عند وقوعهم بين ايدي الحكومات والانظمة التي يكافحون ضدها .

وحينما يتحدث المؤلف عن المركز القانوني للحرب ، قبل الامم المتحدة وبعدها،نشعر بأن غرضه الاساسي هو مناقشة مسألة استعمال القوة دفاعا عن حق تقرير المصير للوصول الى النتيجة المهمة التالية : اذا طرد شعب بالقوة من أرضه فمن حقه العودة الى وطنه . واذا كان من حقه تقرير مصيره على ارضه فهذا الحق يتضمن بالضرورة حقه في العودة الحرة الى أرضه . وهكذا يصبح نضال الشعوب من اجل عودتها الى ارضها نضالا من اجل حقها في تقرير مصيرها .

ولعل الملحق الخاص ، الذي كرسه الكاتب لاستعراض واجبات الدول الثالثة في الحرب الفلسطينية ، من أجمل الفصول التي اشتملت عليها الدراسة واعمقها . فالدكتور عنبتاوي يبين ان الدول العربية لا تزال في حالة حرب قانونية مع الكيان الاسرائيلي . واذا كانت الحرب الفعلية لم تواكب هذه الحالة، ما بين عام ١٩٤٨ و١٩٦٧، الا في فترات متقطعة ، فان سبب ذلك يعود الى بعض الاوضاع والظروف الخاصة . ولكن المهم هو ما حصل في اثناء ذلك . ان الدول الثالثة قد تصرفت ازاء الحرب الفلسطينية على هواها ، وطبقا لما تمليه عليها مصالحها الخاصة . وفي تلك الفترة كانت الدول العربية تصر على وجود الحرب دون ان تبذل أي جهد او تصرف يجعل هذه الدول تتردد او تتراجع امام الواجبات التي يلقيها عليها موقف الحياد . ومنذ سنوات قليلة استانف الشعب الفلسطيني كفاحه المسلح ، واخذت منظمات المقاومة تضرب مصالح العدو الصهيوني داخل الارض المحتلة وخارجها ، واضطرت القوات النظامية العربية الى خوض المعارك اليومية ضد القوات الاسرائيلية . وكل ذلك اصبح يحتم علينا أن نقف من واجبات الدول الثالثة ازاء الحرب الفلسطينية وقفة أكثر جدية . « ويكتسب هذا الامر أهمية خاصة نظرا لان الكيان الاجنبي القائم في فلسطين ينفرد ، من بين كافة الكيانات القائمة في العالم ، بكونه لم يعتمد في نشوئه على الدول الثالثة من حيث مادته الخام (العنصر البشري) والدعم المادي فحسب ، ولكن استمراره في الوجود يعتمد الى حد كبير على ما تقدمه بعض الدول الثالثة ، ان مباشرة او من خلال التنظيمات والمؤسسات والافراد المقيمين فيها ، من مساعدات عسكرية واقتصادية ومالية وعلمية وغيرها » .

والحرب التي نخوضها ضد الكيان الاسرائيلي ليست حربا عدوانية ، وانما هي حرب تحريرية عادلة لانها تستهدف ضمان أهم الحقوق الانسانية : حق تقرير المصير ، وحق العودة الى الوطن ، وحق مقاومة الاحتلال العدواني . وهذه الحرب ليست ، كذلك، حربا ضد كيان دولي مشروع ، وانما هي ضد كيان غير مشروع قام على اساس الظلم والعنف . فاسرائيل اذن كيان يحترف العدوان . وقد أدانته الامم المتحدة ، على هذا الاساس ، عدة مرات . ولو اعتمدنا على القرارات الصادرة عن تلك المنظمة العالمية فقط لوجدنا ان التاكيد على عدم جواز الاستيلاء بالحرب او القوة على أراضي الغير قد أصبح من المبادىء الدولية المعروفة . وهذا المبدأ يجيز للدول الثالثة التمييز او الميل لصالح الجهة المعتدى عليها طالما استمرت عملية الاستيلاء على أراضيها . وبالنسبة الى الدولة الثالثة العضو في الامم المتحدة ، فان احكام القوانين والاتفاقات الدولية المعاصرة تجيز لها التزام موقف الحياد القانوني عند فشل مجلس الامن الدولي في اتخاذ الاجراءات التنفيذية للحفاظ على السلام والامن الدوليين ، كما تجيز لها مناصرة الطرف الذي وقع ضحية العدوان ، او الذي يستخدم القوة دفاعا عن النفس او دفاعا عن مقاصد الامم المتحدة ومبادئها . ولكن القوانين والاتفاقات المذكورة لا تجيز لها ، باي شكل من الاشكال ، مساعدة الطرف المعتدي ، او الطرف الذي يستعمل القوة خلافا لاحكام الميثاق الاممي . غير ان الولايات المتحدة — باعتبارها دولة ثالثة في الحرب الفلسطينية — لم تقم وزنا لكل هذه الاعتبارات . لقد وقفت من العرب ، منذ البداية ، موقف المراوغ المتواطىء . ففي ١٩٤٧/٣/١٢ ، مثلا ،

د. منذر عنبتاوي ، واجبات الاطراف الثالثة في الحروب المعاصرة
(بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧١)

تعتبر هذه الدراسة التي وضعها زميلنا الدكتور منذر عنبتاوي من الابحاث القيمة التي اتحفنا بها مؤخرا مركز الابحاث . وقد يوحي عنوان الدراسة بابتعاد المركز عن خطه المألوف (أي الاهتمام بمختلف جوانب القضية الفلسطينية) ، الا ان الاطلاع على مضمون الدراسة يؤكد لنا من جديد بأن المركز لا يزال على عهدنا به يبذل قصارى الجهد لتجنيد كل موضوع او فكرة في سبيل خدمة القضية الفلسطينية . وهذه الدراسة ، التي تحاول القاء الضوء على بعض الجوانب الغامضة من القانون الدولي العام المعاصر ، تستمد اهميتها من عدة أمور نجملها بما يلي : ١) ان الدول لا تزال — على الرغم من تحريم اللجوء الى الحرب في القوانين الدولية الوضعية — تلجأ الى استعمال القوة لتسوية منازعاتها ، وان الشعوب المضطهدة او المحتلة لا تزال تضطر ، هي كذلك ، الى اللجوء الى القوة لانتزاع حقوقها المشروعة . ٢) ان للحروب في العصر الراهن مفاهيم واشكالا لم تعرفها العصور الخوالي . فالحروب اليوم لم تعد تندلع بسبب المنازعات على الحدود ، بل بسبب الخلافات العقائدية احيانا . والحروب اليوم لم تعد تقتصر على الدول (بالمعنى القانوني لمفهوم دولة) ، فهناك الان منظمات دولية تخوض الحرب (الامم المتحدة وحرب كوريا) ، وهناك كذلك كيانات وجبهات لا تحظى باعتراف الدول تخوض الحرب (جبهة التحرير الجزائرية والفيتكونغ) . لقد اكتسبت حروب داخلية او تحريرية عديدة الصفة الدولية دون ان يكون لاطرافها — كلهم او بعضهم — الشخصية الدولية . ٣) ان ثمة حالة حرب قائمة في فلسطين . واطراف هذه الحرب : الشعب الفلسطيني والدول العربية من جهة ، واقلية عرقية دخيلة تفرض سيطرتها على كل فلسطين (وعلى اجزاء من ثلاث دول عربية كذلك) من جهة ثانية . وكل ما وقع منذ عام ١٩٤٩ من اتفاقات ، وكل ما حدث من معارك ، وكل ما جرى من محاولات للوساطة او التسوية ، لم يغير من واقع الحرب القائمة شيئا . ٤) ان هذه الدراسة تعالج جانبا مهما من جوانب القانون الدولي العام يتعلق بموقف الدول الحيادية من الاطراف المتنازعة في الحروب .

ونحن اليوم في اشد الحاجة الى معرفة هذا الجانب لانه يساعدنا على ادراك حقوقنا والتزاماتنا تجاه الدول الحيادية — او التي تدعي الحياد ، او التي تتظاهر به — وادراك الواجبات التي تقع على كاهل هذه الدول ازاء الحرب الفلسطينية .

تنقسم الدراسة الى اربعة فصول رئيسية : ماهية الحرب واطرافها ، والحرب في القانون الدولي المعاصر ، والمركز القانوني للدول الثالثة، وواجبات الدول المحايدة في الحروب المعاصرة . وتنتهي بملحق خاص عن الوضع القانوني لموقف الدول الثالثة من الحرب الفلسطينية ، مشيرة الى وضع نموذجي ، هو موقف الولايات المتحدة الاميركية . والاهتمام بالقضية الفلسطينية يتجلى في كل موضوع او بحث تتضمنه تلك الدراسة . فالمؤلف ، عند حديثه عن الحرب ، لا يكتفي بتحديد ماهيتها ، بل يعمد الى شرح الاثار القانونية التي تترتب على وقوعها . فقيام الحرب يستدعي العمل بقواعد الحرب المتعلقة بسلوك المتحاربين . وبما ان العرب في حالة حرب مع اسرائيل ، فمن الواجب تطبيق قواعد الحرب على تصرفات الطرفين . واذ كان البعض يستنتج من اتفاقات الهدنة الموقعة عام ١٩٤٩ بين العرب واسرائيل استحالة القول بوجود حالة الحرب، فان القانون والفقه والاجتهاد والعرف تثبت بأن الهدنة توقف العمليات العسكرية ولا تنهي حالة الحرب . ثم ان الحديث عن الهدنة بين العرب واسرائيل اصبح أمرا مستغربا بعد ان خرقت اسرائيل حرمة الهدنة واستباحت حدود الدول العربية المتاخمة آلاف المرات منذ عام ١٩٤٩ .

والاقرار بوجود حالة الحرب يقضي بتحديد اطراف الحرب ، أي بتعريف المحاربين . فالى أي حد يمكن اطلاق وصف المحاربين على المقاتلين او الثوار المشتركين في حروب داخلية متنوعة الاشكال يجمع بينها اللجوء الى العنف من اجل تغيير نظام سياسي معين ؟ لقد عالج القانون الدولي التقليدي موضوع الحرب الداخلية من خلال شكل واحد : الحرب الاهلية التي تتميز باشتباكات مسلحة تمارسها قوات نظامية ضمن شروط معينة . غير ان هذه القواعد لم تعد تفي بالمراد ، فالعالم اليوم يشهد أشكالا مختلفة من الحروب غير النظامية التي يتمكن

C. H. Dodd and M. E. Sales, **Israel and the Arab World**
(London, Routledge, and Kegan Paul, 1970)
Aharon Cohen, **Israel and the Arab World**
(London, W. A. Allen, 1970)

ان هذين الكتابين اللذين يحملان نفس العنوان ونشرا في لندن مؤخرا هما من جملة الدراسات العديدة التي ظهرت في السنوات الاخيرة لبحث تطور العلاقات العربية الاسرائيلية بالاعتماد على مادة وثائقية ، ولكنهما يقدمان صورتين مختلفتين : الاول يعرض تطور الصراع العربي الاسرائيلي من خلال الوثائق، والثاني يعرض تجربة عاشها المؤلف لايجاد فرص « للتقارب » العربي اليهودي وسط هذا الصراع ، هدفهما التوصل الى « سلم » يجد حلا لاكثر مشاكل العالم تعقيدا ، ويخرجها من سياسة « الترقب والانتظار » .

الكتاب الاول ضمن مجموعة « دراسات عالمية » التي تعرض عادة مادة وثائقية تدور حول موضوع معين تمكن للباحثين دراسة وتقييم هذه الوثائق وتكوين الاحكام التاريخية الصحيحة . وقد عمل ناشرا الكتاب على عرض مجموعة وثائقية استقياها من مصادر رسمية ، ومن كتابات بعض المؤرخين المعاصرين ، ومن مقالات في الصحف والدوريات تدور كلها حول العلاقات العربية الاسرائيلية ، وهي ليست جديدة الا في طريقة عرضها والتعليق عليها ، اذ لم يكن قصد الكتاب ان يكون مرجعا للمتخصصين بل يهدف القارىء الذي يجهل ، او على الاصح ، يلم بعض الشيء بموضوع هذه العلاقات ويرغب بالحصول على معلومات موثوقة عنها . ورغم ان مقدمة الكتاب توحي انه عرض موضوعي للنزاع العربي الاسرائيلي لكشف ابعاده الحقيقية واثارة افكار الباحثين لايجاد حل له ، نجده في انتقائه للمادة الوثائقية وفي عرضها وتحليلها لا يخرج عن سائر الكتب التي تدعي الموضوعية « التقليدية » حيال هذا الموضوع حين يقدم وجهتي النظر العربية والاسرائيلية وكأنهما طرفان متساويان لقضية واحدة لكل منهما حججه الدامغة لدعم « حقه السياسي والتاريخي » في المنطقة وما على الباحث الا الموازنة بينهما والتوصل الى « الحكم الصحيح » .

وفي محاولته العودة الى جذور الصراع ينطلق من فكرة خاطئة تقوم على وجود قوميتين نشيطتين في منطقة واحدة اتبعتا خطا واحدا في التطور وكان بامكانهما العيش جنبا الى جنب لولا تدخل مصالح الدول الكبرى في نهاية العهد العثماني التي ادت الى وعود متناقضة للطرفين وبالتالي تحددت خطوط النزاع العربي اليهودي ، وهي فكرة يروجها كثير من دارسي الحركة الصهيونية لاثبات ان « الحركة القومية اليهودية » تشبه في نشأتها وتطورها سائر الحركات القومية في العالم بما فيها الحركة القومية العربية . وشيء آخر ان تدخل مصالح الدول الكبرى لم يكن العامل الرئيسي لبدء الصراع ، فقد اشار احاد هاعام منذ نهاية القرن التاسع عشر الى اخطار نمو الحركة العربية على المشاريع الصهيونية ، بل ان الامر لابعد من ذلك اذ ترجع الوثائق البريطانية اسباب ربط متصرفية القدس بالباب العالي مباشرة (في الربع الاخير من القرن التاسع عشر) الى القلق الناجم عن تخوف « اهل البلاد » من الهجرة اليهودية . ويحاول الكتاب في تحليله وعرضه لوثائق فترة الانتداب ان يثبت ان بريطانية هي المسئولة عن زيادة العداء بين الجانبين بتشجيعها تطور المجتمعين العربي واليهودي في خطين منفصلين بدل العمل على تقريبهما ، بحيث ان كليهما — على حد قوله — قد تمسك بمواقفه الاساسية واصبح اكثر عداء لبريطانية ! والواقع التاريخي قد اثبت ان تزايد العداء كان يتوافق مع توضح المخطط الصهيوني بتشجيع من بريطانية ، التي تحدت الشعور العربي ككل حين اشترطت تطوير الوطن القومي لليهود في صك الانتداب .

وتتناول الفصول الاخيرة من الكتاب وثائق النزاع العربي الاسرائيلي بعد فترة الانتداب وقيام اسرائيل ، محاولا التعرف عن طريقها الى اسباب تأزم النزاع بفعل الزمن والاحداث وتفجره في حروب ثلاث ، مستدلا على العوامل التي تعوق او تخفف حدته ، وهل يمكن الوصول الى اتفاق — او على الاصح — الى تعايش ؟

قام العرض على اساس ان وجود اسرائيل قد اصبح أمرا طبيعيا ، وما تلا ذلك فهو متماثل حدود ، وتصادم مصالح مادية ، فكل توتر ونزاع هو نتيجة تصلب مواقف الجانبين وتدخل قوى

في مجال آخر يتحدث فلسطيني جبرا عن ابناء شعبه قائلا « انهم في الواقع تجار . لقد اقفلوا قلوبهم عن الشعر ، وانصرفوا الى التجارة . وانا كما ترى واحد منهم . امضي في سبيل القرش الف ميل » . ان تعبير البطل عن فئته الاجتماعية ، وخضوعه لقوانينها ، أمر لا يحتمل المراوغة . اما التساؤل فيما اذ كان المؤلف يتبنى هذا النموذج ام لا ، فانه ليس واردا . فاذا كان في وعي المؤلف ان يفضح هذه الفئة ويدينها ، فما هكذا يكون الفضح والادانة . فقد تبدى عطفه واضحا وصارخا على هذا النموذج ، عند تعريفه بطفولته . وهذه الطفولة هي في تقدير المؤلف : زمان فلسطين . لذلك فان القارىء سيكون مدعوا لقراءة صفحات طويلة يفردها المؤلف ، بأسلوب الذكريات الفصيح الباعث على الشجون والشكوى ، عن أيام البطل في القدس . هكذا تصبح الطفولة : ورقة براءة . وفي ذات الوقت فان العودة الى الطفولة مستحيل. هذا هو العقل الاحتيالي للبطل . ان وديع عساف نموذج الفلسطيني الارستقراطي . النموذج الذي اسقطته الهزيمة الاولى . وقد شاء المؤلف ان يبعثه من قبر التاريخ المردم ، عبر رواية تتضمن مقطوعات انشائية فالتة ومواقف مفتعلة ، ونحن نشيح بنظرنا عن هذا النموذج الذي يسرق شرفا لا يدعيه ، وتهمة لا ينكرها .

بين جدارة وشاعرية « عرس فلسطيني » وادعاء وغرور « السفينة » ، يقع تواضع « ذكرى الايام الماضية » . تواضعها واحيانا تقشفها واحيانا بساطتها واحيانا سذاجتها . تتكرر في هذه القصص لرشاد ابو شاور عبارات مثل « الجيوش هزمت ، فهل يمكن ان يصحو هؤلاء الشباب فيصفون المعجزة » . (الصوت والصدى) . « .. ولكن عند العصر ظهرت طائراتهم .. وتقهقرنا .. وكانت عيوننا تتجه الى السماء .. وقلوبنا تصرخ ، اين انت يا طائراتنا ؟ ولكن.. » . (الشوق والنداء). « آه يا صديقي عباس لم يكتمل الحلم ، تهاوى حين اعلن وقف القتال قبل وصولنا » (عودة الغريب) . « تناولت المذياع من حافة النافذة .. احدهم يرافقه ضجيج آلات محمومة يصرخ بحب الوطن والله والحرب » . (ذكريات حزيران) . « .. وهل حدثت الحرب يا رجل ؟. مثل غيرك ، كنت تجتر احلام العودة الى قريتك ، هناك ، حيث دفن والدك ، وجدك .. تلك كانت نكتة سمجة ». (زمن النابالم) .

وفي سبيل الرد على الهزيمة التي ولدتها « النكتة السمجة » ، يختار ابو شاور ابطاله فدائيين ليصفوا « المعجزة » . وعبر هذا التبني الاخلاقي — الاحادي ، تبدو النماذج التي اختارها المؤلف لتملأ خانة الفداء : غير مترددة وحاسمة ، بعد ان قطعت كل صلاتها مع ماضي التشرد والنفي . وهذا ما قاد المؤلف الى اختيار نهايات متفائلة ، مفعمة بالتبشير ، كمردود وثمن طبيعي ومنطقي للهوى الاخلاقي الذي يعصف به : « انه الشوق المعتق .. لقد بدأنا ، ولن ننكفىء .. عيوننا شاخصة الى الغرب .. الى البيت يا ملاكي » . (الجرح لا يساوم) . « تتحرك ، وتكتشف ان القوة ما زالت تنبض في عروقك .. تسير .. تسير .. الى الغرب » . (زمن النابالم) . « انه المخاض يا ارض الدم الحزينة . استيقظي ايتها الاجساد الطعينة . الاحفاد يأتون » . (الاحفاد يأتون) . « وتصاعدت في الليل اصوات افعال الرجال الصامتين بدوي هائل » . (اشياء فلسطينية) . « لا يهمني ان اموت ، المهم ان يصلوا ، ان تدوي الانفجارات غدا .. امطروه بوابل من الرصاص ، فسره انهم يركزون باتجاهه فاسحين المجال لرفاقه بالاستمرار الى هدفهم ، الذي كان يقترب كلما ساروا » . (عودة الغريب). مقابل ذلك يلمس القارىء موهبة الكاتب العميقة في قصة « ذكرى الايام الماضية » الحلقة الوحيدة في المجموعة التي تربط بين النضال قبل هزيمة ٤٨ والنضال الراهن . حيث نتعرف على نموذج الفلسطيني الذي يقف اعزل من السلاح ، بينما تحول القيادات الاقطاعية المرتبطة بالاوضاع العربية آنذاك من ممارسة دوره . لكنه يحصل على السلاح بالعنف ويستشهد ، اما طفله فقد شب وحمل بندقية في غزة. وفي قصة اخرى (العصافير) يبرع المؤلف في توظيف لحظة نفسية دقيقة لخدمة فكرة شعرية تلح على وجدانه : فدائي شرق النهر يصر على دفن عصفور جريح غرب النهر . بينما في القصة الاخيرة (بنادق عتيقة) ينبىء بخروج الجماهير الفلسطينية عن الوصاية : كان زواج العم (من الام) اكذوبة !. وابطال رشاد ابو شاور مليئون بالاصرار والحمية على تحرير الام من آلامها . تارة يقنعوننا وتارة لا نصدق .

محمود الريماوي

مراجعات

ناجي علوش ، **النوافذ التي تفتحها القنابل** (بيروت ، الطليعة ، ١٩٧٠)
خالد ابو خالد ، **وسام على صدر المليشيا** (بيروت ، الاداب ، ١٩٧١)
عزالدين المناصرة ، **الخروج من البحر الميت** (بيروت ، العودة ، ١٩٧٠)
محمد القيسي ، **خماسية الموت والحياة** (بيروت ، العودة ، ١٩٧٠)

حين كان الشاعر محمود درويش داخل الارض المحتلة ، كان النقاد حينذاك يداعبون باب الاجتهاد، هل هو شاعر مقاومة ، ام شاعر معارضة ، ولقد اغلق خروج درويش الى القاهرة ، هذا الباب ، وعاد تساؤلا سائبا لا مهمة له غير معرفة ما اذا كان السيد درويش مناضلا في موقفه هذا ، ام لا . وأكبر الظن ان المرحلة الاتية ــ فيما اذا بقي الشاعر درويش على موقفه ــ ستقترب بشكل من الاشكال ، من محاولة التقييم النقدي المحض . وستبتعد بنفس القدر، من هذا اللغو الصحفي الشديد الاساءة ، ان محمود درويش شاعر ، وشاعر فلسطيني . يجب علينا أن نقف في حدود هذه المقدمة، لنتأمل معنى القصيدة المنتمية ــ فلسطينيا. لان محمود درويش استطاع ، بنفاذة ، ان يشكل محورا واضحا لهاجس عام (انساني) ، ذي بعد عميق (وطني ــ وقومي) . ولهاجس خاص ، هو نفوذه الحاد على كائن انساني شديد الحساسية هو ، محمود درويش ، نفسه .

لقد قرات في الفترة الاخيرة لاربعة شعراء ، تختلف رؤياهم نظرا لطبيعتهم ، كما تتفاوت هذه الرؤيا ، نظرا لقيمتهم الشعرية ، ولكنهم جميعا فلسطينيون: اثنان مارسا مهامهما الفلسطينية بفاعلية مشرفة ، فجاءا الى الشعر بعدة نضالية ، وتجربة لم تستطع ان توقظ السحر في اللغة . واثنان لم يدخلا بين التجربة ، بل واجهاها كما واجهها الانسان العربي القادر على استيحاء قدرها الكبير . فوقعا ، هما الاخران ، في مضايقات كانت علتها انعدام القدرة الكافية ــ شعريا ــ على خلق الانسجام التام بين واقع القدر الكبير والتجربة ، وواقع الضياع والرغبة في التمرد ، بين الموضوع الواقع والذات الواقعة . كانوا جميعا فلسطينيين يواجهون أزمة واحدة ، ازمة الانسان العربي حيث يكون أمام الهزيمة وفي استشراق المستقبل وأزمة الفلسطيني في البحث عن هويته . ولكن لماذا كان محمود درويش شاعرا ، وشاعرا فلسطينيا . ولم يستطع هؤلاء جميعا ، الا ان يكونوا فلسطينيين فحسب . لقد شكلت الارض امومة هائلة ودافئة للجميع ، ولكنها عند محمود درويش لم تكن هاجسا طبيعيا فحسب ، بل أيضا كانت هاجسا ابداعيا . الامر الذي لم يتوفر عند الاربعة الاخرين . لقد كانوا فلسطينيين فحسب . ولم يكونوا بهذا المعنى شعراء فلسطينيين .

اللذان مارسا « الحياة الفلسطينية » بفاعلية ، هما الشاعران ناجي علوش « النوافذ التي تفتحها القنابل » والشاعر خالد ابو خالد : « وسام على صدر المليشيا » . لقد كان الشعر عند الاول محاولة وضع لها مقدمة طويلة : يعتذر عنها تارة ، ويستأذن لها ، ويبررها تارة اخرى ، فيتطرف ، محددا على هوامشها قيما وقوانين نقدية ، يرى فيها الشعر « ما يكتب للجماهير » ، و« يغني انتصارات الانسان وهزائمه ، تخوفاته وتطلعاته، والذي يخوض معركة الانسان من اجل حريته وتقدمه ، وهذا يعني شيئين مترابطين : ١) يتعلق باللغة ، بالمصطلح ، والمصطلح الشاعري في نظري هو الذي يتوجه الى الجماهير لا الى القلة او النخبة . ٢) يتعلق بالمضمون ، والمضمون الشاعري في نظري هو الذي يطرح موقفا انسانيا واعيا من قضايا الحياة والموت والحرية ، لا باعتبارها مطلقا او ميتافيزياء ، بل باعتبارها حياة يومية للناس » .

ولنقرأ نموذجا للاستاذ ناجي علوش يفيدنا فيه عن معنى هذا « المصطلح الشاعري » و « المضمون الشاعري » . ولنستلهم منه هوية وطبيعة هذا الشعر الجماهيري ، ذي الوعي الحاد « لقضايا الحياة والموت والحرية ». يقول في قصيدة « عبد الرحمن » . . الشاب الجزائري :

معقدة » . ويضيف لنداو : « لقد تعلم المخربون خلال الاعوام التي رابط فيها الجيش الاسرائيلي في المناطق اساليب كثيرة للاعمال المضادة » .
بالاضافة الى سرية المقاومة هناك ، وتنظيمها القوي ، فان التركيب السكاني في القطاع ، يحمل بين ثناياه عامل قوة للعمل الفدائي ، حيث انه يوجد في القطاع ٢٢٠ الف لاجيء من مجموع ٣٧٠ الف نسمة يشكلون مجموع سكان القطاع . اي ان سكان المخيمات او اللاجئين هناك ، يشكلون الاكثرية بين السكان ، بعكس ما هو عليه الوضع في الضفة الغربية . وبالتالي فان هذه الاكثرية التي لا تمتلك الا خيامها ، لن تخسر شيئا الا تلك الخيام . وقد اضفت سمتها على القطاع كله ، كما وشكلت فيه تربة خصبة لبروز المقاومين هناك.
وقد تنبهت الصحافة الاسرائيلية الى هذا الواقع في الاونة الاخيرة ، واخذت تدعوالى تغيير اوضاع سكان المخيمات . وهناك عامل آخر ، يمتاز به القطاع عن غيره ، ويساعد بدوره في تقوية العمل الفدائي ، ويتمثل في الكثافة السكانية العالية في القطاع حيث تصل نسبة الكثافة السكانية للكيلومتر المربع الواحد حوالي ١٠٠٠ نسمة ، الامر الذي من شأنه تمكين رجال المقاومة من الانغماس والذوبان بسرعة بين الجماهير ، خاصة اذا اخذنا بعين الحسبان ان هذه الجماهير ، تكن لرجال المقاومة قدرا كبيرا من الاحترام والتقدير و«تحيطهم» — كما تدعي الصحافة الاسرائيلية — « بهالة من الاساطير » . ولعل طبيعة العلاقات القوية بين المقاومة من جهة وبين بقية السكان من جهة اخرى تعتبر من المقومات الرئيسية لاستمرار المقاومة وتصاعد قواها . وقد دعت الصحافة الاسرائيلية في اكثر من مناسبة الى « ازالة الاسطورة العالقة في اذهان الاهالي » حول افراد المقاومة بواسطة توجيه ضربات قوية لهم . غير ان ذلك لم يمنع الاهالي من التعلق « بقادة القطاع الغير متوجين ».
وقد تمثل تقدير الاهالي لرجال المقاومة في مناسبات شتى ، من بينها اضراب نوفمبر الذي اعلن في القطاع لمدة ثلاثة ايام ، حدادا على مقتل يوسف الخطيب نائب القائد العسكري للجبهة الشعبية في القطاع. ومسيرات الحداد التي جرت خلال الاضراب والتي تخللها اطلاق النار على قوات الاحتلال .
من هنا تبدو لنا كوامن القوة التي تتسم بها المقاومة في القطاع ، والتي لم تستطع سلطات الاحتلال ، الحد او النيل منها ، بالرغم من اعمال التفتيش اليومية التي تقول عنها صحيفة الاتحاد الناطقة باسم حزب « راكاح » « لم يمض يوم منذ الاحتلال دون ان تجري فيه عمليات تفتيش وقمع واعتقال وتشريد وقتل ... لقد اصبحت عمليات التفتيش التي يحتاج الناس بعدها الى اعادة ترميم ما يمكن ترميمه من بيوتهم ، اصبحت فريضة يومية » . وبالرغم من هذه « الفريضة اليومية » التي تقوم بها سلطات الاحتلال صباح مساء في قطاع غزه ، كانت النتيجة عكس ما تسعى السلطات الى تحقيقه . تقول صحيفة دافار في تعليق لها حول اعمال التفتيش تلك : « في كل عملية تفتيش ، ينضج على الاقل عشرة فدائيين ... هذه حلقة مفرغة ... اعمال الارهاب والتخريب (المقاومة) تجر وراءها سياسة متصلبة ، كما ان السياسة المتصلبة ، من طبيعتها ان تصيب السكان كلهم ، فتزيد من الكراهية ، وتولد طاقة جديدة للارهاب والتخريب . وليس هنالك ثمة جواب للجيش الاسرائيلي والحكم الاسرائيلي على هذه الاسئلة التي تطرح نفسها من جراء هذا الوضع » .
ازاء هذا الوضع ، الذي اصبح معضلة لاسرائيل ، أخذت الصحافة الاسرائيلية تعالج الحلول التي يمكن ان تكون بديلة لسياسة « اليد الصلبة » التي تتبعها الحكومة ، وقد اجمعت تلك الصحف على ان الحل يكمن في تنمية اقتصاد القطاع ، وتغيير اوضاع المخيمات ، لجعل السكان يشعرون بأنهم يفقدون امورا اخرى غير المخيمات ، في حالة اصرارهم على النضال .
يقول « ايلي لنداو » بعد فشل حملة فبراير في محاولة منه لرسم السياسة الاسرائيلية في قطاع غزة (معاريف ٧١/٢/٥) « ان اسرائيل تحل مشكلة سرطان غزه ، بواسطة حبوب الاسبرين . من اجل تغيير غزة ، ومن اجل تقليل مشاكلنا ، هذه المشاكل التي يبدو انها ستستمر سنين طويلة، ينبغي علينا ان نقوم بتغيير الامور من اساسها ، تغيير صورة مخيمات اللاجئين ، وتغيير الوضع الاقتصادي ، واعادة اهتمامهم بالحياة ، واعطائهم املا بمستقبلهم — كل ذلك يمكن ان يحل بدون مس القضايا السياسية . ولكن من اجل تطبيق ذلك فان الحكومة الاسرائيلية تحتاج الى جرأة اكبر ، ورؤيا اوسع » .

ع٠م

اهم ما يتصف به عز الدين المناصرة في قصائده ، هو « الصورة المجانية » . انه يملك ان يقول اي شيء ، دون ان تترتب على ذلك تجربة فنية مقصودة ومعينة . لقد توفرت هذه الخطيئة في مجموعته الاولى « يا عنب الخليل » ببذخ . ولكنها بالتأكيد جاءت هامشية في المجموعة الثانية . لقد دفعت الغربة عز الدين المناصرة الى رؤيا غاضبة غضبا عفويا يصل حد السذاجة كما في قصيدته « أبي وأبوك وابوه » ، وغضبا ذا سمة ساخرة مريرة وهجاءة ايضا . انه على العكس من الشاعرين الاولين ، يواجه — عبر غربته — لا هم النصر كما قلت ، بل هم الهزيمة والخيبة ، فهو أمام السلطان والسلطة صارخا حينا ، وباكيا احيانا ، ولكنه في الحالتين ينبض بالسخرية الحادة . وهو على الدوام يستمير أبطاله من التراث ، حتى استحالوا شريحة من تجربته الشعرية ، ولكن « مجانيته » تدفعه احيانا كثيرة ، الى تلصيق اسماء كثيرة لا دلالة لها ، ولا علاقة بقصائده مثل : « عبد يغوث الحارثي في المظاهرة — وديدالوس في ذكراه الثالثة — وتصريحات ابن حمديس الفلسطيني — ... الخ » .

ربما تستهويه ، عادة ، الصفة الغنائية في الصورة، فيقع ، او يلجأ الى حماها الصوتية :

« زرعوا الاحجار السوداء
أكلوا ذهب الغياب
وزرعنا عنبا .. وهضاب
فلقينا موت الاحباب »

« وحين تكبر الرؤوس
وعندما يستيقظ النيام
وحين يصبح القطا حمام
اتوب يا مدائن المجوس »

أما محمد القيسي فلا يقع بهذه المجانية ، ولكنه يحتاج لقدرات شعرية هامة غير متوفرة لديه ، ولكنها متوفرة لدى المناصرة بوضوح . ان القيسي، فيه مسحة من الهواجس « الذاتية » ، فهو في خطاب دائم — عبر قصائده جميعها — لقلبه المتعب — او لحبيبته البعيدة ، او لمدينته المفقودة. ولكنه قد يقع فيما وقع فيه المناصرة من المجانية :

« تقاسمتك الدفوف
عشية الحب ماتا
فما أفاد الوقوف
ولا مللت التفافا »

« قد عز طيفك حتى
ذابت جموع الاغاني
صلبت حبنا وصمتا
بكيت مما أعاني »

ان الانفصام بين التجربة وبين اللغة وقدراتها هو الذي يشتت تجربة القيسي الفنية . فيجعلها حارة في مواضيع داخل القصيدة الواحدة ، وميتة طارئة ، شكلية في مواضع اخرى . كما يدفعه أيضا الى استلهام صوت صلاح عبد الصبور — مثل خالد أبو خالد — حينا ، وأصوات ذات ايقاعات شديدة احيانا اخرى .

يبقى كل واحد من هؤلاء — ذوي التجربة الحياتية العميقة — في حدود تجربة فنية ضيقة ، غير كافية لانجاب العمل الابداعي الذي تلتحم فيه كلا التجربتين التحاما عضويا . ان هواجسهم الوطنية ، غير كافية ، لجعلهم « شعراء » فلسطينيين بالمعنى الذي أصبح فيه محمود درويش شاعرا ، وشاعرا فلسطينيا . وليس لهذا التصنيف — طبعا — علاقة بالتقييم النقدي والاخلاقي معا . فان انتسابهم الطبيعي لمناخات جديدة يخلق عندهم هاجسا مختلفا عن الهاجس الذي أصبح ناضجا في أعمال محمود درويش — من ناحية شعرية . ان العمل النضالي قد يتوفر عند أقلهم قدرة على الابداع . وهذا ما أسميته انفصاما بين التجربة وبين قدرة اللغة . ولا يتفرد هؤلاء الشعراء بالضرورة في امكانية تمثيل الشعر العربي الفلسطيني ، ولكن حديثي هذا كان مجرد هوامش حول اربع مجموعات شعرية متوفرة الان في الاسواق .

فوزي كريم

« يا عبدالرحمن ..
يا عبد الرحمن ..
اصمت لا تزرع في قلبي خنجر
فكلامك عن حرب التحرير
اشجاني
اخزاني

يا عبد الرحمن
انتم ناضلتم
انتم قاتلتم
انتم قدمتم مليون ضحية
أما نحن فما زلنا نحكي عن أيام الاحزان
وعن الايام اللائي لم تأت بعد

يا عبد الرحمن
ذكرني بالايام اللائي لم تأت بعد
اهدر
اهدر »

هل وفق الشاعر الفلسطيني ، ان يقول حكمته في هذه الاستجابة الجماهيرية السهلة . لقد وفق بحق الى «جماهيرية» سديدة ، ولكنها غير شعرية، فاللغة في القصيدة السابقة ، والمضمون ، جاءا كما اراد لهما الاستاذ علوش ، بسمة جماهيرية ، واضحة . ولكن هل هذا يكفي لجعل لغة محترمة، وحسنة النية ، شعرا ؟

لا نريد ان ندخل بقصد في أزمة العلاقة بين الشعر والجمهور ، وهي أزمة متوفرة بعنف ، فمهما كان الامر متعلقا بأحد الطرفين (طرف الشاعر الذي يرى ان الجمهور ما زال محكوما بالجهل والامية أو طرف — الجماهير — الذي يرى ان الشاعر يجب ان لا يحترم كبرياء لغته ورؤياه اكثر من احترامه لحياة الجمهور ومصيره) فان مجموعة الاستاذ ناجي علوش ستخرج خاسرة دون شك . ان الاحزان التي في « النوافذ التي تفتحها القنابل » ، والامل الكبير في المستقبل والاحساس بقيمة الشهادة ، والحرية ، والثورة ، والجماهير، كلها تبقى ذات قيمة انسانية يملك الاستاذ علوش ان يوافيها حقها في ضروب اخرى من سبل المعرفة لا تقل قدرا — في المواساة والتحريض — عن الشعر .

خالد ابو خالد يقف الى جانب ناجي علوش ، ولكن طاقة من الطموح ، تنبض في أعماق الاول ، فتحمله الى توتر ، لا يطيقه الشعر . توتر ، واضطراب، ينعكس بوضوح على لغته . فيتبعها : بأحاسيسه المطاطة السهلة تارة ، وباختلاجته المسرعة تارة اخرى . وهو في الحالتين ، تواق الى ان يقول كل شيء مرة واحدة .

« سنحكي يا نداء فجيعة الانسان في ارض الملايين
المصفدة الزنود الى الفراع
بموسى الكلمات »

ولكنه بالتأكيد سيقع بمأزق « اللغة » ، حين يواجه تجربة لاهثة مسرعة :

« ترى تحيطني يداك
هل يفرخ العصفور في فمي غناءه القديم
يا يمامتي
وهل يبرعم الشباب في المدى المليء بالندى الناري
والصخور اغنيات . »

لقد أصبح فرح الشاعر حين دخل اللغة : «عصفورا يفرخ في الفم الغناء » و« الشباب يبرعم اغنيات » في « الندى الناري !! » و« الصخور » ، ان هذه البعثرة التي توهم بالعمق ، ما هي الا توق للعمق ، لم يجد الشاعر سبيله اليه . يتضح ذلك ايضا ، في طريقة تضمين الشاعر للامثال والاغاني الشعبية الفلسطينية ، فانها كثيرا ما تجيء طارئة ودخيله .

أحببت في مجموعة الشاعر خالد ابو خالد قصيدتين توفر فيهما قدر من الشعر ، الاولى : « بطاقات للعيد » باستثناء المقطع الثاني الذي كتب عن جيفارا . والثانية ، قصيدة « نيسان سمفونية »، التي يذهب فيهما مذهب الشاعر صلاح عبدالصبور، حزينا ، دافئا ، منفصلا بعض الشيء عن توتره الحاد المضني .

الشاعران الاخران ، عزالدين المناصره في « الخروج من البحر الميت » ومحمد القيسي في « خماسية الموت والحياة » ، توفرت لديهما التجربة الفنية والشعرية بوضوح اكثر وبقدرة أعمق من صاحبيهما . انهما يحملان معا تجربة الغربة ، وما يتلبس فيها من خوف وحزن وتشتت ، وهما معا ، شاعران فلسطينيان . وضعا « الارض » داخل رؤياهما كما وضعها الاولان . ولكنهما — حين عانى الاولان هم الانتصار — واجها هم الخيبة. وهو اختلاف في الرؤيا فرضته طبيعة الممارسة لكل منهم .

مادة المأساة . وهذا ما يهب مضمون الرواية عمقا اجتماعيا . ولعل الملاحظة هنا تجدر بالذكر : بعد حزيران تدفقت القصص عن المقاومة ، ونادرا ما كان ابطالها ينتمون الى المخيم ، بل لفئات اجتماعية وسطى ، تعبر عنها شرائح مثقفة تعاني من الضياع ، والاخلاص الذاتي المحض كذلك .* لم يعتمد بناء الرواية على الرمز . ان اشخاص الرواية وحوادثها واماكنها ، هي واقعية تماما ، اي تعبر عن حياة واقعية . وقد كان في ظن مؤلفها ان المأساة — المقاومة الفلسطينية هي بحجم المخيلة ، كما هي بحجمها الواقعي . لذلك شاء ان ينقل ادق واصغر تفاصيل الواقع ، تاركا اياها مثقلة برموزها الاولى . ترى من يحتج على الاستئذان ، والتلبيسة وليالي التحاليل السبع ، ويوم الزفة وليلة الدخلة ؟ وكذلك جبل البصة في فلسطين ؟. بقي ان المؤلف استخدم هذه العناصر استخداما شعريا . فعبر عن الواقع ليس بشأنه اليومي المجرد بل بما ينطوي عليه ويعتمل فيه من حلم . وذلك عوضا عن « خرافة الرمز » .

* على ان المؤلف وقع في الخطأ ، عندما عزل المقاومة عن امتدادها العربي . فالضيوف رغم انهم شباب ، لبثوا في مكانهم سالبين . ولم يتمكن المؤلف من دفعهم الى المشاركة في العملية الفنية . حيث تبدو عثرات «عرس فلسطين» نادرة ، وعزيزة على ذكاء الناقد المولع بالاعمال الكلاسيكية او « الطليعية » على حد سواء . مقابل ذلك تبدو عملية تلمس الايجابي في رواية « السفينة » مستعصية ، فضلا عن انها غير ضرورية وغير أمينة . سيكون على القارىء — اذا شاء — ان ينتقل من مهد العريس ، الذي قضى سواد ونضارة عمره في المخيم ، ان ينتقل الى وديع عساف الذي يبحر هنيئا في سفينة جبرا ابراهيم جبرا . فمن هو وديع عساف ؟ شخص فلسطيني يقيم في الكويت . تاجر وصاحب شركة ، ثري ، في العقد الرابع من عمره . نشأ طفولته في القدس وعاش فيها مراهقته . الى ذات يوم مشهود حجرا (قنبلة) على تجمع صهيوني مسلح . بعدها ولى وهاجر حتى الكويت .

الى أين يتجه نموذج جبرا الفلسطيني ؟ الى الموانىء الاوربية ، انطلاقا من ميناء بيروت . وما هو المحيط البشري (الاجتماعي) الذي يستمد منه وديع قوانين حياته الشخصية وعلاقاته ؟ عصام السلمان طبيب عراقي درس في اكسفورد . سليل والد اقطاعي ، وينفق ضجره في البلاد الاوروبية. لمى من نفس اسرة الطبيب العراقي . فالح عبد الرحمن طبيب اخر . عصام مهندس مثقف . كيف اجتمع شملهم مع اخرين في سفينة (ورقية ، فكلما استمر حبر جبرا كان ذلك ايذانا بغرق السفينة ، فنيا كرمز ، من ذهن ومخيلة القارىء)؟ عصام تعرف الى لمى ابان دراستهما في اكسفورد. تزوجت لمى من فالح عبد الرحمن ، وهذا تشده علاقة حب بفتاة اجنبية اسمها اميليا . وقد تعرف اليها اثناء احد المؤتمرات الطبية في بيروت ، بواسطة طبيبة لبنانية اسمها مها . ظل الحب قائما بين لمى وعصام . وهذا رغب ان يسافر من ميناء بيروت الى موانىء البحر المتوسط ، ولمى تعرف موعد سفر عصام فتحجز مكانا في ذات السفينة ، قبل ان تعرض رغبتها على زوجها الذي لا يتردد ، فيتصل هذا باميليا ، واميليا تتصل بمها ، ومها تتصل بصاحبنا وديع عساف الذي يحبها ، فيبحرون . ليس نموذج جبرا مرفوضا لمجرد انتمائه الى فئة اجتماعية ، يدها «نظيفة» من السلاح ، وليس مرفوضا ايضا لمجرد ان فالح عبد الرحمن — الذي هو عضو في جسم الرواية كما هو وديع — ينتهي الى الانتحار كخلاص فردي أسود ، وهذا ما تنتهي اليه الرواية ذاتها، بل لانه يطرح نفسه مباشرة في الرواية . فحيث الاشخاص يعدمون خصوصيتهم ، وحيث سياق حياة الابطال ليس مجموع الاحداث والتصرفات الصغيرة ذات الدلالة ، في حياتهم ، فانه لا بد من ان يملأ المؤلف افواه ابطاله بالكلام الذي في ذهنه، فيتفوهون بذلك برغبة خالقهم : يقول البطل في احدى الحوارات او المحاورات المطولة: « الموت. المجابهة . الفداء . هذا كل ما لدي ان اطرحه ». لكن هذا الطارح للفداء باستلذاذ ورخاء لا يلبث ان يكشف عن الخديعة . اذ يصرح بأخلاقية عالية انه سيهجر بناء التجارة ويزرع الكروم واشجار الصنوبر والبندورة والتفاح ، وسيحفر آبارا ارتوازية ، في المرتفع الذي اشتراه في بلدة حلحول الفلسطينية . فهل ذلك حقا ، وهل يستطيع « هذه العشرون الف دينار التي جمعتها ستكفي لان أمد لي جذرا عميقا في ارضي من جديد . فلأسرح مرة اخرى » ولا بد انه سيستمر في سرحانه ، ليس لانه انهزامي ، بل ليعود ويعمق جذره في ارضه ؟

اديب نحوي ، عرس فلسطيني (بيروت ، العودة ، ١٩٧١)
جبرا ابراهيم جبرا ، السفينة (بيروت ، النهار ، ١٩٧١)
رشاد ابو شاور ، ذكرى الايام الماضية (بيروت ، الطليعة ، ١٩٧١)

ثلاثة اعمال ادبية ظهرت في الاونة الاخيرة ، يتقاسمها ويجمعها الاحتفال بالفلسطيني الجديد ، الفدائي ، وتفترق في النظرة الى معطياته وآفاق فعله : الاجتماعية والانسانية . وكذلك لكل منها شأنها الفني . في مقدمة هذه الاعمال التي تستحق القراءة والالتفات ، تبرز رواية « عرس فلسطيني » للكاتب الحلبي اديب نحوي . ولعل هذه الرواية هي الاولى في العربية — الى جانب اعمال الطيب صالح — التي في الامكان اعتبارها رواية غنائية ، اضافة الى الادب الذي يتخذ من فلسطين كواقعة تاريخية ، موضوعا ومادة له . لقد تمكن اديب نحوي عبر صياغة عفوية آسرة تتوسل صياغة التوراة ، من ان يبعث اسمى واعمق تقاليدنا في الفولكلور ، وان يوظف هذه التقاليد الراسخة في المخيلة والوجدان الشعبي، لخدمة الفكرة الوطنية ذات الافق التقدمي . وهذا اللون والمنحى في الكتابة ، يعد امتيازا له . فما هي الخطوط العريضة للرواية ؟ فهد البصاوي احد ابناء المخيم ، يعقد قرانه على فاطمة احدى صبايا المخيم. وهذه الصبية يتيمة الابوين : والدها يرقد في تراب الوطن ، بعد أن قضى وهو يتنكب بارودته العثمانية . ووالدتها قضت عندما داهم « السيل » المخيم قبل « خمسة عشر عاما » وظلت تحتفظ بقطعة من ثوب طفلتها في يدها ، وكانت الطفلة قد انقذت وهي على شفا هاوية . وفي ليلة العرس ، يستعد اهالي المخيم وضيوفهم « الشباب » للاحتفال باليوم المشهود . وقد كان فهد ذهب لعند والد فاطمة حتى يستأذنه « نغير الطريقة من مخيمية الى بصاوية : انه لا بد للزواج من اذن . ومن بصاوية عتيقة الى بصاوية جديدة : ان العريس هو الذي يستأذن نيابة عن عروسه». اما فاطمة التي ستتزوج دون استئذان ، فلا بد لها أن « تخرج » الى عريسها من عند امها . وهكذا ذهبت الى تراب امها في شمال المخيم . وبعد أن يكتمل عدد الزوار ، وبعد أن تقام مظاهر الفرح والطرب ، يبقى انتظار زفة العريس الى عروسه ، الذي ذهب الى جبل البصة في فلسطين وبيده السر : فشك غير مستربط . اما فاطمة فقد رجعت بعد أن اذنت لها امها . واخيرا وبعد ان ينتصف الليل ، يطل موكب العريس ، بعد طول انتظار . فهجمت العروس قبل اهل العريس عليه. ثم تبعها أهل العريس و« أهل ضيعته وبقية احبابه والضيوف » . « والبعض حملوا اطفالهم عاليا فوق اكتافهم .. فوق رؤوسهم . وكان الاطفال يبوسون ، يمرغون خدودهم الصغيرة ، ويبوسون» ثم مشوا جميعا بالنعش تجاه الساحة . وفي الطريق وهم يحملونه على الاكتاف كان لا بد ان يكتمل العرس . أبو فهد يسأله ابنه ان كان وصل، فيجيب رفاقه : وصلنا . وتسألهم عمة فاطمة عن العلامة فيقولون : بارودة عثملية عتيقة ثم يقول رفاق فهد : والفهد ربط برأسها ثوب فاطمة الصغير المقصوص من ذيله وغرسها فوق قبر ابي فاطمة . وقالوا خذوا لراية البصاويين التحية . ضربنا لها من بنادقنا السلام . ثم تستلم فاطمة من رفاق فهد هدية عريسها اليها : بندقية فهد . فتنظر الى الثلاثة وعشرين لمبة التي تحيط بلمبة فلسطين الكبيرة ، المزينات في الساحة . وفي كل مرة تصيب لمبة صغيرة تتوهج لمبة فلسطين الكبيرة « وكأن الشمس قد اخذت تسطع على المخيم مباشرة ، من فوق جبل البصة » .

قد تتهم هذه الرواية بالميلودراما ، وباعتمادها على الفدائي : شهيدا ومخضبا بحب الوطن . لكن هذه التهمة ليس صعبا دحضها . فالرواية لا تنتهي بموت البطل ، بل باستلام البطلة للسلاح : اداة الحياة الجديدة . وليس المناخ المأساوي الذي يشيع في الرواية ، الا من سبيل الغاء قيم جديدة على ما يمثله موت الفدائي . ففي موت الفدائي حياة اخرى للمخيم ، وليس مجرد انكسار فردي لشخص ما . وهكذا : ان في موت الفدائي ، واستئناف رفاقه القتال واختيار ابنة المخيم للسلاح ، ما يجعل هذا العرس بشارة قتال . على هامش ذلك لا بد من ايراد ملاحظات : * لم يكن اختيار المؤلف لاهالي المخيم مادة بشرية لروايته ، صدفة فنية . فخلف هذا الاختيار تكمن قناعة المؤلف العميقة والاصيلة بأن هذا القطاع من الفلسطينيين هو مادة الثورة الان ، كما كان

ولكنه لم يستطع الاجتمـــاع بقائد قوات الجيش الاسرائيلي في القطاع العقيد م. ابيرام لتغييبه من هناك ! وقدم الضابط الكبير تقريرا الى رئيس هيئة الاركان اعترف فيه « بأنه ارتكبت بعض الاعمال المشينة»، وحاول الصاق تلك الاعمال «بوحدة معينة من حرس الحدود»مع ان التقارير وبعض الصحف ذكرت « ان الفظائـــع التي ارتكبت في القطـــاع لا تقتصر على وحدة معينة او سلاح معين » بل « قامت بها الى جانب حرس الحدود ، وحدات اخرى من الجيش الاسرائيلـــي » . وقد قدمت السلطات الاسرائيلية بعد تقرير « الضابط الكبير » عددا من الضباط والجنود امام محكمة تاديبية ، في محاولة مسرحية لاسدال الستار على تلك الفظائع، كما سمحت للصحفيين الاسرائيليين بزيارة القطاع ، بعد ان دعت الصحف الحكومة الاسرائيلية ان تسمع صوتها ازاء « الشائعات » وان تسمح لمندوبيها بزيارة القطاع للتحري عن صحة تلك الشائعات . وبالفعل توجهت مجموعة من الصحفيين الاسرائيليين الى مخيم الشاطىء ، الذي فرض عليه نظام منع التجول من ٣ يناير حتى ٢ فبراير . وقـد تبين للصحفيين الاسرائيليين ان اقل ما يمكن ان يقال عن تلك « الشائعات » انها مطابقة للحقيقة المرة. فقد ذكر مراسل صحيفة معاريف (٧١/٢/٢) ما يلي بعد زيارته لمخيم الشاطىء :

ضرب الاطفال : « تقدمت امرأة تناهز العشرين من عمرها وهي تحمل طفلها البالغ من العمر ثمانية اشهر وقـــالت : لقـــد ضرب الجنود هذا الطفل على رأسه ! » . « وفي نفس الوقت قدمت ثلاث نساء وهن يحملن اطفالهن الصغار واعدن ما أفضت به المرأة من قيام الجنود بضرب اطفالهن » . **ضرب الرجال والنساء والفتيان** : « كل واحد في المخيم كان يقول للصحفيين : لقد ضربنا الجنود وسلبوا نقودنا ، وسرقوا الساعات والاشياء الثمينة » . **السرقة** : « قالت امرأة من نفس المخيم : سرقوا من بيتي ٢٠٠ ليرة اسرائيلية ، وقالت ثانية لقد سرقوا مني ٣٠٠ ليرة وقالت ثالثة : لقد سرقوا ٢٠ ليرة ... » **الاعتداء على الاعـــراض** : « قالت احدى الفتيات انهم كانوا خلال التفتيش والسلب يفتشون ملابس النساء التي يرتدينها ، وانهم نزعوا بنطلونها عن جسدها » . **سرقة الاشياء الخفيفـــة والثمينة** : « كثير من النسوة ذكرن امام الصحفيين انهم نزعوا اقراطهن ، وســـــلبوا ساعاتهن » .

قص شعر النساء : « قال الكثيرون ان الجنود اقدموا على قص شعر النساء » !!

ومن بين الوسائل الاخرى التي اتبعتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في القطاع ، بغرض حسر ظل العمل الفدائي هناك ، اقامة « معسكر اداري » في سيناء في شهر يناير ١٩٧١ ويضم هذا المعسكر ١٦٠ من ابناء القطاع ، كما اتبعت اسلوب النفي بحق عائلات الفدائيين ، حيث قامت مؤخرا بنفي ٢٧ عائلة من سكان القطاع الى سيناء، في اماكن اعدت خصيصا لتلك العائلات . وكذلك اسلوب الابعاد الى الضفة الشرقية من الاردن ، الذي مارستـــه السلطات الاسرائيلية في الماضي ولا زالت تمارسه حتى الان ضد ابناء القطاع ، هذا فضلا عن زج من تشتبه بهم بالسجون والمعتقلات . وقد اعترفت السلطات الاسرائيلية ان قوات الامن اودعت في السجون الاسرائيلية خلال عـــام ١٩٧٠ ، ١٢٢٧ شخصا من سكان القطاع بتهمة الاتصال بالمنظمات الفدائية او الانتماء اليها او القيام بأعمال فدائية . بيد ان السؤال الذي يفـــرض نفسه هو : هـــل استطاعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي في حملـــة فبراير ، تطويق المقاومة الفلسطينية في القطاع ، وجعلها تمر في « مرحلة انحســار » كما فعلت القوى المضادة للثورة الفلسطينية خارج المناطق المحتلة ؟ ان الجواب على ذلك لا . اذ ان العملية الكبيرة التي قامت بها وحدات حرس الحدود مع وحدات اخرى من الجيش الاسرائيلـــي لم تستطع اخماد جذوة النضال لحركة المقاومة في القطاع ، كما انها لم تتمكن من ارغامها على المرور «بمرحلة انحسار» كما فعلت القوى المضادة للثورة خـــارج المناطق المحتلة . ويعود ذلك الى عدة أسباب اهمها : **السرية التامة لنشاط المقاومـــة هناك ، والتنظيم القوي ، وعدم التهاون مع الذين يتعاونون مع العدو .**

يقول « ايلي لنداو » المراسل العسكري لصحيفة معاريف بعد فشل حملة فبراير (معاريف ٧١/٢/٥): « ان نشاط المنظمات التخريبية يتسم بالسرية بكل ما تعنيه الكلمة من معان . فعندما يتواجدون في المخيمات ، تكون لديهم شبكة تحذير ، لتنذرهم من نشاط عسكري ... وعندما يقوم الجيش بتفتيش المنطقة ، فان شبكة التحذير تعمـــل بشكل يثير الدهشة . ولذلك من الصعب الوصول الى الاماكن التي يتواجد بها المخربون الا بعد عملية استخبارية

بواسطة القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » وقائمة « همولام هزيه » . وسنورد هنا جزءا من النقاش الذي دار في الكنيست حول اعمال حرس الحدود كما جاء في الصحف العبرية :

« مئير فلنر (راكاح) : في هذا الوقت تنفذ اعمال ارهابية في قطاع غزة باطلاق النار على النساء والاطفال .

فلنر مواصلا كلامه : لقد ادخلوا الى القطاع حرس الحدود الذي يرتكب الان فظائع ، يرفض ان يرتكبها الجنود .

مردخاي سركيس (التجمع العمالي) : انك تحرض. انك تعيش هنا بفضل حرس الحدود . كان ينبغي عليهم ان يدعوك بأيدي عرب غزة .

توفيق طوبي (راكاح): لا تتستروا على الحقيقة .

عوزي فاينرمان (التجمع العمالي) : على اية حقيقة تتكلم ؟ حقيقة على غرار موسكو .

فلنر : ان الاسرائيليين الموجودين في القطاع يتبرأون من اعمال حرس الحدود هناك . ان هذا انتهاك خطير لوثيقة جنيف .

فاينرمان : انك لا تمتلك الحق في تحقير جنود جيش الدفاع الاسرائيلي .

فلنر : ينبغي تعيين لجنة برلمانية تخرج على الفور الى القطاع لتوقف اعمال الارهاب هناك . ان ما يرتكب هناك الان عار .

فاينرمان : ان العار ما نسمعه من فمك هذا اليوم.

اوري افنيري (همولام هزيه) : ان رجال حرس الحدود يقومون الان بضرب المارة في الشوارع...»

وفي الوقت الذي فرضت فيه السلطات الاسرائيلية ستارا من الكتمان حول حملتها العسكرية ضد السكان في القطاع ، واثناء تصدي نوابها لفئات المعارضة في الكنيست ، وزع مجهولون — وصفوا انفسهم بانهم شاهدو عيان ومن ضباط الجيش الاسرائيلي — تقريرا حول « الفظائع » التي ارتكبت في القطاع ، للصحافة الاسرائيلية . وقد ذكرت هذه الصحف نقتا منه : ١ — « التنكيل بالسكان رجالا ونساء . فقد خلعوا ملابس الرجال وضربوهم بالاسواط على افخاذهم . كما خلعوا ملابس كثير من النساء وسط الشارع بغرض التفتيش . وسرق الجنود الساعات والمجوهرات من الخاضعين للتفتيش . ٢ — اشتكت ممرضات مستشفيات غزة، من ان رجال حرس الحدود ارغموهن على خلع ملابسهن وهن مسافرات داخل الباص الى عملهن، بغرض التفتيش . ٣ — اقيم بالقرب من شاطىء غزة معتقل كبير للسكان الخاضعين للتحقيق وقد اتبعت ضدهم وسائل التعذيب المختلفة » .

بعد تسرب انباء الفظائع التي ارتكبت في القطاع على ايدي رجال حرس الحدود وقوات الامن اخذت الصحافة الاسرائيلية تشك في صحتها ، وتوحي بأنها انباء مبالغ فيها ، وطالبت تلك الصحف الحكومة الاسرائيلية ان تقطع حبل الصمت ازاء هذه « الشائعات » التي من شأنها ان تمس «طهارة السلاح الاسرائيلي » التي دابت وسائل الاعلام الاسرائيلية بالاضافة الى الموجهين لمجريات الامور في اسرائيل على ترديد هذه « الطهارة » حتى اصبحت امرا مفروغا منه بالنسبة للاشخاص العاديين في اسرائيل . الا ان صمت المسؤولين الاسرائيليين عن تلك الاعمال المشينة كان له ما يبرره ، فهم المسؤولون اولا واخيرا عما ترتكبه تلك القوات خاصة وان وزير الدفاع موشيه ديان كان قد ابتدع سياسة العقوبات الجماعية سابقا ، بتأييد من رئيسة الوزراء غولدا مئير ، وطبقت تلك السياسة في مناسبات عدة ، وفي اماكن مختلفة من المناطق العربية المحتلة . ولكن هؤلاء المسؤولين وجدوا انفسهم ، بعد تلقي رسالة من قبل اربعة جنود من سلاح الناحال ، حول الفظائع التي ترتكب في القطاع ، وبعد تسرب الانباء حول ما يجري في القطاع الى داخل اسرائيل ، وما احدثته تلك الانباء من سخط واستياء بين اوساط اليسار الاسرائيلي الجديد (سيح) وبين صفوف كتلة همولام هزيه والقائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (متسبين) وبين اوساط اخرى مستنيرة ، حيث بدأت هذه التيارات بشن حملة عنيفة ومركزة ضد تلك الفظائع ، عند ذاك فقط وجد المسؤولون الاسرائيليون انفسهم مضطرين الى قطع حبل الصمت ، والاعتراف بأن بعض الجنود قد « تجاوزوا بعض الصلاحيات » .

ومن اجل اسدال الستار عن تلك الاعمال ، وابعاد الشبهة عن المسؤولين عن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، وللابقاء على صورة « طهارة السلاح الاسرائيلي» نقية نظيفة في مخيلة الانسان الاسرائيلي العادي ، عين رئيس هيئة الاركان حاييم بارليف « ضابطا كبيرا » لفحص الشكاوى التي قدمت له حول تصرف جنود الجيش الاسرائيلي في قطاع غزة. وبالفعل توجه « الضابط الكبير » الى غزة ، واجتمع مع عدد من ضباط الجيش الاسرائيلي في القطاع ،

(٥) المناطق المحتلة

قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلية خلال شهر فبراير ١٩٧٠ بحملة عسكرية كبيرة ، في محاولة منها لتصفية المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة . وقد سبق هذه الحملة عدة محاولات قامت بها قوات الامن ووحدات من الجيش الاسرائيلي للحد من النشاط الفدائي في المنطقة ، وكانت النتائج المتمخضة عن تلك المحاولات تأتي دائما بعكس ما تصبو اليه قوات الاحتلال . غير ان حملة فبراير الكبيرة تختلف عن المحاولات السابقة من حيث الحجم والفظائع التي ارتكبت بها، كما وانها جاءت خلال « مرحلة الانحسار » التي تمر بها المقاومة الفلسطينية خارج المناطق المحتلة ، على امل ان تزج المقاومة في القطاع ، هي الاخرى ، في « مرحلة الانحسار » تلك تمهيدا للقضاء عليها. ولعل ابرز الدوافع التي تقف وراء حملة فبراير تتمثل فيما يلي : اولا : بروز المقاومة الفلسطينية في القطاع وتصاعد قواها يوما بعد يوم واستقطابها للجماهير العربية هناك . وتتمثل تلك المقاومة في جيش التحرير الفلسطيني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وفتح . ثانيا : عدم ظهور قيادة تقليدية في القطاع تجرؤ على التعاون مع قوات الاحتلال . يقول الصحفي الاسرائيلي عزرا يانوب (معاريف ٧١/١/٢٨) « خلال الاعوام الثلاثة والنصف الماضية وحتى الان ، كان كل مندوب ومتحدث باسم السلطات الاسرائيلية يعلن انه لا يوجد في القطاع من نتحدث معه ، لعدم وجود قيادة طبيعية مثل الضفة » . ثالثا : فشل الحكم الاسرائيلي في القطاع في فرض هيمنته وسيطرته على سكان القطاع . وقد عبر عن ذلك المراسل العسكري لصحيفة معاريف (٧١/١/٢٨) حين قال : « ليس غريبا ان يصل المسؤولون عن السياسة الاسرائيلية في القطاع الى استنتاج بأن السيطرة الاسرائيلية في الظروف الحالية في قطاع غزة ، تبدو كأنها كانت رمزية » .

مهدت السلطات الاسرائيلية لحملتها العسكرية التي تخللتها « اعمال مشينة » بالاكثار من الحديث حول « الاعمال الارهابية التي يقوم بها المخربون في القطاع » وحول « المآسي » التي تجري في غياب الحكم ، و« الفوضى » التي تعم القطاع . وكان وزير الدفاع موشيه ديان ، اول من ألمح الى اتباع سياسة العنف تجاه سكان القطاع حين قال « ان جنودا في غزة لم ينفذوا الاوامر ، ولم يردوا على مصادر النيران باتجاه المخربين الذين هاجموهم ، او باتجاه الذين يلقون القنابل ، لان هؤلاء تستروا داخل الجماهير ولم يقبل الجنود مس الابرياء » . وهذا هو اول تصريح لمسؤول اسرائيلي يلمح فيه الى احتمال اعادة تطبيق سياسة « العقاب الجماعي » .

ثم تلت هذا التصريح خطوة اخرى ، تمثلت باقالة رئيس بلدية غزة ، رجب العلمي ، واعضاء مجلس البلدية ، بحجة ان رئيس البلدية مؤيد للاعمال الفدائية ، ولافساح المجال امام الجهاز العسكري الاسرائيلي لينفرد بادارة القطاع بالشكل الذي يرتأيه . وتبعت ذلك ، دعوة صريحة من الصحافة الاسرائيلية الى القيام بعملية حاسمة لتصفية العمل الفدائي في القطاع ، اسوة بعمليات التصفية التي تمارس ضد العمل الفدائي في الاردن. فقد اشادت صحيفة معاريف (٧١/١/١١) في مقال افتتاحي لها بأعمال واساليب التصفية المتبعة في الاردن ضد المنظمات الفدائية ، التي من شأنها ان « تصفي دولة المخربين هناك » وتساءلت في نهاية افتتاحيتها « هل لنا ان ننقل قليلا من اساليب الحرب التي يتبعها الملك الاردني ضد المخربين في الاردن ، الى قطاع غزة » !!

ومن أجل القيام بعملية ارهابية كبيرة ، رأت السلطات الاسرائيلية ان خير من يقوم بها سلاح حرس الحدود ، الذي كان قد اقترف مشية حملة السويس عام ١٩٥٦ مجزرة رهيبة في كفرقاسم ذهب ضحيتها حوالي ٥٠ شخصا من سكان القرية الامنين. وبالفعل قامت السلطات الاسرائيلية بزج وحدات من حرس الحدود في القطاع ، بالاضافة الى الوحدات العسكرية الاخرى المتواجدة هناك ، وفرضت نظام منع التجول على المخيمات ، واخذت هذه الوحدات تقوم بتفتيشها بيتا بيتا ، وترتكب « فظائع » و« اعمالا مشينة » ، في الوقت الذي احكمت فيه السلطات الاسرائيلية الباب امام تسرب الانباء عما يجري هناك . الا ان اخبار تلك « الفظائع » اخذت تتردد على الالسن في اسرائيل همسا ، ثم انطلقت من فوق منصة الكنيست جهارا

رافي ، والمباي كان اقواها وأكبرها] ، الى التبسيط فيما يتعلق بانتخاب المؤسسات المركزية ، والى مزيد من الديمقراطية فيما يتعلق باختيار الحكومة ، والى اعطاء وزن أكبر للحلقات الفكرية واتجاهات معينة على حساب الفروع .

اما بشأن اختيار رئيسة الحكومة واعضائها فيتمثل التجديد الاساسي في مسودة الدستور بأن يكون الاقتراع لاختيار رئيسة الحكومة [ومؤسسات الحزب المركزية] سريا دائما وان يكون للمركز ، لدى عرض قائمة الوزراء عليه ، الحق في المناقشة الفعلية واجراء تعديلات وتغييرات في القائمة ان ارتؤي ذلك .

وكان المظهر الثاني البارز من النشاط الداخلي لحزب العمل بمناسبة قرب انعقاد مؤتمره هو الاتفاق على طريقة تركيب اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحزب ، التي ستنقلب الى لجنة دائمة تؤثر تأثيرا كبيرا على مناقشات المؤتمر وقراراته . وبرز بشكل واضح في النقاشات التي دارت بصدد تركيب اللجنة ان الكتل الثلاث التي يتكون منها الحزب أبعد ما تكون عن الذوبان .

ان نواة اللجنة الدائمة لمؤتمر الحزب تتكون من الـ (٢٦) عضوا الذين يشكلون لجنة الدستور المذكورة اعلاه التي وضعت مسودة الدستور المقترح ، اما اللجنة بكاملها فمن المفروض ان تتكون من (١٠١) عضو . وقد ثار الخلاف حول كيفية انتقاء الـ (٧٥) عضوا الباقين في اللجنة القادمة . ان اللجنة الحالية التي شكلت قبل فترة طويلة قائمة على أساس كتلوي بحيث تتمثل المباي سابقا بنسبة ٥٦ ٪ ، ويتمثل كل من احدوت هعفودا ورافي سابقا بنسبة ٢١،٥ ٪ لكل منهما . ولدى بحث موضوع الاضافة للجنة القادمة في سكرتارية الحزب اقترح ممثل رافي استخدام نفس المعايير للاضافة ، واقترح ممثل احدوت هعفودا ترك الموضوع للجنة تعيينات مركزية ، بينما اقترح ممثلو المباي انتخاب الاعضاء من قبل الفروع قائلين بأن اللجنة الدائمة هي جزء من المؤتمر ويجب ان تعكس « الحقيقة » بأن حقبة التكتلات قد انتهت . وكحل تسوية اقترح اريبه الياب ، سكرتير الحزب ومن المباي سابقا ، أن يتم انتخاب (٥٠) عضوا من الـ (٧٥) من قوائم الفروع و(٢٥) عضوا من قائمة مركزية ، وقبل اقتراحه بالاجماع في السكرتارية . ولكن ممثل رافي سابقا ، الذي اثبتت الانتخابات لمؤتمر الحزب ان قوة حزبه (واحدوت هعفودا ايضا) في الفروع اقل بكثير من قوة المباي سابقا ، عاد وأصر على اقتراحه السابق . ولبت الموضوع عقد موتمو اتفاقية التوحيد بين الاحزاب الثلاثة جلسة صاخبة كانت نتيجتها العودة من جديد للقبول باقتراح السكرتير العام للحزب . ويذكر ان ممثلي حزبي رافي واحدوت هعفودا سابقا يصرون دوما على تأكيد دور المركز ويعارضون زيادة دور الفروع خشية من ان تضيع هويتهم ونفوذهم القائم في الحزب، والمرتكز الى تمثيل في المؤسسات المركزية (بموجب اتفاق التوحيد) يعطيهم نسبة اكبر مما يستحقونه اذا اخذت قوتهم في الفروع كمقياس وحيد .

— حيروت : اقر مركز حركة حيروت في ١٩٧١/١/٧ تشكيل الادارة الجديدة للحركة التي جاءت لاول مرة في تاريخها مكونة من (٢٨) عضوا بعد ان كان عددها في المرات السابقة لا يتجاوز الـ (١٣) عضوا . واظهر تركيب الادارة الحالية الواسع ان عيزر وايزمن ، الرئيس الجديد المنتخب لادارة حركة حيروت ، قد قرر السير بحذر في محاولته لعصرنة الحركة وجعلها تهتم أكثر بالمشاكل الحقيقية الراهنة . اذ ان الادارة الجديدة تتكون من كل الـ (١٣) عضوا الذين كانوا يشكلون الادارة القديمة ، وقد تم ضمهم بناء على طلب رئيس الحركة مناحيم بيجن ، ومن (١٥) عضوا آخرين اضافهم وايزمن . وقد كان المراقبون السياسيون في تل ابيب قد توقعوا لدى انتخاب رجل الجيش السابق عيزر وايزمن لرئاسة ادارة الحركة في اواخر العام الماضي ان يقوم بتغييرات جذرية في حركة حيروت بعد انتخابه . ولكن الذي يبدو هو ان توقعاتهم لم تصدق، واثبت « الحرس القديم »، الذي يضع التأكيد على المسائل السياسية قبل الاقتصادية والاجتماعية ، انه ما زال غير مستعد للتخلي عن زمام الامور . وتاكد هذا ايضا في تعيين ايتان لبني ، من أبرز ممثلي القيادة القديمة ، في منصب نائب رئيس الادارة .

أحمد خليفة

فبراير معارضتها للبناء مسجلة ان احد العوامل الرئيسية لسحبها لمعارضتها هو النقد الموجه له في الولايات المتحدة .

الاحزاب : كانت تغطية الصحف الاسرائيلية لنشاطات الاحزاب في الشهرين الاولين من العام الحالي خالية من الاثارة الا فيما يتعلق بالخلاف الذي حصل في هعولام هزه . وابرز ما حصل على صعيد نشاطات الاحزاب ، اضافة للخلاف المذكور، استمرار التحضير لمؤتمر حزب العمل القادم ، وتشكيل الادارة الجديدة لحركة حيروت .

— هعولام هزه : عاشت كتلة هعولام هزه (قوة جديدة) التي يرأسها اوري افنيري والمسماة على اسم مجلتها الاسبوعية ، ازمة عنيفة في فبراير كانت محل شماتة الكثيرين من المعلقين والساسة الاسرائيليين ، وكان ذلك رد فعل طبيعي تجاه الخلاف في الكتلة التي يرأسها العضو الاكثر شغبا في الكنيست ، ومجلته التي تخصصت في اثارة الفضائح السياسية والاجتماعية ولسعت بانتقاداتها على مر السنوات المؤسسات القائمة ودافعت بين حين واخر عن « الحقوق المدنية » لعرب الارض المحتلة . وقد كان سبب الازمة الخلاف الذي نشب فجأة ، لاسباب شخصية ، بين رئيس الكتلة افنيري والشخص الثاني فيها شالوم كوهن .

وفي اجتماع مركز الكتلة الذي عقد يوم ١٩٧١/٢/٤ في تل ابيب لبحث الخلاف هاجم كوهن افنيري متهما اياه بالدكتاتورية وتنمية عبادة الشخصية ، وبانه يصر على لعب كل الادوار الرئيسية وادارة المناقشات الهامة للكتلة المؤلفة من عضوين في الكنيست تاركا لشالوم كوهن ، العضو الثاني، الامور الثانوية والهامشية . كما هاجم ايضا سكرتير الكتلة امنون زخروني الذي اعتبره تابعا يخدم مصالح افنيري وطموحاته اكثر مما يخدم الكتلة . ومن ثم اقترح تغيير اسم الكتلة من « هعولام هزه » الى « الحزب الديمقراطي » لان الاسم الاول مربوط بافنيري اكثر مما هو مربوط باهداف الكتلة ، كما اقترح تعيين لجنة ادارة للكتلة في الكنيست من خمسة اشخاص (بينهم افنيري وكوهن) تقوم اسبوعيا برسم سياسة الكتلة تجاه القضايا المطروحة وتقرير الادوار . وقد رد افنيري على كوهن متهما اياه بافتعال الخلاف ونقله الى الصحف والتهجم عليه شخصيا لان كوهن في الحقيقة لا يريد التخلي عن منصب عضو الكنيست في الصيف القادم لسكرتير الكتلة كما كان وعد لجنة التعيين التي قررت ترشيحه على أساس ان يحتل المقعد نصف المدة ويحتل المقعد في السنتين التاليتين زخروني . واستنكر افنيري التصريح الذي ادلى به كوهن للصحفيين وقال فيه ان افنيري عرض عليه مبلغ ربع مليون ليرة اسرائيلية للتخلي عن مقعده في الكنيست وعن حصته في مجلة هعولام هزه التي يملك ٥٠ ٪ من اسهمها ، واوضح افنيري ان العرض الذي قدم لكوهن كان يمس المجلة وليس مقعد الكنيست، وأن الذين قدموه فعلوا ذلك بدون علمه . وناشد افنيري كوهن باحترام وعده والاستقالة في الصيف القادم ليفسح مجالا لزخروني للحلول محله. وفي النهاية طرح على التصويت تجديد الثقة به كرئيس للكتلة في الكنيست ورئيس للحركة ، وكذلك فعل امنون زرخوني الذي طرح على التصويت تجديد الثقة به كسكرتير للكتلة والحركة .

ولدى التصويت ايدت اغلبية اعضاء الحركة الساحقة افنيري ، وصدر قرار بتشكيل لجنة مكونة من ٥ اشخاص للتهدئة وحل الخلافات . وقد اعلن كوهن بعد التصويت أنه لن يتخلى عن مقعده في الكنيست لزخروني « لضمان بقاء الاتجاهات في الكتلة ممثلة » . وبعد اسبوعين او اكثر قليلا من هذا الاجتماع توصل افنيري وكوهن فيما يتعلق بمجلة « هعولام هزه » الى اتفاق بأن يتخلى كوهن عن حصته فيها مقابل ما قيمته ٢٠٠ الف ليرة اسرائيلية ، وصرح كوهن بانه اعتبارا من أول ابريل سيصدر مجلة يطرح فيها آراءه .

— حزب العمل : استمر النشاط الداخلي في حزب العمل استعدادا لمؤتمر الحزب القادم الذي تقرر عقده بين ٤ — ٦ فبراير . وقد كان من أبرز مظاهر هذا النشاط انتهاء اللجنة الخاصة التي شكلها الحزب برئاسة عضو الكنيست يسرائيل يشعياهو لاعداد مسودة دستور للحزب من عملها. وتحدد المسودة ، التي تقع في ٣٦ صفحة فيما تحدده كيفية اختيار رئيس الحكومة واعضاء حكومته وكيفية انتخاب المؤسسات المركزية للحزب .وتتجه الخطوط العامة لمسودة الدستور التي ستعرض للبحث في المؤتمر القادم ، مقارنة بدستور المباي سابقا [ومن المعروف أن حزب العمل يتكون من اتحاد الاحزاب الثلاثة : ماباي ، أحدوت هعفودا،

ويقول عنه تيدي كوليك ، رئيس بلديـــة القدس اليهودية ، انه يتسلق التلال تلة بعد تلة ولا يرى أمامه الا مساكن ولا يرى ضرورة انسجام المساكن المبنية مع مخططات المدن واحتياجاتها . وقد كانت جرافات وزير الاسكان هذا في فبراير مـــن العام الحالي مثار الجدل ، الذي ترددت اصداؤه ، ليس فقط في اسرائيل وانما في عواصم العرب والعالم والامم المتحدة ، لانهـــا تطاولت هذه المرة على القدس . ولكن الجدل ما لبث ان خبا بسرعة ، وبقي من اثاره الاوراق التـــي حملته والمذكرات الماجزة التي استثارها ، وبقيت الجرافات تعمل هادئة احاطة القدس بقوس من الضواحي اليهودية في محاولة من حكومة اسرائيل لفرض وقائع جديدة تطوق احتمالات حل سلمي ، او ضغط دولي لفرض الحل .

دار الجدل داخل اسرائيل بشكل اساسي بين بلدية القدس اليهودية ووزارة الاسكان حول مشروعات الاخيرة لبنـــاء ضاحية يهوديـــة في مرتفعات النبي صموئيل على بعد ١٠ كم شمال غرب القدس ، كجزء من مخطط يشمل اضافة لها بناء ثلاث ضواح اخرى واحدة منها في منطقـــة بيت صفافا جنوبي القدس ، والثانية في منطقة «قصر المندوب السامي» في المكبر الى الجنوب منها ، والثالثة في منطقة النبي يعقوب على طريق مطار قلنديه . وكان اعتراض بلدية القدس نابعا من كون المخطط المذكور مخالفا للمخطط الهيكلي الذي وضعته لجنة شكلتها البلدية وانفقت في وضعه اموالا طائلة وسنوات من الجهد والعمل ـــ مخالفا له من حيث كونه يشوه منظر التلال المحيطة بالمدينة المقدسة ، ومن حيث كونه يلقي على البلدية اعباء مالية لا قبل لها بتحملها حيث سيكون مفروضا شق الطرقات ومد شبكات المياه والكهرباء والمجاري لهذه الضواحي وتقديم الخدمات البلدية لها ، ومن حيث كونه يصرفها عن تطوير المدينة ذاتها وحل المشاكل الاجتماعية المستفحلة فيها . هكذا قـــال رئيس البلدية ، وهكذا قـــال انصاره الذين قالوا انهم يدعمون وجهة نظره لانه يريد ان يحتفظ للقدس بطابعها التاريخي وبصفتها كمدينة « جميلة » .

ضد هذه النظرة طلع وزيـــر الاسكان الاسرائيلي ليقول في مؤتمر صحفي عقده بتاريخ ١٩٧١/٢/١٥ ان « القدس ، كعاصمة لشعب اسرائيل ودولة اسرائيل (!) ، يجب ان تكون قبل كل شيء يهودية، وهذا يقف بالنسبة الي على رأس سلم الاولويات . ومن اجل تحقيق ذلك علينا ان نعمل ونعمل ونعمل»، وليعلن ان هناك مخططا وضعته الوزارة لبناء (٢١) الف وحدة سكن تتسع لـــ (٦٥) الف ساكن تتوزع كما يلي : ١٠،٠٠٠ في مرتفعات النبي صموئيل تتسع لـــ ٣٢،٠٠٠ ساكن ، ٣٠٠٠ في منطقـــة قصر المندوب تتسع لـــ ١٠،٠٠٠ ساكن ، ٦٥٠٠ في منطقة بيت صفافا تتسع لـــ ٢٠،٠٠٠ ساكن ، و١٧٠٠ في النبي يعقوب تتسع لـــ ٤،٥٠٠ ساكن، وفي صدد حملته على المخطط الهيكلي اعلن وزيـــر الاسكان ان المخطط يفتح مجالا لاستيعاب ٤ ٪ سنويا فقط من المهاجرين الجدد البالـــغ عددهم حسب التقديـــرات بـــين ٤٠ ـــ ٦٠ الف مهاجر في العام ، بينما تخطط وزارة الاسكان لاستيعاب ١٠ ـــ ١٥ ٪ من المهاجرين سنويا في القـــدس ، بحيث يصل عدد سكانها اليهود في عام ١٩٧٥ الى ٢٧٥ الف نسمة ، ليضمنوا بقاء « أغلبية يهودية في القدس الى ابد الابدين » على حد قوله . وعندما سأله احد الصحفيين لماذا تأخر في الرد على حملات معارضيه اجاب وزير الاسكان بقوله « هناك صدى للاشياء التي تقال عن القـــدس ولقد خشيت من هذا الصدى ، كانت هناك أسباب منعتني من التكلم ... أسباب سياسية دولية» . ولم يتأخر فعلا هذا الصدى ، وثارت ثائرة الدول العربية اثر المؤتمر ، وارسلت الجمهورية المتحدة والاردن مذكرة الى الامين العام للامم المتحـــدة تطالبه فيها بالتحرك لايقـــاف العمل في بنـــاء المساكن ، وطلب الامين العام من اسرائيل ايقاف العمل في الحفر والبناء في الضواحي بشكل عام وفي منطقة قصر المندوب (مقر هيئة الرقـــابة الدولية) بشكل خاص ، ورفضت اسرائيل كالعادة الطلب ، وظل العمل مستمرا .

وادلى روبرت ماكلوسكي ، الناطق بلسان وزارة الخارجية الاميركية بتصريح قال فيه : « الى ان يتم التوصل الى حل لمشكلة القدس ، التي هي موضوع للمفاوضات ، فان رأينا هو أنه لا يمكن قبول اي عمل من طرف واحد يمكن اعتبـــاره كتغيير لوضع المدينة » ، وهاجمت النيويـــورك تايمز وعدد من الصحف الاميركية مخطط وزارة الاسكان وطالبت بالكف عن العمل فيه . وكانت النتيجة الوحيدة لكل هذا أن الغت بلدية القدس في اجتماعها المنعقد في الاسبوع الاخير من شهر

وانسحاب القوات الاسرائيلية الى مكان حدده لاحقا بانه يقع الى ما وراء العريش كخطوة اولى في تحقيق الحل السلمي وفق جدول زمني لتنفيذ بقية البنود يتفق عليه . ان رئيسة الحكومة الاسرائيلية رات في اقتراح السادات محاولة « لتحقيق انسحاب قوات اسرائيل قبل حل المشكلة الاساسية... وهي الوصول الى اتفاق سلام » بينما راى فيه ايغال الون محاولة مصرية « للخلاص من خط بارليف بوسائل سياسية ». الا ان الحكومة الاسرائيلية ، مع ذلك ، لم ترفض الاقتراح ، واعلنت غولدا مئير في بيانها الذي نستند اليه للكنيست ان « المستور في اقتراح السادات اكثر من المعلوم» وان اسرائيل، على اية حال ، على استعداد للبحث فيه ولكن دون ربط ذلك بانسحاب القوات الاسرائيلية وعلى شرط ان تمر سفن اسرائيل وشحناتها في القناة في حالة فتحها .

تبقى نقطة اخيرة وهي الموقف من وقف اطلاق النار ونقول فيه بايجاز ان اسرائيل ظلت تشدد على ضرورة وقف اطلاق النار لفترة غير محدودة . وبذكر هذه النقطة نكون قد استكملنا عرض أساسيات الموقف الاسرائيلي لننتقل منه الى عرض اساسيات الموقف العربي ، بالمقابل ، باختصار شديد .

اساسيات الموقف العربي حول: اولا جوهر السلام — غير واضح بعد ، والذي وضح منه هو استعداد الجمهورية العربية المتحدة لانهاء حالة الحرب ومترتباتها والاعتراف باسرائيل وتوقيع معاهدة سلام معها . ثانيا الانسحاب — واضح ويقضي بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي المحتلة. ثالثا المفاوضات وسلم الاولويات — تطالب الجمهورية المتحدة اسرائيل باعلان موقفها الواضح من الانسحاب والحدود اولا ومن ثم يمكن البحث في بقية المواضيع ، ويتم تنفيذ ما يتفق عليه على مراحل وفق جدول زمني يتقرر بالاتفاق مع الاطراف المعنية. رابعا الجهود الدولية ومهمة يارنغ — تفضل الجمهورية المتحدة فرض حل على اسرائيل بواسطة مجلس الامن وتعتبر ان الضمانات الدولية وقوات الطوارىء يمكن ان تشكل ضمانا كافيا لامن اسرائيل، واستقبلت بترحاب مبادرة يارنغ. خامسا حقوق الشعب الفلسطيني — تفضل الجمهورية العربية المتحدة ترك الموضوع لشعب فلسطين . سادسا فتح القناة — ما زال باكرا بعد تحديد مقاصد الجمهورية المتحدة من الاقتراح . واخيرا ترفض الجمهورية المتحدة تمديد وقف اطلاق النار لمدة غير محدودة قبل التاكد من استعداد اسرائيل للانسحاب التام وتفحص نواياها بصدد حقوق الشعب الفلسطيني لان وقف اطلاق النار يعني تكريس الوضع الراهن واستمرار اسرائيل في مناوراتها .

بعد هذا العرض الموجز لموقفي الجمهورية العربية واسرائيل المتناقضين في نواح عديدة يطرح نفسه الان السؤال : ماذا كان رد فعل يارنغ تجاههما ؟ ان يارنغ بعد اتصالاته الاولية لا شك اكتشف ان العقدة الاساسية التي تمنع انطلاق المفاوضات تتمثل في الحقيقة في رفض اسرائيل من جهة بحث مسالة الحدود والانسحاب اولا واصرارها على بحث جوهر السلام وشكله قبل كل شيء ، ورفض الجمهورية العربية المتحدة من جهة اخرى بحث موضوع السلام اولا واصرارها على صدور تعهد اسرائيلي بالانسحاب من كل المناطق المحتلة قبل كل شيء . وفي محاولة منه لحل هذه العقدة عمد يارنغ الى ارسال مذكرته المعروفة التي كان القصد منها، كما ذكرت وكالات الانباء، استخلاص التصريح بالنوايا من مصر حول مبدأ الاعتراف وتوقيع معاهدة سلام وانهاء حالة الحرب ومترتباتها (حظر مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس) ومن اسرائيل حول مبدأ الانسحاب التام من الاراضي المصرية .

وردت مصر ، كما لاحظ الامين العام للامم المتحدة في تقريره لمجلس الامن بتاريخ ١٩٧١/٣/٥ ، على المذكرة ايجابيا ، وتجاهلت الحكومة الاسرائيلية الرد مصدرة في ٧١/٢/٢١ بيانا اعلنت فيه : « ان الحكومة الاسرائيلية تكرر موقفها ، كما اكدته الكنيست ، وهو ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط الهدنة التي كانت قائمة في ١٩٦٧/٦/٤ ... وتعتبر ان المحادثات يجب الا تخضع لالتزامات مسبقة » .

وهكذا وجد يارنغ ، وهو بعد في بداية مهمته ، ان المفاوضات تقف امام عقدة لا مجال لحلها ، وفضل العودة الى ممارسة مهامه كسفير لبلده في موسكو ، محملا اسرائيل مسؤولية تجميد مهمته .

ولكن هل تعني عودة يارنغ لموسكو ان مهمة المبعوث الدولي قد انتهت ؟ نستمر تعبير رئيسة الحكومة الاسرائيلية ونقول: ان المستور فيما يجري هذه الايام اكثر من المعلوم .

الجدل حول القدس : يسمي البعض في اسرائيل وزير الاسكان ، زئيف شيرف ، وزير الجرافات .

رئيسة الحكومة الاسرائيلية أوضحت ليارنغ في مستهل جولته ان اسرائيل لن تبحث بالتفصيل في اي من القضايا المتعلقة بالحدود والانسحاب الا بعد ان تتأكد من توفر نية جدية لدى الجانب العربي لتحقيق سلام حقيقي كالسلام القائم بين دول العالم « بدون فصاحات زائدة (!) » — على حد تعبير رئيسة الحكومة كما ينسبه اليها المحرر المذكور . وزيادة على ذلك تورد معريف (عدد ٧١/١/١٠) ان الدوائر السياسية في القدس المحتلة ذكرت ان الحكومة الاسرائيلية ابلغت يارنغ بأن ينقل للجانب المصري عدم استعداد اسرائيل لطرح خارطة الحدود الا في المرحلة التي يجلس فيها المصريون وجها لوجه مع الاسرائيليين لمناقشة الخارطة فيما بينهم مباشرة .

وعندما قام يارنغ في ١٩٧١/٢/٨ بمبادرته المشار اليها اعلاه لاخراج الاتصالات من الحلقة المفرغة التي كانت تدور فيها رأت اسرائيل في هذه المبادرة، فيما رأت ، محاولة لبدء مفاوضات متوازية حول السلام والحدود في آن واحد ، ولذلك سارعت الدوائر السياسية الرسمية في القدس الى التأكيد بأن اسرائيل تصر على سلم الاولويات الذي اقترحته والداعي لبحث جوهر السلام اولا ، ومن ثم ، في مرحلة متأخرة ، يأتي البحث في تفاصيل الحدود والانسحاب .

— الجهود الدولية ومهمة يارنغ : في بيانها للكنيست بتاريخ ١٩٧١/٢/٩ تقول غولدا مئير: « ان مباحثات الدول الاربع الكبرى ... تغرس الوهم في قلوب الحكام العرب بأنه من الممكن تحقيق حل بدون مفاوضات بين العرب واسرائيل . انها لا تساعد على تحقيق السلام بل تجعل الحل أبعد » . وفي نفس البيان تقول حول الضمانات الدولية وقوات الطوارىء : « نسمع اقوالا غامضة عن « ضمانات دولية » و« قوات طوارىء » . ان اسرائيل ترفض اي اتجاه يرى في الضمانات الدولية او قوات الطوارىء مهما كانت الجهة التي تخولها ، بديلا لمعاهدة سلام ملزمة » .

وعندما وافقت الولايات المتحدة على بحث موضوع الضمانات الدولية ضمن نطاق مباحثات الدول الاربع الكبرى في ٥ فبراير الماضي سارعت الحكومة الاسرائيلية الى الطلب من سفير الولايات المتحدة في اسرائيل بأن ينقل الى حكومته معارضة اسرائيل لهذه الخطوة ومطالبتها بأن تعود الولايات المتحدة عنها . وعلى الرغم من ان السفير الاميركي طمأن اسرائيل بأن الولايات المتحدة انما وافقت على ذلك لمجرد تشجيع مصر على تمديد وقف اطلاق النار فان رئيسة الحكومة الاسرائيلية حرصت في بيانها للكنيست على التأكيد بأنها « تنظر بقلق شديد الى استعداد [الولايات المتحدة] للدخول في مفاوضات كهذه ضمن نطاق «الاربع» . »

اما بالنسبة للمبعوث الدولي فان اسرائيل ترى ان مهمته تنحصر في مساعدة الاطراف على التفاوض للوصول الى حل لا اكثر ولا اقل ، وتنكر عليه حقه في القيام بأية مبادرات من عنده .

— حقوق شعب فلسطين : تعليقا على خطاب السادات في ٤ فبراير الذي تحدث فيه عن حقوق شعب فلسطين تقول رئيسة الحكومة في بيانها للكنيست : « ان الرئيس المصري عاد فأكد في خطابه الموقف العربي المعروف — « نظرية المراحل في تنفيذ قرار مجلس الامن » أي انسحاب الجيش الاسرائيلي من كل المناطق الى خطوط الهدنة ، ومن ثم تجسيد حقوق الشعب الفلسطيني . ان هذا الموقف عمليا هو تعبير عن الدعم لمخططات المنظمات التخريبية (!) الهادفة لتصفية دولة اسرائيل ... ان وجهة نظرنا — التي اوضحناها للمبعوث يارنغ وضمناها في وثائقنا — هي ان السلام معناه انتهاء المشكلة العربية — الاسرائيلية انتهاء حاسما وتاما ، بما في ذلك بالطبع ... مشكلة اللاجئين ، ان نظرتنا الى هذه المشكلة هي انها مشكلة انسانية للاجئين،من الحيوي انقاذهم من وضعهم السيىء». اما الفقرة الخاصة باللاجئين في المذكرة النهائية فتنص على ما يلي : « بالنسبة لمسألة اللاجئين وادعاءات الطرفين بهذا الخصوص ، فان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الحكومات المعنية مباشرة حول : ا — دفع تعويض للاراضي والممتلكات المتروكة . ب — المشاركة في التخطيط لاعادة توطين اللاجئين في المنطقة . ومتى تم الاتفاق بين الطرفين على واجباتهما تجاه تسوية قضية اللاجئين لا يعود لاي من الطرفين مطالب من الطرف الآخر تتناقض مع سيادته » .

— فتح القناة : في ٤ فبراير ١٩٧١ ، عشية اليوم السابق لانتهاء موعد تمديد وقف اطلاق النار ، القى السادات خطابا أعلن فيه عن تمديد وقف اطلاق النار ثلاثين يوما اخرى ، وفاجأ اسرائيل والوطن العربي باقتراح يدعو الى فتح قناة السويس

واقتراح السادات بفتح القناة بندين خاصين .

ـ جوهر السلام وشكله : تقول المذكرة الاسرائيلية النهائية : « ان اسرائيل تنظر بارتياح الى اعلان الجمهورية العربية المتحدة عن استعدادها للدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل ... وتود الحكومة الاسرائيلية أن تصرح بأن اتفاقية السلام التي ستعقد بين الجمهورية المتحدة واسرائيل يجب ان تتضمن ـ فيما تتضمنه ـ البنود التالية... [حول التعهدات المصرية] ١ ـ قرار معلن وواضح باعتبار النزاع بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل منتهيا بشكل قاطع وانهاء كافة المطالب وحالات الحرب ... ٢ ـ الاعتراف بـ /واحترام سيادة اسرائيل وسلامتها الاقليمية واستقلالها السياسي . ٣ ـ الاعتراف بـ/واحترام حق اسرائيل في العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها حسبما تتقرر في اتفاقية السلام . ٤ ـ تحمل مسؤولية ضمان عدم وقوع اي عمل حربي ، او عمل عنف ، من قبل أية منظمة ، او جماعة او فرد ، مصدره اراضي الجمهورية العربية المتحدة او يرتكب فيها ، ضد سكان اسرائيل ، وقواتها المسلحة ، او ممتلكاتها . ٥ ـ عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاسرائيل . ٦ ـ تعهد صريح بضمان مرور حر للسفن والشحنات الاسرائيلية عبر قناة السويس. ٧ ـ انهاء الحرب الاقتصادية بكافة مظاهرها بما في ذلك المقاطعة الاقتصادية والتدخل في مجرى العلاقات الدولية الطبيعية لاسرائيل . ٨ ـ عدم انضمام الجمهورية المتحدة لاية أحلاف معادية ضد اسرائيل ومنع عسكرة قوات اطراف اخرى في حالة حرب مع اسرائيل . وعلى اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ان تدخلا في اتفاق سلام يعبر عنها بمعاهدة ملزمة ووفقا للقانون الدولي والسوابق المألوفة » .

ومن أجل استكمال الصورة ، نضيف ما ذكره محرر معريف السياسي (عدد ٧١/١/١٥) من ان رئيسة الحكومة الاسرائيلية اوضحت لبارنغ خلال زيارته لاسرائيل بأن حكومتها ترتأي «الحفاظ على/وتطوير حرية الحركة القائمة الان في المنطقة بشكل عام وفي النطاق الاردني ـ الاسرائيلي بشكل خاص » وما ذكره من ان وزير الخارجية الاسرائيلي شدد على هذه النقطة قائلا للمبعوث الدولي « ان العقل لا يمكن أن يحتمل وضعا يستطيع فيه ابناء الشعبين (الاردني والاسرائيلي) الاختلاط والتعايش والمتاجرة فيما بينهم في زمن الحرب ووقف اطلاق النار ، وينغلقوا على انفسهم بما يشبه الغيتو في زمن السلم » .

ـ الحدود والانسحاب : يجدر قبل ان نسجل الفقرة المتعلقة بهما في المذكرة النهائية ان نذكر ما أورده محرر معريف في العدد المشار اليه اعلاه من الصحيفة. يقول المحرر أن رئيسة الحكومة أوضحت لبارنغ خلال زيارته لاسرائيل انه من الافضل له ان يتجاهل المشروع المسمى «بمشروع روجرز» لان اسرائيل ترفضه من أساسه ، وانها أوضحت له ، أكثر من ذلك ، بأن اسرائيل لا تعتبر نفسها ملزمة حتى « بكتاب التفويض » الذي على اساسه تجددت مهمته ضمن اطار المبادرة الاميركية . ومن المعروف ان مشروع روجرز ، الذي طرحه صاحبه في نهاية عام ١٩٦٩ ، يمثل وجهة نظر الحكومة الاميركية في مسألة الحدود القاضية باجراء « تعديلات طفيفة لاسباب أمنية » فيها ، وان كتاب التفويض يحتوي على نص الفقرة من قرار مجلس الامن (٢٤٢) المتعلقة بالانسحاب ، والتي يفسرها الجانب العربي بأنها تعني الانسحاب من كل المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ .

اما الفقرة حول الانسحاب والحدود في المذكرة الاسرائيلية النهائية فتنص على ما يلي : « انسحاب القوات المسلحة لاسرائيل من خط وقف اطلاق النار بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة الى الحدود الامنة والمعترف بها والمتفق عليها التي سيجري تقريرها في اتفاقية السلام . **ان اسرائيل لن تنسحب الى حدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧** ».ويمكن اعتبار هذه العبارة الاخيرة ، وهي عبارة ترد لاول مرة في المراسلات بين الاطراف المعنية ، بمثابة رد اسرائيلي رسمي غير مباشر على طلب يارنغ الموجه لاسرائيل في ١٩٧١/٢/٨ بالتعهد بالانسحاب من كافة الاراضي المصرية (بما في ذلك بداهة شرم الشيخ) ، ويجب النظر اليها ، لاستكمال صورة الموقف الاسرائيلي بصدد الحدود والانسحاب مقرونة بالتصريح الذي ادلت به غولدا مئير لصحيفة التايمس اللندنية في الاسبوع الثاني من شهر آذار (مارس) الماضي وقالت فيه انه ينبغي على اسرائيل الاحتفاظ بشرم الشيخ والجولان والقدس ويجري تفاوض بشأن الحدود المحيطة بايلات والضفة الغربية للاردن .

ـ المفاوضات/اولويات البحث : يذكر يوسف حريف محرر معريف السياسي (عدد ٧١/١/١٥) ان

(٤) السياسة الاسرائيلية

كان الحدث المركزي في السياسة الاسرائيلية خلال الشهور الثلاثة الاولى للعام الحالي مفاوضات يارنغ . وخلافا لتوقعات البعض لم تحدث اية تفجرات داخل الحكومة الاسرائيلية، او خلاف جدي في وجهات النظر ، حول اي من المواقف الاساسية التي ارتأت الحكومة اتخاذها او التكتيك الواجب اتباعه ، بعكس ما حدث في الفترة التي سبقت عودتها للمفاوضات ، اذ تميزت تلك الفترة بجدل هائل بين اعضاء الحكومة من على المنابر العلنية وصفحات الصحف بشأن العودة اليها . ومثل عاصفة في فنجان ثار جدل بين وزارة الاسكان الاسرائيلية وبلدية القدس اليهودية حول مخطط الوزارة لاحاطة القدس بقوس من الضواحي اليهودية استأثر بالكثير من اهتمام المسؤولين والراي العام . اما على صعيد الحياة الحزبية فلم يحدث شيء متميز باستثناء الانقسام في قيادة كتلة هعولام هزه .

مفاوضات يارنغ : تميزت جولة يارنغ هذه المرة بقصرها ووضوح ما حدث فيها على صعيد جهود المبعوث الدولي . ابتدات الجولة في ٥ يناير الماضي بعد ساعات قليلة من التقرير الذي قدمه او ثانت لمجلس الامن حول الجولة السابقة وانتهت في اواخر آذار (مارس) بقرار المبعوث الدولي بالعودة الى موسكو لاستئناف مهامه كسفير لبلاده لان اسرائيل لم ترد على المذكرة التي وجهها لكل من مصر واسرائيل بتاريخ ٨ فبراير . ويمكن تقسيم جولة يارنغ هذه المرة الى مرحلتين : المرحلة الاولى من ٥ يناير الى ٨ فبراير ١٩٧١ وفيها قام يارنغ باستكشاف وجهات النظر ونقلها الى الاطراف المعنية، وتضمنت زيارته لاسرائيل في الفترة بين ٨ — ١٠ يناير الماضي بناء على دعوة الحكومة الاسرائيلية للاستماع الى وجهة نظرها ، والمرحلة الثانية وفيها قام يارنغ في ٨ فبراير ، لاول مرة ، بمبادرة منه تمثلت في توجيهه الى كل من مصر واسرائيل مذكرة الهدف منها استخلاص تصريح بالنوايا تجاه مسألتي السلام والانسحاب . وقد استقبلت مصر هذه المبادرة بالترحاب وردت عليها ردا ايجابيا ، بينما تجاهلتها اسرائيل معتبرة اياها تجاوزا من قبل يارنغ لصلاحياته ، رغم ان الامين العام للامم المتحدة ووزير الخارجية الاميركي (الذي استأنف يارنغ مهمته ضمن نطاق مبادرته) صرحا انه من حقه بموجب كتاب تفويضه القيام بأية مبادرة يرتأيها لانجاح مهمته. اما على صعيد ما حدث فيها فواضح منه تنازل الجانب العربي تنازلا أساسيا تمثل باعلان الجمهورية العربية المتحدة عن استعدادها للاعتراف باسرائيل وتوقيع معاهدة سلام معها ، وبقاء الجانب الاسرائيلي عند مواقفه السابقة ، وطرح السادات اقتراحا بفتح قناة السويس تشير الانباء حتى لحظة كتابة هذه السطور ، وبعد تجميد يارنغ لجهوده ، الى انه ما زال قيد البحث في القاهرة واسرائيل والمحافل الدولية .

ان عرض الموقف الاسرائيلي كما تم طرحه ليارنغ من خلال التسلسل الزمني للطرح غير ممكن في الحقيقة ، لان الوثائق التي يمكن ان تساعد على تقديم عرض كهذا لم تنشر بعد ، والانباء المتسربة عن المراسلات غير كافية . الا ان الموقف الاسرائيلي حول الاساسيات رغم ذلك واضح ، وهو متضمن في المذكرة التي سلمها يوسف تكواع ليارنغ بتاريخ ١٩٧١/٢/٢٦ ليقوم بايصالها الى الجانب المصري، (نشر نص المذكرة في الجروزالم بوست الاسبوعية ٧١/٣/٩) وفي التصريحات التي كانت تصدر عن المسؤولين الاسرائيليين بين حين وآخر ، وفي البيان الذي القته غولدا مئير في الكنيست بتاريخ ٢/٩/ ١٩٧١ حول الشوط الذي قطعته المفاوضات وموقف الحكومة الاسرائيلية من مفاوضات الدول الاربع الكبرى والاقتراح الداعي لفتح القناة . واعتمادا على هذه المصادر سوف نقوم بتركيب الموقف الاسرائيلي وعرضه بكليته ، وليس عبر تسلسله الزمني ، ومن ثم نعرض بايجاز الموقف العربي لننتقل من ذلك الى تحديد اهمية العامل الذي دفع بيارنغ لتجميد جهوده .

ما هو الموقف الاسرائيلي ولماذا اعتبر يارنغ اسرائيل مسؤولة عن تجميد مهمته ؟ تسهيلا للعرض نجزىء الموقف الاسرائيلي الى البنود التالية : اولا ، السلام — جوهره وشكله ، ثانيا ، الانسحاب والحدود ، ثالثا ، المفاوضات — أولويات البحث رابعا ، الموقف من الجهود الدولية والوسيط الدولي ، ونفرد لمسألة حقوق شعب فلسطين

اطلاق النار مع استمرار السعي لحل الازمة سياسيا ... بالرغم من ذلك لم تطرأ على الموقف الدولي اية تطورات ايجابية في صالح التسوية مما حدا بالدكتور يارينغ الى مغادرة نيويورك والتوجه الى مقر عمله الرسمي في موسكو . وفي ٢/٤/ ١٩٧١ وزعت « وكالة انباء الشرق الاوسط » بيانا قال بأن القاهرة مستعدة للقبول بوقف اطلاق النار لفترة محددة واعادة فتح القناة فيما يضع الوسيط الدولي جدولا زمنيا لتطبيق قرار مجلس الامن ، شرط ان تنسحب القوات الاسرائيلية من ممرات الضفة الشرقية وتترك القوات المصرية تقوم بعملية عبور . وقال البيان ان مبادرة الرئيس السادات في ٤ شباط لا تزال قائمة شرط ان يفهم ان الانسحاب الجزئي ليس حلا منفصلا او جزئيا بل هو مجرد تحريك اجرائي مرتبط كليا بالحل الكامل على اساس قرار مجلس الامن ، وان القوات المصرية تحتفظ بحرية العمل على « اساس من الالتزام الكامل المبدئي والقانوني بضرورة التحرير الشامل لكل الاراضي العربية المحتلة » اذا لم تتحقق هذه الشروط . « كما اعلن البيان الرفض الكلي لاية مناقشة حول نزع سلاح سيناء من جانب واحد وكذلك رفض اي وجود اسرائيلي في شرم الشيخ مهما كانت صورته » .

بالنسبة لهيئة الامم المتحدة لم يقم اي نشاط بارز يتعلق بقضية فلسطين في هذه الفترة . والامر الوحيد الجدير بالذكر على هذا الصعيد هو الجدل الذي قام بين اسرائيل ويو ثانت حول مدينة القدس وموضوع تبديل معالمها بصورة نهائية من قبل سلطات الاحتلال. كان يو ثانت قد قدم الى الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة تقريرا حول مراسلاته مع حكومة اسرائيل فيما يتعلق بمشاريعها في « البناء والتنمية » في مدينة القدس . وكان الدافع وراء الرسائل التي بعثها يو ثانت الى الحكومة الاسرائيلية الاخبار التي ترددت في الصحافة الاسرائيلية نفسها بأن الحكومة قد وضعت خطة شاملة وكبيرة لتطوير مدينة القدس وتنميتها مع العلم ان القسم الاكبر من عمليات « التطوير والتنمية » هذه ستتم في القدس القديمة . كما ترددت انباء عن ان دار المندوب السامي ، حيث مكاتب الامم المتحدة ، ستتأثر بالخطة الاسرائيلية . بناء على ذلك طالب يو ثانت الحكومة الاسرائيلية بايداعه نسخة عن خطتها الموضوعة للقدس ، وبالمزيد من التفاصيل عن وضع دار المندوب السامي . وقد ردت اسرائيل باختصار وبدون الاشارة الى موضوع الخطة مؤكدة انها لا تنوي ادخال اية تغييرات على وضع دار المندوب السامي. بعد ذلك قام يو ثانت بتقديم مذكرتين الى ممثل اسرائيل في هيئة الامم وطالب مجددا بالحصول على نسخة من خطة اسرائيل الشاملة لتطوير القدس باعتبار انه مسؤول عن رفع تقارير عن وضع المدينة وفقا لقرارات الجمعية العامة لهيئة الامم . كما طالب بضمان حقوق هيئة الامم في امتلاك دار المندوب السامي كما كانت اوضاعها قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ ، اذ يبدو ان الحكومة الاسرائيلية لا تسمح لبعثة هيئة الامم هناك الا باستخدام جزء من دار المندوب السامي فقط . وقد اشار يو ثانت الى تقارير وصلته بأن الجرارات الاسرائيلية اخذت تعمل داخل حدود المنطقة التابعة لهيئة الامم حول دار المندوب السامي بالاضافة الى انباء عن مشاريع اسرائيلية لتشييد ابنية سكنية هناك . وقد طالب يو ثانت بايقاف كل هذه العمليات في المنطقة . وعلى ما يبدو لم ترد الحكومة الاسرائيلية على اي من مذكرتي يو ثانت كما انها لم تأمر بايقاف العمل في المنطقة المعنية . وقد صرح مندوب اسرائيل لدى هيئة الامم ردا على يو ثانت بأن اسرائيل تعتبر احتلالها للقدس كلها احتلالا دائما ونهائيا . ومعروف ان بعض الحكومات العربية ايضا قد اثارت موضوع القدس من هذه الزاوية مع يو ثانت . وجدير بالذكر هنا انه قبل اعلان المعلومات التي ورد ذكرها حول الجدل الذي جرى بين اسرائيل ويو ثانت عن مدينة القدس كان ناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية (روبرت ماكلوسكي) قد صرح ان حكومته تعتبر خطة اسرائيل لبناء مشاريع سكنية واسعة في التلال المحيطة بالقدس القديمة غير مقبولة لانها تؤثر على الوضع النهائي للمدينة الذي لا يزال من الواجب اتخاذ قرار بشأنه . لا شك ان امريكا لم تكتشف حديثا المشاريع « العمرانية » الاسرائيلية في مدينة القدس (تهويدها) ولكن صدور هذا النقد الموجه لاسرائيل من قبل وزارة الخارجية الامريكية في هذا الوقت بالذات ليس الا مناورة لفظية ودعما للملك حسين .

الدكتور صادق جلال العظم

تسمح لاية دولة كبرى ان تحقق موقع الهيمنة في هذه المنطقة المتفجرة .

بعد ذلك توالت التصريحات الامريكية الرسمية بهدف ايضاح الموقف الامريكي الجديد من النزاع في الشرق الاوسط . فنشرت مجلة «نيرايست ريبورت» النيويوركية رسالة كتبها جوزيف سيسكو اوضح فيها موقف بلاده من مسالة الانسحاب الاسرائيلي وذلك بتحديد اكبر . ذكر سيسكو ان الولايات المتحدة لا تسعى الى حل للنزاع من نوع الحل الذي جرى تطبيقه عام ١٩٥٧ بعد العدوان الثلاثي على مصر (وهذا ما تسعى الحكومات العربية الى الحصول عليه بقدر الامكان ، اي العودة الى الستاتيكو السابق على حرب ١٩٦٧) لان سياسة الولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٧ مبنية على عدم العودة الى الاوضاع الماضية وعلى التوصل هذه المرة الى تسوية تحل محل اتفاقات الهدنة السابقة وبحيث يتم الاعتراف بحدود اسرائيل وبسيادتها مع انهاء حالة العداء والحرب . واوضح سيسكو ايضا ان تفسير الولايات المتحدة لقضية انسحاب اسرائيل من اراض محتلة من العرب لم يكن قط يعني أن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ يفرض انسحابا اسرائيليا كليا في كل الحالات الى حدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ . واكد سيسكو ان قرار مجلس الامن لم يؤيد ولم يرفض كون حدود عام ١٩٦٧ هي الحدود النهائية الامنة والمعترف بها التي يدعو اليها القرار . واضاف قائلا أن التغييرات التي ستطرأ على الحدود كما كانت قبل حرب ١٩٦٧ يجب الا تكون جوهرية « اذ ان السلام ، حسب راينا ، لا يمكن تحقيقه على أساس تغييرات جوهرية في خريطة المنطقة كما كانت قبل الحرب .» وفي ١٩٧١/٣/١٦ أسهب وليم روجرز في مؤتمر صحفي له في شرح الموقف الامريكي من جديد والتأكيد على ما قاله سيسكو . وكانت اهم النقاط التي تطرق اليها روجرز كما يلي : ا) اعتبر ان الجو لم يكن يوما ملائما اكثر من الان لتسوية النزاع العربي — الاسرائيلي . ب) أكد على ضرورة استمرار المفاوضات الجارية بأشراف يارينغ . ج) شدد على قضية الضمانات الدولية التي يجب ان تعد لها الدول الكبرى في الوقت الذي يتفاوض الاطراف على تسوية النزاع . واشار الى أن وجود قوة دولية في النقاط الرئيسية من الشرق الاوسط يمكن أن يكون اكثر أمانا لاسرائيل من المكاسب الجغرافية لان الاكثر اهمية من الجغرافيا في العصر الحديث هو التسويات السياسية التي تقبلها الاطراف المعنية وتضمنها الدول الكبرى . د) أشار الى انه اذا توصلت اسرائيل والدول العربية الى اتفاق سلام مرض فان الكونغرس الامريكي سيوافق حتما على اشتراك الولايات المتحدة الامريكية في قوة سلام دولية . هـ) ذكر ان الموقف المصري الذي يرفض استيلاء اسرائيل على الاراضي العربية المحتلة والموقف الاسرائيلي الذي يصر على حدود آمنة ليسا متضاربين ويمكن التفاوض بشانهما . و) اما بالنسبة لموضوع الانسحاب الاسرائيلي وموضوع الحدود المستقبلة بين اسرائيل ومصر فقد ذكر روجرز ان امريكا لم تقل ابدا انه على اسرائيل ان تنسحب من كل الاراضي المحتلة بل ان تبقى في مساحة من هذه الاراضي كافية لضمان أمنها على ان تكون التعديلات في الحدود من النوع « الطفيف » . وبين ان امريكا ترى ان الحدود بين مصر واسرائيل يجب ان تكون حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ باستثناء قطاع غزة مع تجريد سيناء من السلاح وبشرط الوصول الى اتفاق مرض حول وضع شرم الشيخ. واقترح ان ترابط في شرم الشيخ قوة سلام دولية دائمة . ز) ذكر روجرز ان الولايات المتحدة لا تفكر في عقد معاهدة سلام ثنائية مع اسرائيل ولكن المساعدات الاقتصادية والعسكرية ستستمر بالتأكيد . اما بالنسبة لمصر فقد قال ان العلاقات معها قد تحسنت تحسنا طفيفا في الفترة الاخيرة،واعرب عن استعداد بلاده لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر حين يكون ذلك ممكنا .

ان تصريحات روجرز واضحة ولا تحتاج الى مزيد من الشرح او التعليق . لقد اصبحت الخطة المشهورة التي وضعها روجرز نفسه منذ فترة وقبلتها الجمهورية العربية المتحدة ، مرشحة في المرحلة القادمة للتطبيق العملي والتنفيذ الفعلي على اساس فصم وحدة الاراضي المحتلة وتقسيمها الى أراض مصرية محتلة تعلن الولايات المتحدة رأيها الصريح فيها واراض عربية اخرى محتلة لم تقدم الولايات المتحدة على ذكرها بعد ولم تكن موضوع بحث جوهري في المذكرات الخطيرة التي تم تبادلها بين يارينغ واسرائيل ومصر .

ومن الجدير بالذكر ان الرئيس السادات اعلن في ١٩٧١/٣/٧ عدم موافقة القاهرة على تجديد وقف

اشتراك ج ع م في أية احلاف معادية لاسرائيل وحظر وجود اية قوات عسكرية لطرف ثالث في حالة عداء مع اسرائيل . وعلى كل من ج ع م واسرائيل الدخول في اتفاقية سلام يتم التعبير عنها بمعاهدة ملزمة وفقا للقوانين والسوابق الدولية العادية وتحوي المعاهدة التعهدات المذكورة اعلاه. (انتهى نص المذكرة) .

وقد لقي الموقف المصري الذي عبرت عنه المذكرة الجوابية ترحيبا كبيرا وواسعا في اوساط الرأي العام الدولي ولدى الدول الاربع الكبرى ، خاصة لانه يكون قد تم بذلك تجزئة جبهة اثار العدوان الى أراض مصرية محتلة من جهة هي موضوع المذكرات المتبادلة والترحيب الدولي الكبير ، وأراض عربية اخرى من جهة ثانية لم تتطرق اليها المذكرة المصرية ولم تذكرها بشيء باستثناء قطاع غزة الذي يبدو ان اسرائيل تريد الاحتفاظ به كورقة أساسية تستخدم في المفاوضات مع الاردن. واقتراح يارينغ بأن يتم الانسحاب الاسرائيلي الى خط الحدود الدولي بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب البريطاني يعني ان غزة ستبقى ، على هذا الاساس ، تحت الاحتلال لفترة اطول من سيناء اي الى أن تتحقق التسوية مع الاردن . ورحبت اسرائيل من طرفها بالموقف المصري «الجديد» كما تضمنته المذكرة الجوابية وجاء ذلك في اعلان للحكومة الاسرائيلية ذكرت فيه أنها تعتبر الموقف المصري الاخير ايجابيا ، وأنها مستعدة للتفاوض مع مصر حول كل المواضيع التي يمكن ان تؤدي الى تسوية سلمية ، ولكنها ترفض الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة . وشددت الحكومة الاسرائيلية على النقاط التالية : ١) قبولها برغبة مصر في عقد اتفاق سلام مع اسرائيل . ٢) الاختلافات الملموسة التي ما زالت قائمة بين وجهتي النظر المصرية والاسرائيلية حول قضيتي الحدود واللاجئين . ٣) استعداد اسرائيل للبحث في انسحاب القوات المسلحة الى حدود مضمونة وآمنة ومعترف بها من المفترض ان توضحها اتفاقات السلام ، كما كررت بهذا الصدد ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط الهدنة التي كانت قائمة قبل عام ١٩٦٧ . ٤) ضرورة استمرار محادثات يارينغ بهدف الوصول الى معاهدة سلام بين الدول المعنية .

من الضروري بهذا الصدد رصد التطورات الاخيرة التي طرأت على الموقف الامريكي حيال النزاع العربي الاسرائيلي وهي تطورات رافقت الخطوات التي خطتها الى الامام مساعي التسوية السلمية كما رأينا اعلاه . وردت مع ذلك التصريحات الايجابية لوزير الخارجية الامريكية وليم روجرز في تعليقه على خطاب الرئيس انور السادات في ١٩٧١/٢/٥ حيث أعلن السادات تمديد فترة وقف اطلاق النار لمدة شهر اخر . وجاءت الاشارة الثانية الى الموقف الامريكي الجديد الذي أخذ يتبلور في التقرير الذي قدمه الرئيس نيكسون الى الكونغرس الامريكي في ١٩٧١/٢/٢٥ حيث اعلن أنه لا يمكن ان تكون هناك الا تعديلات طفيفة في الحدود العربية ـ الاسرائيلية بالنسبة الى ما كان عليه الوضع قبل حرب حزيران ١٩٦٧ . وشدد نيكسون على اصرار حكومته على أن يكون اي اتفاق عربي اسرائيلي يعين الحدود النهائية بين الطرفين مرتبطا مباشرة باتفاق للسلام وبتسويات عملية يقبلها الطرفان بحيث تصبح هذه الحدود آمنة .

أي بمقابل التنازلات المصرية التي ورد ذكرها تراجع الرئيس نيكسون عن المبدأ الاسرائيلي القائل بخلق حدود يمكن لاسرائيل ان تدافع عنها وعاد من جديد الى خطة روجرز التي تفضلها الدول العربية المعنية ولا تستسيغها اسرائيل تماما بسبب ما جاء فيها حول مسألة « التعديلات الطفيفة فقط في الحدود .. » كذلك أشار نيكسون في تقريره اشارة سريعة الى « التطلعات المشروعة » للشعب الفلسطيني ، ولكنه كي لا يغضب اسرائيل اكثر مما يجب أعلن أنه يرفض فكرة فرض أية تسوية من الخارج على الدول المتنازعة في الشرق الاوسط ، كما اكد تصميمه على المحافظة على الميزان العسكري في المنطقة ، اي المحافظة على التفوق الاسرائيلي مهما كان الثمن . بالاضافة الى ذلك برزت ثلاث نقاط هامة في تقرير نيكسون لا بد من ذكرها : ١) كرر القول ان مشكلة الشرق الاوسط تشكل النزاع الاكثر خطرا في العالم اليوم من اي منطقة اخرى بسبب احتمال قيام مواجهة امريكية سوفياتية . ٢) ان التدخل السوري في الاردن في شهر أيلول ١٩٧٠ واثناء حملة النظام ضد حركة المقاومة الفلسطينية كان اخطر تهديد للسلام العالمي منذ أن تولى نيكسون منصب الرئاسة في امريكا . ٣) تعترف امريكا بوجود مصالح مهمة للاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ولكن لا يمكن لها أن

بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها واحترام هذا الحق . د) قبول كل فريق مسؤولية القيام بكل ما في وسعه لضمان عدم انطلاق أية اعمال عدوانية من اراضيه ضد دولة الفريق الاخر وشعبها وممتلكاتها . هـ) التعهد من قبل الفريقين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للفريق الاخر .

وقد وافقت مصر ، في مذكرة جوابية موجهة الى يارينغ ، بدون تحفظ او شروط على كافة المطالب التي تقدم بها يارينغ والتزمت بها رسميا . وبالاضافة الى ذلك تعهدت المذكرة المصرية بتنفيذ الامور التالية : ١) ضمان حرية الملاحة في قناة السويس وفقا لميثاق القسطنطينية الصادر في عام ١٨٨٨ . ٢) ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران وفقا لمبادىء القانون الدولي . ٣) القبول بوضع قوة سلام دولية في شرم الشيخ .

كما نصت المذكرة الجوابية المصرية على انه بغية ضمان التسوية السلمية والسيادة الاقليمية لكل دول المنطقة فان الجمهورية العربية المتحدة تقبل بما يلي : أ) اقامة مناطق مجردة من السلاح على طرفي الحدود . ب) انشاء قوة سلام تابعة للامم المتحدة تسهم فيها الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن .

وطالبت المذكرة اسرائيل بالمقابل الالتزام بسحب قواتها المسلحة من سيناء وقطاع غزة وتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وفقا لقرارات هيئة الامم المتحدة . وبما أن المذكرة الجوابية الاسرائيلية التي قدمها ممثل اسرائيل في هيئة الامم المتحدة الى يارينغ لم تنشر في اللغة العربية بعد يجد القارىء فيما يلي ترجمة لنصها :

عطفا على اجتماعاتنا التي تمت في ٨ و١٧ شباط لدي تعليمات باعلامكم واعلام ج ع م بواسطتكم بما يلي : ترحب اسرائيل بما عبرت عنه ج ع م حول استعدادها للدخول في اتفاق سلام مع اسرائيل . وتكرر أنها مستعدة لاجراء مفاوضات جدية حول كافة المواضيع المتعلقة بالتسوية السلمية بين البلدين . ان حكومة اسرائيل ترغب في التأكيد بأن اتفاقية السلام بين اسرائيل وج ع م يجب ان تشمل ، فيما تشمله ، الاجراءات المحددة ادناه : أ) تقدم اسرائيل تعهدات تشمل الامور التالية : ١) قرار صريح ومعلن باعتبار النزاع بين اسرائيل وج ع م منتهيا تماما وانهاء كل ادعاءات الحرب وحالاتها ، وكل الاعمال العدوانية بين اسرائيل وج ع م ٠ ٢) احترام سيادة ج ع م وحصانة اراضيها واستقلالها السياسي والاعتراف بكل ذلك. ٣) احترام حق ج ع م في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها والاعتراف بذلك . ٤) انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من على خط وقف اطلاق النار بين اسرائيل وج ع م الى الحدود الامنة والمعترف بها التي ستقام في اتفاق السلام . ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ . ٥) فيما يتعلق بمسألة اللاجئين ودعاوى الطرفين بالنسبة لهذا الامر فان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الحكومات المعنية مباشرة حول : أ) دفع تعويضات مقابل الاراضي والممتلكات المهجورة . ب) المشاركة في وضع خطة لتأهيل اللاجئين في المنطقة . عندما يتم الاتفاق على واجبات الطرفين نحو قضية اللاجئين لن يكون اي طرف من الطرفين مرتبطا بأية التزامات تجاه الطرف الاخر تتعارض مع سيادته . ٦) حمل مسؤولية ضمان عدم قيام او انطلاق اية أعمال حربية او أعمال عنف من قبل اي تنظيم او جماعة او فرد في ارض اسرائيل ضد شعب ج ع م او قواتها المسلحة او ممتلكاتها . ٧) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لـ ج ع م . ٨) عدم اشتراك اسرائيل في اية احلاف معادية لـ ج ع م وحظر وجود أية قوات عسكرية لطرف ثالث في حالة عداء مع ج ع م . ب) تشمل تعهدات ج ع م في اتفاق السلام مع اسرائيل ما يلي : ١) قرار صريح ومعلن باعتبار النزاع بين ج ع م واسرائيل منتهيا تماما وانهاء كل ادعاءات الحرب وحالاتها وكل الاعمال العدوانية بين ج ع م واسرائيل . ٢) احترام سيادة اسرائيل وحصانة اراضيها واستقلالها السياسي والاعتراف بكل ذلك . ٣) احترام حق اسرائيل في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها تعينها اتفاقية السلام . ٤) حمل مسؤولية عدم قيام أو انطلاق اية اعمال حربية او أعمال عنف من قبل اي تنظيم او جماعة او فرد في اراضي ج ع م ضد شعب اسرائيل او قواتها المسلحة او ممتلكاتها . ٥) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاسرائيل . ٦) تعهد صريح بضمان حرية المرور للسفن والبضائع الاسرائيلية في قناة السويس . ٧) انهاء الحرب الاقتصادية في كل مظاهرها بما في ذلك المقاطعة ، وانهاء كل تدخل في علاقات اسرائيل الدولية الطبيعية . ٨) عدم

المصرية مضمون الرسائل التي تلقاها ردا على رسائله الشخصية التي كان قد بعثها الى زعماء الدول الاربع الكبرى . وتبين ان تيتو اكد لهؤلاء الزعماء مسؤولية دولهم بالنسبة لتنفيذ قرار مجلس الامن وايجاد حل سلمي سريع للازمة . كما دعا الرئيس تيتو في رسائله كلا من الرئيس نيكسون ورئيس الوزراء البريطاني هيث الى ممارسة نفوذهما لحمل اسرائيل على تخفيف تصلبها في بعض مطالبها المتعلقة بالتسوية السلمية . وقد وصف مصدر مصري مطلع مهمة تيتو بانها عملية تنسيق للمواقف تمهيدا للخروج بموقف موحد قبل انتهاء فترة وقف اطلاق النار في ٧ اذار . وقد كان من المقرر أن يبعث الرئيس تيتو برسالة جديدة الى نيكسون لدى انتهاء زيارته للقاهرة . وقد بحث مع السادات مضمون هذه الرسالة التي تشدد بصورة خاصة على مسؤولية الدول الاربع الكبرى في تطبيق قرار مجلس الامن ، كما كان مقررا ان يقوم الرئيس تيتو بتحرك سياسي واسع يأخذ شكل اتصالات مباشرة مع الدول الكبرى لتحقيق الاهداف نفسها. وبعد وصوله الى بلغراد أدلى تيتو بتصريح أكد على صعيد المعنى الجديد للسياسة المصرية نحو اسرائيل بقوله « ان القادة المصريين لا ينكرون على اسرائيل الحق في الوجود . انهم مستعدون لتسوية مسالة العلاقات مع اسرائيل بحيث تستطيع كل الدول في تلك المنطقة ان تكون حرة وان يضمن وجودها وتطورها . » كما لاحظ المراقبون ان البلاغ المصري ــ اليوغوسلافي المشترك لم يتحدث عن تحرير الاراضي او ازالة آثار العدوان . واستبدلت هاتان العبارتان بالعبارة الاتية « ان يوغوسلافيا سوف تستمر في تقديم تاييدها المطلق لجهود الجمهورية العربية المتحدة لاستعادة سيادتها على الاراضي التي انتزعت بالقوة وانها ستبذل اقصى جهدها للمشاركة في السعي الى ايجاد حل سلمي لازمة الشرق الاوسط . » وتجنب البيان ذكر وقف اطلاق النار وموعد انتهائه او كل اشارة لمطلب الانسحاب الاسرائيلي الفوري وغير المشروط .

مع اتضاح الاتجاه الذي تستمد الجمهورية العربية المتحدة للسير عليه في علاقتها مع اسرائيل امام الرأي العام السياسي الدولي تحرك يارينغ بسرعة وقدم مجهودا جديدا هدفه تخطي العقدة التي توقفت عندها المحادثات العربية ــ الاسرائيلية وحلها . تقدم الوسيط الدولي بمذكرتين مهمتين الى كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ، وكانت هذه أول مرة يأخذ فيها يارينغ جانب المبادرة المباشرة منذ أن بدأ العمل في مهمته . وكان الهدف من فعله هذا الحصول على التزامات من كل من الطرفين المتفاوضين تحت اشرافه التي يبدو أنها ضرورية كمقدمات للوصول الى تسوية سلمية في المستقبل . كما عبر يارينغ عن أمله في أن تصبح الالتزامات التي تربط كلا من مصر واسرائيل نفسها بها اساسا لبنود اتفاقية السلام المطلوبة دوليا وعربيا على الصعيد الرسمي . وحظيت تحركات يارينغ الاخيرة بالتأييد الامريكي كما يظهر من الحادثة التالية : وجهت اسرائيل النقد الى مبادرة يارينغ على لسان الون الذي قال ان التقدم بالمقترحات وأخذ زمام المبادرة في المفاوضات ليس جزءا من مهمة يارينغ. أي اتهم آلون يارينغ بتخطي صلاحياته . غير ان مساعد وزير الخارجية الامريكية جوزيف سيسكو رد على النقد الاسرائيلي مباشرة بقوله أن الدكتور يارينغ حر في الاقدام على أية بادرة يراها مناسبة وانه لم يتجاوز مهمته خلافا لما تقوله اسرائيل . وذكر سيسكو ايضا ان تحرك يارينغ الاخير قد أدخل مهمته في صلب النزاع العربي الاسرائيلي ، كما أشار الى أن عددا من الفلسطينيين اخذوا الان يتفهمون موضوع التسوية السياسية التي ترتكز على فكرة التعايش مع اسرائيل . وقد ردت كل من اسرائيل ومصر على مذكرة يارينغ التي طلبت من الحكومة الاسرائيلية الالتزام بسحب قواتها من أراض محتلة تابعة للجمهورية العربية المتحدة وذلك الى خط الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب البريطاني على ان يرافق الانسحاب الاجراءات التالية : ا) اقامة مناطق مجردة من السلاح . ب) ترتيبات امن عملية في منطقة شرم الشيخ تضمن حرية الملاحة في مضائق تيران . ج) حرية الملاحة (الاسرائيلية) في قناة السويس .

ومن ناحية اخرى طلبت مذكرة يارينغ من حكومة الجمهورية العربية المتحدة الالتزام والتعهد بالدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل على أن تبين الجمهورية لاسرائيل بكل وضوح اعترافها وقبولها بالامور التالية : ا) انهاء كل ادعاء حول حالات العداء بين الطرفين . ب) الاعتراف باستقلال كل فريق واحترامه . ج) الاعتراف بحق كل فريق في الحياة

عن اي اتفاق سلام شامل بينهما . ٢) رفضت اسرائيل ربط اعادة فتح القناة بانسحاب جزئي لقواتها من الضفة الشرقية للقناة . ٣) ذكر الرد الاسرائيلي ان الرئيس السادات لم يتعهد بقبول الفقرة الاساسية في قرار مجلس الامن الداعية الى عقد اتفاق سلام بين الاطراف مرتكز على وجود حدود آمنة ومعترف بها وذلك مقابل الانسحاب الاسرائيلي الجزئي . واعترفت اسرائيل بأن التنازل الوحيد الذي قدمه السادات هو فتح الطريق أمام الملاحة الدولية مع انه لم يذكر تحديدا اذا كان ذلك يشمل الملاحة الاسرائيلية أم لا . ٤) دعت اسرائيل الى تخفيف كثافة القوات على طرفي القناة بصورة متبادلة وأعلنت استعدادها للبحث بايجابية في كل المقترحات الرامية الى اعادة الحياة المدنية في منطقة القنال ومدنها الى حالتها الطبيعية . ٥) اعربت اسرائيل عن قلقها البالغ ازاء استعداد الولايات المتحدة للبحث في مسألة الضمانات الدولية في اجتماعات الدول الاربع الكبرى وأوضحت ان اي تدخل من قبل الدول الكبرى في النزاع سينسف مهمة يارينغ . كما اكدت اسرائيل من جديد رفضها لامكان حلول الدول الاربع محل سلام حقيقي وحدود آمنة يمكن الدفاع عنها . كذلك اوضح ابا ايبان ان رد اسرائيل على المبادرة المصرية ليس رفضا شاملا لها ، كما أوضح ان اسرائيل مستعدة للبحث في مسألة اعادة فتح القناة بشرطين هما ان تمر السفن الاسرائيلية بالقناة حين تفتح للملاحة الدولية ، والا يحدث اي تغيير في خط وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل قبل عقد اتفاق سلام شامل . وأشار الى ان اعادة فتح القناة ستعني خفض القوات من الجانبين واعادة الحياة المدنية الى مدن القناة .

ثالثا ، في الولايات المتحدة : بعد فترة قصيرة من الصمت حددت الولايات المتحدة موقفها من خطاب السادات ورد اسرائيل عليه وذلك في مؤتمر صحفي عقده وزير الخارجية وليم روجرز حيث وصف اقتراح السادات « بالجدية » وحث على ضرورة اخذه بعين الاعتبار . كما قال روجرز ان رد غولدا مائير كان « مشجعا » واعرب عن امله في أن تستمر المحادثات حول امكان اعادة فتح قناة السويس ، كما اكد ان كل ما يقرب الطرفين يستحق ان يؤخذ جديا بعين الاعتبار وان اي اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس يجب أن يكون جزءا من حل شامل للنزاع على شكل اتفاق تعاقدي بين الدول العربية المعنية واسرائيل . وواضح من كلام روجرز انه بالرغم من تقديره وترحيبه بالبادرة المصرية كخطوة تكتيكيه مفيدة في سياق محادثات يارينغ واستمرارها الا انه ليس مقتنعا بامكانية فتح القناة قبل الوصول الى تسوية سلمية شاملة للنزاع في المنطقة . بعد هذه التطورات يبدو ان الولايات المتحدة طلبت من تل أبيب ان تعلن عن الحدود التي تريدها ضمن اطار التسوية السلمية ، خاصة بعد الخطوات المصرية « الايجابية » الاخيرة على هذه الطريق . وبالفعل بدأت لجان من الخبراء الاسرائيليين في العمل على رسم خريطة الحدود كما تريدها اسرائيل .

وبعد اصرار اسرائيل على ضرورة اعلان مصر عن موافقتها وعزمها على عقد اتفاقية سلام مع اسرائيل مرتكزة الى حدود آمنة ومعترف بها فقد اتخذ الرئيس السادات عدة خطوات في هذا الاتجاه كان لها صدى دولي هام . فقد أشار السادات في اكثر من موضع الى استعداد مصر لعقد معاهدة سلام مع اسرائيل اذا هي انسحبت من الاراضي العربية المحتلة . نشرت مجلة « نيوزويك » الامريكية مقابلة مع الرئيس السادات كان لها صدى دولي واسع (٢٠/٢/ ١٩٧١) لانه أشار فيها الى استعداد مصر لتوقيع اتفاق سلام تعاقدي مع اسرائيل يضمن استقلالها وسلامتها داخل حدود آمنة ومعترف بها . كما اكد السادات على تصميم مصر الاعتراف بحق اسرائيل في المرور في قناة السويس ومضائق تيران، وقال بأن مصر ستقبل بوضع شرم الشيخ تحت سيطرة قوة دولية واقامة مناطق مجردة من السلاح على الحدود . وكان الرئيس السادات قد حدد نفس الموقف تقريبا امام الرأي العام العالمي من خلال مقابلة تلفزيونية تم بثها على شبكة شركة سي. بي. أس. الامريكية ولكنه اكد كذلك ان مصر غير مستعدة للتنازل عن أية ارض عربية .

وفي الفترة نفسها كان الرئيس تيتو قد قام بزيارة لمصر استمرت ٧ أيام بغية اطلاع الرئيس السادات على مواقف زعماء الدول الاربع الكبرى من مسألة مشاركة دولهم في ضمان التسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط . وقد أبلغ الرئيس تيتو القيادة

وبريطانية فقط .

ولا بد من ان نذكر هنا ان المقترحات والتصريحات (بما فيها تصريحات وزير الخارجية محمود رياض المذكورة) والوثائق التي اشرنا اليهـا تدل كلها باتجاه تحول مساعي التسوية السلمية ومحادثات يارينغ الى منحى ثنائي في الاساس يشمـل مصر واسرائيل بصورة رئيسية بدلا من الموقف السابق الذي كـان يصر على قضية رفع الاحتلال عـن الاراضي العربية المحتلة كلها ورفض اية تفرقة بين منطقة واخرى وسنرى ان الاتجاه الثنائي سيتعزز ويبرز بوضوح اكبر مع تقدم المحادثات وتطورها في المستقبل .

مع اقتراب موعد انتهاء مدة وقف اطلاق النار في ١٩٧١/٢/٥ ، جرت تعبئة دوليـة شاملة لصالح تجديده باسم السلام واستمرار محادثات يارينغ وانجاحها . ففي حوالي ٧١/١/٢٠ كشف النقاب عن تبادل رسائل بين محمود رياض ووليم روجرز حول موضوع وقف اطلاق النـار ومهمة يارينغ . وكان روجرز هو البادىء بالمراسلة حيث أوضح ان بلاده ترى ان استمرار وقف اطلاق النار بعد الموعد المحدد سيساعد على استمرار مهمة يارينغ ، وان « الدبلوماسية الهادئة » افضل من دعوة مجلس الامـن الى الاجتماع ومناقشة مدى التقدم الذي احرزه الوسيط الدولي باتجاه تنفيذ قرار مجلس الامن . وكان رد رياض هو ان مصر لا تجد مبررا لما تقوله امريكا حول حدوث تقدم ايجابي على صعيد محادثات يارينغ والاقتراب من التسوية السلمية .

وفي أواخر يناير ١٩٧١ تسلم محمود رياض رسالة اخرى من وليم روجرز يتمنى فيها على الحكومة المصرية الموافقة على تمديد وقف اطلاق النار . وأوضحت المصادر المطلعة ان رسالة روجرز اشارت الى ان مهمة الوسيط الدولي قد بدأت بالفعل الان وانها تحتاج الى وقت طويل والى مساعدة من كل الاطراف للوصول بها الى نتائج ناجحة . لذلك دعت الولايات المتحدة مصر كـي تحافظ على وقف اطلاق النار وتعمل بموجبه بعد ٥ شباط . وبالرغم من ان الموقف الامريكي لم يتغير (ظاهريا على أقل تعديل) ولم يكف عن عرقلة محادثات الدول الاربع الكبرى ، واستمر في دعـم اسرائيل على كافـة الجبهات ، وبالرغم عن ان مصر لم تشارك روجرز تفاؤله بالنسبة لاي تقدم ملموس احرزته محادثات يارينغ حتى ذلك التاريخ فقد تم تمديد فترة وقف اطلاق النار لمدة ٣٠ يوما تنتهي في ١٩٧١/٣/٧ .

وقد اعلن ذلك الرئيس انور السادات في خطاب له أمام مجلس الامة حيث اشترط على السكرتير العام للامم المتحدة وعلى المجتمع الدولي كله ان يتم في هذه الفترة انجاز تقدم حقيقي في صلب مشكلة الشرق الاوسط وليس في مجرد مظاهرها الخارجية. ثم اعلن الرئيس السادات مبادرة مصرية جديدة تضاف الى الجهود الرامية الـى حل النزاع في المنطقة تعتبر مصر العمل بمقتضاها مقياسا حقيقيا للرغبة في تنفيذ قرار مجلس الامن . طالب السادات ان يتحقق في الفترة التي تمتنع فيها مصر عن اطلاق النار انسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية علـى الشاطىء الشرقي لقنـاة السويس وذلك كمرحلة أولى على طريق جدول زمني يتم وضعه بعد ذلك لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الامن . وفي حال تحقق هذه المطالب اعلن السادات عن استعداده للبدء فورا في مباشرة تطهير مجرى قناة السويس واعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمي .

ويمكن تلخيص ردود الفعل العالميـة على مبادرة الرئيس السادات وخطابه بما يلي :

اولا ، في اوساط الامم المتحدة والاوساط الاوربية : لقي تمديد وقف اطلاق النار ترحيبا بسبب اقترانه ببادرة اعتبرت ايجابيـة في تلك الاوساط . كما لاحظت بعض هذه الاوساط ان الهدف من تكتيك اقتراح السادات حول فتح قناة السويس هو تكتيل تأييد اوروبي سوفيـاتي لصالح الموقف المصـري لممارسة ضغط على اسرائيل والولايات المتحدة في سبيل اخذ مواقف اكثر ليونة من مسألة تطبيـق قرار مجلس الامن والانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . اي فرض التسوية في الشرق الاوسـط من قبل الدول الكبرى ومجلس الامن بدلا من تركهـا لاتفاق الدول المحلية المتصارعة كما تريد اسرائيل. كما وجدت هذه الاوساط في عدم ربط الرئيس السادات بين حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وفتح قناة السويس للملاحة الدولية (كما جرت العادة في السابق) بما في ذلك اسرائيـل تنازلا جديدا يعزز احتمالات السلام واحتمالات نجـاح مهمة يارينغ في تحقيق التسوية السلمية في الشرق الاوسط .

ثانيا ،في اسرائيل : ١) التعبير عـن استعداد اسرائيل لان تبحث مع مصر في مسألة اعادة فتح قناة السويس أمام كل السفن وذلك بصورة منفصلة

هذه القوات تعمل تحت علم هيئة الامم المتحدة .
واوضح وزير الخارجية انه لن يكون بمقدور اي من الدولتين المتخاصمتين اتخاذ القرارات حول بقاء القوة الدولية او عدم بقائها ، لانه على مجلس الامن ان يقوم باتخاذ قرار كل ٣ او ٤ سنوات حول ما اذا كان من الضروري التجديد للقوات الدولية او عدم التجديد لها .

ويبدو ان الموقف الذي طرحه وزير الخارجية المصري في زيارته امام الراي العام الدولي عامة والراي العام الاوروبي بالتحديد يتلخص بالنقاط التالية : ١) شدد رياض على انه لا يتكلم باسم بقية الدول العربية لانه على الدول العربية الاخرى ان تعلن مواقفها بنفسها . ٢) على اسرائيل ان تعود الى حدودها كما كانت قبل حرب ١٩٦٧ . ٣) لا بد من اقامة مناطق مجردة من السلاح على طول الحدود مع اسرائيل مع الاعتراف بأن هذه المناطق ستكون اوسع مساحة على الجانب العربي مما هي على الجانب الاسرائيلي . ٤) ينبغي على قوات الدول الاربع الكبرى او اية قوات دولية تدخل المنطقة الا تكون مهماتها مجرد المراقبة بل ان تكون قوات مقاتلة وقادرة على رد العدوان . ٥) ينبغي اعطاء غزة حق تقرير مصيرها وفقا لرغبات شعبها . ٦) ينبغي وضع تحديد للتسلح في المنطقة بالنسبة لاسرائيل ومصر . ٧) توافق مصر على توقيع بيان يحد من حريتها في تطبيق البند العاشر من اتفاقية القسطنطينية التي يخولها حق تحديد طبيعة السفن التي تمر في قناة السويس في حالة الحرب وهو البند الذي كانت تعمل مصر على اساسه في منع الملاحة الاسرائيلية في القناة . ٨) ان الشكل الذي تأخذه وثيقة السلام التي ستوقعها مصر ليس مهما طالما انها تشمل بندا بالانسحاب الاسرائيلي . وستكون هذه الوثيقة بمثابة اقامة علاقات De jure بين البلدين بما ان مصر اعترفت De facto بوجود اسرائيل عند توقيع اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ . ٩) الجيش المصري سيؤيد الحرب او السلام ولكن لن يؤيد الجمود .

وبهذه المناسبة لا بد من الاشارة الى الموقف الاوروبي الغربي الذي حدده الرئيس بومبيدو من النزاع في الشرق حيث قال ان فرنسا تضع على صعيد واحد حق دولة اسرائيل في الوجود داخل حدود آمنة ومعترف بها ، وواجب اسرائيل في الانسحاب من كل الاراضي المحتلة . اما بالنسبة الى قضية الشعب الفلسطيني فقد قال انها ستحل — ويجب ان تحل عن طريق الاستفتاء الحر للسكان عندما يحين الوقت ، وهذا ما يمكن ان يحدث حين يحل السلام وهذا على الاقل ما قاله الملك حسين بنفسه . (انتهى كلام بومبيدو) .

قبل الانتهاء من هذه المرحلة في عرض التفاعلات الدولية للقضية الفلسطينية لا بد من الاشارة الى حدثين اضافيين : اولا ، زيارة الوفد السوفياتي الرفيع الى مصر بمناسبة الاحتفال بانتهاء العمل في السد العالي في اسوان برئاسة بدغورني . وقد بحث الوفد ، وفقا لما تسرب من الانباء ، القضايا المعهودة بين البلدين مثل استمرار الصداقة العربية السوفياتية وتنميتها ، كما تمت مباحثات حول قضية وقف اطلاق النار وتمديده . واصر البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن لتحقيق التسوية السلمية في المنطقة .

ثانيا ، الاجتماع الذي عقدته الدول الاربع الكبرى في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٧١ حيث تقدمت الولايات المتحدة بمقترحات معينة وافقت عليها الدول الاخرى كأساس لتسوية النزاع في الشرق الاوسط. وتتلخص المقترحات الامريكية بما يلي : ١) ينبغي ضمان حق اسرائيل كدولة ذات سيادة ومعترف بها بما في ذلك حقها في الملاحة في قناة السويس ومضائق تيران . ٢) على اسرائيل ان تنسحب من سيناء . ٣) يبقى الوضع النهائي لشرم الشيخ خاضعا للمفاوضات بين الحكومة الاسرائيلية والحكومات العربية . ٤) ينبغي تحييد هضبة الجولان بوضعها تحت الاشراف الدولي . (ولم يوافق الاتحاد السوفياتي على الاقتراح الاخير كما انه لم يعارضه) .

وتداولت بعض الاوساط الدولية اقتراحات حول تركيب القوات الدولية التي سترسل الى الشرق الاوسط . وقد برز الاقتراح القائل بأن تتألف هذه القوة من قوات الدول الاربع الكبرى وذلك بمقابل اقتراح آخر يدعو الى ان يكون وجود القوات الامريكية والسوفياتية وجودا رمزيا في تشكيل القوة الدولية ، وستتألف القوة عندئذ من قوات فرنسية وبريطانية بصورة رئيسية . وقد عارض يو ثانت الاقتراح الاول حيث اعلن ان اشتراك القوات الامريكية والسوفياتية في القوة الدولية لحفظ السلام في الشرق الاوسط سوف يخلق مشاكل ومتاعب الكل بغنى عنها واقترح ان تتألف القوة من قوات فرنسية

الاشتراك في احلاف معادية ومنع كل طرف من ان يسمح لقوات دولة ثالثة ، بينها وبين الطرف الاخر حالة عداء ، من المرابطة في اراضيه . ١٣) عدم التدخل في الشؤون الداخلية والعلاقات الخارجية العادية . ١٤) السلام يجب ان يعبر عنه في معاهدة تربط الطرفين وفقا للتشريع العادي والعرف .

اما رد مصر على هذا المشروع الاسرائيلي الذي تسلمه يارينغ فقد شدد على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واعطاء الدول الاربع الكبرى دورا فعالا من اجل المحافظة على السلام ، كما شدد على مسألة حل قضية « اللاجئين » حلا عادلا اساسه قرارات الامم المتحدة ، بالاضافة الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة . وأوضح الرد ان مصر مستعدة لاعلان انهاء حالة العداء مع اسرائيل بمقابل ان تصدر اسرائيل بيانا تؤكد فيه تخليها عن سياستها التوسعية واكتفاءها بحدود ما قبل حزيران ١٩٦٧ . كما أوضح ان القوات الدولية التي تريدها مصر لن تكتفي بالمراقبة فقط بل ينبغي ان تكون قادرة على التدخل لمنع اي هجوم محتمل . وقد علق ابا ايبان على رد ج.ع.م قائلا بأنه « يترك الباب مفتوحا أمام استمرار المناقشات » واوضحت اوساط اسرائيلية مطلعة بأن رد القاهرة يسمح بالتفاؤل بالنسبة الى استمرار محادثات السلام . وسنجد ان عددا من النقاط الرئيسية الواردة في المشروع الاسرائيلي والرد المصري عليها سوف يكون محور المناقشات المستقبلة في موضوع التسوية وسيتكرر ذكرها اكثر من مرة في المساعي الدبلوماسية العربية والاسرائيلية على الصعيد الدولي .

اما التطور الدولي الثالث الذي رافق انطلاق محادثات يارينغ من جديد فتمثل في المساعي الدبلوماسية الاضافية التي بذلتها ج.ع.م على الصعيد الدولي (والاوروبي خاصة) لتوضيح موقعها في قضية التسوية السلمية . وتمثلت هذه الجهود بالجولة التي قام بها وزير خارجية ج.ع.م في العواصم الاوروبية الرئيسية (لندن ، باريس وروما) لهذا الغرض . ان الدافع الكامن خلف زيارة العواصم الاوروبية هو ادراك الدبلوماسية المصرية ان المصالح النفطية الاوروبية تحديدا والغربية عامة يهمها ان يتم فتح قناة السويس في أقرب فترة ممكنة باعتبار ان ثلاثة ارباع السفن التي كانت تستخدم القناة قبل عام ١٩٦٧ هي من ناقلات البترول .

كما ان ٩٢٪ من البترول الذي يعبر القنال كان يذهب الى اوروبا . ومع ان ناقلات النفط الضخمة جنبت أوروبا ازمة نفطية كبيرة غير ان لهذه الناقلات سلبياتها ايضا على المدى البعيد بالنسبة للاسواق الاوروبية خاصة ، كما ان معظم المرافىء البحرية غير مجهزة لاستقبال مثل هذه الناقلات والاعتناء بسلامتها وصيانتها كما ينبغي . ان تراكم هذه المصاعب قد جعل ثمن البترول الخام في القارة الاوروبية لاول مرة في التاريخ أعلى من ثمنه في بريطانيا . كما ان اسعار ناقلات النفط ارتفعت بمقدار ٥٠٪ — ١٠٠٪ في السنة الاخيرة لاسباب متعددة منها سياسة ليبيا في تحديد انتاج النفط — لذلك سيساعد فتح قنال السويس كثيرا في حل المشكلات النفطية الاوروبية . لذلك تعمدت الدبلوماسية المصرية استغلال هذه الظروف المواتية لتكتيل الدول الاوروبية المعنية بغرض الضغط على اسرائيل وامريكا لتخفيف حدة المواقف الاسرائيلية وتصلبها في البحث عن التسوية السلمية . كذلك كان من مهمة رياض على ما يبدو ، الضغط على الحكومة البريطانية كي تشارك مع المجموعة الاوروبية المهتمة بتمويل مشروع خط انابيب البترول الممتد من خليج السويس الى الاسكندرية ، هذا بالاضافة الى تحسين العلاقات مع بريطانيا بصورة عامة .

وقد وصف وزير الخارجية نتائج محادثاته في لندن في مؤتمر صحافي بقوله انها كانت « مثمرة وبناءة ومرضية » . اما بالنسبة لمحادثاته في باريس فقد علقت عليها مصادر دبلوماسية فرنسية بقولها « ان المحادثات مع رياض قد مكنتنا من تفهم مدى جدية مصر وعزمها في بذل جهودها للوصول الى تسوية عادلة ومشرفة ودائمة » . كما أعلن السيد رياض موافقته على ما كان قد صرح به الرئيس الفرنسي بومبيدو في حديث سابق له حول عقد معاهدة سلام بين الدول العربية المعنية واسرائيل والى الحاجة للاعتراف بدولة اسرائيل من قبل الدول العربية المجاورة لها واقامة علاقات طبيعية معها . وربما كانت هذه اول اشارة رسمية الى الموافقة اللاحقة التي أوردتها مصر في مذكرتها الى يارينغ بقبول عقد معاهدة صلح مع اسرائيل مباشرة . وفي مقابلة مع صحيفة « لوموند » الفرنسية اوضح رياض بأن دور القوات الدولية في التسوية السلمية سيكون مختلفا عن دورها السابق بالرغم من كون

الى حدود آمنة ودائمة بحيث يرفرف السلام على الشرق الاوسط تحت وصاية الدول الاربع الكبرى. من هنا يأتي تحفظ الرد المصري على أسئلة يارينغ وتردده ، في هذه المرحلة ، بالنسبة لمسألة عقد معاهدة سلام مع اسرائيل والاستعاضة عن ذلك بايداع الوثائق التي تحوي بنود اتفاقية السلام وشروطها لدى مجلس الامن وطلب مصادقته عليها لتصبح نافذة . من ناحية ثانية ينطلق الموقف الاسرائيلي من رفض الانسحاب وفقا لخطة روجرز واعتبار ضمانات الدول الكبرى ومجلس الامن غير كافية ، ولا يمكن لها ان تحل محل معاهدة سلام صريحة مع اسرائيل . لذلك تصر اسرائيل في اجوبتها على ضرورة عقد اتفاقيات سلام مباشرة مع الدول العربية . وسنرى فيما بعد كيف تم حل هذه العقدة الى حد كبير عن طريق تنازل الطرف العربي عن موقفه باتجاه القبول بعقد معاهدة صلح بين جرغم واسرائيل . ولا بد من الاشارة هنا الى ان كافة الاطراف المعنية، كما يتضح من تقرير يو ثانت، متفقة دوليا على اعتبار قضية الشعب الفلسطيني ليس اكثر من قضية جماعة من اللاجئين يجب ايجاد حل لمشكلتهم اما عن طريق التعويض او التوطين او اي اسلوب آخر قد يتفق عليه دوليا ومحليا . كان التطور الدولي الثاني الهام الذي رافق انطلاق محادثات يارينغ من جديد زيارة الوسيط الدولي لاسرائيل تلبية للدعوة التي وجهها اليه ابا ايبان حيث قابل غولدا مائير . قدمت اسرائيل بعض المطالب الجانبية التعجيزية الى يارينغ مثل نقل مقر المحادثات من نيويورك الى جنيف او نيقوسيا وعقد المحادثات على مستوى وزراء الخارجية في حين انه معروف ان كلا من مصر والاردن تعارض هذه المطالب الاسرائيلية . كذلك اعلنت اسرائيل مطلبا آخر هو أن يكون وقف اطلاق النار لفترة غير محددة خلال المحادثات . ومع انتهاء زيارة يارينغ صرح بأن محادثاته في اسرائيل كانت مفيدة وتناولت المسائل الجوهرية . كما حمل معه اقتراحات اسرائيلية جديدة للتسوية السلمية ليعرضها على مصر والاردن . وتردد في اوساط الامم المتحدة ان رئيسة وزراء اسرائيل ابلغت يارينغ عن استعداد بلادها لمناقشة قضية النزاع في مجملها بما في ذلك مسألة رسم الحدود وانشاء مناطق مجردة من السلاح وتبادل الاسرى ومشكلة « اللاجئين » . كما تردد ان الهدف من زيارة يارينغ هو تخطي العقدة التي وقفت عندها المحادثات وتعثرت ، عن طريق استيضاح اسرائيل حول الحدود التي تعتبر انها مستعدة للانسحاب الى ورائها . كذلك يريد يارينغ معرفة رأي اسرائيل بقضية الضمانات الدولية للتسوية السلمية في الشرق الاوسط باعتبار ان اسرائيل غير متحمسة اصلا لفكرة القوات الدولية او قوات الدول الاربع الكبرى . وتردد ايضا ان اسرائيل اعطت يارينغ لائحة بالاسئلة التي تريد طرحها على مصر حول نوعية السلام الذي تريده القاهرة . هل سيتم التوقيع عليه ، أم يكون سلاما تعاقديا ؟ هل سيؤمن حلا نهائيا ودائما لمشكلة اللاجئين ؟ هل سيسكت نهائيا العمل الفدائي أم لا ؟ ما هي نوعية العلاقات الاقتصادية والثقافية بين اسرائيل والعرب التي ستحملها التسوية السلمية معها ؟ الخ كما اقترحت اسرائيل، لاسباب تكتيكية ، وضع مشكلة اللاجئين على رأس جدول أعمال محادثات يارينغ .

اما المشروع الاسرائيلي الذي حمله يارينغ لعرضه على الدول العربية المعنية (بما فيها لبنان) فقد تضمن ١٤ نقطة اساسية قالت اسرائيل انه ينبغي التفاهم حولها والاتفاق عليها لتحقيق التسوية السلمية . وتشكل هذه النقاط في مجموعها تلخيصا للقضايا الرئيسية التي جرت حولها المفاوضات والمساومات والتنازلات بين الطرفين . وفيما يلي النقاط التي تضمنها المشروع الاسرائيلي : ١) قرار معلن وواضح باعتبار النزاع منتهيا نهائيا . ٢) يحترم كل طرف في عبارات واضحة سيادة الطرف الاخر وكيانه الاقليمي واستقلاله السياسي. ٣) اقامة حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها . ٤) اتخاذ ترتيبات اضافية لضمان الامن . ٥) سحب القوات العسكرية من الاراضي الواقعة خلف المواقع المتفق عليها في معاهدة السلام . ٦) انهاء حالة الحرب والقتال . ٧) مسؤولية كل طرف في التأكد من ان اي فرد او أية مجموعة او منظمة لن يرتكب عملا حربيا او عنفا انطلاقا من ارضه او في ارضه ، ضد سكان الطرف الاخر او مواطنيه او أملاكه . ٨) انهاء الحرب الاقتصادية في كل مظاهرها ، بما في ذلك المقاطعة . ٩) بنود توضح الالتزامات التي يقبل بها الطرفان لتسوية قضية اللاجئين . ١٠) اتفاقات تتعلق بالاماكن ذات المدلول الديني والتاريخي . ١١) اتفاقات تتعلق بالتسهيلات المتعلقة بالموانىء وحرية العبور . ١٢) عدم

العربية اية حدود آمنة ومعترف بها وان مثل هذه الحدود يجب ان تقوم الان كجزء من عملية احلال السلام في المنطقة . ب) بالنسبة لمسالة انهاء حالة العداء والانسحاب الاسرائيلي فقد أجابت جرعم والاردن بانهما توافقان على الالتزام بانهاء حالة العداء مع اسرائيل وتطبيقها مع انسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الاراضي العربية المحتلة . اما جواب اسرائيل حول الانسحاب فقد تلخص بقولها انه عندما يتم الاتفاق على حدود دائمة وآمنة ومعترف بها بين اسرائيل وكل واحدة من جاراتها العربيات ، ويتم تطبيق هذا الاتفاق فان اسرائيل ستنسحب الى ما وراء الحدود التي تعينها اتفاقية السلام . كما اكد الجواب الاسرائيلي انه بما ان الدول العربية ، لا اسرائيل ، هي التي كانت السبب في اعمال الحرب فانه يصبح لزاما عليها ان تنهي حالة الحرب مع اسرائيل . علما بان اسرائيل توافق على انهاء كل حالات الحرب مع كل دولة من الدول التي يتم الوصول الى السلام معها شرط المعاملة بالمثل . كما اشار الجواب الى ان اسرائيل ستصدر بيانا بهذا المعنى يحدد كل دولة بالاسم في كل حالة من هذه الحالات . وطلبت ان يشتمل البيان المماثل الصادر عن أية دولة عربية على اعلان تخلي هذه الدولة عن حالة الحرب مع اسرائيل بالتحديد وليس مع أية دولة في المنطقة على وجه العموم كما يجب ان تحل معاهدات سلام محل وقف اطلاق النار ، تقام بموجبها حدود دائمة وآمنة ومعترف بها عن طريق مفاوضات بين الحكومات المعنية . ج) بالنسبة لسؤال يارينغ حول اقامة مناطق مجردة من السلاح تشرف عليها قوات دولية تابعة لهيئة الامم المتحدة تلخص الرد المصري — الاردني بالقول ان المناطق المجردة من السلاح غير ضرورية من وجهة النظر العربية غير ان الموقف العربي هو عدم معارضة اقامتها على طرفي الحدود. بينما قالت اسرائيل في ردها ان مثل هذه الترتيبات لم تجد نفعا في الماضي ولم تمنع احدا من الاستعداد « للاعتداء على اسرائيل وتنفيذ الاعتداء » . د) فيما يتعلق بسؤال يارينغ حول قضية « اللاجئين الفلسطينيين » ذكر الرد العربي ان التسوية العادلة لقضية « اللاجئين » متضمنة في القرار الذي اتخذته الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٨ الذي يدعو الى اعطاء الفلسطينيين حق الاختيار بين العودة الى وطنهم او التعويض عليهم بينما اجابت اسرائيل باقتراح عقد مؤتمر لدول الشرق الاوسط لاعداد خطة خمسية هدفها دمج « اللاجئين » في الحياة الانتاجية للمنطقة مع الاشارة الى امكان عقد مثل هذا المؤتمر قبل التقدم في محادثات السلام . هـ) وبالنسبة لسؤال يارينغ حول ما اذا كانت الدول المعنية تقبل بمثابة اتفاق نهائي وثيقة دولية يوقعها اطراف عدة وتتضمن الشروط المتفق عليها لسلام عادل ودائم ، فقد اجابت اسرائيل بقولها : « ان السلام يجب ان يكون معبرا عنه قانونيا ومحددا تعاقديا وملزما بصورة متبادلة وفقا للمبادىء الثابتة للقانون والعرف الدوليين . وبناء عليه فان موقف اسرائيل هو ان السلام يجب ان تتضمنه معاهدات سلام ثنائية بين اسرائيل وكل دولة عربية تشتمل على كل الشروط المتفق عليها لسلام عادل ودائم ». وقالت مصر والاردن في الاجابة ان الوثائق التي تلزمهما بتنفيذ التزاماتهما ستوجه الى مجلس الامن وان على اسرائيل ان توقع كذلك وثيقة مشابهة تلزمها بتنفيذ الالتزامات المنبثقة من قرار مجلس الامن . وستكون مصادقة المجلس على هذه الوثائق بمثابة اتفاق نهائي متعدد الاطراف .

وقد اشار تقرير يو ثانت الى ان الفضل يعود الى الولايات المتحدة في اتخاذ المبادرة في تحريك محادثات يارينغ وتمكينها من التقدم الى هذه النقطة التي وصلت اليها . وقد اخذت المبادرة الاميركية المذكورة شكل اقتراح يدعو مصر والاردن واسرائيل لان يعلموا يارينغ بانهم يقبلون قرار مجلس الامن وبانهم على استعداد لتنفيذه بهدف الوصول الى اتفاق من خلال الوسيط الدولي حول الاعتراف المتبادل بالسيادة والسلامة الاقليمية ، وبالاستقلال السياسي ، وبالانسحاب الاسرائيلي من « أراض » احتلت في حرب عام ١٩٦٧ . وقد أبلغ يارينغ يو ثانت بأن الاطراف المعنية قد وافقت على هذه النقاط .

وبالرغم عن التقارب الذي حصل في وجهات النظر بين اسرائيل وجرعم كما اشار الى ذلك تقرير يو ثانت ما زالت هناك عقدة اساسية امام سير المحادثات ، وهي انطلاق الموقف العربي الرسمي على الصعيد الدولي من الاصرار على الانسحاب الاسرائيلي وفقا لخطة روجرز (تعديلات طفيفة على الحدود فقط) واعتبار تعهدات الدول الكبرى ومجلس الامن والقوات الدولية ضمانات كافية لحفظ الحدود العربية — الاسرائيلية الجديدة وتحويلها

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

تميزت هذه الفترة من التطورات الدولية بالنسبة للقضية الفلسطينية ببذل المزيد من الجهود والمساومات والتنازلات من الجانب العربي الرسمي (وهمية كانت ام حقيقية) في سبيل التوصل الى تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط عبر تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقد شاركت كافة الاطراف المعنية المحلية والدولية في هذه الجهود ولكن كل على حسب تفسيره وفهمه لمعنى نصوص قرار مجلس الامن ونحواها . ومن العوامل المحلية التي رفعت المساعي « السلمية » المبذولة الى مستوى جديد من النشاط رغبة القاهرة في الاسراع في الخطوات المؤدية الى انجاح مهمة يارينغ . هذا من جهة ومن جهة اخرى جاء قرار الحكومة الاسرائيلية في الايام الاخيرة من عام ١٩٧٠ ، المنتظر طويلا ومنذ اشهر عديدة بالعودة الى مائدة المفاوضات في نيويورك تحت اشراف يارينغ بعد ان قاطعتها كل تلك الفترة بسبب قضية ادخال الصواريخ الى منطقة وقف اطلاق النار على الضفة الغربية من قناة السويس . واعلنت غولدا مائير خلال مناقشة قرار العودة الى محادثات يارينغ في الكنيست الايضاحات التالية : ١) ان قرار العودة سهلته المساندة العسكرية والسياسية الاميركية ، ٢) ان اسرائيل ترفض مع ذلك مقترحات السيد وليم روجرز الداعية الى الانسحاب الى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ مع ادخال « تعديلات طفيفة » عليها . ٣) شددت على حق اسرائيل في الحصول على حدود آمنة ومعترف بها وعلى ابقاء القدس عاصمة موحدة لاسرائيل . ٤) اكدت ان اسرائيل ستحافظ على خطوط وقف اطلاق النار الحالية الى ان يتحقق سلام تعاقدي يربط الاطراف المعنية ويلزمها . ٥) ان اتفاق السلام لا يمكن التوصل اليه الا بعد اجراء مفاوضات على اساس قرار مجلس الامن وتوقيع التعهدات التي يتضمنها الاتفاق التعاقدي وتطبيقها . ٦) اكدت ان الحكومة الامريكية لا تريد لاسرائيل ان تجري محادثات سلام او تستمر فيها وهي في مركز ضعف . وقد وافق الكنيست على قرار الحكومة وبياناتها باكثرية الاصوات . وقد شكلت هذه النقاط التي حددتها مائير الخطوط العامة للموقف الاسرائيلي الاجمالي من موضوع التسوية السلمية وشروط اسرائيل للقبول بتنفيذ قرار مجلس الامن . ولم تطرأ اية تغيرات او تعديلات اساسية على هذا الموقف العام حتى بعد موعد انتهاء فترة وقف اطلاق النار في ٧ آذار ١٩٧١ . وخلال كل المباحثات التي جرت تحت اشراف يارينغ والمذكرات التي سلمت له والتصريحات التي صدرت عن المسؤولين الاسرائيليين لا نجد الا اعادة وتكرارا للنقاط المذكورة اعلاه ولكن باساليب اخرى وبعبارات مختلفة قليلا وفقا للظروف الدولية المتقلبة نوعا ما ومراعاة لها .

وقد رافق عودة اسرائيل الى محادثات السلام في نيويورك بعض التطورات الهامة دوليا وهي : اولا ، التقرير الذي قدمه الامين العام لهيئة الامم المتحدة الى مجلس الامن حول مهمة الوسيط الدولي يارينغ وتطورها منذ ١٩٦٧/١٢/٩ حتى ساعة القاء التقرير . كان التقرير عبارة عن سرد مسهب لجهود يارينغ ومحاولاته في تحقيق التسوية السلمية بين الدول العربية واسرائيل منذ ان فوضه مجلس الامن بهذه المهمة . والنقطة الهامة التي برزت في التقرير هي التبدل التدريجي والبطيء الذي طرأ على موقف كل من الخصمين المتحاربين — المتفاوضين بحيث أصبحت اسرائيل متقبلة لفكرة المفاوضات غير المباشرة ولمبدأ الانسحاب « من أراض احتلت » في حرب عام ١٩٦٧ ، بينما اصبحت الجمهورية العربية المتحدة (والاردن ايضا) متقبلة لفكرة اتفاق السلام التعاقدي الذي يعترف ، بالتحديد وليس بالتعميم ، بحقوق دولة اسرائيل ويضمنها . من جهة أخرى تضمن تقرير يو ثانت وثائق تبين ردود فعل كل من مصر والاردن واسرائيل لمجموعة من الاسئلة المفصلة التي كان يارينغ قد وجهها الى هذه الدول الثلاث في بداية ١٩٦٩ . وقد تبين لاوساط مسؤولة في هيئة الامم ان التقرير تضمن اجوبة الدول الثلاث المذكورة على ما طرحه يارينغ من اسئلة تضمنت النقاط التالية : أ) بالنسبة لقضايا الحدود كان رد ج ع م والاردن ان القرار الصادر عن الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ قد عين حدود اسرائيل على اساس التقسيم الذي اقره يومها . بينما ردت اسرائيل بقولها انه لم تقم أبدا بين اسرائيل والدول

الاردني عن ذلك صراحة حين قال « ان اسرائيل تستهدف الانفراد بتسوية مع مصر » .

وفي هذه الاثناء برز حدثان ملفتان للنظر . الحدث الاول اعلان عبدالله صلاح وزير خارجية الاردن « اننا نقبل الاعتراف بوجود دولة اسرائيل شرط ان يقبل الاسرائيليون الانسحاب من كل الاراضي المحتلة » . والحدث الثاني انتشار انباء صحفية تتحدث عن وصول الاردن واسرائيل الى اتفاق منفصل . ففي ٢٦ شباط قالت صحيفة « الجيروزالم بوست » ان الملك حسين سوف يعلن الاسبوع المقبل عن مبادرة سلام جديدة من اجل الوصول الى اتفاق بين عمان وتل ابيب . ولكن الاردن نفى في اليوم التالي ان تكون لديه بادرة سلام منفردة . كذلك نفى الاردن في ١ آذار انباء نشرتها مجلة التايم تقول ان الاردن واسرائيل توصلا الى اتفاق مبدئي جدا، يدعو لان تبقى القدس موحدة تابعة لاسرائيل، مع اعطاء الاردن حقوقا خاصة فيها . وقالت التايم ان الاتفاق كان نتيجة لاجتماع حسين — آلون قبل ٤ أشهر على الحدود بين البلدين . وان هناك اجتماعات اخرى عقدت بعد ذلك بين رسميين من الجانبين هي التي انتجت هذا الاتفاق .

وقد اقتصر دور الاردن في هذه المرحلة في ميدان التسوية السياسية بالاجابة على الاسئلة التي وجهتها اسرائيل بواسطة يارينغ الى مصر والاردن. وكان الرد الاردني تكرارا لنفس القضايا السابقة الواردة في قرار مجلس الامن .

مواقف عربية

في ١٤ ك٢ اقترح العقيد معمر القذافي عقد مؤتمر قمة عربي في الكويت لبحث (قومية المعركة) بانتظار يوم الخامس من شباط . وبعد يومين وصل الى الكويت الرائد محمد نجم وصرح ان مهمته تدور حول اربع نقاط : ١ — دعوة الكويت لعقد مؤتمر قمة عربي . باعتبار ان الكويت هي الدولة الوحيدة التي ردت ايجابيا على دعوة ليبيا لعقد مؤتمر قمة . ٢ — تنفيذ الخطط الخاصة بتحويل المعركة مع اسرائيل الى معركة قومية . ٣ — الاجراء الذي يتوجب اتخاذه بعد ٥ شباط . ٤ — الوضع في الاردن ومحاولات تصفية الثورة الفلسطينية .

وقد أبدت الكويت استعدادها لاستضافة مؤتمر القمة (١٧ ك٢) ، وعلى اثر ذلك وافقت سبع دول على عقده هي مصر وسوريا والسودان وليبيا والكويت والمغرب والجزائر . وهنا بدا ان مؤتمر القمة على وشك الانعقاد . ولكن بعد أيام قليلة (٢١ ك٢) ذكرت مصادر كويتية مطلعة ان السعودية تعارض عقد مؤتمر القمة لانها غير مقتنعة بمبررات عقده ، وهنا اشترطت الكويت من اجل استضافة مؤتمر القمة حضور كل الدول العربية والخروج بنتائج ايجابية تنفذ فورا . كذلك ذكر ان بغداد لم تبد ارتياحا لفكرة المؤتمر . وبذلك انتهى الحديث عن عقد مؤتمر القمة في الكويت .

في ٢٣ ك٢ اعلنت الجزائر انها مستعدة لاستضافة مؤتمر القمة شرط ان يعقد قبل الخامس من شباط. وهنا أعلنت السعودية ان الملك فيصل مضطر للبقاء في السعودية بسبب موسم الحج ، واعلن العراق انه لن يشترك في المؤتمر لان الشروط الموضوعية لانجاحه غير متوافرة ، وحافظ الاردن على صمته تجاه الموضوع . وحين زار محمود رياض الكويت يوم ٣١ ك٢ اعلن انه لا يعرف بوجود دعوة رسمية لعقد مؤتمر قمة عربي . وبذلك أسدل الستار على هذا الموضوع .

ب٠ ح٠

ان يؤخذ بعين الاعتبار » وان « رد مثير هو رد مشجع » . بينما اعتبر الناطق الرسمي في القاهرة بيان جولدا مئير حول فتح القنـــاة رفضا لمبادرة السلام المصرية .

٣ ــ ذكرت الانباء الصحفية ان مصر مستعدة لتوقيع معاهدة سلام مقابل الانسحاب الكامل (وهو ما ذكر اثناء الحديث عن مهمة يارينغ) . وحين وضعت اسرائيل خريطة الحدود الآمنة التي تريدها كانت تعلن عمليا رفضها للانسحاب الكامل ، وتمسكها فيما يتعلق بمصر بمنطقة شرم الشيخ . وعبر موشي دايان عن موقف اسرائيل بوضـــوح حين قال انه « يفضل شرم الشيخ دون سلام ، على السلام بدون شرم الشيخ » (١٧ شباط) . وقـد عبر الزيات رئيس وفد مصر في الامم المتحدة بصورة اوضح عن نتائج معاهدة السلام التي وافقت مصر على توقيعها حين قال في مقابلة مع صحيفة «نيويورك بوست » ان مصر عرضت الاعتراف بوجود دولـــة اسرائيل الشرعي اذا قبلت اسرائيل تحديد هجرة اليهود اليها . واوضح انها المرة الاولى منذ ٢٥ عاما والتي تعلن مصر فيها عن استعدادها للاعتراف باسرائيل كدولة ذات سيادة (١٧ شباط) ولكن ايبان رفض هذا الاقتراح قائلا ان اسرائيل لن تقترح على مصر تحديد النسل فيها .

٤ ــ ومن الوقائع التي ذكرناها سابقا يمكن ان نستنتج ان اسرائيل سوف تحاول دفع مصر الى تنازل آخر هو القبول بالمفاوضات المباشرة مقابل الانسحاب مـــن شرم الشيخ كما تريد الولايـــات المتحدة ، او اشتراك اسرائيل في القوة الدولية التي سترابط عند شرم الشيخ كما يمكن ان تقترح اسرائيل في النهاية . وكنوع من الرد على هـــذا الاحتمال قالت مصادر مصرية رسمية « ان مصر لا يمكن ان تعطي اكثر مما أعطت ، وانه اذا كان الحل السلمي لن يتحقق بعد الذي قدمته مصر فلن يكون هناك حل سلمي على الاطلاق » (٣ آذار) . وعلى الشق الاخر مـــن الموضوع اجاب الدكتور أشرف غربال المسؤول عن رعاية المصالح المصرية في واشنطن « ان مصر ترغب في ارسال قوات دولية الى المنطقة ، لكنها ترفض اشراك اسرائيل فيها » (١٧ آذار) .

ان وصول الموقف الاسرائيلي الى هذا الحد ، لعب بدون شك دورا اساسيا في تحديد موقف مصر من تمديد وقف اطلاق النار الذي انتهت مدته في السابع من آذار ، لقد اعلن الرئيس السادات ان المساعي السياسية ستستمر ولكننا « لا نعتبر انفسنا مقيدين بوقف اطلاق النار، ولا بالامتناع عن اطلاق النار... سنراقب ونتابع ونقرر لانفسنا ». كذلك لعبت دورها في تقرير هذا الموقف الوعود الامريكية التي لم تسفر عن شيء ، والتي لخص نتائجها محمود رياض امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الامة قائلا « ان واشنطن لم تعط في الرسائل التي تبودلت معها على مختلف المستويات اية وعود صريحة ، بل مجرد وعود غامضة تطالب بالانتظـــار والصبر » (١٦ آذار) .

الاردن والتسوية

لم يلعب الاردن في هذه المرحلة من مهمة يارينغ دورا حيويا على غرار الادوار التي لعبها في مرات سابقة . ويعود الى سببين اساسيين : السبب الاول : العلاقات المتوترة التي نشأت بين مصر والاردن منذ قيام وزارة وصفي التل ، والتي أدت في النتيجة الى أن تكف مصر عن اطلاع الاردن على اتصالاتها السياسية بشأن قرار مجلس الامن . ففي ١٥ شباط اعلن ان الملك حسين سيزور القاهرة ليبحث في التطورات الاخيرة لازمة الشرق الاوسط، وهناك احتمال ان يرافقه وصفي التل . وفي ٢١ شباط اعلن ان الملك حسين الغى زيارته للقاهرة ، وان السبب وراء ذلك هـــو تحفظ القاهرة بشأن مجيء وصفي التل في رفقتـــه . كذلك فان رفض القاهرة قبول ترشيح السيد اكرم زعيتـــر سفيرا للاردن في مصر ، لعب دورا في توتير العلاقات بين البلدين ، التي كانت نتيجتها كما قلنا انقطاع الاردن عن المعرفة والمشاركة في نشاط مصر الديبلوماسي . السبب الثاني : ان يارينغ تجاهل الاردن ولم يقدم لها مشروعا للتسوية على غرار المشروع الذي قدمه الى مصر والى اسرائيل . وقد بقي يارينغ على تجاهله هذا بالرغم من أن أكثر من مسؤول اردني قال علنا اكثر مـــن مرة انه لا زال ينتظر وصول اقتراحات من يارينغ . ولان هذه الاقتراحات لم تصل فان الاردن لم يشارك بالحوار الطويل الذي دار حول هذا الموضوع . وقد تخوف الاردن نتيجة لهذا الوضع أن تسفر الامور عن قيام حل منفصل بين مصر واسرائيل ، فقد نقلت وكالة الصحافة الفرنسية من عمان يوم ١٥ شباط ان الاردن قرر تقوية اتصالاته مع مصر اذ يبدو انهم يخشون من اتفاق منفصل . وفي ١١ آذار عبر وزير الاعلام

المفاوضات غير المباشرة التي تجري تحت اشرافه في القضايا الثانوية وهي : ١ ــ إعادة فتح قناة السويس ٢ ــ حل قضية اللاجئين ٣ ــ السيطرة على الفدائيين . على ان يؤجل البحث في قضية الانسحاب الى المراحل الاخيرة » أي المرحلة التي تستلزم حسب تصريحات مفاوضات مباشرة .

هذا هو الموقف الاسرائيلي على حقيقته . ومنه تنبع المواقف السياسية الاخرى التي ترفض القوات الدولية ، والتي تعارض الضغط الامريكي والتفسير الامريكي لمعنى الحدود الآمنة ، والتي ترفض ايضا اقتراحات مصر بالانسحاب الجزئي . وحتى تتوضح صورة هذه المواقف التابعة للموقف الاصلي (غرض التفسير الاسرائيلي لقرار مجلس الامن) لا بد من تحديد الملامح الاساسية للموقف المصري .

مصر وحدود التنازلات

يخشى المراقبون ان تكون مصر قدمت في الفترة الاخيرة تنازلات هامة سعيا وراء تسوية سياسية تضمن بندا اساسيا هو الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي المصرية المحتلة . فما هي التنازلات التي قدمتها مصر ؟

١ ــ الموافقة على تمديد وقف اطلاق النار في ٥ شباط (حتى ٧ آذار) . وقد اقدمت مصر على هذه الموافقة « احتراما لمناشدة يو ثانت » وبسبب تعهدات امريكا ببذل الجهود لاقناع اسرائيل بالانسحاب . فمنذ ٢٣ ك٢ كشفت « الاهرام » عن رسائل متبادلة بين وليم روجرز وزير الخارجية الامريكي ومحمود رياض وزير الخارجية المصري ، تطلب تمديد وقف اطلاق النار . فقد بعث روجرز الى محمود رياض بثلاث رسائل في مدة لا تتجاوز الاسبوعين . أعلن عن الرسالة الاولى في ٢٣ ك٢ ، وارسلت الثانية في ٢٩ ك٢ ، والثالثة في ٣ شباط . ورد رياض على الرسالتين الاولى والثانية قائلا انه لا يشارك روجرز « تفاؤله بالنسبة الى التقدم الذي حققته مهمة الوسيط الدولي يارينغ » . وكان ذلك يعني ان مصر ترفض تمديد وقف اطلاق النار ، وهذا ما دفع روجرز الى ان يضمّن رسالته الثالثة تفاصيل وافية عن الموقف الامريكي حيث قال « ان امريكا تفسر قرار مجلس الامن بأنه يعني الانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي التي احتلت مع دفع تعويضات للتعديلات الثانوية التي يمكن ان تكون متبادلة . وان الحاجة الى مثل هذه التعديلات قد تبرز فقط عند الحدود بين الضفة الغربية واسرائيل وليس في سيناء » . وفسر المراقبون موقف روجرز على أنه يعني اعتراف الولايات المتحدة بحدود مصر الدولية عام ١٩٤٨ مما يعني انسحاب اسرائيل من شرم الشيخ ، واعربوا عن اعتقادهم ان روجرز يحاول ابلاغ القاهرة ان الولايات المتحدة ستبذل اقصى جهدها لحمل اسرائيل على القبول بمفهوم واشنطن لمتطلبات الانسحاب الواردة في قرار مجلس الامن ، وذلك من أجل حل قريب لازمة الشرق الاوسط . وفي يوم ٤ شباط أضافت وكالة الصحافة الفرنسية ان الولايات المتحدة طمأنت مصر بأن اسرائيل ستقدم الى يارينغ خلال فترة تمديد وقف اطلاق النار (عناصر ايجابية) تتعلق بالتسوية ككل وبالانسحاب من الأراضي المصرية بصورة خاصة . وقد لعبت هذه الوعود دورا رئيسيا في اقناع مصر بتمديد وقف اطلاق النار ، الذي أعلنه السيد انور السادات في خطابه امام مجلس الامة (٤ شباط).

٢ ــ في الخطاب المذكور عرض السادات فتح قناة السويس مقابل انسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية من الضفة الشرقية للقناة ، كمرحلة اولى على طريق جدول زمني . وفي مقابلة له مع مجلة نيوزويك الامريكية (١٥ شباط) أوضح السادات ما يعنيه بالانسحاب الجزئي فقال « الانسحاب الى خط يقع وراء المريش » أي الى الانسحاب الى حدود مصر الدولية حسب اقتراحات يارينغ . وقد ردت جولدا مئير على اقتراح السادات قائلة « ان اقتراح مصر فتح القناة عديم المعنى ما دام الرئيس المصري غير مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل » . ولكن المسؤولين الاسرائيليين لم يعتبروا ذلك موقفا نهائيا ، وذكرت مصادر مطلعة ان اسرائيل تجري اتصالات مع الولايات المتحدة حول الاقتراح المصري، لمعرفة ما يعنيه السادات بالانسحاب الجزئي وللتأكد من ان السفن الاسرائيلية سيسمح لها بالمرور في القناة بعد اعادة فتحها (٧ شباط) . ولكن الموقف الاسرائيلي تحدد نهائيا يوم ٩ شباط حين حددت مئير موقفها من اقتراح السادات على الشكل التالي : ١ ــ ان اسرائيل مستعدة لان تبحث مع مصر ، بصورة منفصلة عن اتفاق سلام شامل ، في مسألة اعادة فتح قناة السويس أمام كل السفن .

٢ ــ ترفض اسرائيل ربط اعادة قناة السويس بانسحاب جزئي لقواتها . وفي اليوم التالي كان روجرز يعلن في واشنطن تأييده للموقفين المصري والاسرائيلي قائلا « ان اقتراح السادات يستحق

بالفروق الشاسعة بين طاقاتهم وما يضعون فعلا في المعركة من هذه الطاقات. والاوروبي او الاميركي الذي يأتي الى الكويت فيرى كل هذا الثراء ويرى كل هذه الامكانات المادية وكل هذه الضيافة ثم يعرف من جهة اخرى وضع العرب في المعركة ووضع عملهم الفدائي وازماته المادية لا يكون قد اقترب اكثر لقضيتنا منه في السابق . وكما قال احدهم : اذا كان الطواف بالضيوف الاجانب في مخيمات اللاجئين ليس بالاسلوب السليم للدعاية للعرب فكيف بالطواف بهم بين آبار النفط وفي الفنادق الكبرى ؟ هذا فضلا عن صراحة الصحف الكويتية المشكورة التي كانت تكتب والندوة قائمة ان النظام الكويتي كان الرابح الوحيد من هذه الندوة وان الحكومة الكويتية قد كسبت اعلاميا من انعقاد هذه الندوة .

ان ندوة الكويت لم تكن ندوة ناجحة ولا كانت ندوة مفيدة خصوصا اذا ما قورنت بالجو الجدي والجو الثوري الحقيقي الذي جرت فيه ندوة عمان حيث كانت اختبارا ثوريا حقيقيا عاشه كل من جاء الى الندوة لان ندوة عمان كانت ندوة جبل الحسين والوحدات ومخيم الحسين بينما كانت ندوة الكويت ندوة هيلتون وشيراتون .

وقد اجاب عن سؤال يتعلق برأيه بما قام به المثقفون الفلسطينيون الذين اشتركوا بندوة الكويت بما يلي:

كان من الامور المسيئة للندوة النظرة الطبقية التي اتصف بها تحرك الانتلجنسيا الفلسطينية . لقد اعتبر المثقفون الفلسطينيون انفسهم وحدة لا على اساس وحدة معتقداتهم اذ كان بينهم يساريون وبينهم يمينيون بل على اساس كونهم مثقفين فقط لا غير واصدروا بيانا بصفتهم كتلة وهذا امر غريب اذ ليس هناك شيء في السياسة اسمه موقف المثقفين فبين المثقف والمثقف من اختلاف الراي في بعض الاحيان ما يجعلهما نقيضين فبأي منطق يقال « مثقفون فلسطينيون » و« رأي المثقفين الفلسطينيين » ؟ ان تصرفا من هذا النوع هو مفهوم فوقي واستعلائي لا يصح ظهوره في ثورة كالثورة الفلسطينية . هذا اذا وضعنا جانبا بعض العبارات الفوقية والاستعلائية التي تضمنها بيان المثقفين اذ لم يترددوا في ان يعتبروا انفسهم ناطقين باسم الجماهير الفلسطينية واقرب الى فهم هذه الجماهير من المنظمات الفدائية نفسها .

وقال الاستاذ غواز ناجيا :

اولا ، اذا اردنا تقييم ندوة فلسطين العالمية الثانية تقييما علميا صحيحا ، فلا بد من الاشارة الى الظروف التي رافقت تاريخ انعقاد الندوة الذي حدد لعدة شهور خلت . الا انه جاء والمنطقة العربية تمر بظروف بالغة الدقة والخطورة منها : ا — عقدت الندوة قبل حوالي اسبوعين من افتتاح الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني ، وهي الدورة الاولى للمجلس بعد هجمة ايلول الشرسة على الثورة الفلسطينية . ب — عقدت الندوة في وقت كان الحصار الاعلامي العربي والعالمي المفروض على الثورة الفلسطينية في ذروته . ومما لا شك فيه ان هذا الحصار هو جزء من الهجمة على الثورة . ج — عقدت الندوة في وقت كان فيه الصراع في وجهات النظر حول تمديد رابع لوقف اطلاق النار بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل في اوجه . وسط كل هذه الظروف عقدت الندوة . وكان لا بد أن تولد ردود فعل معينة تؤثر على سير اعمالها .

ثانيا ، من الضروري التذكير بوجود طرفين مسؤولين عن الندوة هما جمعية الخريجين الكويتية والاتحاد العام لطلبة فلسطين . وهذا في رأينا كان من العقبات التي اثرت في سير اعمال الندوة . فقد كان الاتحاد العام لطلبة فلسطين يشعر ان القضية قضيته بالاساس وانه بالتالي يجب ان تخرج الندوة بموقف واضح وصريح ضد الحل السلمي ومشروع روجرز وضد النظام الرجعي في الاردن . بينما كانت جمعية الخريجين تعتبر انها ايضا مسؤولة عن الندوة خاصة وان الندوة تعقد على ارضها ، في الكويت ، وبالتالي فقد كانت تسعى الى تجنب اية انفعالات او انشقاقات في الندوة قد يفهم منها انها تعكس موقفا معينا للحكومة الكويتية ضد الجمهورية العربية مثلا او الاردن. هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية ، فقد اثر وجود طرفين في الاعداد للندوة فيما يتعلق بتجهيز الدراسات وطباعتها وارسال الدعوات . لقد كان هناك طرف يقترح ويتمنى وهو الاتحاد العام ، وكان هناك طرف اخر وهو جمعية الخريجين بيده التقرير الفعلي ، اي التنفيذ . لذلك كانت بعض الاخطاء (اخطاء في الطباعة ، عدم توزيع الدراسات في وقت معين وعدم وصول بعض الدعوات) . ولكن يجب ان لا نضخمها . فقد كانت هذه الاخطاء في الواقع ،

قليلة وليست ذات بال اذا ما قورنت بما يحدث عادة في مثل هذه الندوات العالمية .

ثالثا ، اما بالنسبة للمدعوين فقد كانت نوعيتهم تختلف عن نوعيّة الذين حضروا ندوة عمان في اوائل ايلول الماضي حيث كان الهدف ان لا يأتي الى عمان اي من الشخصيات البارزة وان تقتصر الدعوات على الحركات والاحزاب والمنظمات . اما بالنسبة لندوة الكويت ، فقد كان للاخوان كويتيين راي آخر يعكس الرغبة في اشراك بعض الشخصيات العالمية . وهكذا اخذت وجهتا النظر في عين الاعتبار فوجدنا في الكويت حركات التحرير والاحزاب جنبا الى جنب مع الافراد والشخصيات . انما من المهم ان نؤكد ان معظم حركات التحرر وعلى راسها فيتنام والاحزاب اليسارية والتقدمية الاوروبية كانت ممثلة في الكويت .

رابعا ، فرضت هذه الارضية الواسعة من المدعوين خطا معينا لسير اعمال الندوة بمعنى اننا لا نستطيع ان نفترض ان كل هؤلاء الاشخاص او المدعوين ملتزمون فكريا وسياسيا بخط متجانس وبالتالي يعرفون عن الثورة الفلسطينية القدر الكافي . وهكذا كانت الفكرة ان تعطي الندوة لمحة عامة عن تاريخ القضية الفلسطينية وعن الثورة الفلسطينية وفلسطين الغد (أي شعار انشاء الدولة الديمقراطية) . وعلى هذا الاساس وزعت المحاضرات الثلاث والدراسات الثلاثون . وفي اعتقادي ان المحاضرات الثلاث ربما كانت من أحسن ما قدم من محاضرات حول هذه المواضيع . والدراسات كذلك كانت جيدة . وعلى الهامش فانا لم اقرا ، من بين الانتقادات التي قرأتها عن الندوة ، انتقادا واحدا لهذه الدراسات ولنوعيتها.

خامسا ، أما بصدد الاقتراح القائل بتقسيم الندوة الى لجان ، فان هذا لم يكن ممكنا لعدة أسباب . لقد كانت الفكرة الاساسية وراء الندوة ان نشرح كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية بطريقة التسلسل التاريخي . وهكذا فان ايجاد اللجان كان سيحرم بعض الاعضاء من دراسة ومناقشة بعض المراحل التي مرت بها القضية او الثورة بينما كنا نحن نتوخى اشراك العدد الاكبر في جميع المناقشات . أما القول بأن الندوة لم تركز على القضايا الراهنة فهذا غير صحيح اطلاقا ذلك ان المناقشات كلها تقريبا كانت تدور حول قضايا الساعة ولا سيما مشروع روجرز . وهنا احب ان اشير الى بعض التوترات التي قامت في الندوة بين بعض الاخوة العرب واقول انها كانت انعكاسا طبيعيا للجدل الدائر في الساحة العربية ككل حول الحل السلمي. وما ينطبق على اللجان ينطبق ايضا على تشكيل لجنة الصياغة التي اقترح البعض تشكيلها . لقد كان هناك قرار واضح من قبل اللجنة التنفيذية للندوة بعدم تشكيل لجنة صياغة وبعدم اصدار بيان ختامي والاكتفاء بتوجيه نداء مقتضب يعكس التأييد العالمي للثورة الفلسطينية .

سادسا ، اما التهمة بأن مظاهر البذخ قد رافقت الندوة فهي رأيي انها سخيفة . فالندوة عقدت في بلد عربي هو الكويت وكان من الطبيعي ان يتصرف اهل هذا البلد بالطريقة التي تعبر عن حفاوتهم بالضيوف وترحيبهم بهم . وبالمناسبة ، فان بعض اولئك الذين انتقدوا هذه المصادر وجهت لهم في السابق الدعوة لحضور ندوة عمان حيث لم تكن مظاهر ولا ولائم ، ولكنهم تقاعسوا عن الذهاب الى « عمان ايلول » لسبب او لاخر .

سابعا ، ان تقييمي العام للندوة هو أنها نجحت في تحقيق هدفها الاساسي وهو اظهار تأييد عالمي للثورة في الوقت الذي كانت الثورة تتعرض فيه لحصار اعلامي عام . كما وان الدراسات التي قدمتها الندوة دراسات جيدة ويمكن الاستفادة منها . اما الادعاء بأن الندوة خسرت اليسار واليمين معا فمرده ان كلا من اليسار واليمين بما في ذلك الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة قد اتفقا على تمرير الحل السلمي على حساب تصفية الثورة وقد كنا نعمل في ظل المعطيات القائمة للوضع الدولي الراهن ومع ذلك استطعنا ان نخرج من الندوة بقرار يرفض الحل السلمي ومشروع روجرز ويدعم الكفاح المسلح الذي تخوضه الثورة الفلسطينية ويدين السلطة في الاردن بسبب تصديها للمقاومة ويؤيد شعار الدولة الديمقراطية في كل الارض الفلسطينية . وفي معرض التقييم اشير الى أن بعض التشويش قد حصل على الندوة ويعود، بالدرجة الاولى ، الى ما سمي ببيان المفكرين الفلسطينيين . البيان بحد ذاته ليس سيئا ولكن استغلال توقيته من الصحافة المأجورة والعميلة كان يهدف الى اظهار الثورة الفلسطينية وكأنها بلا فكر او أن رجال الفكر هم ضد الثورة وضد قيادتها بالذات وهذا ما لا نحبه او نرضاه .

(٣) المعرض الاول للجنة السيدات الفلسطينيات لحرف التطريز الوطني

خلال صيف ١٩٦٧ ، اغتصب المزيد من الارض بالقوة واستحث شعب الى العمل المنظم وانبثقت حضارة من سبات عميق . وقد شرح أحد الفنانين هذه الظاهرة على النحو التالي : « لقد شعر الفنانون الفلسطينيون بالصدمة للنكبة التي اصابت العرب في حرب ١٩٦٧ مع اسرائيل . وقد أثرت هذه الهزة القاسية على أساليب الفنانين واختيارهم لموضوعاتهم وانتاجيتهم»(١). وقد شاهد الكثيرون احدى نتائج هذا الحافز في فندق كارلتون في بيروت بين ٢٦ شباط (فبراير) و٤ اذار (مارس) حيث عرض المعرض الاول للجنة السيدات الفلسطينيات لحرف التطريز الوطني جمال التصاميم والالوان الفلسطينية في التعاليق والسجاد والوسائد والمقاعد المطرزة ، التي عرضت منها مئتان وخمسون قطعة للبيع .

ان نظرة سريعة على القطع الفنية بالالوان التي تطرزها في الغالب فتيات فلسطينيات يعطي انطباعا بالتناسق والتخطيط الهندسي يختلف عن التصاميم المنحنية والمعتدة التي ترتبط في العادة بفن « الارابيسك ». ويمكننا القول دون الخوض في التاريخ الحافل للفن الفلسطيني ان هناك سببين لبساطة التصاميم : اولهما أن الانماط مستخلصة من تطريز الملابس التي كانت ترتديها في الماضي معظم نساء القرى الفلسطينية ، فكثير من التصاميم المشغولة بقطبة الصليب (القطبة المقدسية) كانت هندسية في الاصل ، وثانيهما أن معظم التصاميم المنحنية كيفت الى أشكال مثلثة او مربعة او خماسية عندما حولت من الازياء الوطنية الى النماذج الاكبر للقطع المعروضة . ويفسر الدكتور عبد الرحمن اللبان ، أحد الفنانين الذين يطورون الانماط للجنة السيدات الفلسطينيات ، الامر بأن تحقيق المنحنيات على الانماط الكبيرة امر بالغ الصعوبة ،ولذا فقد اختيرت التصاميم ذات الخيوط المستقيمة . كذلك شرح الدكتور اللبان ان التصاميم صممت عمدا لتعطي الاثر ذاته بغض النظر عن الجهة التي ينظر منها اليها . وقد كان الدكتور اللبان ، وهو لبناني متزوج من فلسطينية عضو في اللجنة ، قد عاش في فلسطين خمس سنوات . وهو يقول أن الانماط الابسط التي تحتوي على عدد ضئيل من الالوان هي الانماط الاكثر بدائية وربما كانت بدوية الاصل . أما التصاميم المعقدة ذات الالوان المتعددة فقد تأثرت بالحضارتين البيزنطية والمسيحية اللتين جلبهما الى فلسطين مسافرون من انحاء اخرى من العالم . وكثيرا ما يأخذ الدكتور اللبان الوان تصاميمه من الثياب المطرزة مباشرة، وهذه أساسا الوان دافئة : حمراء وقرمزية وبرتقالية وسوداء وبيضاء . ولكن الوانا اخرى كالخضراء والبنية أدخلت الى التصاميم لاشباع عدد أكبر من الاذواق والاقتراب من الالوان العصرية.

وتقول يسرى عرنيطة ، وهي مرجع ضليع في الفن الفلسطيني ، أن ثياب القرى التي تقطنها اغلبية مسيحية تختلف في الوان تطريزها عن تلك التي توجد في المناطق التي يغلب فيها المسلمون ، فالوان هذه الاخيرة أكثر تنوعا بكثير . ولا شك أن الاختلافات الاخرى منها يتعلق مثلا بتوزيع التطريز على الثياب واستعمال الابليكات (الزخارف التي تصنع بخياطة مواد قماشية على الثوب) كما في القرى الساحلية ، وتنوع القطب وكذلك اصول التصاميم المختلفة وفعل التأثيرات الخارجية على التطريز الفلسطيني ، لا شك في أن هذه الاختلافات يجب ان تدرس بعمق . وتقوم السيدة وداد قموار، وهي تقيم في عمان وتملك مجموعة كبيرة من الثياب الفلسطينية عرضت في ندوة فلسطين العالمية في الكويت في شباط (فبراير) ، وكذلك السيدة عرنيطة(٢) بكتابة كتب عن الاوجه المختلفة للتطريز الفلسطيني .

وليست فكرة تكييف التطريز الفلسطيني التقليدي ليتناسب مع الاستعمالات العصرية فكرة جديدة بأي حال . فمركز البياضات في بيروت يبيع أغطية موائد ومناديل وحصرا مزينة بالتطريز الفلسطيني منذ تسعة عشر عاما . فتقوم عقيلتا السيدين حنا خوري وفريد حداد باستيراد الكتان الايرلندي خصيصا من مانشستر وتعطيانه لفتيات لاجئات يبحثن عن عمل ، ثم تبيعانه في مكان يقع على شارع بلس في رأس بيروت . وهما ايضا تعرضان أغطية الموائد المطرزة في مهرجان الربيع السنوي الذي يقيمه نادي النساء الاميركيات في لبنان والذي اقيم هذه السنة في فندق فينيسيا في ٢ اذار

(مارس) . كما ان جماعات اخرى تعرض التطريز الفلسطيني في هذا السوق الخيري ومنها رابطة المراة الفلسطينية العربية واللجنةالنسائية لمساعدة الاونروا . وتملك هذه اللجنة ، وهي من الاوائل في هذا الحقل ، مشغلا في مخيم عين الحلوة بصيدا حيث تصنع الفتيات الفلسطينيات اعدادا كبيرة من الحقائب والجزادين والوسائد تعرض للبيع كل اربعاء في بناية الاونيسكو . كما أن منظمات اخرى كلجنة انعاش المخيم التي تصنع وسائد حريرية مزينة بالتطريز واتحاد المراة الذي يقوم بتطريز الثياب تعرض منتجاتها في معارض منها المعرض الذي اقامته لجنة أصدقاء القدس في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠(٣) ولجنة السوق الفلسطيني التابعة لفتح اواخر ١٩٧٠(٤). وتقوم بالتطريز في معظم الحالات فتيات فلسطينيات يتلقين دخلا لقاء عملهن .

ليس أمرا مثيرا للدهشة ان تبدي منظمات كثيرة وأفراد لا يحصون اهتماما بالغا بالثياب الفلسطينية التقليدية ويقومون بالتطريز الفلسطيني اذا اخذنا بالاعتبار التاريخ الطويل للحس الجماعي لدى المراة الفلسطينية(٥) . فقد كانت المهارة في ابداع قطب جديدة وتركيب الالوان واناقة الخياطة صفات طالما أثارت الاعجاب في المراة الفلسطينية وكان الرجال يأخذونها في اعتبارهم لدى اختيارهم لزوجاتهم . وكانت معظم القرى تفتخر ايما افتخار بهذا الفن الزخرفي . وقد اشتهرت قرية بيت دجن على وجه الخصوص بجمال تطريزها . وليس الفلسطينيون وحدهم هم الذين يقدرون هذا الوجه من وجوه تراثهم الحضاري ، فقد كان لهذا الوجه آثار بعيدة المدى في الماضي ، كما يقول الكاتب العراقي خالد تشطيني : « ... لا شك في ان الثياب التي ترتديها نساء القرى بالوانها الرائعة وتطريزها المتقن من أجمل الثياب التي ارتدتها النساء من اي عرق وفي اي وقت من الاوقات . لقد كان الاثر الذي خلفته هذه القطع الفولكلورية آسرا لدرجة أن بعض الصهيونيين عزوا كل مصابهم الى التأثير السحري لثياب القرويات الفلسطينيات على رجال الادارة البريطانية والموفدين الدوليين الذين قدموا الى الارض المقدسة لبحث المشكلة، فقد كان هؤلاء يجتذبون بسرعة الى الصف العربي »(٦).

ولا يزال المتحف البريطاني في لندن مأخوذا بالثياب الوطنية الفلسطينية ، فقد أرسل احدى موظفاته وهي الانسة وير الى فلسطين المحتلة لشراء الملابس الفلسطينية وذلك بعد حرب ١٩٦٧ بقليل . وستعرض المجموعة التي قدمت بها على الجمهور خلال ربيع ١٩٧١ . وتقول السيدة سيرين شهيد، وهي فلسطينية تملك مجموعة صغيرة من الملابس، أن مجموعة المتحف البريطاني هذه خضعت لفحص دقيق من جانب الاسرائيليين .

وتقول السيدة تمام شموط ، وهي واحدة ممن يجمعن الثياب الوطنية وواحدة من النساء الاحدى عشرة اللواتي يشكلن لجنة معرض التطريز الفلسطيني ، أن منظمتهن لم تنشأ في الاساس لحفظ الحضارة الفلسطينية ، فاسم الجمعية وهو كنزة المناضل يكشف عن مهمتها الاصلية . ففي العام ١٩٦٧ اشترتتسع نساء فلسطينيات وامرأتان لبنانيتان خيوط الصوف وتمن بتعليم بعض الفتيات حياكة الكنزات للمقاتلين . ولم تبدأ هؤلاء الفتيات في تطريز تصاميم وطنية فلسطينية بحماسة وفخار الا في العام الماضي . وقد أصبح للجنة الان مكتب ومشغل ومعرض دائم في بناية منظمة التحرير الفلسطينية على كورنيش المزرعة في بيروت حيث يرحب بالزوار والمتطوعين والمشترين طيلة ايام الاسبوع . وتقول السيدة شموط التي تعمل مع الدكتور اللبان وفرديناند عرنيطة على تحويل تطريز الثياب لتصاميم أكبر ، أن احد الاسباب التي تكمن خلف احياء التطريز الفلسطيني هو اثبات ان هذا التطريز تراث فلسطيني وليس اسرائيليا . فبعد احتلال اسرائيل لسيناء وغزة والضفة الغربية في العام ١٩٦٧ شعر الكثيرون ان الحضارة الفلسطينية مهددة بالضياع لتشتت اللاجئين في البلاد العربية وفي الخارج . وزاد من حدة هذا الشعور تبني اسرائيل للفنونالشعبية الفلسطينية. وتبين مقالة اخرى نشرت عن معرض الكارلتون بعنوان «سرقوا الارض ويريدون سرقة الحضارة» ان الفن الفلسطيني يعرض في الخارج على أنه فن اسرائيلي.وتشير هذه المقالة الى أن احد اهداف احياء التصاميم الفلسطينية هو البرهنة ثانية على ادعاء الفلسطينيين لتراث هو تراثهم حقا(٧).

وليس واضحا ما اذا كان من ينظمون المعارض الاسرائيلية يدعون بأن الثياب المطرزة الجميلة التي يتهافت عليها هواة الجمع « اسرائيلية » او « يهودية » أم أنهم يقولون ذلك بصورة ضمنية

فحسب ، ذلك أننا لم نستطع العثور على أدلة منشورة . غير ان الاسرائيليين ينشرون كثيرا من الصور لنساء يرتدين ملابس سوداء وحجبا ثقيلة على انها صور لنساء فلسطينيات نموذجيات ، ويمكن العثور على أمثلة لذلك في مجلة « اسرائيل ماجازين »(٨). من جهة أخرى يمكن للمرء ان يستخلص ان ثوبين مطرزين نشرت لهما صورتان في مجلة « فوج » ، وهي مجلة أزياء اميركية ، على انهما ثوبان اسرائيليان ، ففي مقطع بعنوان « من جديد من اسرائيل » نشرت المجلة ضمن أزياء اخرى صورتين لثوبين فلسطينيين وصفتهما بانهما « ثوبان ثمينان لهما قيمة تراثية اكتشفا في سوق يدعى نجمة خاروفه في شارع الملك داود حيث تكثر الثياب التقليدية الاخاذة » . ووصف الثوب الاول بانه « كنف ملونة من غزة » ووصف الثاني بانه « مخملي ذو اكمام ضيقة ... ثوب عرس من بيت لحم »(٩). وعلى الرغم من أن « فوج » لم تحدد من يدير هذا المتجر ، الا أنه قد يكون المتجر الذي تديره « ماسكيت » (شركة تطوير الحرف البيتية المتحدة) التي تملك متجرا في مبنى فندق « كينغز » على شارع الملك داود في القدس ايضا(١٠). وقد كانت روث دايان ، زوجة موشيه دايان ، مديرة هذه الشركة منذ ١٩٥٤ ، والشركة توصف بانها « مشروع حكومي لتطوير الصناعات البيتية »(١١). وفي مقابلة بعنوان «روث دايان والصداقة العربية » يقول الذي أجرى المقابلة أن ماسكيت « مشروع أصبح يعني الازياء الرفيعة والزخارف الغربية »(١٢). وفي لندن متجر صهيوني اسمه « السوق » ويبيع « فنا شعبيا » اسرائيليا مثل البياضات المطرزة والمنحوتات الخشبية والهدايا التذكارية وكذلك ثيابا مطرزة «تقليدية» . ويقال ان زوجة ديان، التي كانت قد اكتسبت قبل ادارتها لماسكيت خبرة في حقل الفنون الشعبية عندما كانت ترئس دائرة الحرف في وزارة العمل من ١٩٥٣ الى ١٩٥٤، هي صاحبته. ويذهب انغماس الحكومة الاسرائيلية في مسألة التطريز أبعد من ذلك . اذ تجبر النساء الفلسطينيات في السجون الاسرائيلية على تطريز بياضات وقطع بيتية أخرى على حد قول عبلة طه التي اتهمت بالعمل مع الجبهة الشعبية وقضت سبعة شهور في سجون اسرائيلية مختلفة الى أن اطلق سراحها في نهاية العام ١٩٦٧ .

يبدو أن الخطط التي تذهب الى احياء التراث الفلسطيني تعد بالنجاح الباهر . فسيتكون معرض متنقل من ١٥ قطعة عرضت في الكارلتون (سيكون هذا المعرض تحت رعاية الجامعة العربية ويشرف عليه اسماعيل شموط من منظمة التحرير الفلسطينية) وستعرض محتوياته في عشر مدن عالمية هي ستوكهولم وباريس واستانبول وبكين وبيونس ايريس ولندن ونيويورك وموسكو ونيودلهي والجزائر ، وسيكون هذا المعرض اكبر معرض فلسطيني اقيم حتى الان وسيتتبع من خلال معروضاته تاريخ فلسطين منذ خمسة الاف سنة وحتى الان . كما ان اللجنة قد حصلت على مكان للعرض الدائم في متجر في لندن تملكه دينا عبد الحميد وتتضمن خطط المستقبل اصدار دليل تعليمي لمن يرغبون في تطريز قطعهم بأنفسهم .

كذلك يجري الان احياء أشكال اخرى من الحضارة الفلسطينية . تقول السيدة عرنيطة أن الفنانين الفلسطينيين في حقول الرسم والموسيقى والرقص يوحدون الان جهودهم لبث الحياة في التراث الحضاري الفلسطيني . ولا شك أن التقليد الفني العربي يمثل معينا لا ينضب للفنان الشعبي الذي يستطيع أن يكيف الصور طبقا لتجاربه الذاتية كما يستطيع تكييف التصاميم الفلسطينية الى قماش لتغطية الاثاث او سجاد على طريقة غزة أو آجر سيراميكي لتزيين المنازل وعشرات من الاستعمالات الاخرى . اضف الى ذلك ان الوسائل التقنية الحديثة متوفرة لاحياء الحفر على الخشب وصناعة الزجاج اللذين اشتهرا في فلسطين منذ القدم .

لقد استحوذ معرض لجنة السيدات الفلسطينيات لحرف التطريز الوطني على الخيال الخصب الذي ينعم به المسرح الحضاري الفلسطيني . فقد اثبت هذا المعرض ان النماذج التزينية الفلسطينية لم تفقد جمالها بمرور الوقت ، ذلك أن التراث لا يفقد قيمته بمرور الزمن ، بل على العكس من ذلك ازدادت هذه القيمة بتكييفه للاستعمالات العصرية وبتكشف الشعور الوطني الفلسطيني . ان كل من يتعرض للتطريز الفلسطيني الجديد يشعر بأنه يشارك في اعادة الحياة الى حرف قديمة مشرفة، فالفنانون الذين يلتقطون الجمال في التفاصيل الدقيقة للثياب التقليدية ويحولونها الى قطع فنية، والنساء والفتيات اللواتي يحترمن التقليد الراسخ

ولا يقعن اسيرات له واللواتي يحكن ويعرضن المطرزات المشغولة بقطبة الصليب وكذلك الذين يملكون السجاد الفلسطيني والتماليق الفلسطينية يشعرون جميعا بذلك . وسواء أكان المرء يعتقد أن احياء الفنون والحرف مهم لاسباب حضارية او فنية او وطنية أو سياسية ، فان نتائج الانبعاث والوحدة وتجديد النشاط مفيدة بحد ذاتها .

جويس القاضي

---

١ — مقابلة مع اسماعيل شموط في معرض القاهرة الدولي في النيويورك تايمس ١٠/٢٧/ ١٩٦٨ .

٢ — تعد السيدة عرنيطة كذلك كتابا عن الموسيقى العربية المعاصرة لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي سبق ونشر كتابها الفنون الشعبية في فلسطين . وسيقوم المركز نفسه بنشر كتابي السيدتين قعوار وعرنيطة.

٣ — اقرأ عن المعرض المذكور في ديلي ستار ١٩٧١/١/٦ .

٤ — اقرأ عن المعرض المذكور في الاوريان ١٦/ ١٩٧٠/١٢ .

٥ — للتوسع راجع كتاب Dimitri Baramki, The Art and Architecture of Ancient Palestine (P.L.O. Research Center, Beirut, 1969), p. 184-5.

٦ — Khalid Kishtainy, Palestine in Perspective (P.L.O. Research Center, Beirut, 1971).

٧ — الاسبوع العربي ، ١٩٧١/٣/١ . رقم ٦١٢ . ص ٣٢ .

٨ — انظر مثلا عدد ٩ مجلة السنة ١٩٦٨ ص ٧٤ .

٩ — عدد تموز (يوليو) ١٩٦٩ ص ١٢٣ .

١٠ — يقول « دليل اسرائيل »للعام ١٩٥٨ ان هذا المتجر يبيع هدايا تذكارية وازياء وسجادا ومنسوجات .

١١ — Who's Who Israel, 1968, p. 134.

١٢ — Jerusalem Post Week-End Magazine, Oct. 5, 1970.

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

الفنون الشعبية في فلسطين

بقلم السيدة يسرى جوهرية عرنيطة

(بالعربية ٨ ل.ل.)

الفن والهندسة المعمارية في فلسطين القديمة

بقلم ديمتري برامكي

(بالانجليزية ٨ ل. ل.)

عمران فلسطين منذ القدم

بقلم خالد تشطيني

(بالانجليزية ٨ ل. ل.)

(٤) الحلقة الدراسية لاتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة

حول عنصرية اسرائيل

افتتحت الحلقة صباح ٨ اذار ثم تعاقبت ممثلات الاتحادات النسائية العربية وغير العربية وممثلو عدد من الجمعيات والاتحادات غير النسائية. وفي مساء نفس اليوم القت السيدة نبيلة النمر دراسة حول : الكيان الاسرائيلي ومجموعة العناصر التي ينتظمها وابرزت التناقض والفوارق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين اليهود الشرقيين ، السفارديم، وبين اليهود الغربيين، الاشكنازيم، في اسرائيل وكذلك تعرضت لاختلاف هاتين المجموعتين في النشأة والتراث الثقافي واللغة والطقوس الدينية . ويلاحظ ان المعلومات الموضوعية كانت جيدة مما يدل على الجهد الطيب المبذول في الدراسة ، الا ان الاستنتاجات والايحاءات كانت احيانا تجافي الواقع الملموس ، فنحن نعتقد مثلا ، ان المجتمع الاسرائيلي لن يتقوض من الداخل مهما بلغت حدة التناقضات بين اليهود الشرقيين والغربيين ، كما ان السلطات في اتجاه دمج جميع المواطنين وصهرهم في بوتقة اسرائيلية واحدة وذلك عن طريق مؤسسات الدولة كالمدارس والجيش ، غير ان هذا لا ينفي التمييز الواقع على اليهود الشرقيين . ونحن نعتقد ان هذا التناقض وهذا التمييز لا يمكن ان يؤدي الى النتائج المطلوبة الا في حالة تورط اسرائيل في ظروف اقتصادية وعسكرية صعبة. كما ان بعض المعلومات البسيطة كانت غير مدققة، وخاصة في الموضوعات والنواحي التي عالجت واقع الامر سواء بالنسبة لليهود او للعرب في داخل اسرائيل . وهذا ناتج في الاساس عن عدم معرفة الباحث للغة العبرية بحيث توصله مطالعاته المستمرة المثابرة الى فهم روح الاحداث ، كما ان اعتماده على ترجمات من هنا وهناك قد لا تكون دقيقة ومن الممكن انتورطه ببعض الاخطاء. هذا بالاضافة الى عدم معرفة واقع وحقيقة البلد الذين يكتبون عنه اذ لم يتسن لهؤلاء الباحثين معايشة اليهود في اسرائيل . اما المعلومات النظرية فكان الجهد المبذول فيها مشكورا .

الدراسة الثانية في نفس الامسية اعدها السيد اسماعيل العراقي ، وهو من عرب الارض المحتلة سابقا . وقد تركزت حول الاحكام العسكرية ومصادرة الاراضي ومذبحة كفرقاسم . وكانت المعلومات حول عرب الارض المحتلة كناية عن مجموعات من الكتل التي تكاد تكون منفصلة ، اذ لم ينتظمها خيط السياسة الاسرائيلية بحيث تلقي ضوءا وتعطي فكرة يستطيع معها المستمع البعيد عن الاحداث ان يستوعب ابعاد تلك السياسة . لقد لاحظت ان الانسان العربي الذي عاش في اسرائيل يتصور دائما ان المستمع او القارىء في البلاد العربية بامكانه ان يتفهم وجهة نظره بسهولة وذلك لانه يتصور بأن ما يعتبره هو نفسه بدهات وتحصيل حاصل بالنسبة للموضوع هو كذلك ايضا بالنسبة للجمهور العربي في البلاد العربية . هذا التصرف اللاشعوري الذي يسيطر على الكاتب يجعله احيانا يبدو وكأنه غير مفهوم لمستمعيه او قارئيه .

وعلق على هذين الموضوعين كل من حبيب قهوجي ومحمود درويش . فالقيا ضوءا على شتى القوانين العسكرية التي صودرت بموجبها الاراضي العربية وتحدث حبيب قهوجي باسهاب عن هذا الموضوع . لقد تبين ان قسما كبيرا من المستمعين لا توجد لديه فكرة عن القوانين التي يعمل بموجبها الحكم العسكري وحتى عن الحكم العسكري بالذات . فلم تكن هنالك فكرة واضحة عن خلفية الحكم العسكري المطبق على العرب في اسرائيل ، الذي « فبرك » في انجلترا اولا وقد طبق قسم من صلاحياته المطبقة الان على العرب في اسرائيل . في انجلترا ذاتها ايام الحرب العالمية الثانية ، والغيت اكثرية هذه الصلاحيات بعد انتهاء الحرب مباشرة . غير ان القوانين القائمة الان تختلف اختلافا جذريا عن القوانين التي طبقت في انجلترا في بداية الحرب . فالقوانين العسكرية الحالية (قوانين الدفاع ، حالة الطوارىء ، ١٩٤٥ والتي يعتمد عليها الحكم العسكري اليوم في اسرائيل من جهة قانونية، تضاف اليها قوانين الطوارىء ، مناطق الامن الاسرائيلية الصادرة عام ١٩٤٩) قد استندت اصلا على قوانين الطوارىء لسنة ١٩٣٦ وقوانين الدفاع ١٩٣٩ التي

وجهها الانكليز ضد العرب والثوار الفلسطينيين لقمع الثورة آنذاك . ثم حررت هذه القوانين من جديد ونشرت بصورتها الحالية ووجهت بعد الحرب العالمية ضد السكان العرب واليهود على السواء . وتتكون قوانين الدفاع من ١٧٠ قانونا مقسمة الى ١٥ فصلا . وتبحث في اشياء عديدة ، منها شؤون الرقابة على الكتب والصحف ، وتحديد حرية الكلام والصحافة ، والاشراف على وسائل النقل وتنظيم استعمال الاسلحة ، وامداد قوات الحكومة بالطعام ونسف البيوت اذا اطلق منها الرصاص على سلطات الحكومة وايقاع العقوبات الجماعية على القرى والمدن . وغيرها الكثير .. ولها حق تعيين حكام عسكريين لهم حق تطبيق جميع الصلاحيات التي تشتمل عليها قوانين الدفاع ، وتشكيل محاكم عسكرية لتنفيذ ذلك . والمادة ١٢٥ ، التي تمنح الحكام العسكريين صلاحية الاعلان عن مناطق معينة كمناطق مغلقة ممنوع الدخول اليها او الخروج منها الا باذن من قائد الجيش او من يمثله ، هي احد القوانين المشهورة . وصحيح ان هذه القوانين موجودة في اسرائيل ، وصحيح ان كل اسرائيل تعتبر في حالة الطوارىء (تبين هذا بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦) الا ان هذه القوانين لم تطبق الا على مناطق معينة فقط حيث يسكن العرب . والمواطنون اليهود الذين كانوا في هذه المناطق كانوا يستثنون من هذه الاجراءات المفروضة على العرب ولم تصادر طبعا املاكهم بهذه القوانين بل بالعكس صودرت املاك العرب واعطيت لهم، كما ان المواطنين العرب الموجودين في المناطق المدنية (فعلا) كحيفا مثلا — مع انه كان يسمح لهم بالسفر الى تل ابيب بدون تصريح الا انهم كانوا بحاجة الى مثل هذا التصريح اذا ارادوا الدخول الى المناطق العربية حيث يطبق الحكم العسكري . كما انه بامكان الحاكم العسكري بواسطة شرطة قسم المهمات الخاصة ان يفرض على بعض هؤلاء المواطنين العرب الذين لا يرضى عنهم ان لا يخرجوا من حيفا الا باذن خاص . كما انه بامكانه ايضا ان يفرض عليهم الاقامة الاجبارية بالبيت وان يعتقلهم اعتقالا اداريا بأمر من الحاكم العسكري بدون اسناد تهمة وهذا ما حدث فعلا . فالقضية اذن ليست قضية جغرافيا وقضية نصوص جامدة. الحكم العسكري مفروض على العرب حيثما وجدوا وموجه ضد العرب حيثما كانوا . واذا ما استعمل مرة او مرتين ضد مواطنين يهود فلانهم كانوا متوجهين لحضور مؤتمرات عربية للدفاع عن حقوق العرب في اسرائيل ، معقودة في الجليل او في المثلث . وقد اجريت تخفيفات ضئيلة على الحكم العسكري بعد عام ١٩٦٣ بحيث اصبح بامكان المواطن العربي السفر من منطقة مغلقة صغيرة الى منطقة مغلقة اخرى بدون تصريح داخل المنطقة العسكرية الكبيرة . وفي ايلول ١٩٦٦ اعلن الغاء الحكم العسكري . انه في الواقع لم يلغ . كل ما في الامر انه سمح للمواطنين العرب بالسفر في انحاء الدولة (ما عدا شريط ضيق على الحدود) بدون تصاريح . واستثنت الحكومة حوالي ٩٠٠ عربي من هذا (العفو العام) اما القوانين التي قام على اساسها الحكم العسكري فلا تزال قائمة ويمكن استعمالها متى يعن على بال السلطات.

اما القول بأن الحكم العسكري في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ هو غيره في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ فهو غير صحيح ، اذ ان القاعدة القانونية التي يقوم عليها الحكم العسكري هي ذاتها . كل ما في الامر ان الحكم العسكري يفعّل في الضفة وغزة بعض القوانين التي في جعبته والتي لم يفعّلها سابقا على عرب الـ ٤٨ لعدم اضطراره لذلك . فهناك نسف البيوت مثلا . وهذا أمر ينص عليه الحكم العسكري في صلاحيات الحكام العسكريين الا ان الحاكم العسكري لم يستعمل هذا القانون في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ لعدم اضطراره لذلك . وارجو ان اكون بهذا قد القيت بعض الضوء على استفسارات وردت بعد انتهاء الحلقة الدراسية يوم ١٩٧١/٣/٨ ، من الحكم العسكري في اعقاب التعليق الذي جرى على دراسة « العرب في الارض المحتلة » .

وقد القى الاخ محمود درويش قصيدة في نهاية الامسية الدراسية فكانت مسك الختام . وفي اليوم الثاني ٣/٩ ، أعدت السيدة جاكلين خوري بحثا عن: الفكر الصهيوني فكر عنصري، وقد حفل البحث بالافكار والاقوال التي تثبت ذلك ، فاستشهدت بمؤلف « روما والقدس » لموزيس هس عام ١٨٦٢ الذي حاول أن يثبت فيه ان اتجاه ذوبان اليهود في المجتمعات الاوروبية لا يشكل حلا عمليا للمسالة اليهودية بسبب ما أسماه جهل رعاع آسيا واوروبا وبدائيتهم ، وقال ان اليهود المقيمين في وسط الامم لا يمكن ان يلتحموا عضويا بها ، وبكتاب ليو

بنسكر « التحرر الذاتي » ١٨٨٢ الذي اكد فيه ان اليهود ينحدرون من « سلالة نقية واحدة » وان اليهود «الشعب المختار للكراهية من جانب العالم» وان تحرر اليهود الحقيقي يكمن في خلق قومية يهودية للشعب اليهودي . وعقب على البحث كل من الاستاذين خيري حماد واحمد بهاءالدين فعمقا بعض ما ورد فيه.وقد لفت الاستاذ احمد بهاءالدين الانتباه الى ضرورة دراسة جميع جوانب الفكر الصهيوني ودوافعه ، لا ان نكتفي بالتركيز على النواحي العنصرية الصارخة فيه . وحبذا لو كان اورد الاستاذ بهاءالدين بعض النماذج من ذلك — ما دامت الحلقة دراسية — ولم يكتف فقط بلفت الانتباه .

في اليوم الثالث ٣/١٠ قدمت السيدة نبيلة الدجاني بحثا تناول التعاون الاسرائيلي مع الانظمة العنصرية ، فبينت علاقة التشابه بين اسرائيل وجنوب افريقيا حيث يمارس كلاهما التمييز العنصري ضد ابناء البلاد الاصليين . كما تمثلان راس جسر للامبريالية العالمية واظهرت التعاون بين هذين النظامين . وكذلك بحثت العلاقة بين النظام العنصري في فلسطين والنظام العنصري في روديسيا الجنوبية من حيث تشابههما فيالنشأة وهدف التكوين حيث طرد كل منهما السكان الاصليين من اراضيهم ليحل محلهم اجنبي متوطن . كما أوضحت في البحث علاقة اسرائيل مع البرتغال التي تتميز بانها علاقة بين دولتين استعماريتين تحافظان على المصالح الإمبريالية في البلاد العربية وافريقيا وذلك عن طريق اضعاف هذه الدول ، باشغالها بحروب مستمرة والسيطرة على بعض اراضيها . وركزت في ذلك على التعاون السياسي ، والتعاون العسكري والتعاون الاقتصادي بين اسرائيل وبين جميع هذه الانظمة . ولقد كان الجهد باديا في هذه الدراسة والمعلومات قيمة ومنسقة . ولقد علق على الموضوع كل من ابراهيم عامر ود. عبدالملك عودة ود. احمد صدقي الدجاني . وفي الواقع استفاض الجميع بالمعلومات حول هذه الدراسة مما جعلها مفيدة وغنية وقد القى كل من الاساتذة بمزيد من التوسع الاضواء على مطامع اسرائيل وخططها واهدافها في افريقيا ثم علاقة كل ذلك بمخطط العدوان على الدول العربية وخاصة الدكتور عبدالملك عودة حيث دلل على معرفة واسعة بشؤون افريقيا . تميزت هذه الحلقة الدراسية ، علاوة على الدراسات الهامة والضرورية في هذه الفترة ، بالجدية التي عكفت بها السيدات ممثلات الاتحادات النسائية على دراسة وتقييم هذه الابحاث . فقد ثابرن على حضور الجلسات الدراسية الصباحية باهتمام وكلهن تصميم على الاستفادة من هذه الحلقة .

واود ان اقول في نهاية هذا العرض الموجز ، حبذا لو كانت الدعوات اوسع وعدد الحضور ليس وقفا فقط على وفود الاتحادات ، اذن لكانت الفائدة أعم واشمل طالما ان الدراسات على كل حال مقدمة ، وطالما ان هذا الجهد المبذول على هذا المستوى . كما انني لا اعتقد بأن هذه الدراسة سوف تكون غاية بحد ذاتها . اذ انني اعتقد انه من المفيد جدا ان تكون وسيلة يتمكن بواسطتها اتحاد المراة الفلسطينية والاتحادات العربية الاخرى من فهم حقيقة الاوضاع والنفاذ الى اتحاد المراة في العالم عامة وفي افريقيا بشكل خاص وتعميم هذه الدراسات على جميع تلك الاتحادات وتنسيق العمل معها على التصدي للمخطط الاسرائيلي . فبالرغم من وقوف الدول العربية مع الدول الافريقية الطامعة في تحقيق سيادتها واستقلالها ، الا اننا نرى ان النفوذ الاسرائيلي في بلد كنيجريا مثلا — حيث وقفت الجمهورية المتحدة ضد الانفصال ووقفت اسرائيل مع بيافرا — في ازدياد مستمر . اننا بحاجة الى التحرك لا على مستوى الدول والسفارات والحفلات التقليدية فحسب ، بل على مستوى التنظيمات الشعبية وخاصة الاتحادات الطلابية والنسائية لنقيم علاقات ميدانية على مستوى الجماهير وعلى مستوى قياداتها الملتصقة بها يوميا . انني اخال ان الاتحاد العام للمراة الفلسطينية سوف يفعل ذلك.ويحول هذه الدراسة الى رأسمال فكري يدعم القضية الفلسطينية ، وكفاح الفلسطينيين والعرب من اجل استعادة حقوقهم المشروعة .

حبيب قهوجي

(٥) انطباعات حول جولة اعلامية في اوربا

زرت في الشهر الماضي ايرلندا وبلجيكا وباريس . وكان هدف زيارتي الرسمي حضور مؤتمر الندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين الذي عقد في باريس بتاريخ ١٠ ــ ١٣ شباط. اما الدول الاخرى فقد زرتها بناء على دعوات شخصية . وسأورد فيما يلي انطباعاتي عن الاتصالات التي قمت بها في هذه البلدان . وابدا بايرلندا . اجمالا ليس لدى الشعب الايرلندي فكرة واسعة عن القضية الفلسطينية . لكن المثقفين ، وخاصة الطلاب ، يسعون وراء معرفة المزيد عن قضيتنا . لقد الحوا علي لاعطائهم المزيد من المعلومات كما طلبوا مني ارسال مطبوعاتنا لهم . يمكن القول اذا انه رغم عدم وجود معرفة واسعة عن القضية هناك اهتمام حقيقي بها في ايرلندا .

ليست هناك صعوبة في العمل للقضية الفلسطينية في ايرلندا وذلك لعدة اسباب . السبب الاول هو ان ايرلندا تعتبر نفسها من البلدان النامية مثلنا . السبب الثاني هو الطابع المشترك بيننا المتمثل في مقاومتنا للانجليز على اساس الاستعمار والتسلط والوصاية . يكره الايرلنديون الانجليز كرها شديدا وهم يتخذون عادة مواقف مختلفة عن مواقف بريطانيا وذلك تأكيدا لاستقلالهم عنها. وعلى العرب استغلال هذا الواقع . السبب الثالث هو ان العادات والطباع الايرلندية قريبة من عاداتنا وطباعنا .

ركيزة العمل العربي والفلسطيني في ايرلندا هي الجمعية الايرلندية ــ العربية . يمكن اخذ هذه الجمعية كنقطة انطلاق للعمل الشامل في ايرلندا نظرا لطبيعة تكوينها ونشاط اعضائها . تتكون الجمعية من اصحاب مهن مختلفة اذ نجد بين اعضائها اطباء وضباطا وتجارا ومدرسين ومحامين وطلابا وكهنة ونائبا برلمانيا بالاضافة الى الطلاب العرب في ايرلندا وبعض العرب الذين تزوجوا ايرلنديات واقاموا في ايرلندا وكان لهم الفضل الاول في ادخال القضية الفلسطينية الى ايرلندا . وقد كونت هذه الجمعية مركزا دعته « مركز المعلومات العربي » فيه معرض كتب حول القضية وخاصة كتب مركز الابحاث ومؤسسة الدراسات ، بالاضافة الى منتوجات عربية مختلفة . ويقع مقر الجمعية في شارع جرافتون وهو اهم شوارع دبلن . كما ان لدى اعضاء الجمعية مداخلات كثيرة في الصحافة والراديو والتلفزيون . فقد استطاعوا مثلا تأمين مقابلتين لي خلال ثلاث ساعات . عرضت احدى المقابلتين بعد الاخبار مباشرة واعيد عرضها ثلاث مرات .

يمكننا القول ان العرب وانصارهم استطاعوا اثبات وجودهم في ايرلندا ، وانه اصبح لنا هناك اصدقاء يمكنهم الضغط لصالح القضية الفلسطينية . وتعرفت من خلال الجمعية على رئيس رابطة الطلاب الجامعيين واتصلت بالطلبة الجامعيين . وقد أخذنا منهم تعهدا بالعمل للقضية الفلسطينية بعد تفهمهم للموضوع . وقد قرروا ارسال طلاب الى الشرق الاوسط لاستقصاء الحقائق . ويجدر بنا ان نذكر ان الطلاب ابدوا اهتماما كبيرا بمعرفة وضع المقاومة حاليا وكانوا يسألون كيف يمكنهم المساعدة. كما ان الذين قابلتهم يشددون على وجوب قيام علاقات اوثق بين ايرلندا والدول العربية وخاصة في المجال التجاري . انهم يودون ادخال المنتوجات العربية الى ايرلندا لمنافسة المنتوجات الاسرائيلية التي تباع هناك ، وخاصة البرتقال .

اما في بلجيكا فقد كان اتصالي شخصيا بحتا لكنه كان مثمرا . التقيت ليلة وصولي الى بلجيكا بثمانية عشر شخصا معظمهم من البلجيكيين وبينهم ايطاليان والمانيان . وقد اجتمع هؤلاء بي بناء على دعوة من صديقة تناصر قضيتنا . الامر الهام هو ان هؤلاء الاشخاص ليست لهم صفة رسمية لكن لهم تأثيرا كبيرا داخل مجتمعهم . كان بينهم من يعمل في السوق الاوروبية المشتركة واساتذة جامعة ومهندسون واطباء ومحامون وكتاب ومراسلون وقد جاء هؤلاء للنقاش والانتقاد ولم يأتوا ليسمعوا عرضا للقضية الفلسطينية . غير ان النقاش تطور الى نقاش بينهم بين مؤيد لوجهة نظرنا ومعارض لها . وفي ختام الحديث كان تشجيعهم واضحا لمصلحتنا . كانت انتقاداتهم واحاديثهم كلها تدور حول نقطة واحدة وهي ان روسيا تتدخل في منطقة الشرق الاوسط وان وجود اسرائيل في المنطقة والمساعدة الاميركية والاوروبية لها ضرورية لمجابهة الخطر الشيوعي . يبدو ان الناس في بلجيكا حساسين جدا تجاه

الخطر الشيوعي وخاصة السوفياتي . كما قالوا بما ان مصر تأخذ مساعدات من السوفيات يجب ان تأخذ اسرائيل مساعدات من الغرب . وقد اظهرت لهم ان هناك فرقا بين المساعدات الاميركية والسوفياتية . معظم المساعدات السوفياتية لمصر كانت تهدف الى تطويرها وتنمية اقتصادها ، بينما كل المساعدات الاميركية لاسرائيل موجهة للمجهود الحربي .

لم تكن لدى هؤلاء الاشخاص فكرة واضحة عن عدة امور منها وضع الفلسطينيين اليوم ، والحضارة العربية ، ومسالة لجوء الفلسطينيين . حول المسالة الاولى تعجبوا كثيرا حين اخبرتهم ان هناك فلسطينيين تخرجوا من جامعات ويعرفون لغات اجنبية ولديهم ثقافة واسعة . حول مسالة الحضارة العربية قالوا انهم يعتقدون ان العرب اميون وانهم قتلة ومجرمون او رعاة غنم وسكان خيم . وفي المقابل يفاخرون بذكاء اليهود وعبقريتهم وما قدموه للعالم من خدمات . حول المسالة الثالثة قالوا ان المشكلة بسيطة لان من يلجأ يمكنه الاستقرار في بلد آخر واعطوا امثلة على ذلك . عندئذ افهمتهم ان اللجوء عملية اختيارية وان الفلسطينيين لم يتركوا بلدهم باختيارهم بل طردوا منه وبالتالي فهم ليسوا لاجئين بل شعب مطرود بالقوة من بلده . كذلك بينت لهم كذب ادعاء اسرائيل حول تحويلها « صحراء » فلسطين الى جنة وان في فلسطين حضارة وعمرانا قبل قيام دولة « اسرائيل » وان فلسطين ليست صحراء وذكرتهم بما قيل عنها في التوراة كأرض للبن والعسل . كذلك قلت لهم نحن الذين حولنا الصحراء الى جنة واعطيتهم الكويت مثلا. وتساءل جميعهم لماذا لا نخبرهم هذه الحقائق، فقلت لانهم لا يعطون الاعلام العربي المجال لافهامهم .

لننتقل الان الى الندوة العالمية المسيحية في باريس. نشاط الندوة بعيد عن النشاط السياسي الكلاسيكي. فكرة الندوة الاساسية هي التركيز على القضية الفلسطينية في النطاق المسيحي والكنسي . حضر الندوة مندوبون عن ثمانية عشر بلدا . كان اهم قرار للندوة تاسيس ندوات وطنية لنصرة القضية الفلسطينية في كل بلد حضر مندوبوه الندوة العالمية. وهذا يعني استمرار النشاط ودوامه .

ملاحظات للاعلام العربي والفلسطيني : ١) نحن نستعمل الاعلام كدعاية Propaganda ويجب ان نعطي حقائق وليس دعاية. ٢) نحن نستغل فئة معينة من الاشخاص في اوروبا ، اي اليسار فقط . وهذا يجعل الليبراليين الاوروبيين يعارضون قضيتنا . اعتقادي الشخصي هو ان اليساريين يؤيدون قضيتنا ليس حبا بنا بل للاستفادة داخليا من هذا التأييد ، اي لتحسين مواقعهم الداخلية . يجب الا نكتفي بالاعلام الايديولوجي اليساري . يجب أن يكون لاعلامنا اتجاهان : الاول موجه للتفكير الغربي الليبرالي والثاني موجه للتفكير التقدمي اليساري . ٣) يجب ان نوجه اعلامنا الى اشخاص او افراد لهم اهميتهم ووزنهم في البنيان الاجتماعي ، وعدم الاكتفاء بالتوجه الى جمعيات سياسية . ٤) كل ما علينا هو اعطاء الجمهور بعض الحقائق الاساسية ومن ثم تركهم ليفكروا ويتوصلوا الى الصورة كلها بأنفسهم . ٥) اعلامنا غير كاف . علينا جلب او دعوة بعض الاشخاص المهمين الى هنا واطلاعهم على الحقائق والاوضاع كما هي . ٦) استغلال التأثير الذي حصل من جراء خطف الطائرات الى المزيد من الاعلام عن قضيتنا قبل ان يبهت نهائيا وينسى المجتمع الغربي ذلك الحدث الذي عاشه مدة اسبوعين .

الدكتور يوجين مخلوف

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل

بقلم يحيى عرودكي

(بالعربية ٤ ل. ل.)

(٦) دار فلسطين في واشنطن

لو صعد المار الى الطابق الاول من البناية التي تقع في شارع كنكتكت ١٦٠٩ في واشنطن العاصمة والقى نظرة خاطفة لما صدق ما ترى عيناه . لا شيء في البناية يدل على الحركة التي تدور في شقة مكونة من ثلاث غرف ولا حتى اسم « دار فلسطين » الذي يظهر على صندوق البريد في الطابق الارضي . انها بناية مكاتب . الا انها « البيت بعيدا عن الوطن » لاكثر من مئة طالب عربي وعدد مساو من ابناء الجالية العربية في واشنطن . ويصف أنيس قاسم رئيس اللجنة التنفيذية لدار فلسطين هذا المكان المتواضع على انه « نموذج لدولة فلسطين الديموقراطية » . وقد صدقت الدار قولها بأن بدأت يومها المئة هذا الاسبوع بمباشرة الدروس العربية والعبرية للراغبين في ذلك ويتجاوز عددهم الحفنة من الناس . وصفوف اللغة هذه نموذج عما تطمح اليه اللجنة التنفيذية المؤلفة من خمسة اشخاص من العرب والاميركيين . كما انشأت مكتبة مخصصة كليا للثورة الفلسطينية . ويأمل قاسم ان تتمكن المكتبة خلال فترة قصيرة من اعارة الكتب . وتملأ منشورات الثورة الفلسطينية غرفة المطالعة المتميزة بالطراز الفلسطيني والمزودة بالسجاد الفارسي والارائك بالاضافة الى لوحات للفنانين الفلسطينيين كمال بلاطة واسماعيل شموط . ومن ابرز الصحف « فتح » بالعربية والانكليزية و«الحرية» و«الهدف». يقول قاسم (من قليلية الذي يحضر للدكتوراه في الحقوق في جامعة واشنطن) ان حملة تنسيب لعضوية « دار فلسطين » تجري حاليا في صفوف الجالية العربية وخارجها في منطقة واشنطن طارحة شعار « ادعموا فلسطين الثورة » . وتتراوح الرسوم بين خمسة دولارات للطلاب وخمسة عشر دولارا لغير الطلاب . ويعطي حجم عضوية الدار صورة خاطئة عن قدرتها الحقيقية . فخلال التنال في حزيران في سبتمبر الماضي ارسلت الدار حوالي ٩٥٠٠ رسالة الى شركات الادوية في الولايات المتحدة بطلب العون الطبي .

ونجحت الدار ايضا في برنامج محاضراتها . فمنذ ولادتها في تشرين الاول تكلم متحدثون بارزون من الولايات المتحدة والعالم العربي في محاضرات شهدها جمهور كبير . وكان بين المتحدثين الدكتور الن تايلور (الاستاذ المشارك في العلاقات الدولية في الجامعة الاميركية في واشنطن) والدكتور جون رويدي (استاذ التاريخ في جامعة جورج تاون) . ومن العالم العربي ابو الوليد (عن حركة المقاومة الفلسطينية) ، والدكتور كلوفيس مقصود (المحرر المشارك في الاهرام) ، وتحسين بشير من الجامعة العربية سابقا . وضمن برنامج الربيع احاديث لبيتر بك (عن التحالف الاشتراكي الشاب) ، وكوتلاند كوكس (احد زعماء حركة الوحدة الافريقية) ، ومناظرة يديرها الدكتور الياس شوفاني والدكتور فايز صايغ . وكذلك مواضيع كثيرة من « الدولة الفلسطينية » الى « استعمار الاراضي في فلسطين » . وأفلام عن المقاومة الفلسطينية تعرض باستمرار . الا ان اكثر برامج الدار طموحا وان لم يبدأ بعد ، هو المشروع الثقافي المشترك مع مجلة « فلسطين الحرة » الصادرة في واشنطن لاقامة مركز للنشرات الفلسطينية الصادرة في البلاد العربية . وستعرض للبيع جميع الكتب والمواد المتعلقة بالقضية الفلسطينية الصادرة في بيروت خاصة عن مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية . ويأمل السيد قاسم ان « تكون الدار نموذجا لدور اخرى تقام في طول البلاد وعرضها في سبيل اعادة خلق الكيان الفلسطيني » .

جورج حشمة

خمسة تقارير من الخارج ورسالة من غزة

(١) هولندا : انصار العرب ومواقفهم من مقترحات روجرز

الخافي من قوة ونفوذ ونشاط انصارنا في هولندا ، اكثر بكثير من الظاهر . وهؤلاء الانصار هم القيادة المثقفة في اكبر احزاب هولندا ، وهو حزب العمال ، والقيادة المثقفة ايضا في حزب المسالمين الاشتراكي الصغير الذي له ثمانية ممثلين في مجلسي الشيوخ والنواب . وهم ايضا ٤٠٠ عضو عامل في جمعية فلسطين الهولندية التي تألفت منذ ثلاث سنين على يد نخبة من السياسيين والاساتذة والكتاب والصحفيين ورجال الدين. كذلك اعضاء سكرتارية اقوى منظمة طلابية في هولندا هي منظمة (اسفا) اليسارية التي تمثل ٣٠ الف طالب والتي كانت قبل عام ١٩٦٧ منحازة لاسرائيل انحيازا تاما . يضاف الى ذلك نسبة عالية من الصحفيين ورجال الاذاعة والتلفزيون الواعين سياسيا الذين عزفوا عن تصديق وترويج الانباء والمعلومات الصادرة عن سفارة اسرائيل ، وراحوا بدلا من ذلك يكثفون اتصالاتهم بالمثقفين العرب سواء من العاملين في قنصلية الكويت وسفارة الجمهورية العربية المتحدة في لاهاي او من ممثلي منظمات المقاومة او المسؤولين في مراكز الابحاث الفلسطينية، الامر الذي أذل سفارة اسرائيل فحولها من مركز الهجوم الدائم الى مركز الدفاع الدائم . لكن ، لماذا لم يأخذ نشاط هؤلاء ونفوذهم وقوتهم طريق الظهور العلني الصريح المتصف بصلابة الايمان ومثالية الهدف ؟ مسؤولية ذلك تقع على حداثة القضية الفلسطينية بالنسبة لواقع الحياة السياسية في هولندا . هذا أولا . اما ثانيا ، فان البلاد تمر منذ سنتين بمرحلة حرجة من تاريخها ، تمير الاحزاب السياسية فيها موضوع التكتيك أهمية اكبر من موضوع الستراتيجية . فاذا عالجنا هاتين النقطتين بشيء من التفصيل ، توصلنا الى العوامل التالية المؤدية الى عرقلة العمل السياسي الجريء في جانب القضية الفلسطينية .

١ — الفئة المتمثلة بالطبقة العاملة والطبقة الوسطى نصف المثقفة وابناء الجيل القديم ، التي تشكل غالبية السكان ، فئة تربت على ثقافة سياسية ودينية استعمارية هي من مخلفات عهود الاستعمار السابقة الطويلة . وهذه الفئة تقرر مصير الاحزاب السياسية في اية انتخابات نيابية . ولما كانت هذه الفئة مرتبطة ارتباطا عاطفيا متينا باسرائيل بحكم ما جرعته منذ الحرب الاخيرة من تأنيب للضمير على حساب اضطهاد اوروبا لليهود وبحكم ما جبلت به دماؤها من تشويهات في مجال القضية الفلسطينية على يد الصحف الكبرى ووسائل الاعلام الرئيسية الى ما قبل عام ١٩٦٧ ، ولما كانت السنتان الاخيرتان من احرج سني التناحر السياسي الحزبي في بلد يزيد عدد احزابه عن خمسة عشر حزبا ، فان اسلوب انصارنا داخل تلك الاحزاب وفي مجال الاعلام كان متصفا بالحذر لئلا يخسروا معركة ثورة اليسار على اليمين .

٢ — تجنب الانصار التناحر مع الصحف التجارية الرجعية الاستعمارية النهج والاسلوب ، القوية التأثير على الجماهير ، التي تذهب في عدائها لهؤلاء الى حد السفه بحيث لا تتردد في اية لحظة عن افتعال الاكاذيب والتهم السياسية ضدهم

لتحرمهم لقمة العيش او لتشوه سمعتهم السياسية والادبية . ان تلك الصحف الصفراء ، مركزية او اقليمية ، المسنودة بمصادر دخل هائلة من شركات الاعلان وشركات المال (ودور الصهيونية في هذا المجال معروف لا يستدعي التكرير) ، تظل هي المجتمعات الطبقية ذات سلطة نفاذة على الجماهير المستغفلة ، بحكم اعتمادها على القراءات والانباء المسلية التي تناسب ميول بسطاء الناس ، وبحكم التسهيلات التي تجدها لاحتكار السوق . وعلى هذا الاساس ، تصبح هذه الصحف مصدر التثقيف السياسي الرئيسي بالنسبة للملايين رغم قلبها الحقائق الدولية راسا على عقب . يضاف الى ذلك ان الصحف التجارية الاقل نفوذا وانتشارا التي تبلج نور الحق في أزمة الشرق الاوسط للمسؤولين فيها ، هذه الصحف وهي تعمل حاليا على زرع الحقيقة في صدور قرائها انما تفعل ذلك بكل حذر خشية فقدان مصادر الاعلان التي لا يمكنها الاستغناء عنها . الشيء نفسه ينطبق على دور الاذاعة والتلفزيون التي تعيش على اشتراكات اعضائها ، فهي في هولندا مؤسسات خاصة وليست حكومية . لذلك كله ، تراها في عملها تطبق اسلوب طاسة الماء البارد وطاسة الماء الحار لئلا تتهم بالانحياز في القضية الفلسطينية .

٣ ــ تعدد الاحزاب في البلد تعددا كبيرا ، حرمها من التنافس في مجال السياسة الخارجية . ان هذا التعدد جعل طريق التوسع امام اي حزب مستحيلا ، الا اذا ركز معظم نشاطه على الميادين الداخلية واثبت انه في مجال الاصلاحات الداخلية المادية اصدق من سواه . اما اذا ابتعد الحزب الواحد عن هذه الاهداف وانجر وراء التطلعات خارج حدود وطنه ، فانه سيبدو حزبا طوباويا لا نفع فيه .

٤ ــ عدم تراص الصف العربي منذ حرب حزيران التراص الكفيل بالباسه مظهر المؤمن بقضية واحدة ، الذي بايمانه يحرج الحكومات والبرلمانات في الاقطار الاخرى ، خاصة اذا كانت لهذه الحكومات مصالح كبيرة عنده . فالانسان لا يستطيع ان يبني بيتا على قطعة ارض نصفها صخري ونصفها الاخر طيني ليس له قرار يابس . والانسان لا يستطيع ان يدافع بحرارة وحماس عن اصحاب حق ، لكل واحد منهم راي فيه يختلف عن راي الاخرين .

٥ ــ ماضي المقاومة الفلسطينية منذ نشوئها ، وما صاحب هذا الماضي من انتكاسات كادت تطغى على الانتصارات . ان انصارنا ، على مختلف ميولهم وارتباطاتهم السياسية ، يسندون المقاومة في اهدافها العملية الرئيسية ، مثل تحرير الارض من المحتلين واقامة الدولة الديموقراطية في ارض فلسطين ، الا انهم وقفوا دائما محتارين مبلبلين عاجزين عن الكلام والدفاع ، امام تفرق صفوف المقاومة ، وامام احداث الاصطدام مع بعض الانظمة العربية ، وامام الاعمال التي كانت تجري خارج منطقة الشرق الاوسط ، ولا يبدو الكثير منها معقولا او مقبولا . ولا لزوم للخوض بعيدا في هذه المسائل ، اذ صرنا جميعا نعرف من خباياها الكفاية ، والمهم ان نكون على حافة الخروج السليم من أتون الاخاء والممارسات غير الصائبة ، لندخل المعارك التي تنتظرنا من أبوابها المؤدية الى النصر .

ونعود الى المنظمات النصيرة في هولندا لننظر في مواقفها على ضوء مقترحات روجرز بصورة خاصة ، او مشاريع السلام المستمدة من قرار مجلس الامن بصورة عامة . في هذا المجال ، حاول ثلاثة من مؤسسي منظمة فلسطين الهولندية الزام المنظمة بمقترحات روجرز وقرار مجلس الامن الدولي ، هم « بيت ناك » سكرتير المنظمة السابق ، و« لاتستر » و« فان درفسالك » الرجل الطيب القلب الرقيق الطبع الذي يؤثر السلام على معارك التحرير . وفي مؤتمر صاخب عقدته المنظمة بعد احداث سبتمبر الدامية في الاردن وحضره كل اعضائها العاملين ، اتخذت المنظمة وباستثناء اصوات الثلاثة المذكورين قرارا ينص على ان الحق كله في قضية فلسطين في جانب الفلسطينيين وان المنظمة تؤيدهم تأييدا مطلقا وتطالب بأن يكون لهم حق تخطيط ستراتيجيتهم دون تدخل او تأثير من احد . أمام هذا الاجماع ، حدث في الجمعية انشقاق بسيط ، اذ استقال الثلاثة من مراكزهم الحساسة وعين السيد هندريكز ، سكرتير منظمة اسفا الطلابية سكرتيرا لمنظمة فلسطين الهولندية . ومنذ ذلك الحين نظمت الجمعية مهرجانين في مدينتي امستردام ونايميخن لنصرة القضية الفلسطينية ودعم الثورة الفلسطينية ، وحققت بعض النصر في مجال تدعيم مواقعها في الصحف ووسائل الاعلام الاخرى . وجدير بالذكر في هذا المجال ، كتاب اصدره رئيس الجمعية البروفسور خرونبرغ استاذ جامعة نايميخن في اكثر من ٢٠٠ صفحة بعنوان « اسرائيل بدون حدود » يعتبر وثيقة صارخة ضد اهداف اسرائيل التوسعية .

وارسل حزب الاشتراكيين المسالم ، من الاحزاب

اليسارية ذات النفوذ في البلاد ، ايام معركة عمان برقية تاييد لمنظمة فتح ضد اعتداءات الحكم الاردني على المقاومة ويعلن فيها تاييده الكامل للثورة الفلسطينية ، ويرفض الحلول السلمية « العنصرية » كمقترحات روجرز . الحزب صغير عددا ليس له اكثر من ثمانية نواب في المجلسين، ولكنه حزب قوي بالعناصر المثقفة المنتمية اليه التي كانت على راس المناضلين الهولنديين العاملين في مجال نصرة شعب فيتنام . هذه العناصر وقفت دائما في المقدمة في المظاهرات والمهرجانات الصاخبة التي اقيمت في السنوات الاخيرة للكشف عن وجه العدوان الاميركي على فيتنام .

وتعرض الحزب الكاثوليكي في البلاد ، وهو ثاني الاحزاب من حيث النفوذ والقوة في العام الماضي لانشقاق بسبب السياسة الداخلية للحزب . وكان ان ربح المعركة الجناح اليميني التقليدي . اما جناح الحزب الراديكالي ، فقد ظل جناح الاقلية، فانفصل عن الحزب ليؤلف حزبا خاصا به . ومن ابرز اعضائه « فان اوين » ، عضو لجنة فلسطين الهولندية .

اما حزب العمال في البلاد ، وهو اقوى الاحزاب نفوذا واتساعا ، كاحزاب اشتراكية كثيرة في غرب اوربا ، انشاه في مطلع هذا القرن مثقفون وسياسيون برجوازيون كان للصهيونيين دور كبير بينهم . هذا الحزب وصل للحكم عدة مرات ، منذ الحرب الاخيرة وهو الان في صفوف المعارضة ، ويمر باحد ازمة في تاريخه . ان اليسار الجديد داخل الحزب يكاد يستولي على السلطة فيه . وكثير من صهيونيي القيادة تركوا الحزب والفوا حزبا منفصلا اسموه حزب « دمقراطية عام ١٩٧٠ » . ومعروف أن نسبة عالية من قيادة الحزب الحالية تؤيد الشعب الفلسطيني في اهدافه ومعركة استرجاع حقوقه ، لكن هؤلاء يؤثرون عدم التدخل العلني في قضية الشرق الاوسط او قضايا سياسية خطيرة اخرى ، لان البلاد مقبلة على معركة انتخابية جديدة ، ولا يريد المسؤولون في الحزب ان يكونوا مسببي اية انشقاقات جديدة من شانها اضعاف نفوذ الحزب في البلاد .

ختاما ١) لا يمكن الا القول ان التحولات السياسية في هولندا التي كانت ابى ما قبل سنوات قليلة امنع حصون الصهيونية في غرب اوروبا ، هي تحولات عميقة وجذرية وفي صالح القضية الفلسطينية . ٢) بالاضافة الى النشرات الحالية التي تدافع عن الفلسطينيين ، ستصدر قريبا نشرة جديدة بعنوان « ما يطبعه الفلسطينيون يعاد طبعه » . هذه التسمية مستمدة من اسم نشرة كانت تصدرها المقاومة الهولندية زمن الاحتلال النازي للبلاد . النشرة ستقتصر على نشر المقالات القائمة على البحث المدعم بالحقائق والوثائق . ٣) ستصدر قريبا ايضا نشرة كل شهرين بعنوان « دوسية فلسطين » باللغة الهولندية وتحتوي على انباء فلسطين والثورة الفلسطينية . النشرتان يحررهما الاصدقاء والانصار بدعم مالي ومعنوي من قنصلية الكويت في لاهاي .

عقيل هاشم

(٢) فرنسا : لجان المناصرة امام مشاريع الحل السلمي

قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، كان الدعم الفرنسي للثورة الفلسطينية والقضايا العربية عامة يكاد يكون محصورا في مجموعات صغيرة من المثقفين والمطلعين ، وكان الوجه الصهيوني للتاريخ هو المسيطر على وسائل الاعلام وادوات الدعاية . وقد نجح الطلبة والمثقفون العرب في ذلك الحين، ورغم الجو الخانق ، في تشكيل بضع لجان هنا وهناك كان اغلبها ان لم يكن جميعها يقتصر عمله على الاعلام والشرح التاريخي في الاوساط الجامعية . وقد بدا الجدار الصهيوني في التصدع قبل الحرب بايام ، اذ قامت بعض الجماعات اليسارية تحتج على الجو العنصري الذي خلقته المنظمات الصهيونية التي عبات الراي العام تحت شعار « انقاذ يهود اسرائيل من النازيين الجدد »

وعلى الولاء المطلق لاسرائيل الذي ابرزتـــه هذه المنظمات في مظاهراتها وتجمعاتها حيث كان الهتاف السائد « يا أيها الفرنسيون ، قفوا معنا »(وكأن الفرنسيين اليهود شعب آخر) . وما ان وضعت الحرب اوزارها ، حتى ارتفعت الاصوات اكثر واكثر تندد بالخداع الصهيوني الذي صور اسرائيل وكأنها الحمل في وادي الذئاب ، واذا بالحمل يظهر انيابا حادة في اراض احتلت في أيـام ستة مساحتها اضعاف مساحة الارض المحتلـة بعـد ١٩٤٨ . وظهرت في ذلك الحين اولى بوادر التحول في الرأي العام الفرنسي الذي كرسته فيما بعد انتصارات الثورة الفلسطينية وخاصة في معركة الكرامة . فتشكلت اللجنة تلو الاخرى دفاعا عـن حقوق الشعوب العربية والشعب الفلسطيني خاصة فتكونت « لجنة نصرة الثورة الفلسطينية والثورة العربية » و« لجنة دعم الشعوب العربية » ، وغيرها ، وما لبثت أن اندمجت في اللجان القاعدية لنصرة الثورة الفلسطينية التي سنأتي عليهـا فيما بعـد .

وظهرت كذلك في تلك الفترة « مجموعة الابحاث والعمل من أجل تسوية القضيـة الفلسطينية » G.R.A.P.P. وهي عبارة عن تجمع لشخصيات ذات آفاق سياسية مختلفة (من الديغوليين الـى الشيوعيين والفوضويين مرورا بالديموقراطيـين المسيحيين ومختلف فئات اليسار) . وكان دافـع اللقاء هو رفض « المفهوم » الصهيوني للتاريخ وادانة العدوان ومحاولة ايجاد حل « عـادل » للمشكل الفلسطيني . وبعد ذلك باشهر تكونت «رابطة التضامن الفرنسي العربي» وهي ذات طابع شبه رسمي (اي ديغولي) ، رغم أنها استقبلت فيما بعد عناصر اخرى خارجة عـن الاغلبيـة الديغولية مع ان الطابع الرسمي بقـي مسيطرا عليهـا .

لجان نصرة الثورة الفلسطينية : كما ذكرنا سابقا ، تكونت قبل حزيران ١٩٦٧ لجـان عدة في مناطق مختلفة من فرنسا كان هدفها الاول اخباريا ثـم تحولت بعد الحرب الى لجان دعم وعمل مضافة الى عشرات اللجان المحلية التـي تشكلت فـي الجامعات واحياء السكن الطلابية واماكن التجمع العمالي (بشكل خاص) والاحياء السكنية عادة. ومن خصائص هذه اللجان الرئيسية لا مركزيتها فهي تعمل في نطاق مكان تواجدها حسب مخطـط تضعه العناصر العاملة فيها على ضوء المعطيات المحددة لسكان هذه المنطقة . وقد حافظت هذه اللجان ، رغم بضع محاولات للتنسيق بينها على لامركزيتها هذه ، مطلقة بذلك لاعضائها العاملين عنان المبادرة والتحرك . وتغطي اللجان هذه حتى الان معظم المناطق الفرنسية وخاصة تلك التي يتوفر فيها تجمع عربي طلابي او عمالي يقوم فيها بدور المحرك حتى يستقطب عناصر فرنسية واجنبية اخرى تتولى فيما بعد مجمل المهام . ومما هو جدير بالذكر هو أن هذه اللجان في غالبيتها اتخذت خطا لها يدعو الى دعم الثورة الفلسطينية ممثلة بلجنتها المركزية ، فلم يكن بالتالي مـن الصعب عليها تحديد موقف تجاه الحلول « السلميـة » ومشاريع روجرز وغيره . فقد وقفت في مجملها الى جانب الثورة ورفضت جميع هـذه المشاريـع والحلول ، وبعض هذه اللجان تشكل في وقت لاحق وعلى اساس رفض مطلق لمحاولات فـرض الحل الروجرزي . ونعطي مثالا لهذه اللجان لجنة ديجون (وهي مدينة تقع على بعد ٣٢٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من باريس) ، واللجنة تحمل اسم « لجنة نصرة الشعب الفلسطيني » . وقد جاء في بيانها التأسيسي ما يلي : « المادة الاولى: اللجنة تعتبر اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية هي التعبير عن الشعب الفلسطيني وارادته في تحريـر ارضه من الاحتلال الصهيوني الاستعماري لاسترداد شخصيته القومية » ، « المادة الثالثة : اللجنة تعارض بحزم اي حل يفرض اليوم او غدا علـى الشعب الفلسطيني من الخارج او من الداخل ، وعلى حسابه . » ، « المادة الرابعة : اللجنة ترفض بشدة قرار مجلس الامن بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧، ومباحثات يارينج ومشروع روجرز التي تتناسى كلها الوجود القومي وحـق تقرير المصير للشعب الفلسطيني تنافيا مع مبادىء منظمة الامم المتحدة نفسها ، التي ينقضها مجلس الامن مرة اخرى بعد ١٩٤٧ » ...

وتكاد تتكرر هذه المواقف في البيانات التأسيسية لكافة لجان فلسطين . ففي تور (التي تقع على بعد ٢٣٠ كيلومترا الى الجنـوب الغربي مـن باريس) تشكلت « لجنة فلسطين » على نفس الخط ، وهي تحدد نفسها في البيان الاساسي على « أنها تجمع نضالي تقدمي يدعم خط الثـورة الفلسطينية ــ خط القتال والوحدة ــ الممثل حاليا في اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية والمحـدد في برنامجها » . ويذكر البيان النقاط التي اتفق عليها

في اللجنة المركزية حين تكوينها مشددا على « رفض الحلول السلمية التصفوية والاستسلامية » .

وليس من شك بأن اسلوب العمل الذي تتبعه هذه اللجان وهو العمل الجماهيري (عن طريق توزيع البيانات والملصقات واقامة الندوات والتجمعات التفسيرية) هو اسلوب فعال جدا ، ويعطي للعمل من اجل القضية الفلسطينية في فرنسا مدا جماهيريا لا غنى عنه خاصة حين تقتضي الظروف تحركا عالميا واسعا للدفاع عن ثورة شعب فلسطين . وقد ثبتت هذه الفعالية اثناء المقاومة الباسلة للثورة وجماهيرها في ايلول الفائت في الاردن ، حيث قامت لجان الدعم بجمع مبالغ طائلة وكميات كبيرة من الادوية وارسلتها للهلال الاحمر الفلسطيني كما قامت بحملات اعلامية واسعة في انحاء فرنسا لدعم الثورة في ذلك الظرف الحاد . وقد اوجدت هذه اللجان لها منبرا في مجلة نصف شهرية تحمل اسم « فدائي » ، تنشر بالفرنسية والعربية وتنقل اخبار الثورة واعمال لجان النصرة لدعمها . كما تصدر عنها نشرات عدة في مناطق مختلفة (من استراسبورغ وليل شمالا الى مرسيليا ونيس وتولوز جنوبا) تجمع كلها على تأييد اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية على الخط السياسي الذي تحدده .

مجموعة الابحاث والعمل من اجل تسوية القضية الفلسطينية : تشكلت هذه المجموعة ، كما ذكرنا، بعد حرب حزيران بأيام ، خلال تجمع ضم شخصيات من اوساط مختلفة (جامعية وسياسية وصحافية بشكل خاص) ومن اتجاهات سياسية متعددة . واغلب الداعين لهذا التجمع من المستشرقين (وعلى رأسهم الاستاذان مكسيم رودنسون وجاك بيرك) او من الذين ارتبط ماضيهم بشكل من الاشكال بالعالم العربي ، الى جانب ممثلي بعض المنظمات (كالحزب الشيوعي) التي اتخذت موقفا مناهضا للعدوان الاسرائيلي . وقد اجمع الكل حينذاك على ضرورة التصدي للصهاينة في محاولاتهم تزوير حقائق القضية الفلسطينية ، وذلك بفضح تاريخ الصهيونية واساليبها الدعائية. وقد اعطى تواجد بعض الفرنسيين اليهود في التجمع لعمله الاعلامي صدى قويا ، سيما ان هؤلاء كانوا قد أعلنوا ابان الحرب عداءهم للصهيونية ولنظرتها العنصرية لليهودية . فقامت البحاثة جاكلين ادامار مثلا بالرد في الصحافة الفرنسية على تعميم صهيوني موقع من البارون روتشيلد يطالب اليهود بدفع « الضرائب » لاسرائيل ، معلنة ادانتها لهذا المفهوم العنصري ولازدواجية الولاء الصهيوني ، الى جانب تضامنها مع الشعوب العربية وكافة الشعوب المضطهدة في صراعها ضد القمع والعدوان . وقام الاستاذان الجامعيان فاني وجورج شابيرا بالكتابة للصحافة معلنين « خجلهما » ازاء « قاذفي النابالم من ادعياء اليهودية » .

ومع تطور الاحداث في الشرق العربي وتصاعد اعمال المقاومة الفلسطينية ، وجد التجمع نفسه مجبرا على تحديد مواقفه بالنسبة للاستراتيجيات المطروحة في الساحة العربية ، وخاصة فيما يتعلق منها بشعاري « حرب التحرير الشعبية » و« ازالة آثار العدوان » . ورغم التعاطف العام لمجمل التجمع مع القضايا العربية ، برز خلال عام ١٩٦٨ تياران داخل التجمع : احدهما يؤيد الشعار الاول . ويطالب التجمع باتخاذ موقف واضح تجاه مشروع مجلس الامن رقم ٢٤٢. وتزعم هذا التيار منظّر اللوضوية الفرنسية دانيال غيران. والثاني ينادي بالدفاع عن شعار « ازالة اثار العدوان » مع الاعتراف « بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني » ،وتزعم وجهة النظر هذه الاستاذ مكسيم رودنسون مدعوما من ممثل الحزب الشيوعي الفرنسي جاك كولان وغالبية اعضاء اللجنة الادارية . وقد انتهى الصراع الى صالح التيار الثاني حين انسحب اغلبية انصار التيار الاول من التجمع ، وانتخب الاستاذ رودنسون رئيسا للجنة المشرفة. ولم يكن بالتالي من الصعب في صيف ١٩٧٠ ، على التجمع تحديد موقفه تجاه المشاريع « السلمية » المطروحة . سيما وان الاستاذ رودنسون كان قد عبر قبل ذلك التاريخ ، وبصراحة ، عن رأيه في كتاباته المتعددة وخاصة كتابه « اسرائيل والرفض العربي » (الذي نشر في عدة لغات) ، حيث قال ان اصول اسرائيل الاستعمارية (التي لا شك فيها) وطبيعة الصهيونية التوسعية والعدوانية لا تقتضيان بالضرورة الان حلا عسكريا للقضاء عليهما . واعرب عن تخوفه من ان المقاومة والاعمال العسكرية قد تؤديان الى مجزرة رهيبة في الشرق ، ورغم موافقته المبدئية على الاهداف التي حددتها الثورة الفلسطينية لنفسها (مع أنها بحاجة برأيه الى توضيح اكثر)، الا انه يأمل ان تتحقق خلال تطور سلمي يؤدي الى نزع صفة الصهيونية عن اسرائيل وعودة اللاجئين

الى ديارهم . وهو في هذه المواقف قريب جدا من الاحزاب الشيوعية ذات التيار السوفياتي . وقد لخص التجمع مواقفه اخيرا في بيان وزعه على الصحافة اثر الصدامات الاخيرة في الاردن (٧١/١/٨) ، نشرته جريدة لوموند في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/١٤ . وجاء في هذا البيان : « ان مجموعة الابحاث والعمل قد اتخذت باستمرار مواقف معتدلة في قضية الشرق الاوسط ، متجنبة ما قام به الكثيرون من تأييد وتمجيد لكل اعمال وتحركات الفدائيين ، لاستراتيجيتهم وتكتيكهم . وبعض اعضائها (اي المجموعة) وجدوا برنامج الفلسطينيين غير واقعي او غير مناسب . ورغم ذلك ، لا بد من ايجاد رد اخر خلاف استعمال النار والحديد ازاء نقمة شعب جرد من ارضه ومن حقوقه الاولية . ولن تؤدي التصفية الوحشية للمنظمات المسؤولة في المقاومة الفلسطينية ، الا الى بروز مقاومة « غير مسؤولة » ، لا يعرف لعنفها اي حد . وان كنا نأسف لرفض الفلسطينيين كل حل جزئي على طريق السلام في هذه الظروف ، كان أملنا ان يتجهوا عن اقتناع فيما بعد في هذا الاتجاه . ولن يؤدي ذبحهم وغياب التمثيل الفلسطيني المسؤول الا الى اضعاف هذا الامل ، حيث ان اي حل مؤقت او اية محاولات سلمية ستنقض فيما بعد على اساس انها اتخذت في غياب اصحاب الشأن وضدهم » .

رابطة التضامن الفرنسي العربي : لم تواجه هذه الرابطة التناقضات التي واجهتها « مجموعة الابحاث والعمل » ، ذلك انها كانت منذ تكوينها (في مطلع ١٩٦٨) متجانسة سياسيا : فكل اعضائها في ذلك الحين كانوا ينتمون الى الاغلبية الديغولية او بالاحرى للاقلية داخل هذه الاغلبية، المتبنية المواقف العربية لديغول . وترأسها وما زال حتى الان الوزير السابق والنائب الديغولي الحالي ، لوي تيرنوار . وقد حددت الرابطة منذ تأسيسها اهدافها كالتالي : « تدعيم تضامن الفرنسيين تجاه ضحايا صراع الشرق الادنى وخاصة اللاجئين الفلسطينيين والنضال ضد العنصرية الموجهة ضد العرب ، واعطاء الرأي العام الفرنسي معلومات افضل عن اوضاع وتطور الشعوب العربية » . وعلى هذه الاسس ، بنت الرابطة علاقات رسمية مع السفارات العربية بلا استثناء ، كما قامت برحلات عدة الى انحاء العالم العربي اجرت فيها اتصالات بعدة منظمات فدائية . وقد حددت الرابطة اخر مواقفها تجاه المشاريع المطروحة على الساحة العربية في خطاب عن اهداف الرابطة القاه مندوبها ونائب رئيسها الاستاذ الجامعي المستشرق فانسان مونتاي امام ندوة فلسطين العالمية الثانية المنعقدة في عمان (ايلول ١٩٧٠) كالتالي : ١) النضال ضد الدعاية الصهيونية ومساعدة القضايا العربية ، وقبل كل شيء قضية الفلسطينيين . ٢) التضامن مع المقاومة الفلسطينية . ٣) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذه المقاومة . فليس لنا ان نختار او نقرر بدلا عنها . ٤) ادانة مشروع روجرز كتعبير عن التآمر الامريكي السوفياتي من أجل سلم مصطنع وعلى حساب الفلسطينيين .

وكما يبدو من هذه النقاط ، فان مواقف الرابطة مختلفة تماما عن موقف الحكومة الفرنسية وحتى عن مواقف ما يسمى بالتيار « العربي » داخل هذه الحكومة (الذي ، ان لم يتبن مشروع روجرز لكونه مبادرة امريكية محضة ، يساند الحلول « السياسية » ووساطة الدول « الاربع الكبرى » والحدود الامنة لاسرائيل الخ ..) وقد يفسر هذا التباين المواقف الشخصية لاعضاء الرابطة في غالبيتهم بالاضافة الى دخول عناصر جديدة من غير الديغوليين ومن المؤيدين للمقاومة فيها . (كجورج مونتارون رئيس تحرير مجلة « الشهادة المسيحية » وزعيم الحركة المسيحية اليسارية التي تحمل نفس الاسم ، بالاضافة الى كونه الامين العام للمؤتمر العالمي للمسيحيين من اجل فلسطين) .

ان حركة الدعم تتسع في اوساط الشباب والمثقفين اليساريين وبعض الاوساط الديغولية والمسيحية، وهي في مجملها مؤيدة ومتعاطفة مع الثورة الفلسطينية ، رغم ان بعض التيارات فيها تحاول التوفيق بين هذا التعاطف وبين جنوحها لتأييد المساعي السلمية لحل ما يسميه البعض « مشكلة الشرق الاوسط » والاخرون «المسألة الفلسطينية». ولا شك ان الابقاء على الحوار مع كافة التيارات بالاضافة الى ما قد تأتي به الاحداث على ارض المعركة من توضيح ، كفيل بأن يضمن تثبيت هذه الحركة وتوسيعها لتشمل قطاعات اوسع من الجماهير الفرنسية .

وائل زياد

(٣) كندا: العقلية الصهيونية الجديدة

على الرغم من أن الاسرائيليين والمجلس اليهودي العالمي والمنظمات الصهيونية العالمية وصنائعها على امتداد العالم استطاعوا في أيار وحزيران ١٩٦٧ ان يقنعوا حلفاءهم الغربيين، مثقلي الضمائر ان الحشود العربية على وشك أن تفني اسرائيل، الا أن هذه الجماعات ذاتها فشلت بعد ثلاث سنوات من الدعاية المحنكة المثابرة في اقناع شعوب العالم أن الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية حدث تاريخي خيّر يساهم في التحديث . ولقد اصبح الصهيونيون جد حساسين بقنوط واكتئاب تجاه أدنى خروج على فولكلورهم التقليدي عن اسرائيل التقدمية ذات التوجه التكنولوجي وطيبة شعبها وروحها العسكرية وصلابتها الاسبرطية ، وذلك يعود الى فشلهم في كسب مباركة العالم الخلقية لاحتفاظ اسرائيل بالاراضي العربية (رغم انهم قد حصلوا على دعم الامبرياليين في عدم الانسحاب قبل الحصول على « حدود آمنة ومعترف بها ») وانكارها للشخصية الفلسطينية ومحاولتها قمع حركة المقاومة. وابرز مثال على هذا اليأس والقنوط والخيبة في كندا هو الحملة الراهنة التي يشنها الصهيونيون للطعن في نزاهة « روبرت رجلي » وتسفيه كتابته عن الشرق الاوسط . ويتوجب علينا أن نفسر ضمن هذا المنظور رد فعل المحافل والجماعات الضاغطة الصهيونية في « تورنتو » لسلسلة من اربعة مقالات نشرها « رجلي » في جريدة « ستار » من ٥ الى ٨ آب ١٩٧٠ .

لم تزح هذه المقالات النقاب عن كشوفات مذهلة ، الا ربما بالنسبة لصهيوني « تورنتو » . فقد قال رجلي أن الفلسطينيين يفضلون الموت على الذل ، وذكر أن الجيش الاسرائيلي هدم ثلاث قرى هي يالو وبيت نوبا وعمواس وبنى مكانها كيبوتزا . واضاف ان الاسرائيليين يمارسون العقاب الجماعي، وعرّف هذا المفهوم بمعناه الاسرائيلي على النحو التالي : « اذا ما حصل هجوم على الاشخاص الاسرائيليين او الممتلكات الاسرائيلية، وكانت هناك معرفة مسبقة به او لم يقم الشهود بالابلاغ عنه ، فان العقاب يوقع بسكان المنطقة التي حدث فيها الهجوم. ويتضمن العقاب في العادة نسف الممتلكات التي انطلق منها الهجوم بالديناميت » (ستار ص ٣٣ ، ١٩٧٠/٨/٦). واورد رجلي حوادث تعذيب وابعاد واعتقال اداري ضد المحرضين على التظاهر او غير المتعاونين مع سلطات الاحتلال . (ستار ص ٢٧ ، ١٩٧٠/٨/٧) . وقد اشار الى قطاع غزة على انه « اناء مضغوط » حيث « يحرس الجنود الاسرائيليون الفزعون الشوارع وايديهم على الزناد ، وحيث يسور الهواء بالكراهية الصامتة » . بكلمات اخرى ، أورد رجلي ما رآه وما سمعه وما استطاع أن يتحقق منه بالمعاينة المباشرة . ولكن يبدو أن أكثر ما ازعج الصهيونيين هو قوله أن « الدوريات الاسرائيلية الراجلة في مخيمات اللاجئين الستة المهتاجة قد استبدلت بالسيارات المدرعة ، ومع ذلك لا تزال الكمائن مستمرة » وان « كتيبتين اسرائيليتين ترابطان في غزة » وأن المدرسة الثانوية الوحيدة فيها قد « اغلقت في تشرين الثاني » وأن ذلك كله ناجم عن تغلغل حركة المقاومة في القطاع . (ستار ص ٦ ، ١٩٧٠/٨/٨) . لا يمكن الاستخفاف بهذا المراسل الكندي الشهير الذائع الصيت واعتباره مجرد هاو أو عميل عربي . وهو الى ذلك في مركز قوي جدا لا يمكن معه فصله من عمله نتيجة بضعة اتصالات هاتفية يقوم بها بعض اعضاء رابطات الدفاع اليهودية او نتيجة زيارة لمكتب رئيس التحرير يقوم بها هاخام مشهور . لذا فان الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الصهيونيون اخراس رجلي هي القيام بمقاطعة فعالة لصحيفة « ستار » على غرار المقاطعة التي نظمها صهيونيو نيويورك ضد الـ « نيويورك تايمس » عام ١٩٤٧ ، تلك المقاطعة التي اجبرت الـ « تايمس » على تغيير موقفها من العداء للصهيونية الى موالاتها والدفاع عن اسرائيل . غير أننا لا نظن أن الصهيونيين في تورنتو سيلجأون الى هذه الطريقة ، فالـ «ستار» الى جانبهم ، وكل ما ابتغته هو أن تعرض وجهة النظر العربية للمرة الاولى في اثنين وعشرين عاما وذلك كي تتجنب تقريع « لجنة مجلس الشيوخ المختصة بشؤون وسائط الاتصال الجماهيرية » التي وضعنا أمامها دراسة خاصة لمقالات الـ « ستار » حول الشرق الاوسط تبين سلوك وعواطف وسياسات « بيتر نيومان » رئيس التحرير .

وفيما يتعلق بتاكتيك الصهيونيين في مواجهة ما أورده رجلي ، فان هؤلاء قد لجأوا ببساطة الى

انكار صحة تقاريره دون أن يتفوهوا بكلمة دحض واحدة ودون أن يقدموا أدلتهم . وقد عمدوا ايضا الى توبيخ الـ « ستار » لنشرها المقالات على اعتبار أنها بذلك يمكن أن تصبح أداة في يد اولئك الذين في صالحهم الحط من قدر اسرائيل « وشعبها الشجاع العادل » ، وأنها « تسيء الى أمل السلام البازغ » (ستار ، ١٠/٨/١٩٧٠) .

سرعان ما برهنت القوة الهائلة للصهيونيين على نفسها ، فصرح الحاخام جنثر بلوت نيابة عن لجنة اسرائيل ـ كندا والمجلس اليهودي الكندي والمنظمة الصهيونية المتحدة في كنـدا أن هذه المحـاولة « اللئيمة لوصم شعب عادل شجاع باللاانسانية لا يمكن أن تغتفر في اي حين وعلى الاخص ليس الآن » . ولكي يتأكد الحاخام من أن الـ « ستار » ستفهم ما يقصده ، اضاف مؤكدا « اننا نشعر أن الـ « ستار » يجب ان تعتبر مسؤولة مسؤولية كاملة عن هذا الانحطاط بمستوى الصحافة المسؤولة والتخلي عنها . أن الضـرر الذي الحقته هذه السلسلة من المقالات لا يمكن أن يعوض بمقالات معاكسة او رسائل الى المحرر او اعتذارات » . هكذا اطلق الحاخـام عنان الهجوم لكل الجهـاز الصهيوني . فقامت المنظمات الصهيونية ، الميتة منها والماضية والراهنـة ، واتباعها باغـراق الـ « ستار » برسائل تعبر عن الصدمة والدهشة والامتعاض وعدم التصديق . واتهم بعض كاتبي الرسائل الـ « ستار » بالصحافة غير المسؤولة واتهم البعض الآخر رجلي بالسذاجة والبساطة والسطحيـة ، وافتـرض معظمهم مسبقـا أن الـ « ستار » انما تسعر الانفعالات الوضيعة بنشرها « اتهامات ليس لها اساس اطلاقا » .

يستطيع أي عالم لغة زائف محايد بمجرد القاء نظرة على هـذا الادب الصهيوني الرائع أن يكتشف بسـهولة أن البيان الصحفي الذي أصدره الحاخام الطيب الذكر والرسائل التي ارسلتها المنظمات والافراد الى الـ « ستار » انما كتبتها جميعا زمرة تورنتو الصهيونية في برمروز، وهو ناد يهودي خاص . ولكن كلما تمعنا اكثـر في هذه الحملة الضخمة ضد رجلي ، كلما اقتربنا من الاستنتاج أن الخوف قد بدأ يعتري الصهيونيين وأن بعض الناس قد بدأوا يشكون في فرضياتهم وشعاراتهم فيمـا يتعلق برسالة اسرائيـل التمدينية واهتماماتهـا الانسانية . يعمل الصهيونيون بسرية من خلال محافـل ممولة جيدا ومن خلال نخـب القوة في كندا ، ويحتل عدد كبير من اليهود الصهيونيين مراكز قوة في عدد كبير من المؤسسات ، ومعظم هؤلاء يستخدم نفوذه لخدمة الاهداف الصهيونية . كما ان اعضاء البرلمان اليهود الصهيونيين مثل دافيد لويس وفيل جيفنز وغيرهم قد هاجموا العرب علانية وبرروا الفظائع الصهيونية وساهموا في حملات جمع التبرعات لاسرائيل . ويمكن بسـهولة أن نورد الكثير من الادلة على قوة الصهيونيين في كندا . ولكن مهما كانت قوتهم ، فانهم لا شك يخسرون حيويتهم ، ذلك ان انكار الاتهامات الموجهة ضد اسرائيل والدفاع عنها على أنها « شجاعة وعادلة » على الرغم مـن تكاثر وتعاظم الادلة المعاكسة لا بد وأن يساهم في الحط من موثوقيتهم كشعب « ذي عقلية ليبرالية » يذود عن « صهيون المحاصر » وعن المضطهدين اقتصاديا واجتماعيا . عدا ذلك لم يستطع الصهيونيون أن يكيفوا انفسهم مع الطابع المتغير لاسرائيل . اذ يصبح من الصعب عليهم اكثر فاكثر أن يؤكدوا على « منجزات اسرائيل الخلاقة وحبها للسلام » بينما هي تلوح مقعقعة بأسلحتها الاميركية وبطـائرات الفانتوم والنابالم الحارق ، وتعلن على رؤوس الاشهاد انها قادرة على قهر الجيوش العربية مجتمعة ، وتحاول جاهدة أن تعزز خلسة قدرتهـا النووية . لقد اصبحت شمشون العالم الحـديث واصبح الصهيونيـون الاميركيون الشماليون شركاءها في التواطؤ .

نجد جذور النزعة الدفاعية للصهيونية في القـارة الاميركية الشمالية في طبيعة الشوفينية الاجتماعية المصابة برهاب الاضطهاد (البارانويا) وفي ثراء اتباعها الواضح وقلقهم الناجم عـن السعي وراء المركز . وعلى الرغم من أن الصهيونيين يعتقدون أن قضيتهم مقدسة وأنها مبررة أخلاقيا وتاريخيا ، الا أنهم اضطروا الـى العمل مـن خلال القوى الامبريالية لتحقيق أهدافهم . وهذه الحقيقة المشينة تثقل ضميرهم « الليبرالـي » وتزيد احساسهم بانفصام الشخصية الاخلاقي حدة . ويضاف الى هذا الاشكال الاخلاقي ، أن اسرائيل قد اصبحت دولة ـ ثكنة للمستوطنين واصبح دورها كرأس جسر للامبريالية جليـا خلال عقدين من التوسع والجشع الاقليمي واخضاع أهل البلاد الاصليين وتشتيتهم . تلخيصا نقول أن الصهيونيين الكنديين لم يعـد بمقدورهم مهما كانت جهودهم متناسقـة وشبكة منظماتهم متماسكة ومحكمة أن يخدعوا « كل الناس كل الوقت » ، هذا اذا كان لا يزال بمكنتهم

ان يخدعوا انفسهم فيما يتعلق بحقيقة اسرائيل ، وذلك يعود الى ارتفاع درجة الافتراق ما بين الفولكلور الصهيوني والظروف الموضوعية السائدة في الشرق الاوسط . لذا فان انكار الفظائع التي ارتكبتها اسرائيل والتي بررها موشيه دايان وجولدا مئير بزهو واعتزاز ليس مجرد ضبابية في الرؤية الاخلاقية من جانب الصهيونية ، بل هو ايضا رد فعل انعكاسي مرضي من جانب شعب مصاب بالذهان (سايكوسس) . لقد انكر قادة اسرائيل وجود الشعب الفلسطيني ، واعلنوا مرارا وتكرارا أنه ليس ثمة حركة مقاومة على الرغم من انهم يعلنون أن هناك بضعة ارهابيين قتلة استأجرتهم الدول العربية لتحسين مركزها في مفاوضات التسوية السلمية مع اسرائيل . كان هذا النوع من الحديث هو رد فعل اسرائيل الاولي تجاه ظهور الثوريين الفلسطينيين ، أولئك الذين لم تتنبأ بمولدهم ، لسوء حظ اسرائيل ، آلات البنتاغون الحاسبة التي خططت حرب اسرائيل الصاعقة عام ١٩٦٧ .

هكذا استحوذت صور زائفة للحقيقة على عقول الصهيونيين المدافعين عن اسرائيل والمستعدين لتبرئتها مهما كانت جرائمها بشعة . عدا ذلك ثلم ذهان الحرب المستحث — ذاتيا حدة بصيرة الصهيونيين ، وهم الذين كانوا يتفاخرون يوما بأنهم اصحاب الفكر النقاد والانسانية العطوف المتفوقة. وكنتيجة لهذا الانحلال ولظهور الوجهة الدفاعية المغالية في التشدد أصبحت الشوفينية الاجتماعية والتزمت الهاجسي والتأكيد المتغطرس على أن اسرائيل لا تقهر ، السمات الجوهرية للصهيونية. ويمكن أن تدعى هذه العملية النكوصية التي تتضمن التحريض الحاد ورهاب الاضطهاد عقلية «مسعدة» الصهيونية المعاصرة . بالاضافة الى ذلك أدى انتشار الشعور بالحصار الذي محا تدريجيا كل وازع اخلاقي وبلّد ضمير الصهيونية وحلفائها ، ادى الى تصور المواطن الاسرائيلي لذاته على انه سوبرمان نيتشه ، أي انه أصبح يعتقد نفسه في منزلة تعفيه من عمليات التاريخ العادية وترفعه فوق ترهات الجنس الانساني التقليدي . وبسبب من هذه اللامعقلانية ، أصبح الصهيوني غير مناسب لتعايش انساني رحب الصدر مع الشعب الفلسطيني، وهذا هو سبب قلقه العقلي وهستيريته الكامنة . لذا ، لم تعد عظات السلام هي الجواب على التخبط العقلي للصهيونيين : انهم بحاجة الى علاج بالصدمة والى علاج طويل المدى لكي يستعيدوا سلامة قواهم العقلية ويستعيدوا معها احساسهم بالابعاد . ولعل من حسن حظ الصهيونيين ان يستفيق الفلسطينيون بعد عقدين من العيش على حافة الحياة ، ويختاروا عمدا استراتيجية حرب العصابات الطويلة المدى ، استراتيجية الكفاح المسلح الذي سيحرر الفلسطينيين واليهود معا ويخلق الانسان العربي الجديد والانسان اليهودي الجديد .

اثناء ذلك ، يجب أن يكون العرب في كندا وفي غيرها على استعداد لان يضحوا بالقليل لمكافحة الدعاية الصهيونية في القارة الاميركية الشمالية التي تحصل منها اسرائيل على معظم اسلحتها واعصابها الحيوية الاخرى . ويجب على العرب ايضا أن يتخطوا الطريقة التقليدية في معالجة المسألة الفلسطينية بالاعتماد على التحليل الديني — القانوني . يجب أن يصبح التحليل الاجتماعي وتحليل الوضع الراهن وكأنه تاريخ نقطة انطلاقنا. يجب ان نطرح جانبا خرافات الماضي وخطابات الحاضر البليغة وقدرية المستقبل ، كما يجب أن نتخلى عن الشعارات الفارغة وعن المزايدة على الليبراليين علنا بالتحدث بطلاقة بالمفاهيم الليبرالية . يتوجب علينا أن نتعلم التمييز بين التجار الفلسطينيين وبين الثوريين الفلسطينيين ، وبين التجار والبيروقراطيين العرب من جهة والراديكاليين الملتزمين باخلاص من جهة أخرى . يجب أن نواجه الحقيقة ، ونهبط من علياء الأجمة العقلية المتشابكة التي صنعها القادة التقليديون والعاطفيون البيروقراطيون البورجوازيون الصغار وننضم الى صفوف الشعب المناضل الذي يحاول بناء مستقبل جديد متحرر من الاضطهاد والاستغلال . بهذه الروح الملتزمة يحاول « الاتحاد العربي الكندي » أن يحارب العدو الصهيوني وأن يدمج نفسه بالمجتمع الكندي ، لا بالحفلات الخاصة وحفلات العشاء في الاحياء الراقية المنعزلة .

هذا وقد اصدر الاتحاد بيانا صحفيا لدحض حجج الصهيونية وهجومها على مقالات رجلي ، وقد ظهر جزء من هذا البيان في « تورنتو ديلي ستار » في ١٩٧٠/٨/١١ وبين البيان كيف « ان بعض الاجراءات شبه النازية التي طبقها الاسرائيليون بمثابرة ولا يزالون يطبقونها هو : العقوبات الجماعية وردم الاحياء وابعاد المعارضين واعتقال المناضلين المشتبه بهم دون محاكمة وارهاب السكان والتدمير العابث لبعض الاحياء العربية في القدس » .

الدكتور جورج حجار

(٤) الولايات المتحدة: التنظيمات الاميركية وفلسطين

يهدف هذا التقرير الى تقديم صورة مختصرة للطيف السياسي في الولايات المتحدة ، والى اعطاء فكرة ما عن الطريقة التي تنظر بها العناصر المختلفة ضمن هذا الطيف الى النضال الفلسطيني . ولا يقصد بهذا التقرير أن يكون معالجة شاملة للموضوع بل مدخلا فحسب . وقد جمعت المعلومات الواردة بواسطة الملاحظة الشخصية الى حد بعيد ، وكذلك عبر الالفة العملية مع معظم الجماعات والمنشورات الوارد ذكرها . ويشعر الكاتب ان هذا التقرير على ايجازه مهم كبداية لتحديد التمايزات بين قطاعات الرأي العام الاميركي المختلفة ، والطريقة التي تنظر بها هذه القطاعات الى النضال الفلسطيني نتيجة للتنظيمات المختلفة التي تمثلها . ان الاستنتاجات الواردة في هذا التقرير مبنية على اساس كمية ونوعية التغطية التي اعطتها وسائط اعلام هذه المنظمات المختلفة للفلسطينيين وعلى الاثر الذي نشعر ان هذه التنظيمات تمارسه على المجتمع الاميركي الذي يتألف من مجموعها .

١ ــ اليمين

ا ــ اليمين المتطرف المعادي للمثقفين : تتمتع هذه المجموعة بشعبية وصوت مسموع بين قطاعات متفرقة من الطبقة العاملة البيضاء في الشمال وبدرجة اكبر على امتداد الجنوب . وتتسم هذه المجموعة بلاسامية قاسية وبالعداء للشيوعية وبالعزل العلني مع النازية . ويمكن القول عند هذا الحد أن هذا القطاع من قطاعات اليمين يمثل شكلا من اشكال الفاشية الشعبية . والتنظيمات البارزة في هذا القطاع هي : حزب حقوق الولايات القومية ومجلس المواطنين البيض وحزب النهضة وحفنة من التنظيمات المحلية الاصغر . واحدى الصحف الرئيسية التي تنطق بلسان هذه الجماعات هي صحيفة ثندر بولت التي توزع على النطاق الوطني وتقدم « وجهة نظر الرجل الابيض » . ولا شك أن من الصعب تقدير عدد الاشخاص الذين تصلهم هذه الصحيفة لان كثيرين ممن يتلقونها يمزقون عن الاعتراف بانهم يشاركونها آراءها ، وعلى الاخص في الشمال . وتتوجه هذه الجماعات بصورة محددة الى اثارة العواطف والكراهية ولا تحاول أبدا أن تخاطب العقل . ويمكن بسهولة استنتاج موقف هذا القطاع بكامله من انشغاله الكامل باليهود بوصفهم متآمرين شيوعيين . ولذا فان اسرائيل ، في تحليل هذه الجماعات ، لا بد ان تكون منطقيا دولة شيوعية متحالفة مع الاتحاد السوفياتي والاميركيين السود بهدف تخريب « الديمقراطية » تخريبا تاما . من هنا فان هذا القطاع من اليمين يعاضد النضال الفلسطيني قدر ما يرى ان هذا النضال موجه ضد « المؤامرة اليهودية العالمية ». وقد أدى ذلك الى قيام الدعاة المناصرين لاسرائيل بربط اليمين بالفلسطينيين في السجالات التي يخوضونها ، وذلك في محاولة منهم لتصوير الفلسطينيين لاساميين . تخصص ثندر بولت مساحة متساوية تقريبا للمسألتين الرئيسيتين اللتين تهمان اليمين وهما العرق واللاسامية ، ولهذا كثيرا ما نجد فيها مقالات تفضح المؤامرات والفظائع الصهيونية الخ.

ب ــ اليمين الديني (العصموي) [العصموية حركة بروتستانتية تؤمن بعصمة الكتاب المقدس في جميع القضايا] : كثيرا ما يتداخل هذا القطاع من اليمين مع انصار القطاع الاول . والناطقون الرسميون باسم هذا القطاع قساوسة مشهورون مثل بيلي غراهام ونورمان فنسنت بيل وكارل ماكنتاير وجميعهم يعتنقون قيم المجتمع الاميركي التقليدية (الله ، العائلة ، الوطنية) في وجه ما يرون انه مؤامرة شيوعية عالمية . وقد تصالح هؤلاء مع المسالة اليهودية وهم يمثلون مصدر دعم قوي لاسرائيل بين قطاعات السكان التي ينفذون اليها (الطبقة العاملة البيضاء بشكل عام وكذلك أعداد لا بأس بها من الطبقة الوسطى البيضاء الانجلو ساكسونية البروتستنتية في الشمال) . وقد نفذ دعم هذا القطاع لاسرائيل ، بسبب من الاحترام الذي يتمتع به قادته ، الى اعداد غفيرة من الناس ليحقنها بالحماس للقضية الاسرائيلية . وهم لا يعالجون مسالة الشرق الاوسط الا بلغة « اسرائيل الضئيلة التي تخاف الله » في مواجهة « الدول العربية التي يدعمها الاتحاد السوفياتي » ولا يتحدثون ابدا عن الفلسطينيين . وكثيرا ما يزور الناطقون باسم هذا القطاع اسرائيل . وقد ذهب أحدهم ، بيلي غراهام ، الى حد انتاج شريط يهدف الى تبرير وجود اسرائيل من خلال النبوءة التوراتية،

وشاهد هذا الشريط عدد كبير من الناس نظرا لظهوره على شاشات شبكة التلفزيون. وليس هناك جريدة أو مجلة تنطق باسم هذه المجموعة ، فالناطقون الرئيسيون باسمها يستطيعون استخدام وسائط الاعلام باستمرار . وقد يبلغ عدد مؤيديها مليونين او ثلاثة ملايين على الاخص في الجنوب .

ج ــ اليمين الراديكالي : تعمل ضمن هذه الفئة جماعتان رئيسيتان هما : الليبرتاريون (وهم مثقفون فوضويون غير مرتبطين بالطبقة العاملة ، فرديون اساسا ويعتنقون مذهب حرية الارادة) وتحالف الشباب القومي . يتألف الليبرتاريون من مثقفي اليمين ويمكن ان نطلق على هذه الجماعة اسم اليمين الفوضوي. اما تحالف الشباب القومي فجناح يميني شعبي عضوي يتألف من الطلبة بصورة رئيسية . يغلف هذا القطاع سياسته بخطابية يسارية على الاخص فيما يتعلق بالمسائل المحلية . وعلى الرغم من انه كان هناك يمين راديكالي منذ امد ، الا أن عودة يمين فوضوي واضح ظاهرة حديثة جدا ناجمة عن خيبة امل الليبرتاريين في السياسات المحافظة في اميركا . من جهة أخرى يبدو تحالف الشباب القومي مجرد عودة جديدة لليمين الشعبي اللاسامي القديم في مظهر جديد هو استخدامه للغة الكثير منها مستمد من المفردات اليسارية . تتبنى هاتان المجموعتان القضية الفلسطينية لاسباب مختلفة جذريا . فالليبرتاريون ينظرون الى النضال الفلسطيني على انه نضال ضد التوتاليتارية (النظام الكلي القائم على سيطرة الدولة على الامة والفرد سيطرة تامة) التي تمثل بعبعا بالنسبة لهم ، ولكنهم حذروا من ان « ينحط » النضال الفلسطيني الى أشكال توتاليتارية . أما تحالف الشباب القومي فيدعم الفلسطينيين فيما يرى انه صراع « عربي ــ يهودي » ، وهو بهذا يتبنى نظرية المؤامرة العالمية بصورة مقنعة . ويستطيع المرء بمجرد القاء نظرة على جريدتهم «أتاك» ان يلمح أوجه شبه بين اسلوبهم في المناظرة السجالية واسلوب اليمين المتطرف . ومن المشكوك فيه أن تكون هاتان المجموعتان تصلان الى عدد كبير من الطلبة في الوقت الحاضر وذلك بسبب حداثة عهدهما ، لكنهما تشكلان بديلا جذريا لليسار بالنسبة للطلبة المحافظين ولذا فان من المتوقع ان تزداد شعبية الجناح المثقف منهما ، وهو الليبرتاريون .

٢ ــ الوسط

ا ــ جماعات الشرق الاوسط : ذي لينك جريدة اخبارية يصدرها كل شهرين « الاميركيون من أجل فهم الشرق الاوسط » . واعضاء هذه الجماعات مستعربون اكاديميون ومن ذوي النزعة الانسانية يحركهم الضمير المسيحي والرغبة في عمل الخير (اللاجئون) . والآراء التي تعرض في ذي لينك في هذا المجال معتدلة سياسيا تؤكد على « تاريخ واديان وقيم وحضارات الشرق الاوسط وظروفه الاقتصادية » . وترتبط جماعة « الاميركيون من اجل فهم الشرق الاوسط » بالاتروا وبمعهد الشرق الاوسط وبشركات البترول وبمنظمات مسيحية كنسية مختلفة وبمؤسسات اكاديمية وتجارية ناجحة أخرى، وذلك من خلال مجلس مديريها . يتركز جمهور ذي لينك في نيويورك/الساحل الشرقي بصورة غالبية ، ويبلغ عدده بضعة آلاف ، وتأثيرها قائم على سمعة ومنزلة مجلس مديريها . تغطي هذه الجريدة المسألة الفلسطينية على شكل مراجعات كتب ومحاضرات ومناقشات وكذلك على شكل أخبار « اللاجئين ». والهدف المعلن لهذه الجماعة هو « الضغط من اجل سياسة اميركية اكثر عدلا وتناسقا ونزاهة تجاه الشرق الاوسط » ولذا فانهم يميلون الى التقليل من أثر الاتحاد السوفياتي والاشتراكية والثورة الفلسطينية في الشرق الاوسط (الى حد أنهم يكادون يتجنبون هذه المسائل تماما) آملين أن يخلقوا في اميركا تفهما افضل لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط . وهم يسعون الى حل عادل لمسألة اللاجئين ، لكن هدفهم الاساسي هو شرق أوسط مسالم موال للغرب .

ميدل ايست بيرسبكتف « جريدة اخبارية شهرية تعنى بأمور الشمال الافريقي وشرق المتوسط » وبآراء ونشاطات الدكتور الفرد ليلينثال الذي يملكها . والدكتور ليلينثال ليبرالي معتدل معاد للصهيونية وعضو سابق في المجلس الاميركي لليهودية ومؤلف ليست لديه ارتباطات تنظيمية محددة . وهو مثل الدكتور المر بيرغر وحوشي مينوحن من سلالة نادرة من الاميركيين اليهود غير الراديكاليين المعادين للصهيونية . ليس جمهور « بيرسبكتف » كبيرا فهو يعتمد على صلات الدكتور ليلينثال ويتداخل مع جمهور الجماعات الاميركية المناصرة للعرب . يركز الدكتور ليلينثال نشاطه على مهاجمة اسرائيل والمنظمات الصهيونية العالمية وعلى التأكيد أن مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط تتأثر

سلبا بدعم اسرائيل واجبار العرب على التوجه نحو الاتحاد السوفياتي .

اكشن جريدة اسبوعية تصدرها لجنة العمل للعلاقات العربية الاميركية . تأسست اللجنة في العام ١٩٦٤ ولها الآن خمسة عشر فرعا في الولايات المتحدة ، أما الجريدة فتأسست في العام ١٩٦٩ ويبلغ عدد قرائها اكثر من عشرين الفا . وهي تصدر في نيويورك نتيجة جهود الدكتور محمد مهدي « المكرس لتحرير فلسطين » وتغطي كل انباء الشرق الاوسط وتعيد نشر قصص تظهر في الصحف الاخرى وكذلك مقالات لا تتلقى تغطية من جانب وسائل الاعلام الاميركية الاخرى . وتتوجه اكشن الى الجالية الاميركية العربية والى الاميركيين المناصرين للعرب في طول الولايات المتحدة وعرضها ، وهي تهدف الى نشر وتعميم الجانب العربي من الوضع في الشرق الاوسط ساعية بذلك الى تحقيق سياسة اميركية اكثر توازنا في المنطقة . وهي بهذا المنظمة الليبرالية الوحيدة المعنية بشؤون الشرق الاوسط التي تعالج المسائل الفلسطينية . يستخدم الدكتور مهدي كل اشكال وسائط الاعلام الاميركي حتى اكثرها سوء سمعة داعيا للقضية ومن ثم لجريدته وبالتالي للقضية . تدافع اكشن عن فكرة دولة ديمقراطية علمانية وهي بذلك تغطي ايديولوجيا الثورة اكثر مما تغطي انجازاتها ، وليس ذلك فحسب ، بل انها ايضا تؤكد على حل المسألة حلا سلميا سياسيا عبر تغيير سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط .

ب ــ الجماعات الكنسية الليبرالية : ذي لامب/ مجلة وحدة مسيحية نشرة شهرية يصدرها رهبان الكنارة وهي ليبرالية معتدلة على الطريقة المسكونية . وهي لا تؤكد على توجه اخلاقي للمسائل السياسية قدر ما تنظر الى المسائل الراهنة في ضوء تحقيق ارادة الله او خطته للانسانية . اعضاء هذه الجماعة وجمهورها هم من ضمن الكنيسة الكاثوليكية ويبلغ تعدادهم خمسين الفا تقريبا ، وهي لا تتوجه الى المثقفين او العلماء الكاثوليك بل تتوجه الى الرعية العامة العادية . وهي معادية للعرب بوضوح ونظرتها الى الفلسطينيين هي النظرة الى سكان في الارض المقدسة . وتقوم هذه النظرة على معرفة ضئيلة بالعرب وخاصة المسلمين منهم وعلى الخوف من « الميول الشيوعية » في المنطقة . ولا يمكن النظر الى الفلسطينيين من وجهة نظر الحركة المسكونية المتحالفة مع اليهودية العالمية والداعمة لدولة اسرائيل الا كلاجئين منسيين بائسين تجب مساعدتهم من جانب الانروا والهيئات الخيرية الكاثوليكية ، ويجب ان يعاد توطينهم في النهاية في الدول العربية .

كريستيانيتي اند كرايسس « مجلة راي مسيحية » تصدر كل اسبوعين . وقد أسسها رينهولد نيبوهر وهو عالم لاهوتي وفيلسوف سياسي مشهور واستاذ فخري في المسيحية التطبيقية في معهد الوحدة اللاهوتي. تعالج المجلة « المسيحية التطبيقية » من وجهة نظر اخلاقية / واقعية تجاه المشاكل السياسية والاجتماعية وبقدر كبير من السلامية. توزع المجلة على النطاق القومي باعداد لا تقل عن خمسين الفا . وتتوجه الى البروتستنت وبعض المثقفين الكاثوليك الليبراليين . وعلى الرغم من أن تغطية المسألة الفلسطينية في هذه المجلة ليست متكررة ، الا ان توجهها العام هو التأكيد على حق الفلسطينيين الاخلاقي في تقرير المصير ، وتميز المجلة بين الفلسطينيين والدول العربية موجهة نقدها الى اسرائيل بسبب المعاملة اللاانسانية التي يلقاها الفلسطينيون في الاراضي المحتلة . أما في اللغة « الواقعية » فتعترف المجلة بوجود دولة اسرائيل كوطن قومي لليهود ، وتعتقد انه يجب أن يكون هناك تقارب بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، ويجد اقتراح الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين صدى لدى هذه الجماعة ولكنه يقابل بالشك على أساس انه غير واقعي .

ومما يستحق الذكر كتيب بعنوان « السعي نحو السلام في الشرق الاوسط » نشرته لجنة اميركان فرندز سيرفس وجمعية جماعات الكويكرز في الولايات المتحدة وكندة وانجلترة . والكويكرز سلاميون غير منحازين ولا سياسيين حازوا قدرا كبيرا من الاحترام في الولايات المتحدة بسبب نشاطاتهم من اجل الحقوق المدنية وضد الحرب الفيتنامية . وهم جماعة قليلة العدد ، لكن الكتيب الصغير الذي اصدروه لاقى انتشارا واسعا بسبب سمعتهم . (وقد صدر نقد لهذا الكتيب في العدد الاول من « شؤون فلسطينية ») والهم الاساسي للكويكرز كسلاميين بصورة مطلقة هو انهاء العداوات والوصول الى حل سياسي عادل (اي سلمي) للوضع في الشرق الاوسط وهم يعلقون املهم على الانتصار النهائي « للادراك السليم

والعدالة الانسانية » .

ج ــ الجماعات الليبرالية المثقفة : ذي نيشن مجلة اسبوعية محترمة ، عمرها عشرون عاما ، وهي مجلة فكرية / تعنى بالاحداث الجارية وتوزع على النطاق القومي . وتنشر مقالات تكتبها شخصيات سياسية ليبرالية معروفة جيدا ، او من كانت له مؤهلات ليبرالية مناسبة . ووجهات نظرها تتفق مع وجهات نظر السياسيين الليبراليين الاميركيين ، فهي ضد الحرب في فيتنام وفي الوقت ذاته تناصر اسرائيل . ويبلغ عدد جمهور ذي نيشن ٥٠ ــ ١٠٠ الف شخص هم من النوع الذي يقرأ ذي نيويورك تايمز ويثق بها باخلاص . وهي تعنى في الغالب بالمسائل القومية ولكنها عموما تنشر بعض المقالات في الاحداث العالمية ، ولم تعالج هذه المقالات مسألة الشرق الاوسط حتى الان الا في النادر . وقد تصبح المقالات حول الشرق الاوسط اكثر في المستقبل ولكنها ستكون بلا شك ضد الفلسطينيين ومؤيدة للصهيونيين . وستقتصر وجهة النظر غير المعادية للعرب على « المعتدلين » منهم فقط ، اي على اولئك الذين يحتفظون بروابط اقتصادية وسياسية قوية مع الولايات المتحدة .

وور / بيس ريبورت نشرة شهرية عمرها عشر سنين يصدرها مركز دراسات الحرب / السلام . وهي تغطي « الحقيقة والراي في ما يتعلق بالتقدم نحو سلام عالمي قائم على العدل » . وتعتنق هذه المجلة مفهوم « الفيدرالية العالمية » ولذا فانها تتمثل بالامم المتحدة ، وغالبا ما تدعم سياسة الولايات المتحدة داخل الامم المتحدة . وقراء المجلة ، طبقا لاستفتاء قامت به هي ، هم ممن تربو اعمارهم على ثلاثين عاما ، ليبراليون الى راديكاليين ، معلمون ورجال اعمال . وتوزع هذه المجلة على النطاق القومي عددا من النسخ يقرب من عشرين الفا . مجلس امناء المجلة متميز ، ففيه حامل لجائزة نوبل للسلام واشخاص مرتبطون بالاتحاد الاميركي للحريات المدنية ومنظمة الصحة العالمية ومؤسسة راند ومعهد ماساشوستس للتكنولوجيا وجامعة ديوك ومركز السلام العالمي عبر القانون . على الرغم من المثال « الفيدرالي العالمي » الذي تضعه المجلة نصب عينيها ، فان تغطيتها للشرق الاوسط تقوم على منحى سياسي ذرائعي (براجماتي) . وقد خصصت المجلة خلال الاشهر السبعة المنصرمة عددين للشرق الاوسط ، وبرغم ان المحرر زار المنطقة خلال ذلك الا ان وجهات نظره بقيت عمليا على ما هي عليه . وتشاركه المجلة فيها بشكل عام وهي : قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ هو الحل ، حق اسرائيل في الوجود كوطن قومي لليهود ، حق الفلسطينيين في تقرير المصير على الارجح في الشكل «الذرائعي» الذي هو دولة في الضفة الغربية .

٣ ــ اليسار

ا ــ ليبريشن نيوز سيرفس ، جارديان ، ليبريتد جارديان : ليبريشن نيوز سيرفس وكالة لجمع الانباء ونقلها الى كل المنشورات والمنظمات اليسارية . وهي لا تحمل اي طابع ايديولوجي ، وترسل نشرتها مرتين في الاسبوع الى عدة مئات من المنظمات تشمل كل جماعة يمكن ان يطلق عليها اسم يسارية بالمعنى الواسع للكلمة . وهي تغطي مدى كاملا من الاخبار التي تهم اليسار من الاحداث العالمية (التي يغطيها مراسلون موزعون في عدد من الاماكن بينها بيروت وعمان) الى المسائل المحلية . يعتمد معظم الجرائد اليسارية المستقلة وجرائد الشبيبة على ليبريشن نيوز سيرفس اعتمادا كبيرا ، وذلك لكون هذه الجرائد اصغر بكثير من ان تستطيع الاعتماد على مراسلين خاصين بها . حملت هذه الوكالة منذ وصول مراسلين لها الى الشرق الاوسط في العام الماضي سلسلة من المقالات عن النضال الفلسطيني ، وهذه المقالات في العادة مكتوبة جيدا وشاملة . ونظرا لتعاظم اهتمام اليسار بالفلسطينيين فقد تزايد عدد الصحف التي تستخدم مقالات الوكالة. وهذه الصحف تصل جمهورا يعد بالملايين يتألف اساسا من الشباب (١٥ ــ ٣٠ عاما) في المدن، ولكنه يتزايد في المناطق الاخرى . وشبكة هذه الصحف تغطي المجال القومي وهي تشكل لكثير من قرائها محور قراءتهم في الاحداث السياسية الجارية . ولقد عالج الكثير من الصحف التي تعتمد على ليبريشن نيوز سيرفس النضال الفلسطيني بتعاطف ، على الرغم ان الكثير من هذه الصحف قد عالج المسألة على أساس التضامن مع حركات التحرر الوطني اكثر مما عالجها على اساس فهم راسخ . ولعل من الممكن ان نصف جمهور هذه الصحف بانه جمهور يساري غير ايديولوجي وغير مثقف .

كذلك تقوم الـ « جارديان » والـ « ليبريتد جارديان » على أساس قومي دون توجه ايديولوجي

محدد ، وهما تعكسان على التوالي الوسائل الصحافية لليسارين القديم والجديد . والـ « ليبريتد جارديان » هي كما يدل اسمها منشقة عن الجريدة الام . وقد عالجت الصحيفتان النضال الفلسطيني في سلسلة من المقالات . لكن مقالات « ليبريتد جارديان » اعمق بكثير لان بعض اعضاء هيئة تحريرها زاروا بيروت وعمان مؤخرا لحضور مؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين . من جهة اخرى ، استجابت «جارديان» للنضال الفلسطيني بطريقة « موضوعية » ناشرة كمية كبيرة من المعلومات ولكن بغير كبير حماس.تعمل الجريدتان انطلاقا مما كان أساسا قائمة بريدية واحدة، على الرغم من ان القائمة البريدية لكل من الصحيفتين اصبحت مختلفة عن الاخرى بعد الانشقاق . ومن الصعب بعض الشيء تقدير جمهور الصحيفتين ، ولكننا نستطيع ان نقدره دون مجانبة الصواب بـ ٣٠٠ ـ ٤٠٠ الف . ولقد كانت هيئة ليبريتد جارديان ، بسبب من اختلاف درجة حماسها عن درجة حماس جارديان ، نشيطة خارج الحقل الصحافي ، فاقامت مؤخرا معرضا للملصقات السياسية الفلسطينية .

ب ـ الحزب الشيوعي : يعاني الحزب الشيوعي من مرضين اولهما تمع الحكومة الشديد له في الخمسينات وثانيهما استمرار اعتماده على الاتحاد السوفياتي في تقرير خطه السياسي . ولذا فانه لم يظهر على المسرح السياسي الاميركي كقوة سياسية محتملة الا في السنوات الثلاث او الاربع الاخيرة (ويعود ظهوره هذا بدرجة كبيرة الى نشاطاته التنظيمية في الحركة المعادية للحرب . ويقدر الحزب الشيوعي ان منظمة الشبيبة التابعة له ، عصبة تحرير العمال الشباب ، تضم خمسين الفا) . بيد أن الحزب الشيوعي يلتزم في موقفه من الشرق الاوسط التزاما كاملا بالسياسة السوفياتية . فقد نشرت ديلي وورلد ، وهي الصحيفة الجماهيرية للحزب ، مقالات تنتقد سياسات اسرائيلية مختلفة ، لكنها تلتزم بسياسة ان اسرائيل يجب أن تبقى (في حدود تقسيم ١٩٤٧). بدا الحزب الشيوعي بسبب من تزايد تبنيه لتحرير السود في الولايات المتحدة يجتذب اعدادا كبيرة من الشباب السود ، وقد يساعد هذا الاتجاه في تغيير بعض من قيادة الحزب وسياسته المتحجرة . كثيرا ما توزع ديلي وورلد مجانا في المناطق العمالية والمناطق السوداء ، ولكن لا يبدو انها تمارس تأثيرا كبيرا كجريدة ، ومن الصعب تقدير حجم جمهورها بسبب توزيعها المجاني ، ولكن يمكن ان يخمن المرء ان عدد الناس الذين يتأثرون بسياسة الحزب الشيوعي بالنسبة للمسائل الخارجية أقل من مئة الف ، ويتألف هذا الجمهور بصورة رئيسية من اليساريين القدامى ومن عدد متزايد من السود في المدن .

جـ ـ التروتسكيون : هناك كما في انحاء اخرى من العالم جماعات مختلفة تسمي نفسها تروتسكية وذلك بسبب تبنت الاممية الرابعة التروتسكية . واكبر هذه الجماعات هي « حزب العمال الاشتراكي » الذي يتضمن « تحالف الاشتراكيين الشباب » والذي يمارس تأثيرا كبيرا على « لجنة تعبئة الطلبة ». ينشر حزب العمال الاشتراكي مجلة اسبوعية ميليتانت ، وهو كذلك مسؤول عن نشر انترناشيونال سوشاليست وهي مجلة شهرية تحليلية ، وايضا انتركونتنتال برس وهي مجلة اسبوعية اخبارية عالمية أساسا . اعضاء حزب العمال الاشتراكي (ومن ينتمون الى المنظمتين المذكورتين اعلاه او يتأثرون بهما) شباب بصورة غالبة ، ينتمون في اصولهم الى الطبقة الوسطى ويجندون في الغالب من الجامعات . قد يكون عدد الذين تؤثر عليهم سياسات حزب العمال الاشتراكي مئات الالف ولربما وصل الى مليون . ولا شك ان عددا اكبر من ذلك بكثير يتأثر بنشاطات لجنة تعبئة الطلبة التي ليس لها ارتباط ايديولوجي واضح والتي تعمل كتحالف لقوى مناهضة للحرب. اتخذ هذا القطاع من الحركة التروتسكية في صحافته خطا سياسيا يقضي بتأييد النضال الفلسطيني دون تحفظ ما دام هذا النضال نضالا معاديا للامبريالية . ولا تفضل هذه الصحافة منظمة فلسطينية على اخرى ، وفيها قدر كبير من التحليل ولكن دون اي نقد للهدف الفلسطيني او الاستراتيجية الفلسطينية.وقد عالجت انتركونتنتال برس بوصفها مجلة اخبارية عالمية احداث العالم العربي بالعلاقة مع الفلسطينيين ، ومصدر الكثير من اخبارها مقابلات مع الفلسطينيين ومصادر في الصحافة الاوروبية . وتعتمد ميليتانت اعتمادا كبيرا على انتركونتنتال برس في اخبارها ، لكن عددا من مقالاتها ظهر بصورة مستقلة لان عددا من اعضاء حزب العمال الاشتراكي زار المنطقة . وبالاضافة الى عدد كبير من المحاضرات والنقاشات حول النضال الفلسطيني ، ارسل حزب العمال

الاشتراكي عددا من اعضائه في رحلات على امتداد الولايات المتحدة للحديث عن النضال الفلسطيني مستخدمين شبكة فروع تحالف الشباب الاشتراكي للوصول الى عدد كبير من الناس . وهناك جماعة تروتسكية اخرى هي عصبة العمال ولها صحيفة اسبوعية اسمها بوليتين وهي تدعم النضال الفلسطيني ولكنها نشرت نقدا حادا بعض الشيء لبعض قادته وبعض استراتيجياته وتكتيكاته .وهذه الجماعة صغيرة الحجم ربما يبلغ عدد اعضائها بضعة الاف وهي اكثر اهتماما بالمسائل النظرية فيما يتعلق بالفلسطينيين ، وتأثيرها على اليسار غير ذي بال . وهناك اتجاه تروتسكي ثالث هو المؤتمر الوطني للجان العمالية وهو مثل عصبة العمال يوجد فقط في المدن الكبيرة في الشمال الشرقي من ميشيغان الى واشنطن . وهذه الجماعة ليست كبيرة وتؤثر على بضعة الاف فقط على الاكثر ، وقد حللت النضال الفلسطيني في صحيفتها كامبينر من منظور اشتراكي منتهية الى ان الحركة الفلسطينية طليعة التغيير الاشتراكي في الشرق الاوسط كله . ولكن هذه الصحيفة ليست مقروءة خارج اعضاء هذه الجماعة لسوء الحظ .

د ــ الشيوعيون المستقلون : حزب عالم العمال ــ على الرغم من أن حزب عالم العمال محصور جغرافيا وعدديا ، الا انه لعب دورا بالغ الاهمية في لفت انتباه اليسار الى المسألة الفلسطينية . فقد تمكن من الوصول الى عدد كبير من الناس الذين ليست لهم ارتباطات حزبية وذلك عبر نشاطات منظمة الشبيبة التابعة له وهي الشبيبة ضد الحرب والفاشية وعبر منشورات ونشاطات لجنة دعم تحرير الشرق الاوسط التابعة له . وقد كانت منظمة الشبيبة ناشطة جدا في القيام بتظاهرات لدعم الفلسطينيين ابتداء من التظاهرة التي قامت بها في الامم المتحدة خلال حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ويبلغ عدد حزب عالم العمال بالاضافة الى منظمة الشبيبة التابعة له قرابة ٥ ــ ٧ الاف ، ولكن نضاليته وفعاليته كثيرا ما مكنتاه من السيطرة على تظاهرات لم يدع هو اليها . ويقوم دعم الحزب للفلسطينيين على أساس ان نضالهم ضد اسرائيل نضال معاد للامبريالية بالضرورة وان هذا النضال يجب ان يدعم طالما ظل معاديا للامبريالية عن وعي . وينظر الحزب الى التناقض الرئيسي في الشرق الاوسط على أنه تناقض امبريالي اما التناقضات بين اسرائيل والدول العربية الرجعية فثانوية على الرغم من أنها احيانا تصبح اكثر عدائية من التناقض الاولي . وقد قام الحزب في صحيفته الاسبوعية « عالم العمال » وفي النشرة الاخبارية التي تصدر عن لجنة دعم الشرق الاوسط بتغطية واسعة للفلسطينيين مؤكدا على الاوجه السياسية والاجتماعية لنضالهم في مقابل الوجه العسكري .

هـ ــ الماويون : ان الجماعات التي يمكن اعتبارها ماوية صغير في معظمها ولا تستحوذ الا على قدر ضئيل من الاهتمام في اوساط الشباب الراديكالي ، وهي غير فعالة على وجه العموم ، وهناك عدد كبير منها . ولكن على الرغم من أن هذه الجماعات جميعا تدعم النضال الفلسطيني ، الا أن أيا من صحفها لم يحاول أن يعطي قدرا كبيرا من المعلومات او التحليل ، بل تستعيض هذه الصحف عن ذلك بالمديح وعبارات الدعم . ومن هنا وعلى الرغم من أن هذه الصحف لا تصل الا جمهورا صغيرا (الطلاب الراديكاليون) ، فانها لا تقدم ذلك النوع من المعلومات الذي قد يساعد الناس على فهم الصراع في الشرق الاوسط . ولغة هذه الصحف حادة في معظمها ، وهي ليست شعبية بسبب من دوغمائيتها .

و ــ اليسار المتطرف ، الشباب المعادي للمثقفين : لعل افضل من يمثل هذا القطاع هو حزب الشباب العالمي (اليبيون) ، ولهذا القطاع من اليسار في الواقع نقاط لقاء مشتركة كثيرة مع الطرف الاخر من الطيف السياسي ، اليمين الليبرتاري . يضم هذا القطاع اعدادا كبيرة من الشباب الذين قاموا بكثير من تظاهرات الاعوام القليلة الماضية ، وهو تجمع غير ايديولوجي لشباب تخلوا عن المجتمع القائم ليسعوا الى « الثورة » عبر ممارسة الحرية الشخصية ممارسة لا يقيدها شيء . ولقد أشار الناطقان الرئيسيان باسم هذا القطاع، آبي هوفمان وجري روبن ، كثيرا الى أن طبيعة الثورة يجب ان تكون ثقافية ، فيضع الشباب المستلب ثقافة مضادة لثقافة باقي العالم . يشير هذا القطاع من اليسار الى الثورة الفلسطينية ، حين يشير اليها ، في سياق رومانتيكي هو سياق رجل العصابات. وليس لهذا القطاع بنية ممركزة وبالتالي ليس له صحيفة مركزية ، ولكن يمثله عدد كبير من الصحف السرية الصغيرة ذات التوجه المعادي للفكر والمعادي للايديولوجيا ، وهذا موقف يجعل هذا القطاع يصطدم بباقي اليسار . وتأثير هذا القطاع

آخذ في التضاؤل باستمرار .

ز ــ آخرون : هنــاك عــدد آخــر من المنظمات والتجمعات التي يمكن أن توصف حقا بأنها يسارية، ولكننا تعرضنا لكل الاتجاهــات الهامة ، أمــا الجماعات الباقية فهي قليلة العدد ضئيلة الاثر . هكذا أهملنا اليسار المسيحي (العمال الكاثوليك) والحزب الاشتراكي وحزب العمل الاشتراكي وكثير غيرها . ولم يبدأ معظم هذه الجماعات في الاهتمام بالشرق الاوسط الا حديثا جدا . أما الجماعات الاقدم فقد فقدت الحميــة الثورية التــي طبعت سنواتها الاولــى واصبحت ليبرالية أكثر منهــا اشتراكية . وليس لهذه الجماعات بمجموعها أي اثر على حركة اليسار كما توجد في الولايات المتحدة اليوم .

٤ ــ الاقليات غير البيضاء

ا ــ السود : ١ ــ الجماعات الراسخة : يقع ضمن هذه الفئة جماعات قائمة وثابتة منذ أمد مثل الرابطة القومية لتقدم الملونين والعصبــة المدينية ومؤتمر المساواة العرقية وجماعات أحدث لها النظرة ذاتها . تتوجه هذه الجماعات اساسا الى الطبقة الوسطى السوداء الصغيرة ولكن النامية . ولا تزال وجهة نظر هذه الجماعات هي تحقيق الحقوق المدنية طبقا لبنود الدستور الاميركي ، وهي تعتبر السود القلائل الذين وصلوا الى موقع له بعض اهمية او يحظون فيه ببعض احترام نموذجا لها . وهــذه الجماعات أكثر شعبيــة في الجنوب ، وذلك لان الراديكالية التي اجتاحت القطاعات السوداء في الشمال لم تكمل اجتياحها للجنوب الزراعي بعد . وقد يبلغ عدد من تصل اليهم هذه الجماعات أكثر من مليون . تقف هذه الجماعات بلا استثناء موقف الدعم لاسرائيل ، وقد وقع كثير من قادتها المرموقين اعلانات عامة تدعو الى استمرار دعم الولايات المتحدة لاسرائيل . وقد أخذت أهمية هذه الجماعات في الاوساط السوداء تتضاءل لانها لم تستطع ان تتقدم أبعد من المكاسب التي أحرزت في المرحلة التي كان فيها تحرير السود يعني ببساطة مسألة الحقوق المدنية .

٢ ــ الجماعات اليسارية : توجد ضمن هذه الفئة جميع المنظمات المناضلة السوداء . وهي جميعا تعاضد الفلسطينيين بصورة ثابتة مستمرة ناظرة الى النضال الفلسطيني كجزء مــن نضال العالم الثالث للتحرر من الامبريالية الاميركية . تتمثل ضمن هذه الفئة القطاعات المختلفة من الجالية السوداء: البروليتاريا الســوداء (حزب الفهود السود) ، العمال السود (العصبة الثورية للعمال السود)، الطلبة والمثقفون السود (لجنة التنسيق القومي الطالبية) ، القوميون السود (المسلمون السود ، جمهورية افريقيا الجديدة) ، المثقفون السود من اتجاهات سياسية مختلفة (لجنة الاميركيين السود من أجل الحقيقة عن الشرق الاوسط) . كانت هذه الجماعات السوداء بين اول من تبنى النضال الفلسطيني ونشر معلومات عنه في اوساطها ، وقد غطت جميع نشراتها النضال الفلسطيني تغطيــة واسعة واتسمت هذه التغطية بغياب اللاسامية (على الرغم من ان هذه الجماعات هوجمت بتهمة اللاسامية) . قد يصل عدد هذه الجماعات الى أكثر من مليون ، ولكن تأثيرهــا كمجموعة يزداد بازدياد راديكالية الجاليات السوداء وازدياد خيبة املها بالقيادات القديمة .

ب ــ آخرون : معظم منظمات الاقليات غير البيضاء الاخرى أحدث عهدا على المسرح السياسي ، ولذا فانها لم تصبح بعد ذات صوت هام مسموع في جالياتها المختلفة ، على الرغم من أن هذا الوضع يتغير بسرعة . وقد اشتركت هذه المنظمات جميعا في بعض النشاطات التي تدور حول الفلسطينيين ، كما عبرت، جميعها تقريبا، عن دعمها للفلسطينيين، تضامنا منها مع ما ترى أنه جزء من نضال العالم الثالث الذي هو نضالها . تتضمن هذه الاقليات البورتريكيين والشيكانوس والصينيــين . وتأثير المنظمات التي تعمل بين هذه الاقليات ليس محسوسا حقا لانها جميعا جديدة جدا ، ولكن هناك ما يدعو الى الاعتقاد أنها ستزيد من انتشار الراديكالية المتعاظمة في جالياتها ، ويتوقع أن يؤدي ذلك الى دعم متزايد من جانب هذه الجاليات للفلسطينيين.

٥ ــ وسائط الاعلام ــ الجرائد

ان تحيز وسائط الاعلام الاميركية لاسرائيل معروف جيدا . ولذا فقد يبدو أن هذا الجزء من التقرير غير ضروري . بيد اننا نشعر أن من الضروري أن نفهم أن هناك طيفا سياسيا بين وسائط الاعلام . ولهذا السبب ، سنقدم تلخيصا موجزا للاتجاهات الرئيسية . تعطي صحف نيويورك صورة دقيقة لهذا الطيف من جريدة فيلج فويس الليبرالية الى ديلي نيوز المحافظة . وتعتقد هذه الصحف جميعا انه تجب المحافظة على المصالح الاميركية في الشرق الاوسط وحمايتهــا وأنه يجب أن تشن المعركة الاستراتيجية ضد الشيوعية . ومن هاتين الحجتين

كل على حدة ، تستنتج هذه الصحف نتيجة واحدة هي دعم اسرائيل . ولم يثر في الفترة الاخيرة اي تساؤل حول هذا الدعم اطلاقا . فيلج فويس صحيفة اسبوعية كانت تعتبر راديكالية في وقت من الاوقات ويقراها اساسا الليبراليون « الاذكياء ». وتتالف مادتها من تحليل ومعالجة عميقة عوضا عن ايراد الاخبار بصورة مباشرة ، وقد نشرت فيلج فويس احيانا مقالات عن الشرق الاوسط تبحث وجهات نظر معارضة . بيد انها لم تقم ابدا بتغطية وجهة النظر الفلسطينية تغطية جدية ، في الوقت الذي تحبذ فيه الآراء الاسرائيلية كثيرا . أما نيويورك تايمس فهي أقل ليبرالية، وتغطيتها للشرق الاوسط تعتمد الى حد غالب تماما على مصادر داخل اسرائيل . وقد استخدمت التايمس كل الحيل الصحفية في وصف صراع الشرق الاوسط ، فهي على الدوام تنقل الجانب العربي بلهجة تقرب من الاحتقار وتصور العرب معتدين عدوانيين متخلفين الخ. أما الاسرائيليون فيعطون صورة براقة جدا . وبرغم ان التايمس تدعي الموضوعية والتوازن الا انها في الواقع احادية النظرة وموالية لاسرائيل .

نيويورك بوست أقل ليبرالية من سابقتيها ، وهي جريدة مسائية تنقل الاخبار في مقالات قصيرة وتورد كمية كبيرة من التحليلات تكتبها بانتظام هيئة تحريرها . وبما أن معظم اعضاء هيئة التحرير محافظون ، فانها لم تنشر عمليا أي شيء محبذ للفلسطينيين وهي متعاطفة مع وجهة النظر الاسرائيلية الى حد بعيد . تقرأ هذه الجريدة لتغطيتها المكثفة للاحداث اليومية اكثر مما تقرأ لتحليلاتها . وعلى يمين الطيف السياسي تقف نيويورك ديلي نيوز وتسيطر عليها فلسفة العداء للشيوعية التي قادتها الى الدفاع عن اسرائيل دفاعا مبسطا ساذجا جدا ومهاجمة العرب هجوما محموما . وهي صحيفة مصغرة تصدر عدة طبعات يوميا ، وتقرأ أساسا في أوساط الطبقة العاملة لا لخطها الايديولوجي ، على ما نظن ، بل لمحتواها المثير ولانها مزدانة بالصور . أما فيلج فويس ونيويورك تايمس فتقرآن في اوساط الطبقة الوسطى والانتلجنسيا ، بينما يقرأ نيويورك بوست أناس ينتمون الى الطبقتين الوسطى والعاملة . اننا نعتقد أن كل الصحف الاميركية تندرج في الفئات التي عرضناها ، عدا بعض استثناءات قليلة (ابرزها كريستيان ساينس مونيتور التي اقتربت أكثر ما يكون في الولايات المتحدة اليوم من النهج الصحافي المتوازن) . وبصورة مشابهة يمكن النظر الى محطات الراديو والتلفزيون على امتداد القطر من المنظور ذاته . هكذا فان طيف الصحافة الاميركية يحتوي على جناح يميني وعلى وسط معتدل وعلى جناح ليبرالي ، مع الغياب الواضح لجناح يساري . فليس في الاعلام الاميركي يسار (عدا بعض الصحف اليسارية غير الراسخة) .

٦ ــ استنتاجات

أمكننا على أساس هذا التقرير المحدود نوعا ما أن نصل الى نتائج محددة تتعلق بطبيعة الدعم الذي تتلقاه القضية الفلسطينية والذي يتوقع أن تلقاه ما دامت تلتزم بهدفها المعلن ، وهو اقامة دولة ديمقراطية علمانية . يمكن أن يستغنى عن الدعم من اليمين ، لانه يؤدي الى نتائج عكسية اذ يجعل الحركة عرضة (بشكل مبرر) للاتهام باللاسامية . فهذا الدعم عرقي في جوهره ، ولا يدل على دعم حقيقي للفلسطينيين قدر ما يدل على كراهية لليهود . أما الدعم الذي يقدم وسط الطيف السياسي ، وان وجد هذا الدعم ، فيتخذ شكلين : الدعم الذي يقوم على موقف اخلاقي، والدعم الذي يقوم على الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة في العالم العربي . وبينما يلعب الدعم الاخلاقي بعض الدور في تقديم المسألة الفلسطينية ، الا أنه ، لسوء الحظ ، لا ثقل له في المستويات العليا حيث تصاغ السياسة الاميركية . أما النوع الآخر القائم على المصالح الاميركية فغير واقعي لسوء الحظ اذ أنه لا يدرك أن المقاومة الفلسطينية تتوجه في النهاية ضد هذه المصالح ذاتها . يظل الدعم الذي يقدمه اليسار صحيحا تحليليا في معظمه . وعلى الرغم من أن اليسار لا يملك حتى الان قاعدة هامة خارج نطاق الطلبة والمثقفين بالاضافة الى الدعم المتزايد الذي يحظى به في أوساط الاقليات غير البيضاء ، الا انه يمكن ان يصبح مصدرا لدعم حقيقي فعال في المستقبل . ولذا فاننا نشعر أن التركيز يجب أن يوجه الى اليسار والاقليات غير البيضاء ، في الوقت الذي لا نستثني فيه أي قطاع من السكان (عدا اليمين) ، وذلك طالما بقيت صحف الوسط مغلقة بفعل التحيز الصهيوني (وهي ستبقى كذلك في المستقبل المنظور) .

مراسلنا في الولايات المتحدة

(٥) بلجيكا : مؤتمر بروكسل ويهود الاتحاد السوفياتي

ما بين ٢٣ و٢٥ شباط (فبراير) الماضي ، عقدت وفود صهيونية تنتمي الى ما يقارب الاربعين دولة مؤتمرا حافلا في العاصمة البلجيكية بهدف « الضغط على الاتحاد السوفياتي لاخلاء سبيل يهوده الراغبين في الهجرة الى اسرائيل » . وقد اعتمد المنظمون اعطاء هذا المؤتمر طابعا علنيا صاخبا لاعتقادهم بأن « الاسلوب الوحيد الناجع لانجاح الضغط هو خلق تيار عالمي قوي حول وضع اليهود السوفيات » . ولذا تواعد على قصر المؤتمرات في بروكسل اكثر من سبعمئة مندوب عن منظمات او مجموعات صهيونية بينهم اكثر من علم من اعلام هذه الحركة العالمية ، وعلى رأسهم دافيد بن غوريون ومناحم بيجن وكبير حاخامي فرنسا جاكوب كابلان بالاضافة الى ارثر غولدبرغ (المندوب السابق للولايات المتحدة في الامم المتحدة) والكاتب الامريكي شاؤول بيلو والمخرج السينمائي اوتو بريمنجر .

وقد صادف يوم افتتاح المؤتمر عيد الجيش الاحمر السوفياتي مما اعتبره الحكام السوفيات امعانا في الاستفزاز ، فقام السفير السوفياتي في بروكسل باكثر من احتجاج لدى الحكومة البلجيكية (جريدة « لا بلجيك ليبر » أي بلجيكا الحرة عدد ٢/٢٢/ ١٩٧١) . كما أوفدت الحكومة السوفياتية الى بروكسل مندوبين عن يهود الاتحاد السوفياتي المناوئين للصهيونيين ليقوموا بحملة مضادة اثناء انعقاد المؤتمر هم : الجنرال دافيد دراغونسكي، الحقوقي زيفس ، ونائب السوفيات الاعلى فلاديمير بيلر ، والكاتب الكولونيل هنريك هوفمان . وعشية انعقاد المؤتمر قام هؤلاء بتنظيم مؤتمر صحفي نددوا فيه بالاستفزازات الصهيونية ضد الاتحاد السوفياتي ، وعبروا عن رأيهم بأن عقد هذا المؤتمر يستهدف منه « تحويل انظار العالم عن جرائم اسرائيل ورفضها للسلام في الشرق الاوسط » .

وكانت بعض الصحف قد اشارت الى ان ناحوم غولدمان نفسه ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي صرح في حديث له في زيورخ بأن وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي قد أظهر بشكل درامي ومضخم. (لوموند ١٩٧١/٢/٢٣) . ولكن الاخير اضطر امام تهجمات منظمي المؤتمر الذين وصفوه بانه « رجل منعزل يحب التصريحات المدوية ، وان التاريخ لا بد أن يحاكمه » (لا بلجيك ليبر ٢/٢٣) اضطر ان ينفي هذا النبأ ويعلن تضامنه المطلق مع المؤتمر واهدافه (جريدة لوسوار ، اي المساء عدد ٢/٢٥) .

وافتتح المؤتمر بتلاوة رسالة من جولدا مئير اكدت فيها «ان المؤتمر سيقوي وحدة الشعب اليهودي». ثم قام بعض الموفدين بالقاء كلماتهم وبينهم ثلاثة مهاجرين يهود من اصل سوفياتي احدهم الضابط غريشا فايغين الذي ادعى انه حصل على لقب بطل الاتحاد السوفياتي مرتين (وقد شكك الجنرال دراغونسكي في صحة هذا الادعاء) . وفي اليوم التالي القيت « دراسات » اخرى حول وضع اليهود السوفيات من قبل الاساتذة اتنغر الاسرائيلي ومورغنتاو الامريكي وستيغ الفرنسي ثم انقسم المؤتمر الى خمس لجان لبحث كيفية التحرك : في الاوساط الحكومية والبرلمانية ، على الصعيد القانوني ، تجاه المؤسسات غير الحكومية ، في استغلال كافة وسائل الاعلام ، وفي اوساط الشباب والمثقفين . (لا بلجيك ليبر ٢/٢٥) . وفي نفس اليوم حاول الحاخام مئير كاهان رئيس عصبة الدفاع اليهودية الامريكية وبطل الاعتداءات في نيويورك على المؤسسات السوفياتية والعربية ، حاول الدخول الى قاعة المؤتمر ، ولكن رئاسة المؤتمر منعته وطلبت من سلطات الامن البلجيكية التصرف ، فقامت باعتقاله ثم استبعاده . وقد ادى هذا الحادث الى بلبلة جو المؤتمر ، اذ احتج عدد من انصار كاهان بشدة على طرده بينهم المخرج اوتو بريمنجر (مخرج فيلم اكسودس) الذي اتهم سكرتارية المؤتمر باتباع اساليب نازية ، ومناحيم بيجن الذي احتج على اضطهاد اليهود ليهود مثلهم. كما قام اعوان كاهان وخاصة المحامي الامريكي برتراند زويبون بالتنديد بهزالة المؤتمر واعتبروه « تبذيرا للمال اليهودي » اذ لم يتخذ قرارات حاسمة وعملية . كما اعلنوا عن عزم الحاخام كاهان على بناء شبكة عالمية للقيام بعمليات عنف اذا اقتضى الامر . وحددوا برنامجهم كالتالي : ١) مطالبة جميع الحكومات بالتوقف عن كل محادثات

مع الاتحاد السوفياتي حتى يوافق على اخلاء سبيل اليهود . [والمقصود اساسا هو الحكومة الامريكية] . ٢) المقاطعة الاقتصادية للاتحاد السوفياتي . ٣) توقف التبادل السياحي . ٤) رفض مشاركة الاتحاد السوفياتي في الالعاب الاولمبية . ٥) اعلان العصيان السلمي للضغط على الحكومات للتخفيف من علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي . ٦) توقف كل العلاقات الثقافية . ٧) مضايقة المؤسسات والاشخاص السوفيات في الخارج . ٨) تنهم اكبر من قبل الطوائف اليهودية لاعمال العنف . ٩) بناء علاقات مع كل المنظمات والاحزاب المعادية للاتحاد السوفياتي في العالم . ١٠) اعتبار مشكلة اليهود الروس في قلب كل برنامج تربوي يهودي . (نقلا عن لا بلجيك ليبر ٢/٢٦).

وفي نفس اليوم اقام فرعا الاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد العام لعمال فلسطين في بلجيكا بالاشتراك مع لجنتي نصرة فلسطين (لجنة فلسطين الوطنية ، ولجنة التضامن مع المقاومة الفلسطينية والشعوب العربية) مؤتمرا صحافيا علقوا فيه على عقد المؤتمر الصهيوني واعادوا الى الاذهان تاريخ الصهيونية الحافل بالجرائم والتحالفات اللااخلاقية (حتى مع النازيين انفسهم) . كما اشاروا الى التحالف الموضوعي بين الصهيونية واللاسامية في التفرقة بين اليهودي وغير اليهودي ، وشددوا على ان المشكلة ليست في الاتحاد السوفياتي بقدر ما هي في الشرق الاوسط حيث اغتصبت حقوق شعب باكمله . وشرح المحاضرون أوضاع الشعب والثورة الفلسطينية واهدافهما في بناء المجتمع الفلسطيني الديموقراطي على أرض فلسطين . وقد كان لهذا المؤتمر صدى في معظم الصحف البلجيكية التي اعطته اهتماما كبيرا (لاسيته ٢/٢٥ ، لوسوار ٢/٢٥ ، لادرنيير اور ٢/٢٥) .

وفي اليوم الاخير من المؤتمر ، تكلم مناحم بيجن مجددا تضامنه مع كاهان، مما دعا بعض الحاضرين الى الاحتجاج بعنف مكررين كلمة « العار » باللغات الانكليزية والفرنسية والروسية والعبرية ، وكانت هذه آخر مظاهرات المؤتمر ، الذي أنهى اعماله باعلان نداء بروكسل وسماع كلمة بن غوريون الذي تغيب عن معظم اعمال المؤتمر لاسباب صحية . وقد اعرب بن غوريون عن ثقته « بأن الاتحاد السوفياتي سيتأثر حتما بما قيل في المؤتمر » . وقد نشر النص الكامل لنداء بروكسل في جريدة لا بلجيك ليبر (٢/٢٦) وجاء فيه « نحن مندوبو جميع الطوائف اليهودية في العالم ، المجتمعون في هذا المؤتمر ، نعلن تضامننا مع اخوتنا يهود الاتحاد السوفياتي . نحن معهم في كفاحهم البطولي من اجل الابقاء على شخصيتهم القومية وحقهم المطلق في العودة الى وطنهم التاريخي ، اسرائيل . ننتدد ههنا بسياسة الحكومة السوفياتية التي تستهدف القضاء على التراث الثقافي والديني اليهودي ، خارقة بذلك الدستور السوفياتي والاعلان العالمي لحقوق الانسان . نؤكد كذلك على ان محاولة السلطات السوفياتية الفصل بين يهود الاتحاد السوفياتي ويهود العالم الاخرين هي اجحاف غير مقبول . »

ابعاد المظاهرة : قبل كل شيء وكما قال احد اعضاء الوفد السوفياتي اليهودي المناوىء للصهيونية ، « المؤتمر ليس يهوديا وانما صهيوني » ، وهذا بالنسبة لنا من البدهيات ولكنه صلب الموضوع . ذلك ان الصهيونية ، وقاعدتها العسكرية اسرائيل، قوة عالمية منظمة ذات طبيعة محددة واهداف مترابطة ، على الاقل موضوعيا — وليست حركة عفوية عشوائية لا تطمح الا الى جمع يهود العالم والدفاع عنهم . الصهيونية ، منذ نشوئها ، طرف في الصراع العالمي بين قوى الاستغلال والجماهير المضطهدة (بفتح الهاء) والمستغلة (بفتح الغين). وهي ودولتها التي تعتمد على أموال الرأسمالية اليهودية (الامريكية خاصة) وغير اليهودية وعلى اساطيل وطائرات امريكا ، طرف في الصراع العالمي بين ما يسمى بالامبريالية وشعوب العالم . وهي بالذات طرف في الصراع القائم في الشرق الاوسط بين الامبريالية والشعوب العربية وخاصة شعب فلسطين . فما الذي كانت تستهدفه الحركة الصهيونية من وراء مؤتمر بروكسل وبشكل أعم من وراء الحملة الشاملة حول وضع اليهود السوفيات ؟ نستطيع ان نلخص هذه الاهداف تحت بابين : الاول باب الوضع الداخلي الاسرائيلي ، والثاني باب ما يسمى « بالسياسة العالمية حول قضية الشرق الاوسط » .

بالنسبة للوضع الداخلي ، فمما لا شك فيه ، وهذا هو الهدف المعلن ، ان الصهيونية ترغب في دفع اليهود السوفيات ويهود اوروبا الشرقية عامة للهجرة الى فلسطين المحتلة . وليس اختيار هذه الطائفة صدفة ، ذلك ان اليهود السوفيات ، خلاف

يهود الدول الغربية ، يهود « غير منتجين » من وجهة نظر الصهاينة . فهم لا يجمعون الاموال لدعم الاقتصاد الاسرائيلي من جهة ولا يشكلون ، كطائفة ، كتلة ضاغطة داخل الاتحاد السوفياتي لصالح اسرائيل (كما هو الحال بالنسبة للطائفة اليهودية الامريكية) من جهة اخرى . الى جانب ذلك ، ترى المجموعة الحاكمة في اسرائيل — التي يشكل اليهود الاشكناز (اي من اصل اوروبي او امريكي بشكل تقريبي) غالبيتها العظمى — ضرورة الابقاء على الطابع الغربي لاسرائيل المهددة بعد توافد اليهود الشرقيين (من الدول الاسيوية والافريقية خاصة) بالتحول الى دولة شرقية . (وقد صرح بن غوريون ودايان مرارا تصريحات بهذا المعنى) . ويهود أوروبا الشرقية هم من الاشكناز ، وبالاضافة الى ذلك معظم المهاجرين منهم هم ممن يسمون بالكوادر العلمية (أي علماء واطباء ومهندسين الخ) الذين لا يجدون في المجتمع السوفياتي مجالا واسعا لتحقيق تطلعاتهم البورجوازية ، بينما يهود آسيا وافريقيا اغلبهم من « عديمي الكفاءة » وينتمون في احسن الاحوال الى طبقة الحرفيين والتجار الصغار . وهذا لا يعني بالطبع ان ليس بين مهاجري اوروبا الشرقية الحاليين يهود متدينون او متعلقون لاسباب عاطفية او عائلية بأرض فلسطين ، ولكنهم (والاحصائيات الاسرائيلية نفسها تؤكد ذلك) لا يشكلون الاغلبية . لكل هذه الاسباب ، لحاجتها لجنود آخرين في حربها ضد العرب واستعمار اراضيهم ولحاجتها لكفاءات علمية لتطوير صناعة وحربية اسرائيل على أمل استعمار العالم العربي اقتصاديا في يوم ما بعد فرض حلول استسلامية بالقوة عليه ، ترى اسرائيل والصهيونية ضرورة الضغط لتهجير اليهود السوفيات من بلادهم الاصلية الى ارض فلسطين .

اما فيما يتعلق بما يسمى « السياسة العالمية » في الشرق الاوسط ، تعتبر الصهيونية واسرائيلها الاتحاد السوفياتي طرفا في النزاع بينها وبين الامة العربية ، من خلال الدعم المادي والسياسي الذي يقدمه للجمهورية العربية المتحدة خاصة . وكمعظم الاطراف في هذا النزاع من انصار « الحل السياسي » ، تستعمل كل ما لديها من وسائل ضغط سياسية ضد مناوئيها . [مع الفارق بالطبع انها وحليفتها امريكا حاليا ، في موضع قوة على ارض المعركة] . وقضية اليهود السوفيات هي احدى وسائل ضغطها الرئيسية على الاتحاد السوفياتي، علما بأن لحليفتها الكبرى وسائل ضغط اخرى . وتعود فعالية هذا الضغط الى حساسية الحكام السوفيات بالنسبة للرأي العام الغربي خاصة فيما يتعلق بالمشكلة اليهودية واتهامه باللاسامية ، علما بأنه يعتبر المشكلة محلولة مبدئيا في ظل علاقات الانتاج الاشتراكية . والواقع ان مشكلة كالمشكلة اليهودية ذات جذور تاريخية واجتماعية عميقة تعود الى عدة قرون ، وفي روسيا القيصرية واوروبا الشرقية بالذات وجدت في نهاية القرن الماضي ظروف قمع واضطهاد بشعة . مشكلة كهذه تحتاج لحلها الى توفر ظروف موضوعية (بناء المجتمع الاشتراكي السليم) وذاتية (القضاء على العنصرية اللاسامية وردود الفعل الانطوائية التي تواجهها عند اليهود) ، وهذه مهمة أجيال ، ولا تخلو محاولات انجازها من مد وجزر . المهم اذا هو ان قضية اليهود السوفيات هي احدى الورقات الضاغطة في يد اسرائيل في « لعبة الامم » التي تدور حول قضية فلسطين . ورقة ضغط الى جانب القوة العسكرية واحتلال الاراضي تجاه الدول العربية ، الى جانب الوزن الاقتصادي والانتخابي للطائفة اليهودية الامريكية تجاه الولايات المتحدة وأوراق ضغط اخرى بالطبع متفاوتة الاهمية والفعالية .

هناك ملاحظة اخرى حول التناقضات التي برزت داخل المؤتمر الصهيوني والتي تعكس احدى التناقضات الرئيسية داخل المعسكر الصهيوني : وهو التناقض بين الفئة اليمينية المتطرفة التي طالبت باستعمال كافة وسائل الضغط بما في ذلك العنف (والتي مثلها في المؤتمر الحاخام كاهان ومناحيم بيجن ، ويمثلها في اسرائيل جماعة بيجن — كتلة جاحل — والوسط الحر وانصار الحفاظ على الاراضي المحتلة كلها) وبين الفئة التي تتظاهر بالاعتدال (ومثلتها اغلبية المؤتمر مسنودة من حكام اسرائيل وقادة الحركة الصهيونية). هذا التناقض، ولو انه ثانوي في اطار حركة استيطانية رجعية متحالفة مع الامبريالية في مجملها ، الا انه حقيقي. الرؤيا التبسيطية للحركة الصهيونية التي تصورها على انها حركة متكاملة متناسقة واخطبوط عالمي يعمل بتخطيط ودقة في كل المجالات وحتى في دقائق الامور ، ويحدد لكل فئة من فئاته دورا تلعبه في اطار المخطط العام ، هذه الرؤيا لا تعكس الا رفض

التحليل العلمي لطبيعة العدو . معسكر العدو سواء أكان العدو الصهيوني او الامبريالية العالمية له تناقضاته وتياراته المختلفة والمتعددة النزوات في اطار الطبيعة الموضوعية العامة لهذا المعسكر . وفي صفوف العدو الصهيوني تناقضات لها تفسيرها ودورها في مجمل مواقفه . التيار الاول، في التناقض الذي أشرنا له ، وهو تيار اقصى اليمين في الحركة الصهيونية له رؤيا استعمارية شوفينية محضة ، ولا يطرح الامور الا في هذا الاطار الضيق — اي تحقيق الدولة الاسرائيلية الواسعة وفرض وجودها بالقوة — اما التيار الثاني ، وهو التيار الذي قاد الحركة الصهيونية منذ نشوئها وحتى الان والذي تمثل طويلا في شخص بن غوريون ، فهو يدرك طبيعة معركته ويرى من هذه الزاوية حلفاءه واعداءه، ويحاول بالتالي أن يوفق بين استراتيجيته — اي استراتيجية الاستعمار الصهيوني — واستراتيجية هؤلاء الحلفاء (وعلى رأسهم الامبريالية العالمية) ، آخذا بعين الاعتبار موازين القوى بين المجموعتين . وبدون اطالة في التحليل ، يمكننا الاشارة الى هذا التناقض بوضوح في اطار المحاولات الاخيرة لتطبيق الحل المعروف بالسلمي ، حيث وقف التيار الاول موقفا متشنجا ، بينما اتخذ الثاني موقفا اكثر مرونة ولن يلبث ان يخضع لاستراتيجية الامبريالية الشاملة في المنطقة لادراكه بأنها على الامد غير القصير تبقى لصالحه . أما على الامد الطويل ، فكلا الاستراتيجيتين مصيرهما بين أيدي الشعوب .

داود تلحمي

شهادة الاطفال في زمن الحرب

اعداد منى السعودي

يطلب من المكتبات

ومن مركز الابحاث ، م. ت. ف. ١٠ ل.ل.

(٦) رسالة من غزة

يمثل قطاع غزة قمة الخط البياني للمقاومة داخل المناطق المحتلة وفقا لما تعترف به المصادر الاسرائيلية ذاتها . موشيه ديان ، ذاته ، يعترف بأن في القطاع « حالة مجاعة »(١). ومن جهة ثانية فان روبرت جراهام ، مراسل صحيفة « الفاينشال تايمز » يصف ما هو حادث في القطاع على انه مطابق لحال « بلدة تحت الحصار »(٢). ويقول شاهد عيان يهودي « ان هناك جوعا رهيبا بين الاطفال . ولقد شاهدت اطفالا على استعداد للعمل ساعات طويلة تحت الشمس الحارقة لقاء ثمن فتات من الخبز»(٣). اما جون ريداوي ، احد كبار مسؤولي وكالة الغوث ، فقد اعلن في « التايمز » اللندنية عن نسف السلطات الاسرائيلية للبيوت على رؤوس ساكنيها من عرب غزة(٤). كل ذلك يضاف الى كون صحيفة « عل همشمار » الاسرائيلية قد اعترفت بتاريخ ١٩٧٠/١٢/١١، بأن « السلطات الاسرائيلية لم تستعمل الاساليب الوقائية الرادعة قبل تفشي مرض الكوليرا ولم تحضر عددا كافيا من الاطباء مع العلم بأن ثلث الاطباء الذين كانوا في القطاع قبل الاحتلال قد اخرجوا منه كما ان هناك نقصا كبيرا في عدد المستشفيات » . ايضا : كان التعليم في القطاع « افضل بكثير قبل الاحتلال فقد نقص عدد المعلمين ٤٠٠ ناهيك عن النقص الفريع في كتب التعليم بعد الغاء الكثير منها»(٥). وعلاوة على ذلك فان اميتيه بن بينا ، احد العاملين في الجامعة العبرية ، يؤكد بأن حالة المجاعة في غزة وصلت حدا جعل الامهات الفلسطينيات اللواتي يزرن اطفالهن في مستشفيات غزة يتناولن جزءا من الطعام المقدم لاطفالهن من قبل ادارة المستشفى(٦). هذا بالاضافة الى ان النساء والاطفال اضطروا للعمل، باجور زهيدة ، لكسب ما يقوم بأودهم(٧). كما أن موشيه ديان ، مرة ثانية ، اكد امام الكنيست يوم ١٩٦٩/١٢/١٦ بأن قطاع غزة كان له « حصة الاسد » في اجراءات الانتقام الاسرائيلية فيما يتعلق بنسف البيوت(٨). وبالرغم من ذلك كله فان مجلة صهيونية ردت على مقالة كتبها هودجكين ، محرر الشؤون الخارجية في صحيفة التايمز اللندنية ، فاكدت ما قاله هودجكين ولكنها اسمت ذلك « بضرورات الاحتلال »!(٩).

بامكان المرء أن يسوق المئات من الوثائق والشهادات والتحقيقات التي تؤكد عسف الاساليب الفاشية الاسرائيلية الهادفة تركيع المقاومة في القطاع واقتلاعها من جذورها . على ان الصورة الحالكة التي يعيشها القطاع،والتي أصبحت معروفة على اكثر من صعيد محلي وعالمي ، تبقى اقوى واوضح من كل المقومات اللازمة لرسم الصورة ، وهي بالتالي ، تعفينا من سوق الدليل وراء الدليل عليها . أما السؤال الطبيعي والمنطقي الذي يلي فهو : الى اي حد نجحت تلك الاساليب في قمع المقاومة الفلسطينية في القطاع ؟

حكمة حركة التاريخ ، التي هي دوما حركة نشطة الى امام ، ان تأتي نتائج العسف ، حيث هناك شعب يقاتل ، بنتائج عكسية . بعبارة اخرى ان القهر يمثل ، في حالات كحال قطاع غزة ، رحما ينمو فيه جنين المقاومة ، ومنبعا لعطاء لا ينضب يصب في نهر حرب الشعب التحررية . ان حركة المقاومة في غزة لم تثبت وجودها فحسب ، بل وتؤكد الاحداث يوميا حقيقة تصاعدها المستمر . ولنتنح الان جانبا تاركين المجال لتدافع الحقائق ذاتها ، ومن مصادر اسرائيلية او محايدة ، لكي تطفو على السطح معلنة عن نفسها :

يؤكد « والتر شوارتز » في مقالة له في مطلع هذا العام ، نشرت في مجلة « المانشستر جارديان » بتاريخ ١٩٧١/١/١٦ ، ان المقاومة الشاملة ، على شكل عصيان مدني ، قد دخلت يومها الرابع في القطاع حيث امتنع اصحاب المحال التجارية ، وموظفو المكاتب ، والطلاب عن التردد على مؤسساتهم ، بالرغم من سياسة « التشديد » الاسرائيلية الجديدة(١٠). كما ان اضراب غزة الشامل في الاسبوع الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ لمدة ثلاثة ايام حدادا على مقتل يوسف الخطيب نائب القائد العسكري للجبهة الشعبية في القطاع ، والتظاهرات واطلاق النار على قوات الاحتلال في الجنازة التي اقيمت له ، دليل على طبيعة العلاقة المستمرة بين الفدائيين واهالي القطاع . وهكذا نرى ان « السمك الفدائي » يسبح دوما في القطاع في «بحر جماهيري» واسع !

اما حقيقة النشاط الفدائي العسكري في المنطقة فحقيقة ثابتة ولا تحتاج الى طويل حديث . فمن جهة يؤكد الحديث الوثائقي باستمرار عن حالة « النشاط المتزايد » للعمل الفدائي او حالة « التصاعد » في عدد ونوع العمليات العسكرية الفدائية(١١). ومن جهة ثانية فان حديث العدو الراجف والنادب يضيف للحقيقة تأكيدا هي ليست بحاجة اليه : فتصاعد العمل الفدائي في القطاع ادى الى اجتماعات خاصة عقدها مجلس الوزراء الاسرائيلي « قلقا » منه بسبب الوضع(١٢). وصحيفة « دافار » الاسرائيلية تشير الى عدم فعالية الاجراءات التي اتخذتها قوات الاحتلال وتؤكد على ان « المقاومة ما تزال مستمرة »(١٣). ومن ناحية اخرى فان « الملكيين اكثر من الملك » في صحيفة « الفاينانشال تايمز » يؤكدون على « انه على امتداد الاشهر الستة الماضية فان الحالة تزداد تدهورا ... فاذا نظر المرء للموضوع من الزاوية الاسرائيلية فان الارهابيين العرب قد زادوا نشاطهم بشكل متصاعد وزادوا من التضييق على القوات الاسرائيلية ، وزادوا من تدخلهم مع التجار ، وشجعوا على العصيان المدني ونفذوا عددا متناميا من الاغتيالات والقاء القنابل ضد السكان (؟) المدنيين»(١٤). اما صحيفة « النيويورك تايمز » فتتحدث بمهارة عن المقاومة في قطاع غزة فتقول : « الامور في الاشهر الاخيرة من العام الماضي (المقصود عام ١٩٧٠) اصبحت سيئة للغاية (؟) اذ ان حوادث الارهاب والقتل اصبحت حوادث يومية تقريبا الى درجة ان مجلس (الوزراء) الاسرائيلي صوت يوم الثالث من يناير لصالح سياسة أمنية جديدة وقاسية »(١٥). وتؤكد صحيفة دافار الاسرائيلية على النقطة ذاتها اذ تتساءل : « من يتابع حالة الامن في قطاع غزة يصل الى استنتاج مؤلم جدا . ان السؤال الذي لا بد من طرحه : من يحكم غزة حقا ؟ » وتجيب الصحيفة ذاتها على سؤالها فتقول : « منذ حرب الايام الستة يسيطر الجيش الاسرائيلي على مناطق اليهودية والسامرة (المقصود الضفة) وغور البحر الميت وهضبة الجولان . ويزداد عدد اليهود الذين يزورون هذه المناطق كسياح وللقيام باعمال تجارية وزراعية. اما قطاع غزة فانه « مغلق » امام هؤلاء الاشخاص واصبح بمثابة منطقة « خارج النطاق » لان كل من يحرص على روحه يمتنع عن الاقتراب من مداخلها »(١٦).

من باب الوصف العلمي ، ليس الا ، نقول ان الاجراءات تلك كانت خطوات ما شهدت قريحة اي نظام فاشي مثيلا لها في قساوتها . ومع ذلك ، نسارع الى القول ، بأن تلك الاجراءات لم يكن لها اثر اكثر من اثر السم الذي يحقن في الجسم ولكن اثره لا يعدو كونه « مصلا » يولد في الجسم مناعة وقوة . وهكذا راينا المقاومة الفلسطينية ، عبر ما مورس ضدها من عسف ، تضيف الى رئتي تنفسها رئة جديدة سمحت لها بقدر اكبر من التنفس الذي له نتيجة واحدة هي : مزيد من الحيوية : فلا قتل النساء والاطفال بسبب عدم توقفهم عن المشي حين يطلب اليهم ذلك ولا منع التجول الطويل ، ولا اعتقال كل من عمره يتراوح بين ١٢ ــ ١٤ عاما فاكثر ، ولا حشر النساء في البيوت ومنعهن من قضاء حاجاتهن ، ولا « تجديد » عهد الرق عبر الـ ٩٠ سنتا التي تعطى للعمال كاجرة يومية ، ولا ازدياد اسعار الغذاء بشكل فاحش(١٧)، ولا اجراء من هذه ادى الى اجتثاث جذور المقاومة .

كما ان اجراءات طرد عائلات المناضلين المطلوبين لسلطات الاحتلال ، وتوظيف العسكر « اصحاب القبعات الحمر » (خبراء العسف والاضطهاد) لم يؤد الى وقف حركة العمل الفدائي(١٨). ايضا لم تؤد خطة « العملية الجراحية النظيفة » التي هدفت الى ترحيل سكان غزة الى شرق الاردن الى تحقيق اي من اهداف سلطات الاحتلال(١٩). ولا مضاعفة قوات الجيش الاسرائيلي (خاصة اولئك من اصحاب « القبعات الخضر ») وحملات التفتيش بيتا بيتا(٢٠) ، او حملات الارهاب والتعذيب والقتل، لم تعط ايا من ثمارها المطلوبة او المتوقعة . ان مظاهر التحدي ، خاصة بين نساء مخيمات القطاع، التي واجهت ابرز عناصر المؤسسة العسكرية (شلومو جازيت) اثناء رحلته الاخيرة الى غزة ، دليل لا يقبل اي جدل ، عن عنف وحيوية المقاومة الجماهيرية للاحتلال(٢١).

ومرة اخرى نعود الى صحيفة «دافار» الاسرائيلية. تقول الصحيفة : « ان سكان غزة لا يهزهم هدم البيوت على جهتي شارع « الوحدة » . هذا الذي حدث بعد مقتل تاجر اسرائيلي . ان عملية الهدم هذه لم تترك اثرا للتقاعس في نفوس المواطنين . ومع ان الحكم الاسرائيلي قد نصب الجنود في الساحة الرئيسية للمدينة واقفل كل الشوارع الفرعية التي تؤدي الى شارع عمر المختار الرئيسي

من سوق فارس حتى ساحة المدينة ، فان **المقاومة ما تزال مستمرة** »(٢٢).

وهكذا يبقى القطاع نبعا « لصداع رئيسي » تعاني منه قوات الاحتلال(٢٣) كما انه يبقى ثمرة احتلال ولكنها « ثمرة مرة »(٢٤).

ان السؤال الاساسي الذي يجابهنا في الحال هو **لماذا** ؟. لماذا يشهد القطاع تلك المقاومة الضارية للاحتلال في ظل الاوضاع التي سبق وشرحنا ؟ ولماذا ذلك التمايز بينه وبين ما يجري في الضفة الغربية او الهضبة او سيناء مثلا ؟ العوامل الرئيسية الكامنة وراء ذلك الوضع المتفجر بالمقاومة في القطاع يمكن ان تعزى الى اربعة اسباب رئيسية :

اولا : الاحتلال الاسرائيلي ذاته . ولهذا العامل جانبان : اولها ان اي احتلال لاي بقعة في العالم لا بد وان يولد رد فعل طبيعي ومنطقي يعبر عن نفسه بالمقاومة(٢٥). وهذا هو سبب رئيسي من اسباب ظهور المقاومة الفلسطينية(٢٦) وثانيهما ان العسف والاضطهاد الاسرائيليين ، وهما من «ثمار» الاحتلال ، كان لا بد من ان يشعلا فتيل المقاومة الفلسطينية ويزيدان من توهج نارها بشكل مستمر. ولعل هذا هو سبب حيرة مسؤول اسرائيلي كبير مثل « شلومو جازيت » الذي نراه يشكو من ان اجراءات العسف لم تعط الا نتائج عكسية(٢٧).

ثانيا : انه اتيحت لقطاع غزة ، بحكم ظروفه التاريخية ما قبل ١٩٦٧ ، فرصة نادرة للتدرب على السلاح واقتنائه(٢٨). وهذه حقيقة معروفة لكل من يعرف القليل او الكثير عن المنطقة . فالقطاع كان الجزء الاوحد من ارض فلسطين المتبقية الذي اتيحت له فرصة الاستفادة من ظهور منظمة التحرير قبل العام ١٩٦٧ .

ثالثا : انه في الوقت الذي نجحت فيه السلطات الاردنية في سحق الحركة الوطنية في الضفة الغربية في العام ١٩٦٦ (حزب البعث ، حركة القوميين العرب والحزب الشيوعي) فان الحركة الوطنية في غزة ، وبالذات حركة القوميين العرب ، كانت حركة نامية .. وهكذا وفي اللحظة التي خيم فيها ظلام الاحتلال على قطاع غزة كانت « تحت الارض » هناك حركة وطنية ، منظمة وان محدودة ، شكلت، بحكم ما تملكه من خبرات تنظيمية ، نواة سرعان ما نجحت في استقطاب الجماهير وتحريكهم من جهة كما ونجحت في جعل الجماهير معينا لا ينضب لتزويد المقاومة العسكرية برجالها الضروريين لها . لقد كانت تلك النواة . بحكم خبراتها السياسية والعسكرية وبحكم توفر السلاح في ايديها ، كانت بمثابة « الكلية العسكرية الخفية » التي زودت المقاومة برجالها . ولعل هذا العامل يفسر قول روبرت جراهام : « وفي الاشهر القليلة الماضية كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المتطرفة والمسؤولة عن خطف الطائرات في العام الماضي ، هي الفصيل الفدائي الاكثر نشاطا »(٢٩).

يضاف الى هذا طبعا كون عدد من المنظمات الفدائية ، خاصة فتح وقوات التحرير الشعبية ، قد نجحت في ادخال عدد من عناصرها للعمل في المنطقة منذ العام ١٩٦٧ .

رابعا : الطبيعة المتفجرة للوضع الاقتصادي — الاجتماعي — الطبقي في القطاع والتي ساعدت على توليد مناخ اكثر ثورية من أية منطقة من المناطق المحتلة وجعلت سكانه في حالة كانوا معها اكثر استعدادا للعطاء والتضحية . فما هي تلك الطبيعة الاقتصادية — الاجتماعية — الطبقية المشار اليها ؟

من المعروف ان مساحة القطاع مساحة صغيرة نسبيا اذ لا تتجاوز بمجموعها الـ ٩٩،٦ ميلا مربعا . ويعيش على تلك الرقعة الصغيرة ما يقارب النصف مليون مما يجعل كثافة السكان بحدود ٦٠٠٠ نسمة في الميل المربع الواحد . اي انها تعادل مئة ضعف كثافة السكان في الولايات المتحدة وهي، بالتالي، أعلى كثافة للسكان في العالم(٣٠). وبالاضافة الى وجود ذلك العدد الهائل نسبيا من السكان فان موارد المنطقة محدودة اذ ان ما بين ثلث ونصف اراضيها عبارة عن صحراء قاحلة(٣١). ويشكل النازحون الأغلبية الساحقة للسكان (اكثر من ٣٥٠ الفا) وهؤلاء يعتاشون ، نتيجة لانعدام فرص العمل ، على ما تقدمه لهم وكالة الاغاثة من النذر القليل من الغذاء(٣٢). وفي القطاع اكبر مخيمات النازحين في العالم اذ يبلغ عدد سكان مخيم رفح مثلا ٤٩،٠٠٠ نازح(٣٣). وقد ارتفع عدد سكان القطاع من ٢٧،٤٠٠ في ١٩٤١ الى ٢٩٤،٨٦٩ (منهم ٢٠٤،٠٦٨ نازحا) ١٩٥١ الى ٣٧٠،٢٢٩ (منهم ٢٦٤،٨١٣ نازحا) ١٩٦١ . وقبل العام ١٩٦٧ بقليل كان عدد المسجلين في الاونروا من النازحين يزيد على الـ ٣٥٠ الفا بالاضافة الى ١٠٠ الف غير مسجلين منهم ٧٠ الفا يعانون من فقر مدقع(٣٤).

ومع ان الوضع الاقتصادي قد تحسن بشكل واضح قبل حزيران ١٩٦٧ خاصة بتدفق اموال ابناء القطاع العاملين في مناطق الكويت والخليج العربي ، الا

ان الاحتلال جاء ليس ليقضي على ذلك المورد الرئيسي فحسب بل وليخلق اضطرابا في حياة القطاع لا يمكن ان يستقيم معه اقتصاد المنطقة من جهة ، وكي تزداد اسعار المواد الغذائية الضرورية بشكل فاحش من جهة ثانية(٣٥)، مما ادى ، بالتالي ، الى مزيد من السحق الاجتماعي والطبقي للغالبية العظمى من سكان القطاع . وهكذا نرى ان الكثافة السكانية قد سهلت لرجال المقاومة الاختفاء في وسط البحر الجماهيري المتضامن معهم ، كما ان البؤس والسحق ، مضافا الى القهر الفاشي الاسرائيلي ووجود حركة منظمة مدربة على السلاح ومالكة له ، كل هذه العوامل جعلت من قطاع غزة قطاعا مناضلا ، باسلا ، ومقاوما. ان صوت البطولات ، دوما ، اقوى من كل حصار اعلامي ... ولهذا يسمع العالم صوت المقاومة في قطاع غزة . وصخب الدماء المقاومة في العروق ، التي لا ترتاح او تهدأ الا اذا عانقت تراب الوطن، ستولد التيار التحرري الذي سيكنس الاحتلال عن ارض القطاع وغيره .

ع.ا.

---

١ — Amitay Ben-Yena, "What Does Israel Do to Its Palestinians?," *Arab Areas Occupied by Israel in June, 1967* (Chicago: AUG, Information Paper No. 2, Sept., 1970), p. 29.

٢ — Robert Graham, "Israel's Dilemma in the Gaza Strip," *Financial Times*, February 3, 1971.

٣ — مذكرة من الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ، في تل ابيب ، الى لجنة الامم المتحدة للتحقيق في اعمال اسرائيل في الاراضي المحتلة ١٩٧٠/٤/٢٤ .

٤ — بن ينا ، المصدر نفسه .

٥ — من ترجمات لجنة الاعلام المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — بيان خاص حول حملة اعلامية حول قطاع غزة صادر في شهر فبراير ١٩٧١ .

٦ — بن ينا ، المصدر نفسه .

٧ — المصدر السابق نفسه .

٨ — ارشيف كيسنغ لسنة ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ٢٣٧٨٧ .

٩ — مجلة نيو مدل ايست رقم ١٥ في ديسمبر ١٩٦٩ ص ٥٠٤ .

١٠ — Walter Schwarz, "A Tough Line in Gaza", *The Manchester Guardian* (Vol. 104, No. 3., January 16, 1971), p. 4.

١١ — ارشيف كيسنغ ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ٢٣٩١٩ و٢٤١٥٣ .

١٢ — شوارز ، المصدر نفسه .

١٣ — راجع صحيفة « دافار » بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٩ .

١٤ — جراهام ، المصدر نفسه .

١٥ — Peter Grose, "Arab Fratricide and Hate of Israelis Grow in the Dust and Despair of Gaza," *New York Times*, February 2, 1971.

١٦ — صحيفة « دافار » بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٨ .

١٧ — بن ينا ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

١٨ — شوارز ، المصدر نفسه .

١٩ — توني، المصدر نفسه، ص ١٠ . انظر ايضا Israel Sharhak, "Civil Rights in Israel," *The Middle East Newsletter* (Beirut: Americans For Justice in the M. E. : Vol. V, No. 1, January, 1971), p. 7.

٢٠ — جروس ، المصدر نفسه .

٢١ — المصدر السابق نفسه .

٢٢ — صحيفة « دافار » بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٩ .

٢٣ — جراهام ، المصدر نفسه .

٢٤ — توني ، المصدر نفسه ، ص ١٢ .

٢٥ — Dr. Arnold J. Toynbee, "Samson Shakes the Pillar," (Beirut: Bouheiry Brothers-Dar Al-Ahad, October, 1969), p. 7.

٢٦ — Dr. John H. Davis, "America's Options in the: Middle East", p. 4.

راجع ايضا Dr. John H. Davis, "America's Interests in the Middle East," p. 5.

٢٧ — جروس ، المصدر نفسه .

٢٨ — المصدر السابق نفسه .

٢٩ — جراهام ، المصدر نفسه .

٣٠ — توني ، المصدر نفسه ص ٨ و١١ .

٣١ — المصدر السابق نفسه ص ٩ .

٣٢ — المصدر السابق نفسه ص ٨ .

٣٣ — جراهام ، المصدر نفسه .

٣٤ — توني ، المصدر نفسه ، ص ١١ .

٣٥ — بن ينا ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

مرافعة سينمائي عربي من اجل خلق حركة سينمائية جديدة في العالم العربي

ف. المنصور

فلسطين ، سينمائيا ، هي حلم اليقظة الذي طالما راود وسيظل يراود مخيلة كل سينمائي عربي ملتزم بالقضية ، ويقض مضجعه كعذاب الضمير . ومأساة فلسطين المستمرة منذ اكثر من نصف قرن ، والتي عبرت حتى الى داخل حدود اللاوعي في العقل العربي ، وباتت الهاجس المقدس الذي ترجمه الفنانون عبر السنين شعرا وقصة ومسرحا ورسما ونحتا وموسيقى ، هذه المأساة الكبرى لم تجد حتى الان من يوصلها الى دار الفن السابع ، لتصبح عند ذلك اللغة العالمية ، بل اللهجة المحكية الدارجة ، لسواد البشر في انحاء الارض.

لم تصل القضية الفلسطينية الى الشاشة الكبيرة المخضرمة (السينما) ولا الى الشاشة الصغيرة الجديدة (التلفزيون) مع ان الفن السابع هو ذاك الفن الذي بامكانه ان يسجل النكبة وثائقيا ، ويقدمها نابضة بالحياة في جانبيها ، البطولي والمأساوي ، الى كل من يرى ويسمع ويفهم ، وعلى نطاق لا يصل اليه الكتاب او المسرح ، ولا يجاريه فيه حتى ميكروفون الاذاعة .

فلسطين بأمس الحاجة الى جهود الفن السابع لانها كانت وما زالت المتهم الذي تضافرت آراء اكثر المحلفين على ادانته ، مع انه البريء وغيره الجاني . ولما كان الدفاع بحاجة الى ادلة وبراهين من أجل اسقاط الحكم الجائر ، ولما كان التاريخ في هذا العصر لا يدون فقط على صفحات الكتب والصحف ، وانما يسجل ايضا على مادة السليولويد التي يتكون منها الشريط السينمائي ، وعلى الفيديوتيب ، فمن الواجب الا تظل فلسطين كما كانت حتى اليوم : **اطول شريط سينمائي خام في العالم** ، شريط لا يزال يبحث عن جيل كامل من السينمائيين ليعكسوا عليه الضوء ،ويسجلوا عليه رؤياهم الفلسطينية والثورية، شريط ما زال تائها في اوديسة لا مرئا لها كرحلات الهولندي الطائر .

قديما قيل ان اثينا العصور الذهبية كانت تمتلك جميع المؤرخين ، مما جعل اسماء اعدائها تصل الينا سوداء كالفحم . واليوم حلت تل ابيب محل عاصمة الاغريق القدامى ، فتربعت على مقعد القضاء في محكمة التاريخ ، وكانت هي المدعي العام ايضا ، وهي هيئة المحلفين ، وحتى اليد الماسكة بالقلم الذي « يدون » اجراءات القضية هي يدها . فهل نعجب اذا كان اسم العرب اليوم في العالم كالطين ؟ وهل نستغرب اذا كان المجنى عليه هو المتهم ؟ فلاننا لم نشرع في جمع ادلة براءتنا والبراهين على ادانة غيرنا الا قبل اعوام معدودة، ولاننا لم ننجح حتى اليوم في ايصالها مسجلة وشاملة الى مسامع وانظار العالم ، لا زالت قضيتنا معلقة . ولما كانت هيئة المحكمة المنحازة هي نفسها ، لم تتغير ، فالمطلوب منا أن نتجاوزها لنصل الى جماهير الناس المكتظة خارج قاعة القضاء . واسرع واقصر طريق لذلك يمر عبر قنوات الفن السابع .

سابقا قيل : كيف يمكن للاعلام ان يقوم بدوره في غياب المحارب ؟ بل ما نفعه اذا لم تقف خلفه ثورة ؟ عندما لاحت تباشير الثورة في مطلع ٦٥ ، وبعد « الكرامة » وعشرات المعارك غيرها ، قيل لنا : الثورة في حد ذاتها هي اعلام مسلح ، وكل

طلقة تنقذف من فوهة الرشاش هي جزء من الحملة الاعلامية لقضية فلسطين . ولكن مرة اخرى كان ذلك منطق بينت الاحداث ركاكته . اذ بصراحة: كما أن الاعلام الذي لا ينبثق عن مقاومة مسلحة يبقى من غير فائدة ، فكذلك « الاعلام المسلح » وحده لم يعد كافيا . هذه المعادلة تشير الى حقيقة بدهية لم تعد خافية على أحد ، فما العمل اذن ؟ ليس موضوع هذه المراقعة هو الاعلام عن القضية بصورة عامة ، وانما الاعلام السينمائي على وجه التحديد ، ولذا لا بد ان نلقي نظرة خاطفة اولا على ارتباط الحركات التحررية في العالم بالفن السابع منذ طفولة هذا الفن الجماهيري . هل كانت مجرد صدفة ان الاعوام التي تلت ثورة اوكتوبر السوفياتية شهدت ايضا ثورة في الرؤيا السينمائية ، ام هل التفسير الصحيح لذلك هو ان الطاقة الابداعية تصل عادة الى ذروتها عند انسان الثورة ؟ وهل يمكن لاي باحث يبغي دراسة روح ذلك العهد ، عهد الثورة الروسية الكبرى ، ان يؤدي مهمته دون مراجعة اعمال ايزنشتاين وبودوفكين ، وغيرهما من العمالقة الاوائل في تاريخ السينما بالاتحاد السوفياتي ؟ ثم : من سمع منا بحركة سينمائية في كوبا باتيستا ؟ اما اليوم ، ففي كوبا الثورة نشاط سينمائي يستحق كل تقدير واعجاب ، وكذلك الامر في الصين الشعبية وغيرها من الدول الاشتراكية . وحدها الثورة العربية لم تترجم الى اللغة السينمائية، مع أن اليسار الجديد الذي تلقى وحيه من « المدمرة بوتمكين » و« الام » وغيرها من الافلام الثورية الكلاسيكية ، بدأ يتفهم قضيتنا حتى قبل ان نتمكن من الاعلام عنها بجدية. الا تعنينا في شيء كلمات الصحفي الامريكي المعروف سولزبرجر ، عندما كتب في صحيفة « نيويورك تايمز» يقول : « اذا كانت فيتنام هي شعار اليسار الجديد في الستينات ، فلسطين ستكون شعاره في السبعينات » ؟ (واليسار الجديد المقصود هنا هو اليسار الفتي في امريكا الشمالية واوربة الغربية) اني ادرك طبعا مدى النفور الذي يحس به العربي حينما يأتي ذكر امريكا ، فالفانتوم منها، وكذلك النابالم ، ولا تستبد الصهيونية قوتها من بلاد كما تستمدها من الولايات المتحدة . ولكني كسينمائي عربي ملتزم بالقضية ، اريد أن اقول : لنتجاوز في علاقاتنا الانظمة القائمة في امريكا وغير امريكا ، لنتخطاها في سبيل مد جسور الحوار بيننا وبين الجماهير الثورية في تلك الدول . لنسحب السجادة من تحت ارجل الانظمة القائمة في امريكا والمانيا وبريطانيا ، وذلك عن طريق خلق همزة وصل سينمائية مع اليسار الجديد في هذه الاقطار. واريد هنا التأكيد على امريكا لان فيها حاليا اكبر حركة سينمائية ثورية في العالم ، وهذه الحركة ثورية في الاتجاه والرؤية ، بقدر ما هي ثورية في التكنيك والالة . اصبحت سينما الشباب الامريكي واسطة فريدة لاعادة النظر في كل ما هو تقليدي واتباعي وموروث في ذلك المجتمع . وهذه السينما لم تشهد مولدها في هوليوود ، عاصمة الهروبية والتزييف ، وانما في المدارس والجامعات ، وحتى في الحواري الفقيرة . ففي الستينات كان الاتجاه بين أبناء الاحياء الفقيرة هو ترك عصابات المراهقين من اجل تكوين الجوقات الغنائية ، كالبيتلز ، والرولنغ ستونز وغيرها . أما اليوم ، فاللجوء هو الى الفن السابع ، الى السينما والتلفزيون . فبات شريط السليلويد والفيديوتيب كأريكة المحلل النفساني ، كوسيلة للتخاطب والحوار بين مختلف الافراد والفئات .

هذه الحركة السينمائية الفتية تدين الحرب الفيتنامية ادانة صارخة ، وتستنكر التفرقة العنصرية ، وتدعو الى الثورة على البورجوازية الرجعية الممثلة في المؤسسة التي تتخذ من البيت الابيض مقرا لها . هذه الحركة الرافضة المتحدية، اطلق على اعضائها اسم « فدائيي التلفزيون »، ووصفها امريكي خائف ، بقوله : « التلفزيون هو ديناميت ، ولكننا نتركه دون حراسة لاي مغفل يحمل علبة الكبريت » أما « المغفلون » فيرددون : « التلفزيون هو سلاح من اجل الحق ، واي شخص يستطيع استعماله .. حتى انت لو شئت ! » .

حتى نحن ؟ لم لا ؟ لماذا لا نتعلم من الدرس الامريكي ؟ ٦٢ بالمائة من مشاهدي السينما في الولايات المتحدة تتراوح اعمارهم بين الثانية عشر والثلاثين - وتكاد تكون النسبة ذاتها في الاقطار الغربية الاخرى . وبغض النظر عن رواد السينما ، فالسبعينات من هذا القرن هي عهد الشباب في العالم بأسره . وهذا هو الجيل الرافض ، جيل الشك واعادة النظر بالاشياء ، الجيل الذي لا يقبل الامور على علاتها ، ولا يقيس الاحداث والقيم بمقاييس الامس . انه جيل بيركلي وانجيلا ديفيس وود ستوك في امريكا ، وجيل المقاومة عندنا ، فلماذا لا نحاول الوصول اليه

سينمائيا ؟

انه جائع متعطش الى رؤى جديدة ، فلماذا لا نسد الفراغ الصارخ بخلق حركة سينمائية مرتبطة بالثورة الفلسطينية ، وبجيل الثورة في العالم كله؟ لماذا لا نفعل ذلك ؟ المنتجون العرب يقولون لنا بأن الجماهير التي بامكانها مؤازرة اية حركة سينمائية هادفة في العالم العربي هي غير متوفرة ، مع الاسف الشديد . ونعات هؤلاء السادة الذين شوهوا سمعة المقاومة بافلامهم المخجلة ، بان الجمهور المتذوق الذي يميز بين الصالح والطالح لا يولد من لا شيء ، وانما يربى ، ويتعهد بالعناية الفائقة منذ نشأته . ثم يقول لنا هؤلاء بأن المشاهد العربي مصاب بازدواج الشخصية، فهو مثلا يطالب بالاعمال الفنية الهادفة ، بينما هو شخصيا يشجع الانتاج المسلي ذا الطابع الضحل ، وغرب عن بالهم بأن **العمل الفني الجيد هو المسلي والهادف في آن واحد** . واذكر بهذه المناسبة النادرة التالية التي اوردها ناقد مسرحي المانى معروف ، في الجريدة التي يكتب بها ، بأن مديرة منزله حريصة على زيارة دور المسرح بانتظام ، باعتبار ان زيارة المسرح في المانيا الغربية هي بمثابة واجب ثقافي لا مفر منه بالنسبة للطبقة البورجوازية . وكان يسألها دائما اثر عودتها من « سهرتها الثقافية » عن رأيها في التمثيلية التي شاهدتها . فتعلم بحكم الخبرة انه اذا اخبرته بان المسرحية كانت تافهة وصبيانية ، فمعنى ذلك انها قضت وقتا ممتعا و« انبسطت » كثيرا ، اما اذا اخبرته بان المسرحية كانت جيدة جدا ومفيدة، فمعنى ذلك انها ظلت تتثاءب وتقاوم النعاس طوال العرض ، لان المسرحية كانت ثقيلة الدم وشديدة الجفاف ، بالنسبة لها . وهكذا هي معظم اعمالنا الفنية او الادبية « الهادفة » ، فهي مملة وجامدة وعسيرة على الفهم . ولعل ذلك هو بالضبط السبب الرئيسي الذي يجعل صاحب المال يتردد في وضع ماله في مشروع سينمائي ملتزم بالقضية، على اساس ان فيمثل هذا المشروع الفني الهادف ، خراب البيوت والفشل الذريع . اذن المطلوب اتباع تخطيط جديد في سبيل خلق حركة سينمائية ملتزمة ، لا تعرض المشرفين عليها الى الخسارة المالية المحققة . ولكن كيف ؟

صاحب هذه المرامعة ينتمي الى جيل نشأ مع النكبة . عندما ضاعت فلسطين عام ٤٨ ، كان تلميذا في المدرسة ، وكانت انباء الحرب التي انتهت بالخيبة اول عهده بقراءة الصحف . وفي الخمسينات ، كان طالبا في الجامعة ، يقرأ الكتب عن القضية ، ويشترك بالمظاهرات ، ويحلم بفلسطين سينمائيا . ومع ان الجيل الذي ولد في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، عاصر في صباه ثورة الـ ٣٦ ، وشارك وهو بمرحلة الرجولة في حرب ٤٨ ، وقد يكون اليوم بعض قادة الثورة منه ، الا انه على الصعيد السينمائي لم يحقق الكثير . اما الجيل الذي شهد النور لاول مرة اثناء او بعد الحرب العالمية الثانية والذي يسفح ابناؤه دماءهم كل يوم على جبهة الثورة ، فهو اصغر سنا واقل خبرة من ان يلعب دورا قياديا في الحركة السينمائية المقترحة قبل العقد التاسع من القرن الحالي . بقي الجيل الذي ينتمي اليه كاتب هذه السطور ، والذي واكب نضوجه الفكري ، بلوغ السينما في العالم سن الرشد ، بعد ان قطع الاثنان مرحلة المراهقة سوية . هذا الجيل وصل الى مشارف الفن السابع عبر الكلمة المكتوبة ، بعد ان تجاوزت تطلعاته القصة والشعر والتاريخ والرسم والنحت والموسيقى والمسرح ، من اجل الوصول الى الفن النهائي الشامل The ultimate art الذي يجمع في كيانه خواص كل الفنون . لماذا هذه الرحلة؟ لان الارتباط والالتزام بالقضية الفلسطينية، بل الهوس الصوفي والسعي وراء الجزمية النهائية، يحتم على الفنان والاديب السفر عبر قناطر الفنون الى سابعها ، **فالسينما هي قبل كل شيء آخر ، اعظم واسطة للدعاية والاعلام في التاريخ** . فالشخص الذي يضع اصبعه على زر الكاميرا كي يدور الفيلم بداخلها ويسجل ، هو في نفس خطورة الرجل الذي يضع اصبعه على زناد المسدس ويتأهب لاطلاق النار . نعم ، السينما (وعندما اقول السينما ، اعني كذلك التلفزيون) هي الديناميت لا شك . فلنكن نحن « المفلين » اذن ، ولنحمل علب الكبريت في جيوبنا ، اذ ما فائدة الديناميت اذا لم ينفجر ؟

دفاعا عن السينما الجديدة التي غزت كل دار تقريبا في امريكا ، واصبحت أداة خلق لكل فرد ، قال أحدهم : «على الناس ان يعدوا اعلامهم بأنفسهم» وهذا هو بالذات ما يجب ان نفعله ، بعد ان قدمت لنا التكنولوجيا الحديثة كل التسهيلات ، وبعد ان جهزت لنا الثورة الفلسطينية المناخ المطلوب ، وخلقت لنا الجمهور .

سبق ان قلنا : المطلوب اتباع تخطيط جديد في سبيل خلق حركة سينمائية ملتزمة ، لا تعرض المشرفين

عليها الى الخسارة المالية المحققة ، ثم تساءلنا : كيف ؟ فيما يلي المبادىء التي سيضعها صاحب المراهنة نصب عينيه اثناء عمله السينمائي :

المانيفستو

١ ــ **التسلية** قبل كل شيء آخر ، اذ يجب ان يكون العمل الفني الهادف مسليا ، فما فائدة الفيلم الملتزم اذا كان ثقيل الحركة ، جامد الروح ؟ بيرت بريخت نفسه ، الذي اراد بواسطة المسرح ان يعلم جمهوره مبادىء ايديولوجية ليست سهلة ، لم يحد ابدا عن هذا المبدأ الذهبي . ولذا : كي أعلم جمهوري ، فيجب أولا ان اسليه ، فالفن السابع ، كأي فن آخر ، هو ليس مدرسة بالمعنى الحرفي للكلمة .

٢ ــ **لا وعظ** ، فالتوجيه يجب ان يكون مستترا وغير مباشر . قال اي. ايم. فوستر : اذا كانت لديك رسالة تريد تبليغها الناس، فلا تسرع وتضعها في قالب فني مفتعل ، اذ عاجلا ام آجلا ، ستجد هذه الرسالة طريقها طبيعيا وعفويا عبر انتاجك الفني او الادبي .

٣ ــ **السهولة** ، فهي على عكس ما يظنه بعض الادباء والفنانين ، لا تعني بالضرورة الضحالة والابتذال. الفيلم ليس كتابا صعبا يستطيع القارىء في اي وقت ان يعيد قراءته من اجل استيعابه ، ولا مقطوعة من وضع شوينبرغ بامكان المستمع ان يعيد لعبها على الفونغراف ، من اجل فهمها . فالمتفرج العادي يشاهد الفيلم مرة واحدة ، وهذه المرة يجب ان تكون كافية لاي شخص متوسط الذكاء والثقافة لان يستوعب مغزاه . الفن السابع هو فن شعبي جماهيري بكل معنى الكلمة ، ولذا من غير المستحسن ان يجاري المخرج العربي، المخرج الفرنسي غودار (مثلا) في تعقيداته ، حتى وان كان غودار ملتزما باليسار ، فجمهوره ليس جمهورنا .

٤ ــ **ضد الغوغائية** ، فالالتزام لا يعني الغوغائية التي شاهدناها في فيلم « زيد » مثلا (للمخرج غافراس) .

٥ ــ **ولا للميلودراما** ، فهي صبيانية ومجوجة .

٦ ــ **نعم ، للشخصيات المجسمة** ولا لرسم الشخصيات بالاسود والابيض ، فلا يوجد انسان كله بياض ، ولا يوجد انسان كله سواد. السينمائي الحاذق هو الذي يخلق شخصيات تنبض بالحياة ، وليس مخلوقات كاريكاتورية ، كل منها يحمل كليشيه عتيقة كالوشم على الوجه .

٧ ــ **لا للجنس من اجل الجنس** ، وان كان المطلوب من المخرج الا تدفعه الحنبلية الى حذف الجنس من الوجود ، فالجنس جزء من الحياة مهم ، وحتى في الثورات يوجد الجنس .

٨ ــ **حذار من السرقة** التي عاشت عليها السينما العربية حتى اليوم . وفي حال الاقتباس يجب ذكر المصدر بكل أمانة .

٩ ــ **ضرورة النظافة في التكنيك** ، اذ يجب ألا تلحق الشوائب بالجوانب التكنيكية من الفيلم ، كالصوت او الصورة او المونتاج الخ .. فما فائدة القصة الثورية الممتازة اذا جاء تصويرها سيئا مثلا ؟

١٠ ــ **ضد الهروبية** ، فالسينما العربية كانت حتى اليوم مادة استهلاك للطبقات المحرومة . فالبطل في « العربية الكابريوليه » والبطلة في الفيلا الانيقة ، صاعدة نازلة على السلم الفخم ، وحفلات الشمبانيا التي لا نهاية لها . هذا كله يجب ان ينتهي الى غير رجعة .

١١ ــ **ليس الثورة دائما**، اذ لا مانع اذا انجز المخرج الملتزم الافلام الكوميدية ايضا والموسيقية الخفيفة ، فالحياة ليست كلها ثورات ، ولا داع لان تكون جميع الافلام عن الطبقات الكادحة. المهم ان يظل الانتاج في اطار المبادىء المذكورة في هذا المانيفستو .

١٢ ــ **ضد التراث البالي** ، ومن هذا التراث ٩٠ بالمائة من موسيقانا العربية اليوم ، فهل يجب ان نحافظ عليها في افلامنا لا لشيء الا لانها جزء من تراثنا ؟ كلا ، فاحترام التراث يجب ان يكون له حدود .

١٣ ــ **الفن الاصيل هو صورة انطباعية عن الواقع بحذافيره** ، ولذا يجب الا يملأ الصراخ افلامنا ويسبب الصداع للمشاهد ، لا لسبب الا لان الفرد العربي يتكلم عادة بصوت مرتفع جدا في حياته اليومية . هذا هو مجرد مثال . وعلى كل حال ، فالواقعية الانطباعية هي القدرة على الانتقاء بحذق من الحياة اليومية ، اي تقديم الجزء ليصور الكل.

١٤ ــ **لا للنجوم** فقد ولى عهدهم .

١٥ ــ **نعم للجراة في المعالجة** ، وذلك بالرغم من الرقابة الفنية القاسية ، رسمية كانت ام غير رسمية (علما بأن اكثر الرقباء في العالم العربي هم من المتطوعين لوجه الله !) .

١٦ ــ Esprit de corps ، اذ يجب خلق روح الجماعة والانتماء الى النخبة بين العاملين في المجال السينمائي الملتزم .

١٧ ــ **المال يجب ان يكون الواسطة وليس الهدف** ،

ومع ذلك فالفيلم الناجح فنيا يجب ان يكون ايضا الفيلم الناجح ماديا . المال هو ليس القياس الوحيد بالطبع ، ومع ذلك يجب عدم اعتباره القياس الاقل اهمية .

١٨ ــ **اذا كانت بطن الفنان فارغة فهو لا يبذل افضل جهوده** ، ولذا يجب ان تسود العلاقات المالية النظيفة الاوساط الفنية الملتزمة . فما فائدة الالتزام السياسي اذا كان معتنقه يعيش عالة على جهود الآخرين ، ويضبط حقوقهم ؟

١٩ ــ **افلامنا يجب ان تنبع عن بيئتنا** وليس عن باريس او نيويورك مثلا .

٢٠ ــ **عدم تزييف الحقائق التاريخية الثابتة** (على طريقة هوليوود) .

٢١ ــ **تجنب الاسراف في رسم الهالات الرومانتيكية حول الشخصيات البطولية** ، معاصرة كانت ام تاريخية .

٢٢ ــ **تعيين الهدف بوضوح** ، فهذا الفيلم انجز خصيصا للجمهور في الخارج ، وذاك الفيلم للاستهلاك المحلي ، وهكذا فلكل فيلم سوقه المناسب ، وتعيين الهدف من البداية ضروري ، وكذلك تحديد الفكرة وشكل الاسلوب .

٢٣ ــ **التعلم من الاخطاء** . قال بسمارك : « الذي فقط يتعلم من اخطائه هو غبي ، اما انا فأتعلم من اخطاء الاخرين » . ليتذكر السينمائي العربي هذا القول .

٢٤ ــ **النص الاصلي ليس مقدسا** ، ولذا المطلوب من السينمائي ان يتصرف في النص الاصلي اذا تطلب الامر ذلك وحتى اذا كان هذا النص من تأليف اكبر العباقرة ، فالادب لا ينقل الى الشاشة وانما يترجم الى اللغة السينمائية . لكن الترجمة يجب ان تكون مدروسة ، اما التشويه فمرفوض . اذن : المحافظة على الروح ، والتصرف في النص .

٢٥ ــ **الثقافة الواسعة** ، فينبغي ان تكون للسينمائي اطلاعات انسيكلوبيدية الحجم . يجب ان يكون فيه شيء من القصاص والشاعر والمسرحي والرسام والموسيقار والمصور الفوتغرافي والمؤرخ والسياسي وعالم النفس والاجتماع وخبير الاعلام والدعاية .

٢٦ ــ **لا للعقائدية الجامدة** dogmatism فمثل هذا التولج الذي يفتقد الى المرونة ، وغير المنبثق عن قاعدة متحررة من العقد الايديولوجية ، لا يصلح لمعالجة القضايا السياسية او الاجتماعية ، لا في الفن السابع ، ولا في اي فن آخر . انه اسلوب فاشل تماما .

٢٧ ــ **لا للشوفينية** ، وللتفكير العتيق على نمط « .. حسبنا اننا عرب » (وما اتفهه من نشيد !)

٢٨ ــ **لا للعمل الارتجالي المستعجل** ، وهذه قاعدة عامة تنطبق على كل شيء في الحياة . فاذا اردت ان تقدم شيئا جديدا الى العالم ، فهذا الشيء يجب ان يأتي ثمرة لذروة جهودك . اما ان تقدم احسن ما لديك ، او لا تقدم شيئا على الاطلاق ، فانتاج اليد اليسرى غير مقبول بتاتا (لاحظ قولي : قدم احسن **ما لديك** ، فلم اقل « قدم الافضل » باعتبار ان القصد هو في الاجتهاد الشخصي) .

٢٩ ــ **العرب عادة يعشقون الكرسي ويكرهون المسؤولية** ، حتى في المجال السينمائي ، والمطلوب من السينمائي المخلص ان يكون عكس ذلك تماما .

٣٠ ــ **الوفاء والوفاء دائما للهدف المباشر ، وهو تحرير فلسطين وحرية المواطن العربي ووحدة بلاده ، وللغاية النهائية ، وهي رقي الانسان في العالم وسعادته .**

انها اهداف سامية ولكنها تستحق التعب .

وقد تكون هناك مبادىء ذهبية اخرى ، ولكن لا ريب ان السينمائي البراغماسي سيعثر عليها في طريقه. اما المهم الان فهو تحطيم الحاجز والمباشرة بالعمل.

كلمة اضافية: ما كانت الحركة السينمائية الجديدة في العالم لتحدث لولا الاختراعات الاخيرة على الصعيد التكنولوجي ، مثل كاميرا الفيديوتيب ذات السعر الرخيص التي ستتيح لكل انسان ان يكون لنفسه مكتبة افلام في بيته، من افلامه هو ، ومن الافلام التي يشاهدها على شاشة التلفزيون ويريد الاحتفاظ بها . واختراع آخر ساهم في كسر احتكار شركات الافلام الكبرى في هوليوود ، وهو الشاحنة الجديدة التي بامكانها ان تحمل جميع معدات الستديو ، وتتيح للمخرج ان يصور فيلمه في الخارج على الطبيعة . ففي السابق ، كان المخرج الذي يبغي تصوير فيلمه خارج الستديو ، يضطر الى اصطحاب قافلة كاملة من الشاحنات التي تحمل المعدات الضرورية ، مما يؤدي الى نشوء نفقات باهظة هي فوق طاقة اية شركة افلام لا يبلغ رأس مالها الملايين . اما في الوقت الحاضر ، فبامكان المخرج الاستغناء عن العمل في الستديو ، وتحرير نفسه بذلك من الضغوط التي اعتادت شركات هوليوود في السابق ان تخنق بها كل حركة سينمائية نظيفة . فبالاضافة الى الاقتصاد في النفقات ، فالتصوير على الطبيعة يضفي على الفيلم واقعية لا يضاهيه فيها

ديكور الستديو المصطنع . بقي ان نذكر ان مخترع هذه الشاحنة الثورية الجديدة هو شاب عربي في السابعة والثلاثين اسمه فؤاد سعيد ، وكان قد هاجر الى الولايات المتحدة قبل اعوام . فهل لا يلمع نجم العربي الموهوب الا بعد ان يدير ظهره لوطنه ؟

الفيلم الذي نزمع انتاجه

بعد النظرية والمانيفستو ، يأتي دور العمل الذي يجب ان ينبع عن النظرية ، وينبثق من داخل اطار المانيفستو . فمأساة فلسطين هي كما ذكرنا سابقا، كتاب حي يبحث كابطال بيراندييللو في مسرحيته الشهيرة عمن يسجله سينمائيا . الا ان احدى القضايا التي يجابهها السينمائي العربي الملتزم في مطلع عمله الفلسطيني هي قضية انتقاء الموضوع الاصلح ، وتعيين الهدف . فالمأساة الفلسطينية غنية بالمواد الصالحة للشاشتين الكبيرة والصغيرة، حتى يكاد السينمائي يحير بأي حقبة من المأساة يبدأ ، وما هو الهدف الذي يجب ان يضعه نصب عينيه .

في الحقبة الاولى التي بدأت بوعد بلفور وانتهت بحرب ٤٨ ، تعتبر حياة الشهيد عبدالقادر الحسيني وقصة كفاحه التي تشكل فصلا كاملا في تاريخ القضية ، سيناريو جاهزا لا يحتاج الا لمن يصور احداثه التاريخية . وعن حرب ٤٨ بالذات ، توجد اقاصيص الدكتور عبدالسلام العجيلي التي يمكن نقلها الى فيلم جيد دون جهد كبير ، كما توجد رواية المؤلفة الارلندية ايثل مانين « الطريق الى بئر سبع » التي تنبأت فيها بظهور حركة المقاومة . وفي الحقبة الثالثة التي اندلعت فيها الثورة وحدثت بها معركة الكرامة ، يجد السينمائي امامه عشرات القصص الحقيقية ، حتى يقوى هنده الاغراء بأن يباشر عمله بقصة عن المقاومة لكي يزيل على الاقل من اذهان المشاهد العربي أثر الافلام التهريجية المقرفة التي اخرجت خلال الاعوام الاخيرة ، والتي قدمت لنا شخصيات كاريكاتورية مضحكة مبكية على انها رجال المقاومة الفلسطينية ، حتى كاد الثائر يتحول في مخيلة المشاهد المشمئز من فدائي بمعنى الكلمة ، الى مهرج تافه يثير الاحتقار . (وحمدا لله ان هذه الافلام الفاضحة لم تصدر الى الخارج). وبالاضافة الى المواضيع الدرامية ، توجد السينما الوثائقية : مأساة فلسطين كما سجلتها عدسات مصوري وكالات الانباء والتلفزيون والسينما في العالم في نصف قرن . مأساة فلسطين بالصور والارقام . مأساة فلسطين كما يرويها ابطالها من اللاجئين. انها عشرات المواضيع التي تملأ ارشيفا كاملا . ولكن القضية هنا هي قضية اسبقية وافضلية . ولهذا يأتي أمر تعيين الهدف. هل الفيلم الذي نزمع انتاجه سيكون بالدرجة الاولى للجمهور العربي . ام هل سنضع نصب أعيننا هدف عرضه على جمهور غير جمهورنا ؟

هذا هو ما يجب ان نخطط له منذ البداية . والسؤال المطروح الان هو : هل الفائدة التي سنجنيها من انتاج فيلم فلسطيني لجمهورنا هي اعظم من الفائدة التي سنحصل عليها من وراء عرض فيلم انتج خصيصا للعالم الخارجي ؟ برأيي : كلا . الهدف في الوقت الحاضر يجب ان يكون الجمهور في اوربا وامريكا ، والفيلم الذي نريد تقديمه الى الاجانب يجب ان يكون عملية اعلامية بارعة وليس مجرد عمل حماسي كالذي ينتظره جمهورنا العربي . بعبارة اخرى : هدفنا يجب ان يكون التأثير على العقول وكسب المؤيدين خارج وطننا العربي ، على الاقل في الوقت الحاضر .

هذا الهدف يتطلب منا القيام بعملية غربلة دقيقة جدا للمواضيع المقترحة سعيا وراء الموضوع الاصلح كفاتحة لعملنا السينمائي الملتزم . وبقدر ما يتعلق الامر بي ، فأظن اني عثرت على مبتغاي في كتاب أسعد عبدالرحمن « أوراق سجين — عشرة أشهر في المعتقلات الاسرائيلية » (رقم ٥١ من سلسلة دراسات فلسطينية التي ينشرها مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية) . قرأت هذا الكتاب لاول مرة عام ١٩٦٩ ، وبعد عام على ذلك التاريخ ، علمت بالتأكيد ان هذا الكتاب هو ما أبتغيه ، وذلك للاسباب التالية : ١) ان الكتاب المذكور يتضمن اول تحاجج مباشر (تحاجج وليس حوارا) بين مثقف فلسطيني معتقل وبين سجانيه اليهود ، الخبراء في الضغط وغسل الدماغ . ٢) انه يبين بوضوح الاساليب الدنيئة التي يلجأ اليها الاسرائيليون في معاملة المعتقلين العرب، كالضرب والتعذيب والاهانة . ٣) ان التحاجج بين أسعد وسجانيه يؤدي الى كشف معالم القضية ، واستعراض جوانبها استعراضا شاملا تقريبا ، كما يتضمن الردود التاريخية على المزاعم الصهيونية التي غسل بها العدو دماغ العالم . ٤) ان الكتاب بحد ذاته ، وبغض النظر عن جميع الاعتبارات السياسية والدعائية ، يكون مادة دراماتيكية من الدرجة الاولى ، وذلك لتصويره المجابهة الحادة

بين نموذجين متضادين من البشر ، فهو بذلك يماثل كتاب «ظلام عند الظهر» لارثر كوستلر ، والمسرحية التي اقتبست عنه ، وكذلك المسرحية الانجليزية المعروفة « السجين » التي اصبحت فيلما فيما بعد، وغيرها من الاعمال الادبية الاخرى التي تدور حول احداث سياسية تاريخية ، وتصور صراع الفكر والارادة بين السجين والسجان ، بين المتهم والمستجوب . ٥) لان مادة الكتاب ليست من النوع الذي يخلق متطلبات مالية وتكنيكية هي فوق طاقة المنتج والمخرج العربي .

وفي ١٩٧٠/٩/٢٢ وضعت خطة العمل التي أنوي انتهاجها وطلبت الاذن من مركز الابحاث باخراج الكتاب تلفزيونيا ، وهي كما يلي : ١ ــ سيصور الفيلم على شريط ١٦ ملم (اسود ــ ابيض) للتلفزيون . وقد اخترت التلفزيون وليس السينما لان مدة العرض لن تستغرق اكثر من ساعة . ٢ ــ سأتولى انا كتابة السيناريو واخراج الفيلم ، وساحاول الحصول على الممثلين من بين هواة السينما والمسرح في المعاهد والجامعات العربية وخارجها. ٣ ــ على جميع المشتركين (ما عدا الفنيين المحترفين طبعا) ومنهم أنا ، تقديم خدماتهم مجانا كتبرع للقضية الفلسطينية . ٤ ــ يعود ايراد الفيلم باكمله الى منظمة التحرير . ٥ ــ سينتج الفيلم تحت اشراف المنظمة . ٦ ــ المنظمة ليست ملزمة بتمويل المشروع . ٧ ــ سيكون الفيلم ناطقا باللغة الانجليزية ، وذلك لسببين ، اولهما ان الانجليزية كانت اللغة التي استعملها اسعد فعلا مع محققيه الاسرائيليين ، وثانيا لانها اللغة التي ستؤمن للفيلم توزيعا عالميا . ٨ ــ تطبع الترجمة العربية على الشريط الذي سيوزع داخل البلاد العربية . ٩ ــ العنوان المبدئي الذي اخترته للسيناريو هو « استجواب فلسطيني » .

وقلت لمركز الابحاث : « اني لا أطلب منكم فقط الاذن في انتاج الفيلم ، وانما سأحتاج الى مؤازرتكم المعنوية ، والى اشرافكم الاداري على الانتاج والتوزيع . طبعا انا أدرك بان منظمة التحرير قد لا تنظر بارتياح الى فكرة الاشراف على مشروع سينمائي باعتبار انها منظمة ثورية وليست شركة سينمائية ، وردي على ذلك انه لان منظمة التحرير ثورية اصلا ، فقد توجهت اليها بمشروعي ثقة مني بأن الثورة الفلسطينية هي ليست ثورة سياسية مسلحة فحسب ، وانما ايضا ثورة ثقافية واجتماعية وفنية وادبية ، ولذلك فاذا المنظمات الثورية ترفض الاقتراحات الجريئة ، فمن يتقبلها اذن ؟ ثم اذا كانت المنظمة قد أسست دار نشر لاصدار الكتب الاعلامية ، فلماذا لا تحاول بذل بعض الجهود على صعيد الاعلام التلفزيوني ، وهو الاعلام الاقوى فعالية ؟ المطلوب منها هو ليس تأسيس شركة سينمائية او تلفزيونية ، وانما مجرد مؤازرة الجهود المبذولة على هذا الصعيد ، اذ تعلمون انه بينما تسيطر على السينما العربية عناصر الشعوذة والدجل (وتشهد بذلك الافلام المخزية عن الفدائيين) فان محطات التلفزيون الحكومية والتجارية تخيم عليها البيروقراطية الغبية التي تقتل كل موهبة وبادرة فنية نظيفة ، حتى اصبحت العبرة في العالم العربي ليست في تأليف او انتاج الاعمال الفنية ، وانما في ايصالها الى الجمهور بعد اجتياز الستار الحديدي الذي أقامه المحتكرون وتجار التفاهات وابطال الروتين الحكومي العقيم بين الفنان العربي والجمهور . ولهذا فاني اطلب مؤازرتكم في تبني المشروع وشمله برعايتكم وانا شدكم منحي تأييدكم المعنوي ، ومرة اخرى اكرر ان الفيلم سيكون هديتي الى المنظمة ، وسيكفيني فخرا ومكافأة ان اكون انتجت اول فيلم عربي نظيف عن القضية الفلسطينية ، وحققت بذلك حلما يراودني منذ اكثر من خمسة عشر عاما . »

وفي خلال أيام معدودة من توجيهي هذه الرسالة ، وبالرغم من ظروف ايلول المفجعة التي كتبت الرسالة اثناءها تكونت لجنة ثلاثية لمتابعة المشروع معي من السادة : ١ ــ اسماعيل شموط ، مدير الشؤون الفنية في منظمة التحرير الفلسطينية . ٢ ــ غازي خورشيد الباحث في مركز الابحاث ومؤلف الكتاب « دليل حركة المقاومة الفلسطينية » . ٣ ــ سمير الحسن ، المخرج وكاتب السيناريو الفلسطيني المعروف . وسرني عندما قابلت الاخ اسماعيل شموط بان اكتشفت انه ليس فقط من كبار الرسامين الفلسطينيين ، بل ايضا من اشد المهتمين بالاعلام السينمائي . وقد أراني فيلما قصيرا جيدا قام هو بانتاجه واخراجه وتصويره وتسجيل صوته والتعليق عليه ، وكان عن التدريب في معسكرات المقاومة ، وقد عرض في بعض محطات التلفزيون العربية . اما الاخ سمير الحسن ، فكنت قد شاهدت له فيلما جيدا بعنوان « فيما بعد » (من انتاج الاونروا) ويدور حول النزوح القسري من الضفة الغربية في اعقاب الاحتلال الاسرائيلي لها . واجتمعت اللجنة الرباعية عدة مرات ووافقت

على اقتراحي بأن اكتب السيناريو اولا في صيغة مسرحية وذلك من اجل فحص درجة نجاحها لدى الجمهور ولتلافي نقاط الضعف قبل عملية الاخراج السينمائي . اي ان المسرحيـة ستكون بمثـابة « بريفيو » للفيلم التلفزيوني الذي نزمع انتاجه ، وستتيح الفرصة للممثلين لاتقـان ادوارهم على المسرح قبل وقوفهم امام الكاميرا .

ثم أجرت اللجنة اتصالات تمهيدية مع بعض منتجي الافلام العرب لمعرفة رايهم في المشروع ، فكان رأي هؤلاء انه من الصعب توزيع فيلم عـن فلسطين خارج البلاد العربية وذلك بسبب الضغط الصهيوني الشديد على الاوساط الاعلامية (كدور السينما والتلفزيون) في اوربا الغربية وامريكا . أما رأيي انا فكان يتلخص فيما يلي : كيف يمكن ان نعرف ذلك بالتأكيد ونحن لم نحاول حتى الان انتاج فيلم جيد نظيف للتوزيع الخارجي ؟ أليست الاشيـاء تعرف بالتجربة والمحاولـة ؟ فلماذا اذن لا نتبع الاسلوب البراغماسي في العمـل بدلا من التكهن والتخمين ؟ ثم ان الهدف مـن الفيلم الذي نزمع انتاجه هو الاعلام للقضية ، وليس جمع المال . وحتى اذا لم تتح لنا فرصة عرض الفيلم تجاريا ، فان عرضه في عشرات المهرجانات السينمائية في اوربا وامريكا وآسيـا وافريقيا كاف لان يبـرر انتاجه ، علما بأن الضغط الصهيوني لا يمكن ان يصل الى المهرجانات السينمائية لانها مفتوحة لجميع الاعلام . وبالاضافة الى المهرجانات والمؤتمرات السينمائية ، توجد امامنا الجامعـات والنقابات والنوادي والجمعيات وهي ليست جميعا تحت وطأة الابهام الصهيوني ، كما اعلم من تجربتي الخاصة كشخص اقام سنوات عديدة في أوربا الغربية . ثم ان محطات التلفزيون في العالم الغربي تفسح المجال في كثير من الحالات لعرض وجهة النظر العربية عندما تقدم باسلوب علمي متزن . ولعل افضل برهان على ذلك المناظـرة الشهيرة التي اجراها تلفزيون نيويورك في برنامجه المعروف باسم « برنامج ديفيد سسكايند » مع الدكتور فايز صايغ ، وهي المناظرة التي اثارت ضجة كبيرة وحفزت المئات من المواطنين الامريكان على ارسال خطابات التأييد الى د. صايغ . فاذا كان التلفزيون الامريكي قد اعطى ساعة من وقته لواحد من أشهر الناطقين بلسان الشعب الفلسطيني لعرض قضيته امـام الشعب الامريكي ، فلماذا لا يمنح الفيلم الذي نزمع انتاجه ساعة اخرى مـن وقته ؟ وحتى لو افترضنا ان فيلمنا لن يعرض مطلقا في الدول الغربية المتحيزة ضدنا كأمريكا وبريطانيا والمانيا وسويسرا الخ .. فهل البلدان الصديقة كالكتلة الاشتراكية والهند وسيلان وباكستان وغيرها دون اهمية لا لشيء الا لانها تؤيدنا حتى من دون ان نبذل اي جهد اعلامي لديها ؟

ان الفيلم الذي نريد انتاجه لن يكلف اكثر من نفقات سفر وفد عربي حكومي يتكون من بضعة اشخاص لحضور مؤتمر في الخارج . فهل هذا هو الثمن الذي لا يمكن تحمله ابدا ؟ بكل سرور يتبرع الفرد العربي بثمن الرصاصة التي ستوجهها المقاومة الى صدر العدو . والمطلوب منه الان ان يقتنع بأن الاعلام الذكي المدروس لا يقـل خطرا على العدو من الرصاصة التي ندفع ثمنها بسخاء .

بيان الدكتور وليم ت . مالسون (الابن)

امام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الادنى

التابعة للجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الاميركي (الكونغرس ٩١)

١. الحاجة الى معالجة عقلانية للمسالة .

يجب على المحامين ، كما يجب على غيرهم ، أن يأخذوا بالاعتبار مناخ الراي العـام في ما يتعلق بمسالة معينـة . ان نزاع الشرق الاوسط ليس مسالة معقدة قانونيا ووقائعيا فحسب ، ولكنه ايضا موضع قدر كبير من الانفعالية. فقد أصيب الكثيرون من الاميركيين ، الذين كانوا زمن الحرب العالمية الثانية شبابا ، بصدمة عميقة عندما بات معروفا في نهاية الحرب أن النازيين قتلوا ستة ملايين يهودي. ونمى هؤلاء في انفسهم شعورا بالذنب الشخصي ، مسائلين انفسهم عمـا اذا لم يكن باستطاعتهـم واستطاعة الولايات المتحدة ان يفعلوا اكثر مما فعلوا للحيلولة دون هذه المأساة. وقد أصبح الدعم لدولة اسرائيل بلا تحفظ سبيلا يتوسل به كثير من هؤلاء الاميركيين تجنب مشاعر الذنب هذه . ومن سوء الحظ ان هؤلاء يميلون الى اعتبار اي نقد لتلك الدولة هجوما عليهم وعلى انعتاقهم الشخصي من الذنب ، ذلك الانعتاق الذي حققوه عبر دعمهم لاسرائيل . وهناك ايضا ميـل لديهم لخلط دعم المصالح الانسانية داخل تلك الدولة بدعم العناصر الاكثر مغالاة في نزعتها العسكرية داخل الحكومة. بيد أنه مهما تعاطف المرء مع دوافع هؤلاء الافراد طيبي النوايا ، الا أن من الضروري ادراك ان الانفعالية وحدها مهما كانت حسنة الدوافع ليست طريقة بناءة في معالجة مسالة نزاع الشرق الاوسط المعقدة . ولقد بين البحاثة الاميركي الشهير الدكتور برونو بتلهايم بفعالية المناحي المخربة في معالجة المسائل السياسية والاجتماعية معالجة انفعالية ، ومن المناسب هنا ان نذكـر ان الدكتور بتلهايم يهودي تعرض لاضطهاد النازيين .

وبينما يتخذ كثير من الاميركيين موقفا متزمتا تجاه أي تساؤل حول سياسات الحكومة الاسرائيلية ، يضع عدد متزايد من الاسرائيليين حكومتهم موضع انتقادات أساسية . فمثلا اعتـرض البروفسور جاكوب تالمون استاذ التاريخ في الجامعة العبرية في القدس اعتراضا شديدا على الموقف الرسمي للحكومة من حيث انكارها لحقوق عرب فلسطين ووجودهم القومي ، وهو يرى أن العالم سيحكم على الطابـع المسالم او العدواني لاسرائيل ، بمعاملتها للفلسطينيين . ومن المهم ايضا وبصورة خاصـة ان اوري افنيري احد اعضاء الكنيست الاسرائيلي وجـه لانتقادات أساسيـة للحكومـة الاسرائيلية ، وعبر ، في الكنيست وخارجه ، عن اعتقاده الجازم أنه لا مستقبل لاسرائيل ومواطنيها اليهود في الشرق الاوسط ما لم يتم التوصل الى اتفاق مع الفلسطينيين مبني على المصالح المشتركة. وقد وضع آراءه هذه في كتاب بعنوان « اسرائيل بلا صهيونيين : نداء من أجل السلام في الشرق الاوسط » (١٩٦٨) .

وليس خروج اليهود في اسرائيل خروجا متزايدا على سياسات حكومتهم أمرا يثير الدهشة ، فهو يعكس اختلافات أساسية بين اليهودية والصهيونية. وفهم هذه الاختلافات أمر ضروري للقيام بتحليل قانوني ذي معنى . اليهودية دين ذو قيم أخلاقية شاملة لها تأثير مستمر على المحتوى الاخلاقي لكل من المسيحية والاسلام . وقد عاش اتباع اليهودية في الشرق الاوسط منـذ العصور التوراتية وحتى الان ، وعندما طرد اليهود من اسبانيا والبرتغال

وجدوا لهم ملجـأ في البلاد العربية التي قبلتهم مواطنين كاملين . ان أحـد المصالح اليهوديـة الرئيسية المستمرة هي العيش في الشرق الاوسط بسلام مع المسيحيين والمسلمين . أما الصهيونية بالمقابل فهي قوميـة انعزالية تميـز اليهود عن غيرهم ، وهـي اساسا رد فعل لحياة المجبـر (الغيتو) في أوروبا الشرقية . ومن الصعب على الاميركيين خاصة ، كما بين السيد موسس لاسكي احد محامـي كاليفورنيا الشهيرين ، أن يفهمـوا الصهيونية بسبب أصولها المجبرية . ويرى الدكتور ثيودور هرتزل في الكتـاب الصهيوني الكلاسيكي « الدولة اليهودية » (١٨٩٦) أن الحل الوحيد للاسامية هو انشاء « دولة يهودية » يهاجر اليها كل اليهود ويتمتعون فيها بحقوق وامتيازات خاصة. يعتقد بعض اليهود في اسرائيل أن من الضروري لحكومتهم أن تتحول عن الوسائل العسكرية الى الوسائل الدبلوماسية لحمـاية وتعزيز المصالح اليهودية . ويعتقد البعض الاخر ان الصهيونية لا تتناسب في ذاتها مع اي اتفـاق ذي معنى مـع الفلسطينيين ، وأن طبيعة دولة اسرائيل ذاتها يجب أن تتغير اذا اريد للسلام أن يتحقق . ويشمل نقاد الحكومة الاسرائيلية اليوم صهيونيين متفانين ، مثل الدكتور ناحوم جولدمان الذي كان صهيونيا طيلة حياته ولا يزال ، والذي كان سنوات عدة صديقا حميما للدكتور حاييم وايزمـان أول رئيس لدولة اسرائيل . وقـد قام الدكتور جولدمان كرئيس للمنظمة الصهيونية العالميـة / الوكالة اليهودية بالتفاوض مع المانيـا على التعويضات نيابة عن الحكومة الاسرائيلية. وهو كصهيوني مخلص مكرس لهدف الحفاظ على اسرائيل دولة صهيونية بمنع عودة الفلسطينيين الـى بيوتهم . بيد انه أثار تساؤلات حول فعالية سياسة الحكومة الاسرائيلية، وذلك في مقالة بعنوان « مستقبل اسرائيل » ظهرت في مجلة « فورين أفيرز » (نيسان ١٩٧٠) ، وفيها ينتقد مغالاة الحكومة في الاعتماد على الوسائل العسكرية لتحقيق الامن . والدكتور جولدمان ينصح في الجوهر بأن تتحول دولة اسرائيل من بروسيا الى سويسرا الشرق الاوسط . وهو يرى أن هذا ضروري من أجل المصالح الذاتيـة بعيدة المدى لاسرائيل .

وفي النهاية ، لا يجب ان يفترض ان نقد الصهيونية مقتصر على الاسرائيليين. فهناك تقليد يهودي أخلاقي قائم منذ مدة طويلة في الولايـات المتحدة يرفض الصهيونية لانها لا تتفق مع اليهودية ولا مع حقوق الفـرد السياسية . ويمثـل البروفسور الراحل موريس كوهين هذا التقليد أصدق تمثيل . فهو يقول في ص ٣٢٩ من كتابه « عقيدة ليبرالي » (١٩٤٢) : « على الرغم من اقتناع معظم قادة الصهيونية في اميركا اقتناعا صادقا عميقا بأن الصهيونية والاميركية لا تتناقضان، الا انهم مخطئون في ذلك خطأ فاحشا. فالصهيونية القوميـة لا تطالب لليهودي بالحرية الفردية التامة ، بل تطالب له بحكم الجماعـة الذاتي » . يمكن اعتبار هذا النوع مـن النقد العقلاني المسؤول الذي لخصناه آنفا بايجاز معيارا مثلا ليحتذيه أولئك الذين يحاولون أن يلعبوا دورا ايجابيا في حل مشاكل الشرق الاوسط .

٢. قانون الولايات المتحـدة : مرسوم تسجيـل الوكلاء الاجانب .

ان المعالجة التي سنقدمها لهذا الموضوع موجزة بالضرورة . ويمكن العثور على تفاصيل لكثير من المسائل المثارة هنا في دراسة بعنوان « المشاكل القانونية فيما يتعلق بالوضع القانوني والنشاطات السياسية للمنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية : دراسة في القـانون الدولي وقـانون الولايات المتحدة »(١).

أ ــ مقصـد واهمية « مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب » ــ جلسات مجلس الشيـوخ لسماع الشهادات . (١٩٦٣) : ان مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب للعام ١٩٣٨ كمـا عدل تشريع انشائي(٢). تقول مقدمة المرسوم ان مقصده تطلب الانشاء الكامل للوكلاء الاجانب ودعايتهم ونشاطاتهم الاخرى لحساب المصالح الاجنبية فـي الولايات المتحدة : « حتى يمكن لحكومة الولايات المتحدة وشعبها أن يعرفا هوية هؤلاء الاشخاص والحكم على بياناتهم وأفعالهـم علـى ضوء ارتباطاتهـم ونشاطاتهم » . وانه لمن المشكوك فيه جدا أن يتم الحفاظ على القيم التي يحميهـا « التعديل الاول للدستور » ، بما فيها حريـة الدين والصحافة والكلام ، في ظل الظروف المعاصرة بدون مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب . فصياغة وتنفيذ سياسة الولايات المتحدة القومية يعتمدان اليوم على الفهم الواضح للقوى الحكومية والسياسية العاملة على امتداد العالم والتي تعبر عن نفسها داخل الولايات المتحدة . وما لم يطبق « مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب » تطبيقا فعـالا ، فان سلامة العملية السياسية المحلية ستتعرض للفساد ولن يستطيع

الناخبون الاميركيون والحكومة الاميركية التصرف بالحد الادنى من المعرفة والمسؤولية . والمقصد المركزي لـ « مرسوم التسجيل » هو تحديد هوية النشاطات السياسية والدعاوية الاجنبية في الولايات المتحدة وانشاؤها . وليس هدف القرار حظر أو منع هذه النشاطات ما دامت شروط الانشاء التي ينص عليها التشريع موفى بها . وقد أوضح القاضي بلاك هذه المسألة صراحة فقال: « ان هذا التشريع يصون الحريات الممنوحة التي يضمنها التعديل الاول ، ولا ينتقص منها »(٣).

واهمية مرسوم التسجيل كوسيلة رئيسية للتمييز بين النشاطات السياسية الاميركية والنشاطات الاجنبية ، أكثر ما تكون بالعلاقة مع مسألة الشرق الاوسط البالغة التعقيد . ان كلا من مكتب الاعلام التابع لجامعة الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية مسجل بموجب مرسوم التسجيل ، وبيانات التسجيل تشير بصورة واضحة الى انهما يمثلان وجهات نظر اجنبية . كما تشير الى انه على الرغم من ان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل مصالح اجنبية ، الا انها لا تعمل لحساب الحكومات العربية ، أما مكتب الاعلام التابع لجامعة الدول العربية فهو بالمقابل يمثل وجهات نظر الحكومات العربية الاعضاء في الجامعة . وتورد بيانات التسجيل بصورة كاملة ، أن مكتب الاعلام يمثل وجهة النظر الحكومية العربية . أما الفرع الاميركي للوكالة اليهودية فمسجل بموجب مرسوم التسجيل كوكيل للوكالة اليهودية التي يقوم مقر قيادتها في القدس في اسرائيل . وبما أن أحد الاهداف الرئيسية لمرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب هو تحديد هوية الاصيل(٤) الاجنبي للوكيل المسجل ، فان من الضروري أن يجري هذا التحديد في حالة الوكالة اليهودية . وعلى الاخص ، من الضروري أن نتبين ما اذا كانت الوكالة اليهودية هيئة مستقلة لها وجهة نظرها الخاصة ام انها هيئة مرتبطة قانونا بحكومة اسرائيل وتتحدث باسمها .

في العام ١٩٦٣ قامت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ ببحث تنفيذ مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب وتضمن البحث تحقيقا في النشاطات السياسية للجماعات الصهيونية في الولايات المتحدة بالنيابة عن الحكومة الاسرائيلية . ويظهر تسجيل الشهادات في « شهادات في نشاطات الممثلين غير الدبلوماسيين للاصيلين الاجانب في الولايات المتحدة أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ»(٥) (الكونجرس الثامن والثمانين ، الجلسة الاولى ، ١٩٦٣) . وتظهر الشهادات الرئيسية والمعلومات المتعلقة بالنشاطات الصهيونية في الولايات المتحدة في الجزء التاسع ص ١٢١١ — ١٩٢٤ (٢٣ ايار مابو ١٩٦٣) وفي الجزء الثاني عشر ص ١٦٩٥ — ١٧٨٢ (١ آب أغسطس ١٩٦٣) .

وقد أدى اهتمام لجنة مجلس الشيوخ بالنشاطات السياسية التي تجري بالنيابة عن حكومة اسرائيل الى التحقيق في وضع الوكالة اليهودية بموجب القانون . فأدلى جوتليب مامر ، احد الشهود الصهيونيين، بالشهادة التالية في الموضوع: « اظن أنه يتعين علي أن اوضح أنهم (الوكالة اليهودية) ليسوا جزءا من الحكومة (الاسرائيلية) . انهم ليسوا وكالة حكومية ، ولا هم وكالة عن الحكومة . » (شهادات ١٢٢٧) . اما موريس بوكشتاين ، من محامي نيويورك ، فهو المستشار القانوني للوكالة اليهودية ، وقد مثل كمحام أمام لجنة مجلس الشيوخ في العام ١٩٦٣ . وعندما أشار فولبرايت رئيس اللجنة الى أن العلاقة الدقيقة بين الوكالة اليهودية وحكومة اسرائيل مسألة رأي قانوني وليست مسألة وقائعية ، قال بوكشتاين : « انها [الوكالة اليهودية] ليست مسيرة من الحكومة الاسرائيلية ولا هي خاضعة لها ، هي تتلقى بعض المساعدة منها كما ينبغي أن يكون ، ولكنها مستقلة تماما ، ولذا يا سيدي الرئيس ليست المسألة مسألة رأي اطلاقا انها مسألة واقع » (شهادات ١٧١٢) .

ب — هوية المنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية كأصيل أجنبي .

١ — الوكالة اليهودية بحكم القانون الاسرائيلي العام — من الضروري لتحديد الوضع القانوني للوكالة اليهودية أن نتفحص بايجاز القانون العام لدولة اسرائيل . ان التشريع ذا العلاقة هو « قانون وضع المنظمة الصهيونية العالمية — الوكالة اليهودية » (سنشير الى هذا القانون من الان فصاعدا باسم قانون الوضع) ، قوانين دولة اسرائيل (١٩٥٢) . ينص الجزء الثالث من هذا القانون على أن المنظمة الصهيونية « هي ايضا الوكالة اليهودية » مما يوضح ان هناك هوية واحدة باسمين مختلفين . وينص الجزء الرابع على ان دولة اسرائيل تعترف بالمنظمة الصهيونية كـ« الوكالة المأذونة » لاداء أعمال مختلفة من النوع الحكومي أو العام . وينص كذلك على ان الهيئة التنفيذية ،

وهي الهيئة المسيرة للمنظمة (او الوكالة اليهودية)، « هيئة قانونية » (الجزء الحادي عشر) ، وفي الجزء السابع يجيز قانون الوضع وضع ميثاق لتحديد تفصيلات الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية .

اصبح « الميثاق بين حكومة اسرائيل والهيئة التنفيذية الصهيونية المسماة أيضا الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية » نافذ المفعول في العام ١٩٥٤ . ويحدد الميثاق قائمة طويلة من المهام الحكومية والعامة التي تقوم بها المنظمة / الوكالة وينص على أنه يتعين عليها أن تنسق في اسرائيل نشاطات «المؤسسات والمنظمات اليهودية» ذات «الاعتمادات المالية العامة » . وتنص ملاحق الميثاق على أن الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية تعامل كجزء من الحكومة الاسرائيلية في أوجه متعددة تتضمن تطبيق الاوامر الحكومية فيما يتعلق بالتفتيشات والحجوزات في المكاتب الحكومية على « الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية ومؤسساتها كما يعرفها الميثاق » . وباختصار ، يشير الميثاق وقانون الوضع الى أن المنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية في بعض الوجوه جزء من حكومة اسرائيل وفي البعض الآخر هيئة عامة وكيلة لتلك الحكومة تقوم نيابة عنها بمهمات معينة . وهذه النتيجة عن وضع المنظمة / الوكالة الحكومي و/أو وضعها كهيئة عامة تختلف تماما عن الشهادات الصهيونية التي ادلي بها الى لجنة مجلس الشيوخ في العام ١٩٦٣ . وبما أن قانون الوضع والميثاق مصدران أوليان للقانون العام فانه يجب ان تعلق عليهما اهمية حاسمة ، ما لم تظهر ادلة جديدة مقنعة تثبت العكس .

٢ ــ الوكالة اليهودية بموجب مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب ــ لم يتم الشهود الصهيونيون في جلسات مجلس الشيوخ المخصصة لسماع الشهادات في العام ١٩٦٣ بتحليل بنود قانون الوضع أو الميثاق. ولم يرفق المسجل الصهيوني وقت التسجيل أيا من وثيقتي القانون العام هاتين بموجب مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب . فالجزءان الثاني والثالث من هذا المرسوم يفرضان تقديم هذا النوع من المعلومات فهما ينصان على أن بيان التسجيل يجب ان يحتوي على معلومات تتعلق « بمدى مراقبة او توجيه او ملكية او سيطرة او تمويل او اعانة اي حكومة او بلد اجنبي جزئيا او كليا لكل وكيل اجنبي » .

وفي العام ١٩٦٦ أقر الكونجرس تعديلات على مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب ، بقصد تعزيز تطبيقه بما في ذلك اضافة الغرامة الزجرية الى العقوبات الجزائية الموجودة . وبعد دراسة دقيقة للتسجيل الصهيوني ، استطاعت وزارة العدل الحصول على قدر اكبر من الانصياع لمرسوم التسجيل ، وعلى الاخص توصلت الوزارة الى ايداع الميثاق في قسم التسجيل التابع للوزارة وذلك في ٢٨ آب ١٩٦٩ . ويبدو أن بنود الميثاق التي بحثناها أعلاه تثبت ان الوكالة اليهودية اما جزء من حكومة اسرائيل او هيئة عامة تسيرها الحكومة. بيد ان المسجل الصهيوني قام في اليوم ذاته بايداع مستندين جديدين بموجب مرسوم التسجيل ، لا يتفقان مع مستند الميثاق . يقول أحد المستندين في جزء منه « ان الوكالة اليهودية لاسرائيل ليست اداة في يد دولة او حكومة اسرائيل ولا فرعا من أيهما » . وليس هناك في المستند تحليل ولا ايراد لمرجع يدعم هذه النتيجة . واذا كان هناك من دليل ينقض قانون الوضع والميثاق باثبات طابع الوكالة اليهودية غير الحكومي ، فقد كان على المسجل الصهيوني أن يودعه . اما في الحالة الراهنة التي يوجد عليها الملف العام في وزارة العدل ، فان من الواضح بدرجة معقولة أن المسجل الصهيوني يعمل نيابة عن حكومة اسرائيل . ومن الواضح كذلك أن المسجل في موقف صعب حتى تحل التناقضات الواضحة في بيان التسجيل .

كذلك يثير التسجيل الصهيوني بموجب مرسوم التسجيل تساؤلات حول ما اذا كانت المنظمات الاخرى تتكلم نيابة عن مصالح اميركية او عن مصالح حكومة اسرائيل . فمثلا كشف جلسات مجلس الشيوخ لسماع الشهادات في العام ١٩٦٣ النقاب عن ان « مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى » تلقى مبالغ كبيرة من المال من الوكالة اليهودية عبر وكيلها المسجل . ففي السنة الماضية وحدها ، وطبقا لما ورد في بيانات التسجيل الملحقة للمسجل الصهيوني ، تلقى مؤتمر الرؤساء ٥٦٦٧ دولارا من الوكالة اليهودية . وما لم يكن هناك ادلة دامغة تبين أن مؤتمر الرؤساء منظمة اميركية فانه يبدو أن المعونة المالية المستمرة التي يتلقاها من الوكالة اليهودية تبين أن هذا المؤتمر يتكلم نيابة عن حكومة اسرائيل ويجب ان يعرف كذلك . وما لم توضح هويته فان المقصد المركزي لقرار التسجيل، وهو تحديد الهوية ، يبقى معطلا .

جـ ــ مسائل القانون الضريبي : هيئة عامة اجنبية

ام عمل خيري ؟

بالاضافة الى المسائل المتعلقة بتحديد هوية المنظمات كمنظمات أميركية أم أجنبية ، هناك مسائل اخرى تتعلق بسلامة النظام الضريبي الاميركي . تنص مواد القانون الاسرائيلي العام ، الذي لم نبحثه بعد ، على ان المنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية معفاة من دفع الضرائب في اسرائيل . وينص قانون الوضع على ان هذا الاعفاء يشمل « الهيئة التنفيذية واعتماداتها المالية ومؤسساتها الاخرى » . ويصف الميثاق الكبرين هايسود « النداء الاسرائيلي المتحد » والكبرين كايمث « الصندوق القومي اليهودي » بأنهما « مؤسستان تابعتان للمنظمة الصهيونية » . وفي ٩ حزيران ١٩٧٠ اضيف في وزارة العدل ملحق للميثاق ينص على تفاصيل ترتيبات اعفاء « الهيئة التنفيذية » من الضريبة . ومن المهم على وجه الخصوص أن الملحق يقول « في هذا الملحق تتضمن « الهيئة التنفيذية » الصندوق القومي اليهودي والنداء الاسرائيلي المتحد » . وهذا يعني ان الصندوق القومي اليهودي والنداء الاسرائيلي معفيان من الضرائب في اسرائيل لانهما جزء من الهيئة التنفيذية. والهيئة التنفيذية اما فرع من حكومة اسرائيل أو هيئة عامة تحت سيطرتها كما هو منصوص في قانون الوضع والميثاق . واذا فالنتيجة التي لا يمكن تجنبها هي أن الصندوق القومي اليهودي والنداء الاسرائيلي المتحد هما جزءان من حكومة اسرائيل أو من هيأتها العامة : المنظمة الصهيونية/الوكالة اليهودية . وهذان الصندوقان ذاتهما معفيان من الضرائب في الولايات المتحدة لان مصلحة ايرادات الضرائب الداخلية تعاملهما كمنظمتين خيريتين أصيلتين . وبالتحديد تعتبر التبرعات التي يدفعها المواطنون الاميركيون للصندوق القومي اليهودي والنداء الاسرائيلي المتحد تبرعات خيرية يجري اقتطاعها عند حساب الدخل لتقدير الضريبة . وقد قيم البحاثة الصهيوني البارز، البروفسور ندف زفران الوضع في كتابه «الولايات المتحدة واسرائيل»(١٩٦٣) كما يلي : « عدا ذلك ، لم تحاول الحكومة الاميركية أبدا أن تعترض جديا على تصنيف الهبات التي يتبرع بها اليهود الاميركيون والتي تبلغ قيمتها بليون دولار « صدقة » معفاة من الضرائب ، على الرغم من أن هذا المال يندرج فعلا في موازنة اسرائيل الانمائية العامة » .

النتيجة هي ان لكل من الصندوق القومي اليهودي والنداء الاسرائيلي المتحد حصانة ضريبية في دولة اسرائيل وفي الولايات المتحدة ولكن على أسس قانونية متعارضة . ففي دولة اسرائيل توجد الحصانة بسبب العمل الحكومي للصندوقين وفي هذا البلد توجد الحصانة بسبب عملهما الخيري المزعوم. ومن الواضح انه لا يمكن أن يكون هذان الاساسان القانونيان المتعارضان صحيحين معا . وما دامت حكومة اسرائيل قد حددت في قانونها العام أن هذين الصندوقين يقومان بأعمال حكومية لها ، فان ما يتبع من ذلك بالضرورة هو ان فرع الهيئة التنفيذية عندنا يخادع دافعي الضرائب الاميركيين بمن فيهم من يتبرعون للصندوقين الصهيونيين، وذلك بالسماح باجراء حسومات ضريبية خيرية تخرق المعيار الذي وضع في نظام ايرادات الضرائب الداخلية . والى أن تطبق قوانيننا الضريبية ، فان اسرائيل ستستمر في تشغيل اجزاء من حكومتها في الولايات المتحدة وكأنها هيئات خيرية حقيقية .

٣. القانون الدولي المنطبق على الشرق الاوسط .

أ ــ تصريح بلفور : ربما كان تصريح بلفور للعام ١٩١٧ أهم اتفاق دولي يتعلق بفلسطين . ولا شك في أن هذا الاتفاق أحد اكثر الاتفاقات الدولية في القرن العشرين تعرضا لسوء الفهم وسوء التفسير. وجد التصريح بدايته في بيان رسمي أصدره وزير الخارجية البريطانية في ذلك الوقت ، وأصبح فيما بعد اتفاقا دوليا عبر تضمين بنوده كاملة لصك الانتداب الذي أقرته عصبة الامم على فلسطين . وقد كانت كل البنود الاخرى في صك الانتداب على فلسطين متوافقة تماما مع شروط تصريح بلفور بما في ذلك بنود الضمان التي تحمي حقوق الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين . وكان لا بد من الحصول على موافقة الولايات المتحدة على الوعد منفردة لانها لم تكن عضوا في عصبة الامم ، وقد تم ذلك عبر المعاهدة الانجلو ــ اميركية بشأن فلسطين (١٩٢٥) التي تضمنت النص الكامل لتصريح بلفور . وعلى الرغم من أن التصريح أساسا من طرف واحد ، الا أنه مع ذلك نتاج اتفاق ثلاثي الاطراف تم بالتفاوض بين الحكومة البريطانية والصهيونيين واليهود البريطانيين البارزين . وقد جرت المفاوضات ، طبقا لليونارد شتاين مؤرخ التصريح الصهيوني الثقة ، على امتداد ثلاث سنوات . وكان الدكتور حاييم وايزمن الذي أصبح فيما بعد أول رئيس لدولة اسرائيل المفاوض الصهيوني الرئيسي . وكان يشجعه على الهدف

المركزي لتفاوضه ، وهو الحصول على تخويل قانوني لدولة صهيونية في فلسطين ، القادة البريطانيون الامبرياليون واللاساميون . وقد اشار المؤرخون الصهيونيون ومنهم الدكتور شتاين الى ان رئيس الوزراء لويد جورج ووزير الخارجية بلفور كانا يحملان وجهات نظر لاسامية مدة طويلة. وقد جعلتهما وجهات النظر هذه حليفين طبيعيين للدكتور وايزمن لانهما كانا يريان أن الهدف الصهيوني يعزز الامبريالية البريطانية في الشرق الاوسط ، كما كانا يريان فيه مشروعا سيؤدي على الاقل الى تخفيض عدد اليهود الى الحد الادنى . وقد اعطى لويد جورج وبلفور موافقة الحكومة البريطانية الاولية على المسودة الصهيونية للتصريح التي تنص كما تقول احدى الروايات على ان الحكومة البريطانية « تقبل مبدأ أن يعاد تشكيل فلسطين كوطن قومي لليهود » وكانت هذه المسودات الصهيونية تتجاهل ببساطة حقوق مسلمي ومسيحيي فلسطين الذين كانوا يمثلون حينذاك ٩٠ ٪ من سكان ذلك البلد .

كانت العقبة الرئيسية في وجه تحقيق الاهداف الصهيونية هي اليهود البريطانيون في الحكومة وفي الحياة الخاصة . وقد لعب ادوين مونتاجيو العضو اليهودي الوحيد في مجلس الوزراء دورا بارزا ، فقد كانت الصهيونية ، في رأي مونتاجيو وزملائه ، تتهدد بالخطر حقوق اليهود المساوية لحقوق الاخرين ومكانتهم في بريطانيا وغيرها من الاقطار ، وذلك من خلال ادخالهم رغما عنهم في ما يشكل « الشعب اليهودي » المزعوم الذي يعمل الصهيونيون نيابة عنه . كذلك كان هؤلاء اليهود يسعون الى الحفاظ على الحقوق القائمة للفلسطينيين وكانوا في ذلك على تعارض تام مع الصهيونيين. لقد قام مونتاجيو، بعد موافقة الحكومة البريطانية الاولية المبكرة على الاهداف الصهيونية ، باعداد بيان دقيق يشرح فيه قضية اليهود ضد الصهيونية بعنوان « لاسامية الحكومة القائمة » ، ووزع هذا البيان على زملائه في مجلس الوزراء . تقول هذه المذكرة في جزء منها : « انني أرغب في ان أسجل وجهة نظري بأن سياسة حكومة صاحب الجلالة لاسامية في نتائجها ، وستبرهن على أنها أرض سيلتقي عليها اللاساميون في كل بلد من بلدان العالم ... وستجدون في فلسطين شعبا يطرد السكان الحاليين ويأخذ لنفسه افضل ما في البلد ... » . ويختتم مونتاجيو مذكرته قائلا انه اذا دعمت الحكومة البريطانية الصهيونيين فان « فلسطين ستصبح مجبر (غيتو) العالم » . فكان أن وضعت هذه المذكرة الصهيونيين في موقف دفاعي وغيرت بصورة جذرية تفكير غالبية اعضاء مجلس الوزراء .

صيغ تصريح بلفور النهائي من المسودة السابعة من المسودات التي كان مجلس الوزراء البريطاني يتناولها بالبحث . وقد بدأ التصريح برفض هدف الصهيونية الاقليمي في الاستيلاء على كل فلسطين وأورد فقط أن الحكومة البريطانية « تنظر بعين العطف » الى البرنامج الصهيوني . ويقول نص التصريح : « ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل افضل جهودها لتسهيل تحقيق هذا الهدف . ويجب أن يكون مفهوما بوضوح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يبدي تحيزا تجاه الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى ».

وقد كتب الدكتور حاييم وايزمن في سيرته الذاتية ان هذا كان « تراجعا مؤلما » عما كانت الحكومة البريطانية على استعداد لفعله قبل ان يعبر الموقف اليهودي . وقد قبل الصهيونيون على الرغم من خيبة املهم المريرة الوعد بما يحتويه من ضمانات صريحة للفلسطينيين والحقوق اليهودية لانهم كما يقول الدكتور وايزمن في المصدر ذاته « لم يجرؤوا على التسبب في مزيد من التأخير بالتأكيد على الصيغة الاولى ... » .

ان هذا التفسير لتصريح بلفور على أنه هزيمة للصهيونية على أساس تاريخ التفاوض السابق للتصريح يدعمه دعما كاملا تفسير نص التصريح ذاته . ففي الفقرة الاولى ، فقرة « العطف السياسي » تم التخلي عن المحاولة الصهيونية للحصول على ذكر لـ « الحقوق » او « المبدأ » . كما أن كلمات « العطف » و« افضل الجهود » التي تظهر في الفقرة الاولى تعتبر في الاستعمال القانوني المتعارف عليه كلمات تفيد التمني او التضرع . وبذلك يصبح واضحا ان فقرة العطف ، حتى اذا اخذت دون اعتبار الضمانات ، لا تشكل اي التزام قانوني مهما كان .

تشير فقرة الضمان الاولى الى « حقوق » الفلسطينيين المدنية والدينية . وبالطريقة ذاتها يشير الضمان الثاني الى « حقوق » اليهود في اي

بلد آخر غير فلسطين ووضعهم السياسي وتستعمل كلمة « حقوق » هنا لتعيين التزام قانوني . من الواضح اذا بدون تحليل ابعد من ذلك ان « حقوق» من صينت حقوقهم يجب ان تعطى الاولوية على الاشارة العامة الى « العطف » في الفقرة الاولى . وتدعم هذا التحليل ايضا الكلمات التي لا لبس فيها والتي تسبق « الحقوق » المصون . تقول هذه الكلمات : « ويجب ان يكون مفهوما بوضوح انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يبدي تحيزا تجاه «الحقوق» المصون». وهذا يضع أولوية محددة للحقوق المصون ، ويجب ان يضاف ان تفوق « الحق » المصون ليس مكتوبا في النص على انه منع لالحاق الضرر باولئك المصونين او لخرق الفقرة . اذ ينص الوعد باختيار دقيق للكلمات ان لا يفعل اي شيء من شأنه ان يبدي « تحيزا » ضد هذه الحقوق . ويجب التأكيد في التفسير الحقوقي للضمان الاول الذي يصون « الحقوق المدنية والدينية » للفلسطينيين أن هذا الضمان قد ادخله مجلس الوزراء البريطاني رغم معارضة المفاوضين الصهيونيين الصريحة لذلك . والتفسير الاكثر معقولية هو أن هذه الفقرة تصون الحقوق التي حصل عليها الفلسطينيون ومارسوها عندما كانت فلسطين جزءا من الامبراطورية العثمانية. وتتضمن هذه الحقوق بالاضافة الى حرية الدين قدرا من الاستقلال الذاتي السياسي وحق العيش وحق ملكية الارض وحق امتلاك البيت الفردي وكذلك الحفاظ على سلامة المتحد الفلسطيني كهوية سياسية . ومن الواضح أنه كان هناك منذ بداية دولة اسرائيل خرق دائب لهذه الحقوق كما يتضح من القانون العام ومن الممارسات الفعلية للدولة . سعى اليهود عبر الضمان الثاني الى الاحتماء من التحيز ضد وضعهم السياسي القائم او الحاق الضرر به اللذين قد ينجمان عن ادخالهم في الهوية القومية المدعاة لـ « الشعب اليهودي » . وتشكل الممارسة الاسرائيلية الصهيونية في العمل نيابة عن « الشعب اليهودي » في القانون العام خرقا للضمان الثاني .

يعتقد الكثيرون ان انتداب عصبة الامم على فلسطين انتهى في العام ١٩٤٨ وقت انشاء دولة اسرائيل . وقد كان تصريح بلفور بما فيه فقرات الضمان جزءا من الانتداب ، كما قلنا سابقا . غير ان اعلان انشاء دولة اسرائيل يدعي صراحة ان تصريح بلفور هو التخويل القانوني لدولة اسرائيل ، وبذلك تكون حكومة اسرائيل قد مدت في سريان مفعول تصريح بلفور كجزء من القانون الدولي باعتمادها المستمر عليه . وبما أن تصريح بلفور يستخدم كتخويل قانوني لدولة اسرائيل ، فيجب ان يطبق التصريح كله بما في ذلك ضمان الحقوق الفلسطينية. ولان أكثر حقوق الفلسطينيين أولية لم تحترم من جانب حكومة اسرائيل ، فان هناك خرقا مستمرا من جانب تلك الحكومة لتصريح بلفور كتخويل قانوني مدعى منذ ١٩٤٨ وحتى الوقت الحاضر .

ب ـ القانون الدولي كوسيلة للسلام في الشرق الاوسط : يمكن للقانون الدولي كالقانون المحلي أن يطبق بحكمة وبلا تحيز . ولكنه يصبح بلا قيمة كوسيلة للسلام اذا لم يطبق .

المحاولات التاريخية لتحقيق السلام :

أ ـ تقسيم فلسطين (١٩٤٧ ـ ٤٨) ـ أوصى قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ الى « دولة يهودية » و« دولة عربية » في فلسطين . وقد دعمت حكومة الولايات المتحدة هذا القرار عندما اتخذ ، ولكن موقفها تغير بعد ذلك عندما أصبح واضحا أن التقسيم يمكن أن يؤدي الى نزاع واسع كما حصل فعلا . فكان موقف الولايات المتحدة الثاني الذي درس بعناية اكبر هو دعم وصاية الامم المتحدة على فلسطين بكاملها. وكان الموقف الثالث الاعتراف باسرائيل دون اي تحفظات بشأن حقوق الفلسطينيين المطرودين . وقد قال الرئيس ترومان بصراحة في المجلد الثاني من سيرته الذاتية التي كتبها بعد تقاعده أن هذا قد تم لاعتبارات سياسية محلية .

يرى الفلسطينيون ان قرار التقسيم غير شرعي على أساس ميثاق الامم المتحدة . وهم يؤكدون أن القرار يخرق المادة الثمانين من الميثاق التي تحفظ وتصون صراحة حقوق « أية دول أو شعوب أو شروط الاتفاقات الدولية القائمة » . وقد كان وعد بلفور آنذاك ساري المفعول كجزء من انتداب العصبة وكان التقسيم متعارضا معه . ويؤكد الفلسطينيون أيضا أن اي تقسيم لاي بلد ضد رغبة أغلبية سكانه خرق صارخ للمبدأ الاساسي لـ « حق الشعوب في تقرير مصيرها » الذي يرد في المادة الاولى من ميثاق الامم المتحدة . وبالمقابل تتحجج حكومة اسرائيل بصحة قرار التقسيم . فاذا فرضنا لاغراضنا الحالية أن التقسيم صحيح قانونيا ، فان من الواضح أن الكثير من بنوده الرئيسية قد خرق.

فلم تحترم البنود البالغة الاهمية المتعلقة بالحدود اذ وسعت الحدود الجغرافية لدولة اسرائيل كما يوردها القرار عن طريق الغزو العسكري . وينص بند آخر من بنود القرار تحديدا على « الحماية المتساوية أمام القانون » لكل الاشخاص دون تمييز ديني . ويؤكد الفلسطينيون أن طبيعة اسرائيل كدولة صهيونية تتضمن تمييزا مستمرا ضد المسلمين والمسيحيين في القانون العام . وقانون العودة في رايهم يوضح التمييز ضد الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين ، فبموجب بنود هذا القانون يملك اليهودي الذي ولد في واشنطن أو أي مكان آخر في العالم حقا قانونيا في « العودة » الى اسرائيل ، ولا يملك المسلم أو المسيحي الذي ولد في فلسطين حق العودة الى بلده بموجب القانون ذاته . ان ابرز معالم قرار التقسيم كما تبدو من منظار عشرين سنة مرت عليه هو أن القرار أسهم في النزاع المستمر في فلسطين والشرق الاوسط .

ب — اعادة اللاجئين الفلسطينيين او تعويضهم — حق الفلسطينيين في العودة أو التعويض معترف به بموجب الفقرة الحادية عشرة من قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ . وقد أعادت الامم المتحدة منذ ذلك الحين وحتى الان التأكيد على حق العودة او التعويض المرة تلو الاخرى وكانت الولايات المتحدة تصوت الى جانب ذلك كل مرة . لكن الفلسطينيين لم يعادوا ولا هم عوضوا ، والفشل في وضع حقوق اللاجئين الفلسطينيين هذه موضع التنفيذ هو أحد اسباب عدم ثقة الفلسطينيين بالامم المتحدة والولايات المتحدة . ومن المهم أن حكومة اسرائيل توصلت بالتفاوض عبر الدكتور ناحوم غولدمان الى اتفاقية تعويضات مع جمهورية المانيا الاتحادية وذلك للتعويض على املاك اللاجئين اليهود الذين فروا من الارهاب النازي . واذا طبقت المعايير ذاتها التي وضعت في اتفاقية اسرائيل — جمهورية المانيا الاتحادية للتعويضات (« اتفاقية لوكسمبورج » للعام ١٩٥٣) على حكومة اسرائيل لصالح الفلسطينيين ، فان ذلك سيشكل تقدما حقيقيا عن الحالة الراهنة ، حالة لا تعويضات ولا عودة للفلسطينيين .

ج — ايقاف غزو السويس (١٩٥٦) — عندما حصل الهجوم البريطاني — الفرنسي — الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ، شجبت حكومة الولايات المتحدة « الهجوم المسلح » وأصرت ، على حد تعبير الرئيس ايزنهاور ، أن لا يجازى المعتدون بمكاسب اقليمية . وقد تمت عملية الردع التي قامت بها الولايات المتحدة بفعالية غير معتادة بسبب التعاون الوثيق بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وتم التوصل الى انسحاب القوات الغازية جميعا انسحابا كاملا ، واعيدت الحدود الى ما كانت عليه قبل الهجوم . وقد تمتعت الولايات المتحدة بمكانة ومنزلة رفيعتين في الشرق الاوسط لمدة سنة على الاقل بعد هذا الرد الناجح للمعتدون . وانها لغلطة قاتلة ان حكومتنا لم تستخدم مركزها لتحقيق سلام قائم على العدل لكل الشعوب المشتركة في النزاع .

د — حرب ٥ — ١١ حزيران ١٩٦٧ — اكد الرئيس جونسون وحكومته وأعادا التأكيد على مبدأ « السلامة الاقليمية لكل الدول » في الشرق الاوسط ، وذلك قبل وخلال وبعد معارك حزيران ١٩٦٧ . بيد أنه لم يكن هناك ، بعد الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية الذي خطط له جيدا ونفذ جيدا ، ما يشير الى أن هذا المبدأ سيطبق حفاظا على السلامة الاقليمية للدول العربية . وقد كانت النتيجة التي كان يمكن التنبؤ بها لهذا التعارض بين الكلمات والافعال هي فقدان حكومة الولايات المتحدة لقدر كبير من الثقة بها . وكان الانجاز الرئيسي لحكومة اسرائيل في احتفاظها بالاراضي العربية المحتلة بدعم ضمني من الولايات المتحدة هو خلق حركة مقاومة فلسطينية فعالة .

ومن الواضح ، بعد أحداث حزيران ١٩٦٧ بما في ذلك خلق المزيد من اللاجئين الفلسطينيين ، أن كثيرين من الفلسطينيين لم يعودوا راغبين في تحقيق العدل لقضيتهم بالاعتماد على القانون الدولي ونزاهة وأمانة حكومة الولايات المتحدة أو الامم المتحدة .

ان من المناسب هنا أن نتساءل ما اذا كانت حكومة الولايات المتحدة قد اتبعت منذ حزيران ١٩٦٧ سياسات تؤدي فعلا الى السلام في الشرق الاوسط.

ان تواطؤ الولايات المتحدة في الهجوم الاسرائيلي المسلح عام ١٩٦٧ يشكل في المدى البعيد تهديدا لدولة اسرائيل أكثر بكثير من العرب . فسيكون الجيل الجديد من العرب قادرا في المستقبل على استعمال المعدات الحربية المتطورة لاغراض الهجوم المسلح قدرة اسرائيل على ذلك في الماضي . وبالاضافة الى ذلك يستخدم الفلسطينيون الان اسلوب حرب العصابات الذي لا يمكن دحره

باستيعاب قدر اكبر من التقنية العسكرية الهجومية من النوع الذي تمثله احسن تمثيل طائرات «فانتوم» الاميركية النفاثة . ان نزاع الشرق الاوسط ، كنزاع فيتنام ، لا يمكن كسبه باستخدام الاسلحة الهجومية ، ولو كان كذلك لكسبته دولة اسرائيل منذ أمد بعيد .

ان الخطوة الاولى التي لا غنى عنها نحو السلام هي فهم عناصر « نزاع الشرق الاوسط » . وهو في الواقع يتكون من نزاعين : الاول والاساسي بينهما هو النزاع بين القومية الصهيونية وبين الشعب الفلسطيني على فلسطين ، والثاني أي النزاع بين الدول العربية ودولة اسرائيل مشتق من الاول ، والدول العربية في هذا النزاع أطراف أصيلة ولكنها في النزاع الاول أطراف ثانوية . لقد حصلت وجهة نظر حكومة اسرائيل على الكثير من الدعاية في الولايات المتحدة ، أما وجهة نظر الفلسطينيين فلم تحصل على ذلك . ويجب أخذ موقف الفلسطينيين القانوني بعين الاعتبار سواء كان المرء يتفق معه أو لا . فهم يقولون أنهم قد طردوا من ديارهم باستخدام القوة والارهاب وذلك مخالف للمادة الثانية من ميثاق الامم المتحدة ، وهم يرون بأنهم واحد من الشعوب المؤهلة لتقرير المصير وواحدة من الامم المؤهلة لحقوق متساوية بموجب الميثاق. وهم يؤكدون أيضا أن مصالحهم وحقوقهم يجب أن تصان في أي تسوية تتعلق بفلسطين ، وهم يرون أن أي تسوية بدونهم غير ملزمة قانونيا .

ربما لا تزال الامم المتحدة توفر افضل فرصة لتحقيق السلام بقدر لا غنى عنه من العدالة في هذا العالم الذي يفتقر الى الكمال . ولا تستطيع الامم المتحدة بالطبع أن تكون فعالة دون الدعم الكامل لها من كل أعضائها ، وبخاصة الدول الكبرى . ان ميثاق الامم المتحدة ملزم لكل الدول الاعضاء فيها ، وتنص المادة ١٠٣ من الميثاق على أن الالتزامات التي يحددها القانون لها السيادة على « أي التزام دولي آخر » في حالة أي نزاع . وتقول المادة ٥٥ (ج) من الميثاق : « رغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضروريين لعلاقات سلمية ودية بين الامم مؤسسة على احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها ، تعمل الامم المتحدة على (ان يشيع في العالم احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء ، ومراعاة تلك الحقوق والحريات فعلا) » . وتنص المادة ٥٦ من الميثاق أن جميع الاعضاء ملزمون بالعمل على تحقيق الاهداف المبينة في المادة ٥٥ . وقد وضعت هذه البنود لتحقيق السلام بمنع ذلك النوع من التمييز على أساس عرقي الذي يشكل أساسا من أسس القانون العام لدولة جنوب افريقيا ، وكذلك التمييز على اساس ديني الذي يشكل أساسا من أسس القانون العام لدولة اسرائيل . وباختصار ، التمييز العنصري محظور سواء كان يقوم على تحديد الهوية الدينية او العرقية للافراد .

في ١٩٦٩/١٢/١٠ تبنت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارا يتعلق بالفلسطينيين . وقبل التصويت قررت الجمعية العامة أن المسائل الموضوعة أمامها « مسائل هامة » تستدعي حضور ثلثي الاعضاء والتصويت بموجب المادة ١٨ (٢) من الميثاق . وقد اعترفت الجمعية العمومية في هذا القرار الذي تبنته بأغلبية تفوق الاغلبية المطلوبة (وبمعارضة الولايات المتحدة) أن « مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين قد نشأت عن حرمانهم من حقوقهم المصون بموجب ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان » . وبهذا تكون الجمعية العمومية قد قبلت دعوى الوضع القانوني للفلسطينيين كشعب مؤهل لكل حقوقه بموجب الميثاق . والجمعية العمومية هي بالطبع الهيئة ذاتها التي تبنت قرار تقسيم فلسطين للعام ١٩٤٧ السيء المصير .

ربما كانت تسوية مسألة الفلسطينيين كلاجئين يتنفيذ التعويض أو العودة كافية في وقت مضى . لكن من المشكوك فيه جدا أن يكون الامر كذلك اليوم عندما أصبحوا ممثلين بمنظمة التحرير الفلسطينية وبحركة مقاومة . ان الفلسطينيين حاذقون سياسيا ، وهذا ما يعكسه اقتراح السلام الذي يقترحونه والذي يتفق تمام الاتفاق مع ميثاق الامم المتحدة . ويقضي هذا الاقتراح ، باختصار ، بأن تنظم فلسطين في دولة ديمقراطية علمانية يتمتع فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بحقوق متساوية . ويشرح البروفسور يوسف صايغ ، الاستاذ في الجامعة الاميركية في بيروت ، هذا الاقتراح بالتفصيل في كتيبه « نحو سلام في فلسطين » (١٩٧٠) . وربما كانت المجموعة المنظمة الوحيدة في اسرائيل التي توافق الان تماما على هذا الموقف هي المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتزبن) ، ولكن هذا الاقتراح يجد تجاوبا يمكن فهمه لدى افراد وجماعات

آخرين ذوي توجه ديمقراطي . واذا ما اعترف بالمصالح الفلسطينية وصينت في تسوية فان الفلسطينيين اذ ذاك سيكون لهم مصلحة في الحفاظ على هذه التسوية ، وحتى لو لم يكن للفلسطينيين اي حقوق كلاجئين او كشعب ، فان الادراك السليم يقتضي ان يستشاروا في تسوية يراد لهما ان تكون ملزمة لجميع الاطراف .

يجب على كل من يهتم بتحقيق السلام أن يأمل أن ملاحظات الرئيس على التلفزيون الوطني في ١/٧/ ١٩٧٠ لم تكن تعكس جدارة مستشاريه في شؤون الشرق الاوسط . ومن سوء الحظ على وجه الخصوص أن يردد رئيس الولايات المتحدة اللازمة الدعاوية المعهودة التي تتسم بالهواية والتي تدعي أن « الاقطار الاخرى » تريد « أن تلقي باسرائيل في البحر » ، فبعد أن القيت كل البيانات الدعاوية التي يمكن القاؤها أو الاستماع اليها في هذا الموضوع ، تظل الحقيقة انه ما من اسرائيلي القي به في البحر ، وتظل الحقيقة أن الشعب الفلسطيني قد القي به خارج بلاده . ينبغي أن يأمل المرء ، بالنظر الى اهمية تغيير وضع الشرق الاوسط من النزاع الطويل الامد الى الاجراءات السلمية ، أن يدرك « الفرع التنفيذي » حقائق الوضع ويتعامل معها بدلا من الدعاية التي اخترعت لطمس هذه الحقائق .

اذا كان للكونجرس أن يستخدم سلطاته الدستورية فيما يتعلق بأي مشكلة من مشاكل العلاقات الخارجية ، فان عليه أن يكون عارفا بالحقائق جيدا . ويصح هذا الامر أكثر مما يصح على السياسة الاميركية الخارجية في الشرق الاوسط . فليس هناك جزء آخر في العالم بمائل الشرق الاوسط في صعوبة الحصول على المعلومات المتعلقة به وفهمها . ومن الضروري ان يستخدم كل من مجلسي الكونجرس سلطاته الكافية في البحث عن الحقائق للتحقق من اصدق المعلومات المتعلقة بالشرق الاوسط .

يسمع المرء الكثير عن تحقيق سلام العالم من خلال القانون في الوقت الراهن ، ويعتبر البعض هذا المنحى مثاليا وطويل الامد في افضل حالاته . وما دام الكثير من عمليات سياسة القوة قد استعمل لتحقيق سلام في الشرق الاوسط دون نجاح في ذلك ، فلربما كان القانون البديل العملي الان . وميثاق الامم المتحدة يحتوي على أكثر القوانين علاقة بمشكلة الشرق الاوسط ومن الضروري أن يطبق هذا القانون الآن . ان الولايات المتحدة تملك الفرصة والالتزام لاستعمال نفوذها لتطبيق القانون والعدل ، ولا يمكن للامم المتحدة ان تكون اداة فعالة لتحقيق السلام الا بدعم الولايات المتحدة ، وتعود لافعالية الامم المتحدة حتى الآن في معالجة مشكلة الشرق الاوسط الى فشل حكومة الولايات المتحدة في الاشتراك في الاجراءات التي يراد بها تطبيق روح الميثاق على كل اطراف النزاع بالتساوي . لقد فشلت حكومتنا المرة تلو الاخرى في المشاركة بهذه الاجراءات التي تحظى بدعم اغلبية واسعة متزايدة من المجتمع العالمي . وبهذا تكون الولايات المتحدة قد أسهمت في المشكلة لا في حلها . وقد حان الوقت للتحول الى سياسة عادلة لم تعرف بعد طريقها الى التطبيق العملي .

---

١ — The Legal Problems Concerning the Juridical Status and Political Activities of the Zionist Organization /Jewish Agency: A Study in International United States Law, 9 Wm & Mary Law Review, 556-629 (1968).

٢ — 52 Stat. 63 (1938) 22 U.S. Code 611 (1964).

٣ — Justice Black in Viereck V. United States, 318 U.S. 236 at 249, 251 (1943).

٤ — الاصيل هو من يوكل شخصا أو هيئة عنه فيكون الاول اصيلا والثاني وكيلا — المحرر .

٥ — Hearing on Activities of Non-diplomatic Represantatives of Foreign Principals in the United States Before the Senate Committee on Foreign Relations (88 con. 1st Sess. 1963).

البنك العربي المحدود

أسس سنة ١٩٣٠

أضواء وحقائق

بناية الفرع الرئيسي
للبنك العربي المحدود
شارع رياض الصلح – ص.ب ١٠١٥ – بيروت

الموجودات: بلغت ١،٢٨٢،٠٠٠،٠٠٠ ليرة لبنانية بزيادة اثنين واربعون مليون ليرة عن السنة السابقة بالرغم من الازمات وعدم الاستقرار في المنطقة.

الودائع: سجلت رقماً قياسياً فزادت ٧١،٠٠٠،٠٠٠ ليرة لبنانية بنسبة حوالى ٨٪ فبلغت بليون ليرة بالرغم من عدم شمولها لودائع الفروع المؤممة.

رأس المال المدفوع بالكامل والاحتياطيات: اصبح ١٢٥،٠٠٠،٠٠٠ ليرة لبنانية بعد اضافة حوالى خمسة ملايين وسبعمائة الف ليرة الى الاحتياطيات.

الايرادات: بلغت ٧٧،٧٠٠،٠٠٠ ليرة لبنانية مقابل ٧١،٥٠٠،٠٠٠ ليرة في العام السابق، خصص منها سبعة ملايين وخمسمائة الف ليرة ارباحاً موزعة على المساهمين بمعدل ١٦٪ من القيمة الاسمية للسهم بدلاً عن ١٥٪ في السنوات السابقة.

تطور البنود المهمة في الميزانية العامة في الستينيات

محولة إلى ليرات لبنانية بسعر الدينار الأردني ٨٥٠ قرشاً

السنة	الموجودات	رأس المال والاحتياطيات	الودائع	الارباح الموزعة
١٩٦٠	٨٧٧،٠٠٠،٠٠٠	٨٨،٠٠٠،٠٠٠	٥٣١،٠٠٠،٠٠٠	٦،٠١١،٠٠٠
١٩٦٥	١،٠٤٥،٠٠٠،٠٠٠	١٠٠،٠٠٠،٠٠٠	٧٦٧،٠٠٠،٠٠٠	٦،٦٠٨،٠٠٠
١٩٧٠	١،٢٨٢،٠٠٠،٠٠٠	١٢٥،٠٠٠،٠٠٠	٩٧٦،٠٠٠،٠٠٠	٧،٥٣٥،٠٠٠

تم تركيب الكمبيوتر (الدماغ الالكتروني) في فرعنا الرئيسي – شارع رياض الصلح –
مما سيساعد فروع لبنان في مواجهة الزيادة المطردة في اعمال البنك وخدمة العملاء على أحسن وجه

أرقام الهاتف للفرع الرئيسي: ٢٥٠٢٤٠ و ٢٥١١٥١

we look after you

Beirut Express

FORWARDERS AND BREAKBULK AGENTS

PACKING • AIR & SEA FREIGHT • TRAVEL

ARTOIS STREET - CHARTOUNI BLDG. - BEIRUT LEBANON - P.O.BOX 3274
CABLE COEXPRESS - TEL. 341400 - 05 - TELEX 880 BERYT COEXPRESS

قيل في قديم الزمان

واليوم يُقال اجعل مخزنك صندوق

سيكور

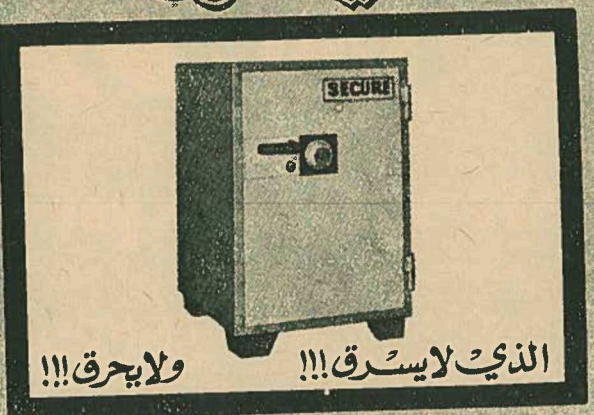

نجار كونتيننتال

شارع ويغات والصنائع. تلفون: ٢٥٢٦٨٠ - ٢٩١٧٨٨

فرع طرابلس: ممدوح العلة وأولاده

إستيراد وتصدير
لجميع أنواع الورق والكرتون
للمجلات والكتب

محمد خليل الداعوق

شارع المعرض - بيروت - لبنان
مكتب تلفون : ٢٣٤٦٤٥ - ٢٢٨٠٤٢
مستودع تلفون : ٢٩٣٩٣٢

الدار الشرقية للطباعة والنشر

لأصحابها إيلي ربيز وشركاه

تيبو - اوفست

كافة المطبوعات التجارية والفنية، والكتب والمجلات والملصقات

بيروت شارع الحمراء تلفون ٣٤١٦٢٨ - ٣٤٤٤٦٨ - ٣٤٤٤٦٩

المؤسسة العصرية للطباعة والزنكوغراف

طباعة
كليشيهات
آرمات نحاسية
اكياس مطبوعة

سجل تجاري رقم ٢١٤١

تلفون : ٢٢٩٣٧٩ / ٢٢٣٣٠٢

بيروت ـ لبنان

المعرض، بناية الشمالي، خان انطون بك

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مؤسسة عربية مستقلة

غايتها إعداد الأبحاث والدراسات ونشر الكتب والدوريات حول مختلف أوجه المجتمع العربي المعاصر وقضاياه الرئيسية بروح علمية وطنية رصينة. كما تعنى المؤسسة العربية للدراسات والنشر بترجمة الكتب القيمة من التراث الإنساني المعاصر ولاسيما تلك التي تمت بصلة الى قضايا الإنسان العربي وهمومه الفكرية والحياتية دون ان تعكس هذه الكتب وجهة نظر المؤسسة بالضرورة

صدر حديثا عن

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

١ ــ تاريخ فلسطين الحديث	الدكتور عبدالوهاب الكيالي
٢ ــ فرانز فانون	دافيد كوت
٣ ــ ماركوز	اليسدير ماكنتير
٤ ــ نقطة البداية	ميشيل عفلق
٥ ــ السبيل الى تحرير فلسطين	الدكتور منيف الرزاز
٦ ــ الوحدة العربية هل لها من سبيل ؟	الدكتور منيف الرزاز
٧ ــ اليهودي اللايهودي	اسحق دويتشر
٨ ــ المخفي من حياة لورنس العرب	فيليب نايتلي وكولن سمبسون
٩ ــ غيفارا	اندرو سنكلير
١٠ ــ حول السياسة المالية والتعبئة الدفاعية في لبنان	يوسف شبل

تحت الطبع

لا تراجع بل خطوة الى الامام	محمد المسعود الشابي
الماركسية وحرب العصابات	ماركس ، لينين ، ماوتسي تونغ وآخرون

بناية جفينور ــ شارع كليمنصو ــ بيروت ــ لبنان

تليفون ٣٤٤٠٨٥ ــ برقيا : موكيالي

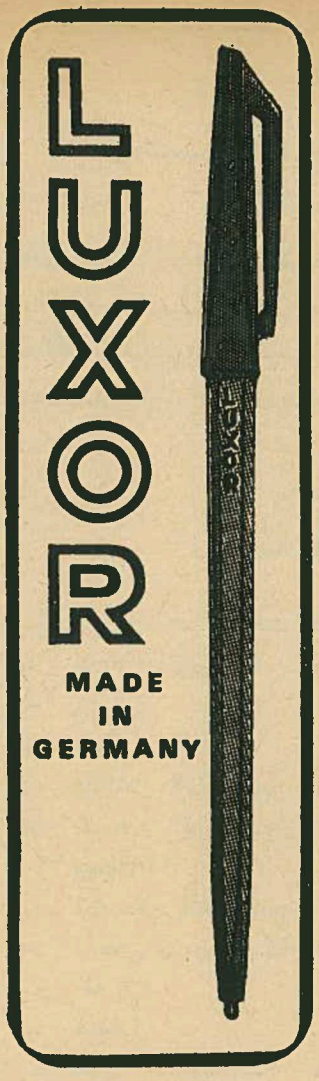

LUXOR PEN

LUXOR FIBRE PEN

* قلم الحبر ذو الريشة المغناطيسية التي صنعت خصيصا للكتابة الجميلة مع الخرطوشة
* قلم الحبر ذو الراس النايلون للمهندسين والرسامين والامضاء ومع خرطوشة حبر لا ينشف.
* قلم الناشف ذو اللونين الازرق والاحمر اتوماتيكي **Chromatic**
* قلم الناشف العادي **LUXOR**
* قلم الناشف مع الضغط
* غيارات للقلم الناشف **LUXOR**
* ماسكة قلم ناشف مع سلسلة تلصق بالتلفون بطريقة مغناطيسية **LUXOR**
* موضع قلم ناشف مع سلسلة للمكتب **LUXOR**
* اصناف متعددة وحديثة للمكاتب انتاج **LUXOR**

LUXOR PEN

Baden Baden - W. Germany

الوكلاء الموزعون للبنان والشرق العربي :

شركة كامل بكداش واولاده

بيروت ـ شارع المعرض ـ بناية اللبابيدي

تلفون : ٢٣١٢٠٦ ـ ٢٣٧٦٢٥

لسفرياتكم وشحن بضائعكم

اعتمدوا

شركة ستراند للسياحة ش.م.م.

بناية ستراند ـ شارع الحمراء ـ تلفون ٣٤٣٢٢٢/٣

بيروت ـ لبنان

مطبعة فغالي

كافة المطبوعات التجارية

والكتب والمجلات

باب ادريس

سوق سيور

تلفون ٢٢٤٠٤٠

مع أطيب التمنيات

شركة بوارشي للتجارة
قرطاسية ومطبوعات
٧٣٤ شارع الحمراء — ص. ب ٣٩٠٠ — تلفون ٣٤٤٨٦٠ — بيروت — لبنان

شارع المعرض: سوق البزركان الجديد: تلفون: ٢٢٦٠٧٠ و ٢٥٦٠٧٠

مطلوب وكلاء للتوزيع في جميع انحاء لبنان والبلاد العربية

شركة
ستراند الفندقية ش.م.ل
بيروت

٤٥ شقة :

مؤثثة بمفروشات فخمة مؤلفة من غرفة او غرفتين للنوم ، غرفة طعام وصالة استقبال ، بار ، مطبخ ، حمام مع دوش ، موسيقى ، تلفون ، وتلفزيون عند الطلب .

٦٠ غرفة للمنامة :

مع جميع التسهيلات المطلوبة، مطعم، سناك بار ، كويك ميل ، حلويات وبار اميركاني .

★

كل هذا تجدونه في
شركة ستراند الفندقية
وباسعار معقولة
شارع الحمراء ــ بيروت ــ لبنان
تلفون : الفندق : ٣٤٠٩٩٠/١/٢
الريزيدانس : ٣٤٠٩٧١/٢

تقوم بطباعة مجلة « شؤون فلسطينية » ولديها اكبر مجموعة من الحروف العربية والاجنبية ومستعدة لاخراج وطباعة وتوريد المطبوعات الملونة والعادية بجميع اللغات الى كافة البلدان في الوطن العربي.

مطبعة الغريب
بيروت

شارع هوفلان ــ مقابل المطبعة الكاثوليكية ــ هاتف ٢٤٦١٨٥

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.